وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بغداد
كلية التربيه

ابحاث ونصوص في فقه اللغة العربية

تأليف

الدكتور رشيد العبيدي
الاستاذ بكلية التربية / جامعة بغداد

طبع على نفقة جامعة بغداد

مطبعة التعليم العالي
بغداد ـ ١٩٨٨

الاهـــــداء

الى ولـــدي :

احمـد المعتصـم

محمد الامـــين

اهـدى هـذا الجهـد

رشـيد العبيـدى

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـــــــــدمة

لقد الف اللسانيون في عالمنا العربي الكثير من كتب فقه اللغة ، وقد ستطاعوا من خلالها ان يحيطوا الدارس والباحث والطالب علما بكل شيء عن هذا لعلم ، واتخذت موضوعات فقه اللغة وعلومها طرقا ومناهج متعددة تجمع بين القديم والحديث تارة وتعنى بالقديم تارة اخرى ، وتترك القديم معنية بالدراسات الالسنية الحديثة تارة ثالثة ، او تهتم بالدراسات النظرية في هذا الميدان دون تقديم النصوص شواهد بين ايدى الدارسين ، وربما اقتصر بعضها على النص وتفسيره ، كما فعل الدكتور سيد يعقوب بكر في كتابه (نصوص من فقه اللغة) ، وحاول بعضها الاخر ان يتصدى للمذاهب الالسنية الحديثة ، عند السلوكيين والنفسانيين والفطريين والتكوينيين والاجتماعيين والرمزيين ، وغيرهم ممن كان لهم شأن في الدراسات اللغوية ، لارتباطها بموضوعات مذاهبهم الفكرية والنفسية والاجتماعية .

ولقد كان للبنيوية ـ المنهج الحديث في دراسة اللسانيات ـ شان يذكر في دراسات اللغات الاوربية ، وكان هذا المنهج مناسبا جدا للغات الاوربية ، نظرا لما اصاب هذه اللغات من التطور والتحول الكبير عن اصولها التاريخية ، وخصائصها المتوارثة ، فالصلة بين الانجليزية الحديثة ، والجرمانية القديمة تكاد تكون بعيدة ، لما اصاب الانجليزية من التطور والتغيير ، بل ان انجليزية شكسبير تختلف عن انجليزية العصر الحديث بكثير من المظاهر والخصائص. وكذا الحال بالنسبة لفروع اللاتينية القديمة ، كالفرنسية والايطالية والاسبانية وغيرها من اللاتينيات ، فانها جميعا قد انفردت بخصائص ومميزات

ابعدتها عن اللاتينية الام ، فحين ظهرت الالسنية الحديثة في اوربا عالجت هذه القضايا اللغوية بمناهج مختلفة ، وباساليب متنوعة تتناسب وما لقيت هذه اللغات من تغيرات ، فطبقت البنيويات المنهج الخاص بها ، ونظرت الى اللغات نظرة انية ـ سانكروني ـ على انها لغات تمثل حقبتها التي تعيش فيها دون النظر الى اصولها وتاريخها وظروفها ، فالنص اللغوى المدروس لايعدو ان يكون بناء محكما مترابط الاجزاء بعلاقات منظمة ومنسقة عند البنيوى ، وهو مبتور مقطوع غير متوارث ولا منسول من أصل ، وانما يوصل الى معرفة اللغة من النظر الى وحدات النص اللغوى ، وعلائق هذه الوحدات مع بعضها ٠ اما علاقة النص اللغوى بالتاريخ ـ دياكروني ـ فلا يتعدى النص فيها ان يكون حلقة انية ضمن سلسلة تاريخية ، ولكل حلقة خصائصها ولاعلاقة بين هذه الحلقات الا المراحل الزمنية ٠

وهذا المذهب الدراسي لايمكن تطبيقه على اللغة العربية ـ فيما ارى ـ لكون العربية قد ارتبطت حلقاتها التأريخية ، وظروفها ، وحياتها الطويلة ، بسلسلة متماسكة الخصائص والصفات ، متواصلة التناسل والارتباط بالاصل لوجود النصوص الاصيلة المواكبة لحركة العربية خلال تاريخها الطويل ، ترجع اليها ، وتستمد منها ، وتقوم ما اعوج من التراكيب والصيغ على اسسها وقوانينها ومعاييرها ٠ ولئن كانت اللغات الاوربية قد اعتدت بالعاميات بكونها تطورا للغة الام ٠ لقد وقع التجرؤ في القرن الرابع عشر على كتابة نحو اللغات العامية ، وهو امر يكاد يكون كفرا ، اذ ان هذا الشرف العظيم كان منحصرا في اللاتينية ، بفضل تقديس دام دهرا طويلا (١) ٠ كما يقول مونان ، وان العربية قد اختلفت عن هذه اللغات بما وصفنا من ثباتها على اصولها وتناسلها الطبيعي من لغة الجزيرة العربية الام ٠

---

(١) جورج مونان / مفاتيح الالسنية ٣١ ٠

اما الدراسات اللسانية الاخرى ، كالنحو التحليلي والتركيبي والنحو التوليدي عند تشومسكي ، والتوزيعي ، فان الدارسين الاوربيين ـ كما يبدو ـ قد ملوا ـ بظهورها ـ النحو اللاتيني القديم المنبني على العقلانية والمنطق ، واستخدام المعايير الملزمة ، فعمدوا الى التراكيب والهياكل اللغوية ، يحللون ويركبون واضعين في اعتباراتهم ماهو مقبول من التراكيب ، وما هو غير مقبول ومعتمدين في ذلك على (التحويل) و (التوزيع) و (الاستبدال) ، فمثال التحويل

خالد يركب الفرس :

فاذا حولتها الى استفهام قلت : مايركب خالد ؟ الفرس ! فالجملة الاولى تعد (نواة) في نظر تشومسكي ، وما يتفرع منها هو التحويل ، ولذلك يقول : ان تركيبية لغة من اللغات قائمة على حصيلة محدودة نسبيا من الجمل الاساسية او الجمل النوى Kornels ويمكن ان تتفرع عنها بقية جمل اللغة ، بفضل عمليات تسمى تحويلا(٢) ٠

هـذه الدراسات اللغوية التـي وجدت في اوربا اختلفت في مناهجها ، ومذاهبها ، ومصطلحاتها اختلافا كبيرا ، ولم يعد اللقاء ميسورا بين مذهب مارتيني وسوسير وتشومسكي وبلومفيلد وطنبير وسـارف وايهـم وتشارلس مونديس وجسبرسن وماروزو وبوفـون ، وغيرهم ، فـان لكـل مذهبه الخاص ومصطلحاته ٠ ولو حاولنا القاء نظرة سريعة على اختلافاتهم في تعريف (المدلول)ـ مثـلا ـ لعجزنا ان نجـد اتفاقا بيـن واحـد واخر في تحديد المفهوم ، واجـزاء الدلالة(١) ٠

ومع ذلك يتضح ان المنطق والعقل قد بدأ من جديد يدخلان الدرس اللغوى، ويعيدان الى الاذهان المعايير القياسية العقلية التي عرفتها الدراسة اللغوية

---

(٢) انظر المصدر نفسه ١٠٩ ٠

(١) انظر مفاتيح ١٢٠ ـ ١٢٢ ٠

العربية في البصرة ، ولم يبق ـ كما يبدو ـ موضع خلاف بين الدرس اللغوى لعربي المنطقي العقلاني ، والدرس اللغوي الاوربي الحديث الافي اختلاف المصطلحات والاسماء ، وان نحو سيبويه والخليل قد عاد من جديد في اوربا • بالفاظ ومصطلحات اوربية مختلفة ومتضاربة باختلاف الدارسين الاوربيين ، وهذا أمر واضح عند النحاة الامريكيين في التحويلية التوليدية •

والواقع ان الالسنية الحديثة نختلف عما عرف في تاريخ الدراسات اللغوية العربية بـ (علم اللغة) و(فقه اللغة) ،وهي تختلف ايضا عن مفهوم (الفيلولوجيا) الاغريقية • فالفيلولوجيا اهتمت بالبحث في التاريخ الماضي للنصوص ، لتعتمد منها الحقائق الاجتماعية والجغرافية والادبية ،ولتنشرها موثقة علميا ،فهي اذن تعني بلغة النصوص للاستفادة من المضامين والموضوعات التي الفت فيها النصوص، فهي تتخذ اللغة وسيلة للوصول الى الحقائق العلمية والتاريخية والفكرية •

وبهذا المنظور يبدو لنا ان الفيلولوجيا لاعلاقة لها بالنحو ولاعلاقة لها بماعرف عند الدارسين العرب بـ(فقه اللغة) او(علم اللغة ، كما سيأتي تحديد مفهومهما• ان هذه الابحاث التي نقدمها بين يدى القارىء قد قامت بتحديد بعض المفاهيم اللغوية ، وحاولت ان تجمع بين الحديث النظرى عن موضوعات فقه اللغةالعربية والنص الشاهد على ذلك ، ماوجدت الى ذلك سبيلا ، ولذا رأينا ان نطلق عليها اسم «ابحاث ونصوص في فقه اللغة العربية » •

وقد رأينا وضعه على فصول ، وكل فصل في مباحث ونصوص تتناول جوانب من هذا العلم ، ولست ادعي فيه استقصاء كل مباحث (فقه اللغة) وانما هي ابحاث ،اقتضتها ظروف الدراسة الجامعية في كلية الاداب والعلوم الانسانية التابعة لجامعة القاضي عياض ـ بمراكش المغرب ، وكلية اللغة العربية التابعة

لجامعة القرويين بفاس ، وكلية التربية في جامعة بغداد ، وربما تتهيأ لنا ظروف اخرى في المستقبل لنتم هذا العمل بعمل لاحق ان شاء الله ٠

والله الموفق ٠

١٤٠٨هـ /١٩٨٨م - بغداد

الدكتور رشيد العبيدي

مراكش - كلية الاداب

بغـداد - كلية التربية

فاس - كلية اللغة العربية

الفصل الاول

مفاهيم وتحديدات

١ ــ مدخل في دراسة اللغة ومناهجها ٠

٢ ــ الدراسات اللغوية بين العلم والمعيارية ٠

٣ ــ في الكلمة ــ الكلام ــ القول ــ اللفظ ــ اللغة ــ اللهجة ــ دلالة الكلمة ــ وظيفة اللغة وتوظيفها ــ نص من خصائص ابن جني في اللغة ٠

٤ ــ مصطلحان متداخلان ٠

مفاهيم وتحديدات

اولا ـ مدخل في دراسة اللغة ومناهجها

من المعلوم لدى الباحثين اللغويين ان دراسة اللغة والكشف عن ظواهرها وقوانينها العامة تتخذ طرقا مختلفة بحسب منهج الدراسة ، واسلوبها واهم هذه الطرق :

١ ـ الاعتماد على الملاحظة ،بان يستخدم الباحث قواه العقلية وحواسه وذوقه في دراسة النصوص اللغوية ، ومن هذه الدراسات دراسة العربية ، ووضع اسسها على ايدى العلماء العرب ، كملاحظات الخليل بن احمد في اصوات العربية وملاحظات علماء النحو والصرف والبلاغة ، والمعجمات وفي سائر فروع اللغة ، ولا يقتصر الاعتماد على الملاحظة على اللغات الحية ، بل يمكن أن تدرس اللغات الميتة كذلك بهذه الطريقة ، ويمكن للدارس ان يعتمد على نفسه في دراسة اللغة اوان يعتمد على غيره ،بأن يلاحظ انسانا متكلما او مجموعة من المتكلمين بتلك اللغة ، ليدون ملاحظاته حولها ، كما فعل الدكتور تمام حسان في دراسته للهجة عدن ٠ على ان هذه الطريقة قد توقع الباحث في كثير من المزالق اللغوية اذ ان حالات السماع والاعتماد على الذاكرة ومحاولة الرصد الدقيق ، واختلاف الظروف الثقافية والذاتية للانسان الباحث قد تؤدى الى شيء من الاختلاف في الحكم بين هذا الباحث وذلك(١) ٠

٢ ـ استخدام اجهزة ، كالبلوتوغرافيا والكيموغرافيا ، وصور الاشعة وغيرها٠ وهذا الاسلوب لدراسة اللغوية يختص بتحديد اصوات اللغة ودرجاتها وخصائصها وصفاتها وطبيعتها ومخارجها ، وتتميز هذه الدراسة بالدقة المتناهية ، اذ ان الجهاز الصوتي المستخدم ، يقوم بتدوين لفظ الصوت وتحديد العضو الذى يصوته ، وانتقال الصوت الى

---

(١) مناهج البحث : د ٠ تمام حسان ٧٧ ـ ٧٨ ٠

العضو الثاني • يوضع هذا الجهاز مثل (السقف الصناعي) في سقف الحلق ، فاذا نطق الانسان بصوت يشترك فيه اللسان وسقف الحلق ، فان حركة اللسان ستترك اثرا فوقه فيعرف بذلك موضع الصوت بالحلق بدقة : وهناك اجهزة اخرى تقوم بتسجيل شدة النبر وفوته وتكشف عن خواصه وطبيعته ، عن طريق اشارات تحدد طبيعة الاصوات المسموعة في الجهاز النطقي ، وهذا الجهاز يقوم على كشف حركه العضو وشكلها ، ثم تدوين الذبذبة او الحركة وشكلها ، على صفحة في الجهاز تسمى (المسجل) وقد يكون هذا المسجل اسطواني الشكل • واستخدام الاجهزة في كشف القوانين ادق من استخدام غيرها(١) • وان كانت عليها ماخذ ، وهناك طريقة تصوير حركة العضو في الجهاز بامرار اشعة على الجهاز النطقي لتصوير كيفية نطق الصوت تعرف بصور الاشعة •

٣ ـ الطريقة المعتمدة على التجربة ، وتستخدم في الكشف عن الاصوات اللغوية كذلك وبها استطاع الدارسون معرفة علاقة اللفظ بالسمع ، واخطاء الاذن واصوات الغناء والكلام العادى ، وتعلم اللغات ، وتتم التجارب اللغوية بتهيئة الظروف الملائمة لاية ظاهرة لغوية ، لاي شخص يراد اجراء التجربة عليه ويتم توجيه الاسئلة المناسبة اليه ، حتى يصل الدارس الى بغيته من خلال تحدثه معه ، وقد ساعدت هذه التجارب ايضا على كشف ظواهر الدلالات اللغوية ولاسيما اختلاف اللهجات فيها •

٤ ـ المنهج البنائي : هو منهج ظهر في اوربا بعد عام ١٩١٦ عندما نشر تلامذة فردينان دى سوسير كتابه : محاضرات في علم اللغة العام ، التي طرح خلالها منهجه الخاص في البحث الالسني ، ناظرا الى اللغة على انها بناء ونظام ونسق من العلامات ، تدرس لذاتها ، ومن اجلها ، سميت هذه الظاهرة المنهجية في دراسة اللغة او اللسان بالبنيوية من قول قادة هذا الاتجاه بان

---

(١) انظر في الكيموغرافيا : مناهج البحث ٩٨ فما بعد •

اللغة (بنية) وان الانسان (بنية) والمجتمع (بنية) والعلوم المتنوعة بنيات ، كالرياضيات والفيزياء وغيرهما من العلوم .

ووضع سوسير البنيوى في اللسانيات مبادىء اساسية ، بين من خلالها معنى اللغة واللسان والكلام ، ورفض فكرة التاريخية . فقبل سوسير كان التاريخيون قد اخضعوا التاريخ لتحليل الظواهر اللغوية ، ونادوا بان اللغة ليست جهازا عضويا يتطور بنفسه ، وانما هو نتاج جمعي يشترك فيه ضمير الجماعة ، فاعتمد سوسير هذه المقولة وبنى عليها نظريته الوصفية ولكنه خرج على التاريخيين في شيئين :

الاول : انكار حركية المنهج

الثاني : رفض تاريخية النظرة

فنفى ذلك عن منهجه ، والتزم (تزامنية) البحث اللساني ، رأى ان اللغة ملكة موهوبة للانسان تجعله قادرا على اللغو ـ اصدار الاصوات ـ وتميزه عن سائر الحيوان . فهي كما يعرفها تشومسكي :

«ظاهرة بيولوجية ملازمة للانسان» وتتميز في نظر سوسير بشيئين هما :

١ ـ شموليتها ، اى : انها تشتمل كل النوع البشرى .

٢ ـ صعوبة تقعيدها : لانها غير محدودة .

وحصر سوسير التقعيد باللسان من النواحي : الصوتية ـ الصرفية ـ التركيبية ـ الدلالية . لان (اللسان) هو مجموعة القواعد التي تخص عشيرة معينة او قوما معينين في حدود الصوت والدلالة والتركيب والصرف . واللسان على وفق هذه النظرية السوسيرية نتاج اجتماعي يتقبله الفرد ويخضع لقوانينه على الرغم الرغم منه ، فالفرد ليس حرا في الاختيار ، لانه واحد من المجتمع مستظل بقوانين

لغته ، ولذلك يرى سوسيران اللسان قوالب جاهزة مركبة في عقول افراد المجتمع تكتسب اكتسابا ، اما اللغة فهي ملكة توهب للانسان(١) ٠

اما الكلام فيرى سوسير انه تطبيق لقوانين اللسان ، وتنفيذ الفرد للقواعد في حيزان اللسان هو كلام المجتمع كله ،ولذلك قيل :لسان عربي ولسان فرنسي، قال تعالى : «وهذا لسان عربي مبين» ٠

٥ ـ المنهج التاريخي التطورى : تميزت الدراسة اللغوية القديمة منذ اقدم عصورها (عند اهل بابل ـ ومصر واليونان ـ ثم الذين جاءوا من بعدهم ـ وهم العرب المسلمون) بميزات منهجية واضحة ، كانت تتخذ من سيطرة العقل والمنطق ، وتفوق المنهج المعيارى ، والنظر الى تاريخية اللغة وتطورها خلال مراحل عمرها اساسا في الوصول الى حقائق اللغة المدروسة ، وسادت في اوربا في القرون الوسطى وما تلاها من القرون حتى مطلع القرن العشرين ـ تقريبا ـ اهتمامات واضحة بدراسة تاريخ اللغات وفصائلها وفروعها وشعبها ، ولاسيما اوربا ـ اللغات الهندواوربية ـ السنسكريتية ـ اللاتينية ، فبرز في ميدان البحث اللغوى التاريخي جملة من اللغويين كدى بونالد ولوك ولايبنتز ، وفرانتس بوب وفارنر وغيرهم (٢)

وكان من اهم هذا المنهج ان ينظر الى حركية اللغة وتطورها عبر تاريخها الطويل ، ليرصد من خلال ذلك محطات القوة والضعف ، او المد والانحسار ،او تأثيرات اللغات بعضها ببعض على وفق قوانين الصراعات اللغوية المعروفة ٠

---

(١) خلاف مذهب تشومسكي الذى يرى ان اللغة يبدعها الانسان نفسه لذلك فالانسان قادر على خلق مالانهاية له من الجمل والتراكيب ٠

(٢) انظر في كتاب ، علم اللغة العربية ، د٠ محمود فهمي حجازي ١٢٧ فما بعد حول الخلافات التي حصلت بين شليجل وفرانتس بوب في تاريخ اللغات الاوربية واصولها٠

والمنهج التاريخي لم يهمل اثر النظرة الاجتماعية في اللغة ، لان اللغة في عرف اصحاب المنهج لاتعدو ان تكون نتاجا جمعيا تشترك الجماعة في تكوينه وتاسيسه ، ونفى ان تكون اللغة جهازا عضويا يتطور بنفسه ، وانما هو مرتبط بالتغيرات الاجتماعية والتاريخية ، وكانت هذه النظرة الاساس الذى انطلق منه سوسير لوضع منهجه البنيوى في البحث اللساني الحديث ، ثم طوره الى ما يناسب خصوصيات منهجه فيما بعد حين رفض تاريخية النظرة وحركية المنهج ٠

٦ ــ الاستنباط والاستقراء ، بمراقبة الظواهر اللغوية ــ وحدها ــ او الظواهر اللغوية من جهة والظواهر الاخرى من جهة ثانية ، كالاجتماعية والنفسية ، وبعد استقراء الحالات التي تبدو فيها يستطيع الباحث الربط بينهما ومعرفة العلائق التي تجمع بين هذه الظاهرة وتلك او تختلف عنها ، ويتبنى هذا الاسلوب المنهج الوصفي في دراسة اللغات حركيا او انيا في العصر الذى يعيشه الدارس ٠

٧ ــ المقارنة : وتتم هذه الطريقة بعقد مقارنات بين اللغات المختلفة او في ظواهر مختلفة في لغة واحدة للخروج بعد ذلك بالخصائص والصفات المميزة لها ، وبالقوانيين التي تخضع لها اللغة ، ويستوجب البحث اللغوى المقارن معرفة باللغات المدروسة ٠واكثر ابحاث فقه اللغة المقارن يعتمد على هذه الطريقة الا انها تحتاج الى الدقة في الملاحظة ومعرفة تاريخ اللغة المدروسة ، وصلاتها باللغات القريبة منها ، كما يتطلب البحث المقارن (بين اللغات المختلفة) معرفة تامة باللغات التي طبق عليها هذا المنهج ،وتسمى الدراسة حينئذ منهج البحث اللغوى المقارن، او فقه اللغة المقارن ٠

٨ ــ القياس : وهو اسلوب استخدمه دارسو اللغات في حالة عدم اهتدائهم الى جملة من القوانين والصفات التي تتميز بها بعض اللغات ، اوجهل الكيفية التي سارت فيها اللغة من مرحلة الى اخرى وبذلك يضطر الباحث اللغوى الى التفتيش عن ظاهرة تشبه الاطوار المجهولة من اللغة المدروسة في لغة حديثة في تكوينها

وتاريخها ، ليقيس عليها لغته القديمة المدروسة ، وكثيرا ماتستخدم طريقة قياس القديم على الحديث في موضوع (الصوت) ولكنها تبدو صعبة في دراسة الدلالات لصلة هذا الموضوع بالظروف الاجتماعية والنفسية والتاريخية والسياسية والثقافية والجغرافية وغيرها ... وهي ظروف تتغير من وقت لاخر ومن مكان لاخر . ومنهج القياس عند اللسانيين العرب ، منهج عقلي يعتمد على استخدام النظير الوارد في كلام العرب القديم اساسا ونقاس عليه التراكيب الجديدة . وبناء على هذه الظروف المستخدمة في مناهج الدراسة اللغوية نستطيع ان نقرر ان مايسمى (بفقه اللغة المقارن) مثلا – هو مايعتمد على الموازنة بين اللغات وملاحظة ظواهرها وتسجيل نقاط الاختلاف والالتقاء بينها ، وينبغي على الباحث في هذا الميدان ان يكون ذا احاطة تامة باللغتين التي يريد دراستهما دراسة مقارنة وليس هذا البحث الذى بين يديك من هذا الباب .

اما مايسمى (بفقه اللغة العام) فهو اوسع بابا واشمل موضوعات ، اذ يضع الباحث نصب عينيه دراسة اللغة او لغات متعددة من جميع جوانبها التنظيمية والبنيوية والدلالية والصوتية ، وعلاقة ذلك كله بالقوانين العامة للغة ، وقد تناول بحثنا هذا شيئا مما يتعلق بقوانين اللغة ، ولكنه مال باهتمامه الى دراسة (العربية) مارا بجوانبها التاريخية ، وهو مايمكن ان يطلق عليه (فقه اللغة التاريخي) ولم تكن موضوعاته – ايضا – متصلة جميعها بهذا النوع من الدراسة، لان بعضها قد يندرج تحت منهج الدراسة الوصفية والتقريرية لان كثيرا من موضوعات فقه اللغة العربية قد درس بشكل مستفيض في اكثر من بحث ميداني او لغوى عام ، ولم يكن له الا الاعتماد على ماقررته مثل هذه الدراسات .

ثانيا – الدراسات اللغوية بين العلم والمعيارية

تتميز ابحاث اللغة من شخص لاخر ، بالاغراض التي وضعت من اجلها ، والاساليب التي نهجتها للوصول الى غاياتها . ومنذ ان وجد الانسان وجدت معه اللغة التي يتوسل بها للتعبير عما يريد ، وللتفاهم والتخاطب ، ووجدت معه –

وان كان ذلك متأخرا – الاهتمامات المتباينة المختلفة في دراسة هذه الوسيلة ، ومعرفة مكوناتها ومقوماتها وعناصر نمائها وقوتها ، او اسباب ضعفها وفنائها .

فالبحث في اللغة البشرية الاولى ، وصور التعبير البدائية في نشأتها وتطورها خلال مراحل التاريخ من عمر الانسان – كأن ينتقل من مراحل كان يستخدم فيها اللغة الاشارية الى مرحلة استخدم فيها الاصوات المرتبطة بمعان خاصة، ثم مراحل استخدام الكلمات .. الى غير ذلك مما يدخل تحت مفهوم «نشأة اللغة الاولى» – يختلف بطبيعته عن البحث الذى يتناول جانبا جزئيا من جوانب اللغة المتفرعة المتشعبة ، كدراسة (الاصوات) التي يسميها المشتغلون بـ (اللغويات Phonetique-phonetics (علم الصوت) بطبيعتة (۱) Linguistique-Linguistics الذى يهتم – كما هو واضح من المصطلح بدراسة الاصوات التي تحتويها اللغة ، وصفاتها ومعرفة مخارجها واختلافها واختلاف الناطقين بها ، وقوانين ذلك كله مما لاعلاقة علمية له بموضوع «نشأة اللغة» . اذ ان موضوع (نشأة اللغة) يعتمد على الحدس والتخمين اكثر من اعتماده على الاسس العلمية التي يمكن التوصل بها الى الحقائق الثابتة المسلمة ولذلك اخرج اكثر الباحثين موضوع البحث عن (اصل اللغة) عن موضوع البحث اللغوى ولم يجيزوا اطلاق مصطلح (علم) عليه ، لانه الصق بالبحث التاريخي او التخميني المعتمد على الظن والحدس . ومن هذا التصور الدقيق عند علماء اللغة ، لما يمكن ان يندرج – من بحوث اللغة – تحت كلمة (علم) . وما يخرج منها ، وما يمكن ان يكون نوعا اخر من الدراسة اللغوية ، كان هناك مصطلحات دقيقة متميزة تعد موازين محكمة وصحيحة لفروع هذه الابحاث ، فهناك البحث اللغوى المعيارى وهناك البحث اللغوى التحليلي ، والوصفي ، والتاريخي ، والمقارن ، يتخذ كل منها صورة مغايرة للاخر ، واسلوبا خاصا به ، وكل نوع من هذه الفروع يندرج تحت مصطلح (علم اللغة) بمعناه العام

---

(۱) المصطلح الاوربي باللغتين الفرنسية والانجليزية .

Linguistique-Linguistics اذا علمنا ان كثيرا من الباحثين الاوربيين والعرب يجعل اللغويات على اختلاف انواعها ، سواء مايتعلق منها بأداب اللغة ام بفلسفتها (علم لغة) لان كلا منها يدرس مجموعة من الظواهر اللغوية للوصول الى حقيقتها ، ومعرفة عناصرها ، ومتابعة تطورها ، والعلائق التي تحكم صلة بعضها ببعض ، او تربطها بغيرها ، ثم معرفة القوانين التي تخضع لها عموما ، وهذا كله يصدق ان نطلق عليه (علم) Science ويصدق هذا الاسم ايضا على مايسمى علم اللسانيات اواللسان لسبب نفسه ،على انايمكن هنا انتنتبه الى ان مايطلق عليه اسم (علم التنظيم التعليمي) المشتق من (علم التنظيم) Syntaxe واسم (علم البنية التعليمي) المشتق من (علم البنية) Morphology-Morphologic و (علم الاساليب التعليمي) المشتق من علم الاساليب : Stylistigue-Stylistic هي العلوم الثلاثة المعروفة في العربية باسم «النحو والصرف والبلاغة» وتندرج جميعها تحت مفهوم «المعيارية» لانها جميعا ـ تمثل قواعد واحكاما مثالية وقيما عليا ، وضعت لتقويم اللغة ، والرجوع اليها والاحتكام الى اسسها وقواعدها عند الضرورة وهذا في الاقل ـ واضح في المنهج النحوى البصرى لقواعد العربية وواضح ايضا في تعريف Carnap للنحو(١) : في اية لغة بانه انما يقرر القواعد التي تنبني على اسسها الجمل من عناصر كالكلمات واجزائها ولقد ساعدت هذه النظرة ـ اعني معيارية اللغة ، وثبات احكامها ومثاليتها في بعض الدراسات اللغوية علىأن يحاول بعض المفكرين وضع لغةعالمية بايجاد مثل لغوية وقواعد مصطنعة يلتزمها الناس ٠

وهي محاولة فاشلة لم يكتب لها ان تنتشر ، لما واجهها من صعوبات جمة

---

(١) هذا التعريف يتفق مع نظرية علماء العربية الى وظيفة النحو ٠
وانظر كتاب : اللغة بين المعيارية والوصفية : د٠ تمام حسان ٢٧ ٠

ومعقدة • وعلى اية حال فان هذا الاتجاه المعياري ليس الاطريقا يسلكه المتكلم باللغة والمستخدمون لها في كتاباتهم وادابهم ، ليضبطوا عباراتهم •

اما الدراسة المعتمدة على ملاحظة الظواهر اللغوية واستقرائها للوصول الى القاعدة العامة ، وهي الطريقة الوصفية في دراسة اللغة ، فذلك ماسلكه العلماء العرب عند دراستهم العربية ، وتثبيت احكامها ، وهو منهج دراسي يتعذر ـ اليوم ان يطبق على دراسة العربية المعاصرة بعد استقراء قواعدها وثبات قوانينها واحكامها ، الا اذا حاولنا الرجوع ثانية الى الشعر العربي الاصيل ، والنص القرآني ،وحديث الرسول ـص ـ والنصوص النثرية والشعرية البليغة الفصيحة التي جادت بها قرائح ادباء العربية ـ اعني دراسة نصوص اللغة الادبية المثالية مـن دون التفات الى اللهجـات الشعبية المختلفة والاساليب الاعلامية المتنوعة والمترجمات الحرفية عن اللغات الاخرى ـ فعندئذ نكون قد وضعنا العربية في السبيل القويم لدراستنا ومعياريتها بشكل معاصر ، وما اظننا سنأتي بجديد يعد الذى صنعه رجال اللغة : المتقدمون في هذا المضمار •

وباستطاعتنا ـ اليوم ان نعرض الجديد من الاستعمال اللغوى على مقاييس العربية فان كان هناك إتفاق فلابأس من السماح باستعماله وان احتاج الى شيء من التغيير المناسب غير الى مايوافق اصولها • وان كان غريبا بقي على غرابته ، حتى لو استعمله الناس ، مادامت العربية في حصانة وشخصية قوية متميزة(١)•

وربما يمكننا ان نضع في الدراسات اللغوية المتميزة بالبحث عن الوسائل

---

(١) لقد عرف اللغويون العرب هذا المنهج ، ووضعوا كتبا للتنبيه على الدخيل والمعرب ، والمصحف المحرف والمولد ، ومن ذلك كتاب المعرب للجواليقي ، والتنبيه على حدوث التصحيف للاصبهاني (٢٧٠ هـ) ولحن العامة للزبيدى (٣٧٩ هـ) والتنبيه على غلط الجاهل والنبيه لابن كمال باشا (٩٤٠ هـ) ولقد نشرت هذا الكتاب الاخير في مجلة المورد العراقية عام ١٩٨١ ـ بغداد وزارة الاعلام ، العدد الخاص بالقرن الخامس عشر الهجرى •

التي ينبغي الالتجاء اليها للوصول الى امثل صيغة عملية تطبيقية يمكن ان يكون عليها التكلم، تحت موضوع الدراسات اللغوية الفنية، لان الفن يبحث في الوسائل التي يصل بها الانسان الى الغاية ،والمعروف ان الغاية التي سعى اليها اللغويون في وضع كتب (ماتلحن فيه العامة) و التصحيف والتحريف و تقويم اللسان وهو ماعرف بحركة التصحيح اللغوى في تاريخ الدراسات اللغوية العربية تهدف الى تقويم اللسان وتقديم الصيغ العلمية الصحيحة التي يتمسك بها المتكلم وينبغي ان يكون عليها المنطق السليم(١) . يدخل ضمن هذه المجموعة من الدراسات كتب الاداب الشعرية والنثرية ، فهي بالجانب الفني الصق منها بالجانب العلمي او المعيارى ٠

هذه لمحة سريعة حاولنا فيها ان نضع خطوطا مميزة بين مايمكن أن يكون معيارا وما يكون علما ، وما يكون فنا ، اما اسلوب بحثنا ومنهج دراستنا فلا نشك في انه ينبغي ان يكون منهجا وصفيا ، لانه الطريق الى وضع المعايير السليمة للقواعد اللغوية(٢) ٠ ولكن يتم ذلـك بمنأى عـن حشـر اللهجات الدارجة في الدراسة ، لانها لاتمثل سلامة اللغة ، وبهذا لانتفق مع المنهج البنيوى في دراسة اللغة ، لان هذا الاخير يدرس النص اللغوى دراسة انية منقطعة عن اصل اللغة التاريخية والظروف المتغيرة ٠

ثالثا ـ في تحديد الكلمة والكلام والقول واللفظ واللغة واللهجة

ليس هناك تحديد دقيق يتفق عليه الالسنيون في العالم الغربي ، كما ان

---

(١) انظر علم اللغة : د٠ وافي ٢٥ ٠

(٢) وقد حصل هذا المنهج للعلماء العـرب عندما درسـوا العربية ، وسجلوا ملاحظاتهم على نصوصها خارجين باحكام وقواعد ثابتة اصبحت فيما بعد معيارا ثابتا يرجع اليه المتكلم ٠ انظر :
Arnold Smith. Grammar and the use of words P: VIII

تحديد معنى (كلمة) في الدراسات اللغوية الاوربية يختلف عن تحديده في مفهوم اللساني العربي ٠

وفي ابسط تعريفات الكلمة التي عرفها اللغوى العربي انها (وحدة) لغوية تكون جزءا من الكلام ، ذات معنى قائم فيها ، وقول ابن مالك ٠

واحده كلمة والقول عم وكلمة بها كلام قد يؤم

اراد في الشطر الاول منه ان (كلمة) واحد الكلام ، وفي الشطر الثاني ، الاستعمال المجازى لاطلاق (كلمة) على الخطبة او القصيدة ، فيقال مثلا : القى الخطيب كلمته ، يريدون خطبته ٠

على ان هـذا التحديد لايعطي للكلمة تعريفا واضحا متميزا مـن سـائر مصطلحات اللغة الاخرى ، كالقول ، او اللفظ ، او ماشبه ذلك ٠ ففي (همع الهوامع) للسيوطي اطلق على الكلمة لفظ : (قول) فقال قول مفرد مستقل او منتوى معه(١) ٠ وفي تعريف ابن الحاجب الكلمة لفظ وضع لمعنى مفرد (٢) ٠ فالاول جعل الكلمة قولا مفردا مستقلا وهو حد اشترك فيه كثير من اللسانيين العرب ، وجعل الثاني (الكلمة) لفظا وضع لمعنى مفرد ، فقرن بين كون الكلمة لفظا ، وكونه وضع لمعنى مفرد ٠

والحق ان هذه الحدود لاتوضح ماهية الكلمة ، اذ لاتضع تفريقا بيـــن الصوتية والحرفية او بين الوظيفة والدلالة ٠ فحين تجرد الرضي لشرح كلام ابن الحاجب قال اعلم ان الكلم جنس الكلمة ، مثل تمر وتمرة ، وليس المجرد من التاء من هذا النوع جمعا لذى التاء ، بل هو جنس حقه ان يقع على القليل والكثير كالعسل والماء ، لكن الكلم لم يستعمل الا على مافوق الاثنين بخلاف نحو : تمر

(١) همع الهوامع ١/٣

(٢) شرح الرضي على الكافية ١/٢ ٠

وضرب وقيل : ان اشتقاق الكلمة والكلم من : الكلم ، وهو الجرح ،لتاثيرهمافي النفس ، وهو اشتقاق بعيد ، وقد تطلق الكلمة مجازا على القصيدة والجملة ، يقال كلمة شاعر ، قال الله تعالى « وتمت كلمة ربك الحسنى (١) » ٠

ويوحد الرضي بين اللفظ والكلام والقول فيقول فالقول والكلام واللفظ ، من حيث اصل اللغة معنى يطلق على كل حوف من حروف المعجم كان اومن حروف المعاني ، وعلى اكثر منه مفيدا كان اولا (٢)

وهذا الذى يحدده الرضي هنا لايرتضيه المحدثون من الالسنيين ، فمنهم من يفرق بين الكلام المكتوب ، ولكلام الملفوظ ، ويرى بعضهم ان ماينطق من الكلام انما هو سلسلة من الاصوات لاتفصل بين اجزائها فواصل ، ومثل هؤلاء ينكرون وجود مايسمى (كلمة) - اصلا وهو مذهب غير مقبول ، فماكس مولر يرى ان التفكير لايتم بلا كلمات (٣) لان الكلمة تمثل فكرة ، ولها شيءتنطبق عليه في الخارج ، ومجموع كلمات اللغة الواحدة يمثل المدى الحضارى الذى وصلت اليه الجماعة ، وبها نستطيع ان نعرف مقدار التقدم والثقافة الذى كان المجتمع يعيش فيه ، اننا نستطيع معرفة حضارة المسلمين من تتبعنا للكلمات والمصطلحات الحضارية التي وصلت الينا بطريق المعجمات وكتب اللغة ، واللهجة المتوارثة ، وكتب العلوم والثقافة الاخرى ، ولذلك يصدق القول على اللغة بانها : وعاء التجارب ودليل النشاط الانساني ٠

والواقع ان ماتقدم من الكلمات لايدخل في تعريف الكلمة بقدر مايوضح وظيفية الكلمة - او اللغة بشكل عام - ونريد هنا ان نصل الى تحديد اكثر دقة للكلمة فنجد ان اللسانيين المحدثين - ايضا - ليسوا سواء في تعريف الكلمة ، فهي عند سوسير :

---

(١) شرح الرضي ١/٢ - ٣ ٠

(٢) نفسه ١/٣ ٠

(٣) مناهج البحث :د ٠ تمام حسان ٤٣ فما بعد ٠

صورة سمعية تشترك مع متصور(١) وهي عند مارتيني : وحدة اساسية في تكوين الكلام ، لها دلالة في حدذاتها ،ويطلق عليها :(المونيم) الذى يتحلل بدوره الى وحدات صوتية ليس لها معنى وهي الفونيم ٠ ف (رجل) مونيم ، وهو كلمة ذات دلالة معروفة ، تتكون من فونيمات هي (ر) ـ (ج) ـ (ل) ٠ الى غير ذلك من الاختلافات في مناظير اللسانيين الى تعريف الكلمة والكلام واللغة واللهجة واللسان(٢) ، وهذه تعريفات سريعة نمر عليها فيما يأتي :

عني سوسير في العصر الحديث بالتفريق بين الكلام واللسان واللغة ٠ وقبل ان نعطي تعريفات اخرى لغيره ، نرد هنا بعض ماذهب اليه سوسير من الفروق :

ـ فاللغة عنده ملكة وهبها الانسان ، وهي التي تجعله قادرا على احداث الصوت، كما تجعله متميزا من سائر المخلوقات الاخرى التي تعيش معه ٠

واللغة عند تشومسكي ظاهرة بايولوجية ـ كما سبقت الاشارة اليه ـ ملازمة للانسان ٠ واللغة البشرية عند سوسير صعبة التقعيد ، لانها تشمل البشر كله وتختلف باختلاف الاجناس البشرية ٠

ـ **اما اللسان** : فهو مجموعة القواعد والاحكام والقوانين التي تخص عشيرة معينة او جنسا من الناس ، ويكون اللسان محددا بحدود الاصوات والتنظيم ـ والمفردات ـ والدلالات ، اذ يمكن ان تكون لهذه الاركان قواعد واحكام تضبطه ، ولذلك يرى سوسير ان الذى يمكن ان يوضع له النحو والقواعد هو اللسان ٠ اما اللغة فمن الصعوبة ان تقعد ٠ ومن هنا كان اللسان ـ وهو نتاج اجتماعي يلتزمه الفرد بالرغم منه ، ويعبر عن اللسان بانه معجم موزع على افراد المجتمع ، اوصور كلامية يعرفها افراد المجتمع ، او قوالب جاهزة

---

(١) مفاتيح الالسنية : مونان ٧٩ ٠

(٢) انظر المصدر السابق ٣٧ ـ ٣٨ ٠

مركبة في عقول افراد المجتمع • او ان اللسان كنز يتقسمه افراد المجتمع • فاللسان بناء على ماتقدم (مؤسسة اجتماعية) يكتسب اكتسابا في حين تكون اللغة موهبة •

- اما الكلام فهو تطبيق لقوانين اللسان ، او تنفيذ الفرد لمثل هذه القوانين ، ومن هنا كان الكلام يختص بالفرد ، واللسان يختص بالمجتمع ، واللغة تختص بالبشر جميعا •

وحاول سوسير ان ينظر في اسبقية واحد من الاثنين : اللسان او الكلام ، فرأى ان الكلام هو الاسبق ، لانه المحرك للسان ، ودليله على ذلك ان الضعف في الكلام او المرض في اللسان كالتأتأة والفأفأة لاتمنع المصاب بها من ان يفهم كلامنا اذا ماحدثناه ، لانه يعرف قواعد اللسان ، ولكنه غير قادر على الكلام لانه فقده ، فهو يستطيع الرد علينا بالاشارة والايماء(١) ، دون ان يتكلم • وغير سوسير من الالسنيين يختلفون في مذاهبهم حول تعريف الكلام واللغة واللسان وهذه جملة من أقوال لالسنيين في ذلك ، فيعرف الكلام بانه وسيلة للتعبير عن الافكار وهو تعريف عام •

- ويعرف بانه احد وسائل الابلاغ بين الاحياء ، كما هو رأى : جسبرسن •
- ويعرفه (لالند) بانه : نظام دلائل قادر على ان يستعمل وسيلة ابلاغ(٢) •
- وعند سوسير : انه نظام دلائل متميزة يقابل افكارا متميزة ، وتعريفه ـ هنا قريب من تعريفه للكلمة الذى مر ذكره •
- ويرى ماروزو : ان الكلام هو نظام دلائل صالح لان يستعمل وسيلة ابلاغ بين الافراد •

فهذه التحديدات جميعها تتفق في ظاهرة مهمة ، وهي ان الكلام ـ او اللغة ـ

---

(١) بنظر في هذا كتاب البنيوية في اللسانيات : د• محمد الحناش : ق ١ •
(٢) المصطلح التقني النقدى للفلسفة : لالند عام ١٩٢٦ •

نظام ودلائل – وابلاغ ، ولابد لما يكون نظاما ان يكون مقرونا بنظام تفكير ، ولذلك يرى بوفوى :انه لاكلام للحيوانات لان لانظام تفكير منظما لها(١)٠وهذا هو الذى دعا سوسير الى ان يجعل الكلام مميزا للبشر والكلام الذى تكونه مجموعة الكلمات ، هو نشاط عضلي صوتي فردى ، وهو نفسي عضوى(٢) ٠

اما اللغة ، فهي – عند غير سوسير – بالنسبة للمتكلم معايير يجب ان يراعيها ويلاحظ نظامها ، واسس ينبغي البناء عليها ، فان حاول المجتمع تطبيق هذه الاسس ، وتنفيذها يكون قد التزم اسسا لغوية معينة ، ويسمى بعض الدارسين هذا الالتزام اللغوى (باللهجة) ٠

أما اللسان ، فهو استعمال الافراد داخل مجموعة لغوية معينة للقواعد المجردة الموجودة في اذهانهم لتلك اللغة التي هو من جماعتها ، ولذلك يقال لسان عربي ، ولسان اعجمي ، ولسان تركي ٠

ويقترب تعريف اللسان من الكلام – كذلك – عند بعض اللسانيين ، فالكلام – عندهم وظيفة الفرد المتكلم ، ينفذ فيه النظام الذى تفرضه اللغة – كتابة او لفظا – ٠

وتسمى اللغة – لغة خاصة ، اذا كانت خاصة بطبقة معينة من المجتمع او بجماعة منه ، كلغة الطفل ولغة النساء ، ولغة الحدادين والتجار ٠٠٠ وهكذا ٠

واخيرا فان تسمية النحويين العرب للكلام : قولا كتسميتهم اياه : لفظا(٣) لانهم يرون انه مقول ملفوظ انما هي نظرة مقصورة على كون اللغة صوتية ، دون النظر الى طبيعتها الخطية – ولقد مر معنا – انها نظام صالح للتطبيق الكلامي ، مكتوب او مفهوم(٤) ٠

---

(١) مونان : مفاتيح الالسنية ٣٨ ٠
(٢)محاضرات في علم اللغة العام : سوسير ٣٧ ٠
(٣) مغني اللبيب ٤١٢/٢ ٠
(٤) مناهج البحث : د٠ تمام ٤٣ ٠

تكتسب الكلمة دلالة من السياق اضافة الى دلالتها الحقيقية ، كما تكتسب دلالة وهي في داخل التركيب ، ويذهب فيتشتاين الى انه ليس للكلمة دلالة — اصلا — وانما لها استعمالات فحسب(١) ٠ وهذا يعني ان دلالة الكلمة تكتسب من سياقات مختلفة ، ويمثل لذلك اللسانيون الاوربيون بكلمة (ذبابة) فانها لامعنى لها بدون ادخالها في سياق كلام ٠

والحق انك ترى للكلمة دلالة معجمية ، وهي الدلالة الحقيقية للفظ ، وثمة دلالة تاريخية يكتسبها اللفظ خلال حقبة طويلة من عمره بتطوره وانتقاله الى معان جديدة يولدها الاستعمال اليومي ٠ وثمة دلالة ظرفية ، تنشأ في ظرف معين ، وفي استعمال خاص — وهو مذهب بلومفيلد — ويريد بذلك ان اللفظ يكتسب دلالة خلال السياق في ظرف معين يعيشه المتكلم ، فكلمة (الاسد) ليست دائما هي في معناها الحقيقي الدال على الحيوان ، اذ ربما يخرج بها في ظرف ما الى معنى : الشجاع او الاباء مطلقا على انسان ٠ وهذه النظرة هي التي عبر عنها اللغويون العرب بالمعنى المجازى ٠ ولعل من افضل الاشارات التي تنفعنا في هذا المكان ، ماذكره ابن فارس في (صاحبيه) حول خروج بعض المفردات من معانيها الحقيقية الى معانيها المصطلحية او العرفية في ظل المجتمع الجديد ، والظروف التاريخية والحضارية الجديدة ، مثل : الصلاة والزكاة والايمان والحج والشهادة والصوم ٠٠٠٠الخ(٢) ٠

ولذا نجد من اللغويين من يذهب الى ان دلالة اى لفظ لايمكن تحديدها ٠ الا بفضل معدل الاستعمالات اللغوية من ناحية او الافراد او الفئات في مجتمع واحد من ناحية ثانية(٣) ٠

---

(١) مفاتيح الالسنية ١٢٥ ٠

(٢) الصاحبي : ابن فارس ٠٦٦ وانظر فيما يأتي (٤ — الصاحبي)

(٣) مذهب مايي ، كما ورد في مفاتيح الالسنية ١٢٤—١٢٥ ٠

وليست الكلمة وقفا على عدد معين من الوحدات الصوتية ، ففي العربية قد تكون الكلمة من صوت واحد كالواو في (يكتبون) لانها (كلمة نحوية) بمنزلة الفاعل ٠

والـ (ها) في رأيتها ـ كذلك ـ كلمة نحوية بمنزلة المفعول به ٠ اما كلمة (ذهب) فكلمة في المعجم ، تتكون من ثلاثة اصوات (ذ ، هـ ، ب) و (ذاهب) كلمة مشتقة جاءت من تصريف (ذهب) ٠٠٠ وهكذا ٠

والكلمة حرف مثل : في ، لا ، لم ٠ واسم ، مثل : رجل ، ولد ، وفعل مثل : كتب ، استخرج ٠

وظيفة اللغة وتوظيف اللغة

المعروف ان الوظيفة الرئيسة للغة هي : الابلاغ ٠ والابلاغ المقصود ، اى : ان المتكلم يقصد اليه قصدا ، دون ان يكون ابلاغا اعتباطيا ٠

وهذه الوظيفة اللغوية ، تختلف اختلافا جوهريا عن العلامات والرموز المستخدمة في وسائل الاعلام او الارصاد ، كما تختلف عن مظاهر الطبيعة ، وطوارىء الاحداث ، فقد يستمد من هذه الاخيرة بلاغات منوعة لها دلالاتها الخاصة ، كتجمع الغيوم في السماء ، فهي تعطي الارصادى ابلاغا بهطول مطر ، او رداءة جو، ولكنها لاتنوى ذلك ولا تقصد اليه ، وكذلك الحال بالنسبة لاصفرار الوجه ـ مثلا ـ فان ذلك لم يقع في وجه المريض ، ليخبر الطبيب بوجود حالة يرقان او ضعف في جسم المريض ٠٠ اما الابلاغ اللغوى ، فان المتكلم يقصد اليه وينويه ، فينظم افكاره بالكلمات المعبرة عن هذه الافكار ثم يؤدى ذلك باللغة ٠

ولكن هذه الوظيفة الرئيسة ليست هي كل ماتؤديه اللغة بل هي :

١ ـ وسيلة اتصال بين البشر بين الماضي والحاضر ، او بين المتعاصرين ٠

٢ ـ تعبير عن العواطف والاحاسيس والمشاعر ٠

٣ ـ وسيلة نداء وطلب ، بان يثير في السامع تنبيها او مشاعر ٠

٤ ـ وسيلة صياغة افكار ٠

٥ ـ وظيفة جمالية وانشائية ٠

٦ ـ وظيفة السنية ، ونعني بذلك استخدام اللغة نفسها لدراسة اللغة او تاريخها ٠

٧ ـ وظيفة تنبيهية : كلفت انظار الاخرين ، مثل استخدام لفظ هلو او الو في التلفون او ماشبه ٠

اما توظيف اللغة ، فهو محاولة استخدام اللغة او بعض اساليبها ومفرداتها في موضوع اجتماعي او علمي او فني ، فلغة الادب ـ غالبا ـ لغة مثلى مختارة ولغة علماء الذرة تختلف عن لغة الاطباء ، ويمكن ان نطلق على لغة هذه الاصناف من الناس اللغة الموظفة ، لانها تكون لغة متخصصة باختصاصات متنوعة ٠

ـ نص من خصائص ابن جني في تعريف اللغة

باب القول على اللغة ، وما هي(١) :

اما حدها فانها اصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم(٢) ، هذا حدها ، واما اختلافها ، فلما ستذكره في باب القول عليها : أمواضعة هي ام الهام ؟ اما

---

(١) الخصائص ١/٣٣ ٠

(٢) تعريف ابن جني للغة من ادق التعريفات ، فهو يحدد جوانب مهمة هي : آ ـ الطبيعة الصوتية للغة (ب) الوظيفة الاجتماعية للتعبير عن الحاجات (حـ) اختلاف الاقوام فيها ٠ وعرفها الباحثون تعريفات اخرى مختلفة : كابن خلدون (المقدمة ١٢٥٢) بانها ملكة في اللسان ٠ والمحدثون على انها نظام من العلامات او نظام من الرموز الصوتية المتفق عليها بين الاطراف المتعاملة بها ، وهي عند سوسير : متوالية من الدلائل اللغوية التي وضعها الهيكل الاجتماعي ولها قوانينها المضبوطة الحناش : البنيوية ١/٣٩١ ٠ وينظر كذلك التعريفات السابقة

تصريفها ، ومعرفة حروفها ، فانها فعلة من لغوت ، اى : تكلمت ، واصلها :لغوة ككرة وقلة وثبة ، كلها لاماتها واوات ٠ لقولهم : كروت بالكرة ، وقلوت بالقلة ، ولان ثبة كأنها من مقلوب ثاب يثوب ٠٠٠ وقالوا فيها : لغات ولغون ، ككرات وكرون ، وقيل منها : لغي يلغي اذا هذى ، ومصدره : اللغا قال :

ورب اسراب حجيج كظم عن اللغا ورفث التكلم

وكذلك اللغو ،قال الله سبحانه وتعالى :«واذا مروا باللغو مروا كراما» اى: بالباطل : وفي الحديث : من قال في الجمعة : فقد لغا ، اى تكلم ٠

تعليق

هذا الذى عرف به ابن جني (اللغة) هو التعريف الخاص بالنطق او السمع (لا الكتابة) للغة ، لان اللغة بهذا التعريف تعني مجموعة الاصوات التي يخرجها الجهاز الصوتي في الانسان ، مركبة ومتآلفة لتكون كلمات ذات دلالات معروفة يتفق عليها المتعاملون بها ،فاذا نطقها الانسان (اوكتبها) وسمعها الاخرون (اوقرأوها) فهموا دلالاتها ، فكانت وسيلة للتفاهم ٠

على ان اللغة في معناها الاهم ، تشمل الصوتية وغير الصوتية ، فاية وسيلة للتعبير ــ اشارة كانت ام حركة ام صوتا ام عملا ما ــ لغة ، مادام المقصود منها الافهام والتعبير ، وذلك كالرقص وتقطيب الحواجب عند الغضب ، والضغط على اليد عند التنبيه على شيء ، كما ان الشم والنظر واللمس والتذوق لغات ، لانها تعبر عن معانيها المخصوصة ٠ على ان اللغة المنطوقة بالاصوات المعبرة هي اهم هذه اللغات جميعا(١) لاستخدامها وسائل التعبير الاخرى مع وسيلتها الصوتية الخاصة(٢) ٠

---

(١) اللغة : فتدريس ٧ ٠

(٢) لم يشر ابنجني الى جانب مهم من عناصر اللغة ،وهو عنصر (الكتابة) اى اللغة المكتوبة فالتعريفات المعاصرة للغة تدخل في اعتباراتها طبيعة الرسم والكتابة ، وهي اللغة المقروءة الى جانب الطبيعة الصوتية لها ٠

رابعا ـ مصطلحان متداخلان

منذ ان بدأ الدارسون يبحثون في قضايا اللغة ، في الشرق والغرب ، وفي القديم والحديث ، ظهرت مصطلحات تخص مايتعلق بدراسة تاريخ اللغات وخصائصها وفصائلها وادابها تتجه في تحديد المفهوم الى مايتعلق بالقوانين العامة للغة الانسانية دون ان تأخذ لغة خاصة ، ويمكن ان يطلق على مثل هذه الدراسات باللغويات Linguistics او مصطلح علم اللغة العام وتتحدد موضوعات هذا الجانب من الدراسة اللغوية بالبحث عن القوانين العامة للغات(٣) من حيث اصل اللغات وتاريخها والدلالات والاصوات ، والصراعات اللغوية وتفاعل اللغات ، والصفات العامة من حيث التنظيم والبنية ، على ان شبه هذه الموضوعات قد طرحت في دراسات لغوية اخرى عند اليونان القدماء والعرب ، واطلق العرب عليها ، ما يعرف بـ (فقه اللغة) ـ ولا سيما كتب علماء العربية ، اما اليونان فقد اطلقوا مصطلح Philologie الذى يعني : حب الكلام ، والذى استقر في اللغة الانكليزية باسم (Philology) ويعني عندهم : فقه اللغة وبمحاولة الكشف عن علاقة هذه التسمية بما اشتهرت به كتب العلماء العرب في (فقه اللغة العربية) نجد ان ثمة صلات واضحة بين ماطرقت هذه الكتب ، وما طرقته كتب اللغويين الاوروبيين ، كما نجد الصلة قائمة بين هذا النوع من الدراسة وما يسمى (بعلم اللغة) وكأن لم يكن هناك فرق بين المصطلحين ، وان ليس ثمة مايميز بينهما . والحق ان كثيرا ممن حاولوا التمييز بين التسميتين لم يستطيعوا ان يرسموا خطا واضحا بينهما ، فهذا الدكتور وافي في كتابه (علم) يضع كل الابحاث الخاصة بـ :

١ ـ نشأة اللغة الانسانية وما قيل فيها من اراء ونظريات علمية متنوعة .

---

(١) انظر محمد الحناش : البنيوية ، الحلقة ١ ص ٤٠ ، وسيد يعقوب بكر : نصوص في فقه اللغة ١/١١ ، ود. الصالح : دراسات في فقه اللغة ٢٠ .

٢ ـ حياة اللغة (علم اللهجات) ـ الاصوات ـ الدلالة ـ (علم المفردات) و (علم البنية) المقارن والتعليمي والتاريخي و(علم التنظيم) التاريخي والتعليمي والمقارن و(القواعد) و (علم الاساليب) الشعرية والنثرية من خطابة ومحادثة وكتابة ومسرح ... الخ .

٣ ـ اصول المادة اللغوية ، كاصول اسماء الاعلام الاشخاص والقبائل والجبال والامكنة والانهار .... الخ .

٤ ـ العلاقة بين اللغة والمجتمع .

٥ ـ العلاقة بين الظواهر اللغوية والظواهر النفسية ، فانه في كتابه المذكور يجعل كل هذه الابحاث تحت مفهوم (علم اللغة) مخرجا منها .

١ ـ علم البنية التعليمي ـ الصرف .

٢ ـ علم التنظيم التعليمي ـ النحو .

٣ ـ علم الاساليب التعليمي ـ البلاغة .

٤ ـ القواعد التعليمية Grammar الذى يتالف من علمي البنية والتنظيم .

في حين يميز الدكتور (وافي) نوعا من البحوث التي تتضمنها موضوعات علم اللغة عموما وفقه اللغة خصوصا .

من سائر ماتقدم نجد انها غير محددة النطاق ولا مميزة الحدود ، وهي المعروفة باسم Philologie التي اشرنا الى انها تتفق مع مصطلح (فقه اللغة) ونشير الى ان هناك اختلافا في تحديد معناها عند الدارسين باختلاف العصور وباختلاف الامم ،ولايزال العلماء يختلفون في فهمها واطلاقها(١) فقد تطلق على مايشمل جميع ابحاث (علم اللغة) السابقة . وقد تطلق على دراسة

---

(١) علم اللغة ١٤ ـ ١٥ .

لغة اولغات من حيث قواعدها وتاريخ ادابها ، وربما تطلق على الدراسات التي تتناول الحياة العقلية وما انتجته القرائح في امة من الامم ٠

على ان اطلاق مصطلح (فقه اللغة) على المعنى الاول هو الاقرب الى المعقول، ومن هنا كان منطقيا ان يتداخل الاسمان (علم اللغة وفقه اللغة) في بعضهما وان يصعب التفريق بين التسميتين ٠

غير ان الذى يبدو من محاولتنا للتفريق بين اصل التسميتين وفيما ذكرنا من ابحاث هذين الفنين ان Linguistics تعني : العلم المختص بالكلام او اللغة ، وهو ماينطبق عليه مصطلح (علم اللغة) وان Philology المركبة من : Philos الاغـريقية التي تعني (محب) او (صديق) و : Logos التـي تعني الكلام يمكنهـا ان تعطينا معنى : المتعمق في اللغة فهي لفظة اكثر خصوصية للدلالة على الباحث في اسرار اللغة ، المتتبع لحقائقها ونقائقها على العكس من العالم في اللغة او اللغوى ، فهو يعرف كل شيء من اللغة من غير ان يشترط فيه التعمق والتخصص الدقيق . ولذلك يصدق اطلاق لفظ (فقه اللغة) على الدراسات الخاصة بلغة مامن حيث البنية او التنظيم أو الدلالات او الاصوات ٠٠٠ الخ مقارنة بلغة اخرى من فصيلتها او من غيرها ، مع صحة اطلاق تسمية (علم اللغة) في العربية ٠ ويمكننا ايضا ان ندرك دقة الفرق بين التسميتين في الفرق بين (عالم) و (فقيه) فالعالم على عموم اطلاقها ـ تعني العارف بكل شيء من لغة وأدب وعلوم اخرى ، اما (الفقيه) فيشترط فيه ان يكون قد تفقه في جانب محدود من جوانب العلم المتشعبة الكثيرة ، وعلم كل مايتصل بفلسفته ووقف على مايسير عليه من قوانين(١) الى هذا الحد يمكن ان يكون فقه اللغة موضوعا خاصا بدراسة اية لغة ، من حيث اصواتها ودلالاتها وبنيتها مقارنة بلغة أخرى من فصيلتها او من غيرها ، وهذا كما نرى قريب من علم

(١) د٠ حجازى : علم اللغة ٣١ ٠

اللغة ، ومع ذلك فان هذا التحديد اذا ماوازناه بمدلول : Philology: فيما تتناوله الدراسات الحديثة ظهر انه يبتعد قليلا عما نحن بصدده ، فعلم اللغة الحديث : (Linguistic) بمفهومه الجديد هو : دراسة اللغة على نحو علمي في المجالات الاتية : الاصوات ـ بناء الكلمة ـ بناء الجملة ـ المفردات ودلالاتها مع استبعاد الحديث عن اصل اللغة ونشأتها ٠

اما : Philology في اللغات الاوربية ـ اليوم فيطلق على علم النصوص اللغوية القديمة ـ وهوالذي يشمل تحقيق المخطوطات وحل النقوش القديمة وفك رموزها ، ونشرها بشكل علمي متقن ٠ يقول الدكتور محمود فهمي حجازي : ولكن تنوع البحث اللغوي في القرن العشرين ، فرض التخصص على من يريد المشاركة في البحث العلمي ، وهنا اصبح نشر النصوص والنقوش القديمة علما مستقلا عن علم اللغة ، فعلم اللغة بمفهومه الحديث يختلف عن علم النصوص القديمة Philology ولم يكن التميز واضحا في القرن التاسع عشر لارتباط البحث اللغوي بالنصوص القديمة (١) وبناء على هذا الاختلاف يمكننا الان ان نحدد ثلاثة جوانب مهمة في وضع مصطلحي (فقه اللغة و (علم اللغة) وهي :

١ ـ ان الدراسات اللغوية العربية القديمة الخاصة بدراسة العربية ووضع اسس قواعدها ، وكشف حقائقها هي من (فقه اللغة) كما سماها العرب انفسهم وكما نرى عند ابن فارس والثعالبي في كتابيهما ، اذ دارت دراستهما حول العربية وخصائصها ٠

٢ ـ ان علم تحقيق النصوص ونشرها بالمفهوم الحديث هو من دراسات (فقه اللغة) ـ ايضا كما هو معروف في الدراسات الاوربية الحديثة ويدخل ضمن هذا التحديد (٢)

---

(١) المصدر نفسه ٣٣ ٠

(٢) البنيوية : د٠ الحناش ١/ ٤١ ٠

ـ دراسة تاريخ اللغة وتطورها ونشر اى نص قديم حتى لـو كـان في الجغرافية والتاريخ والعلوم ٠

٣ ـ ان الاشتغال باللغة في منهج علمي للوقوف على الدلالات والاصوات والابنية والتنظيم ٠٠ وما الى ذلك سعيا وراء القوانين العامة وسنن اللغات فان ذلك من باب علم اللغة ٠ وعلم اللغة بناء على هذا المفهوم اعم واوسع من فقه اللغةوفي اطارهذه الحدود لمفهومي (فقهاللغة) وعلمها يمكننا عدخصائص ابن جني (٣٩٢ هـ) و (سر الصناعة) له محاولات جادة في (فقه اللغة) وقد اتضح ذلك في تسمية العلماء العرب لكتبهم بهذا الاسم : كالصاحبي في فقة اللغة لابن فارس (٣٩٥ هـ) وهو اول كتاب سمي بهذا المصطلح العلمي الدقيق و (فقه اللغة) للثعالبي (٤٢٨هـ) ولقد تميزت بعض الكتب العربية بالبحث في ميدان فقه اللغة ، وان لم يكن مؤلفوها يطلقون عليها هذاالاسم فهناك كتب في الاصوات(١) للاصمعي (٢١٦ هـ) والاخفش (٢١٥ هـ) وفي الاشتقاق للاصمعي والزجاج (٣١٠ هـ) والزجاجي (٣٣٩ هـ) وفي الاضداد للاصمعي وابن السكيت (٣٤٤هـ) كما تعد دراسة الخليل لمخارج الاصوات وتحديد احيازها ومخارجها من الدراسات الرائدة في أول كتابه (العين)٠٠ الى غير ذلك مما سنأتي عليه في هذه الابحاث ٠

---

(١) وصلت بعض اسماء الكتب اللغوية العربية باسم الاصوات ، ولكنها لم تصل الينا لنعرف ماذا كانت تعني الاصوات اللغوية او تعني اصوات المخلوقات ، واغلب الظن انها معنية بالجانب الاخير ٠

الفصل الثاني

ما يدخل من مؤلفات العربية في ابحاث

فقه اللغـــــة

١ ـ سر صناعة الاعراب

٢ ـ كتاب الخصائص

٣ ـادب الكاتب

٤ ـ الصاحبي

٥ ـ فقـه اللغة

٦ ـ المخصـص

٧ ـ المعـرب

٨ ـ المزهر

٩ ـ سر الليالي

مايدخل من مؤلفات العربية في ابحاث

فقـه اللغـة

للعلماء العرب يد لاتنكر في اغناء ابحاث (فقـه اللغة) ولاسيما العربية السامية ومحاولتهم دراسة اصواتها ، وتمييز درجات هذه الاصوات وصفاتها واثر بعضها في بعض واختلافها من أصوات اللغات الاخرى القريبة من ميدان بحثهم ومجتمعاتهم كالسريانية والفارسية الارية والحبشية ـ المزدوجة ـ بين السامية والحامية ـ والرومية الارية والهندية والسنسكريتية ولذلك اشبعت كتبهم الخاصة بفروع اللغة وعلومها ، وكتبهم العامـة كالمعجمات الكبيرة بالكثير من الاراء والنظريات العلمية في فقه اللغة ، اما كتب اللغة الخاصة بفروع اللغة ، وهي التي كانت توضع على شكل رسائل او كتيبات او كتب كبيرة ، فقد تنوعت في مجـالات فقـه اللغـة ، وغيـره خالطـة بيـن مـايكـون مـن موضوعات (فقـه اللغـة) كالـدلالات والمفـردات وخصـائص اللغـة كالاشتقاق والاعـراب والتضاد ، والمشتـرك اللفظـي والتـرادف والمقارنـات اللغـوية ـ كتوضيح الدخيل ، ومعرفة المعرب واصول كل ذلك ، وما يكون من موضوعات القواعد التقليدية ، والنحو التعليمي ، والصرف التعليمي بحيث تجد مصطلحات النحو واصوله وفروعه شائعة بين ثنايا الكتاب اللغوى ، حتى كأن هذه الموضوعات كل لاينفصل بعضها عن بعض ، الا ان الغالب على مثل هذه الكتب جانبها اللغوى ، وكذا الحال بالنظر الى المعجمات اللغوية فهي ـ فضلا ـ عن تناولها المادة اللغوية ، وتفسير دلالتها ، وكيفية استعمالها في اللسان العربي ، وبيان مايطرأ على هذه الدلالة من تغييرات عند كل استعمال ، وما يرادف معناها وما يشترك معها في الدلالة مع اختلاف اللفظ ٠٠ الخ مما يدخل تحت مفهوم (فقه اللغة) ، اقول : فضلا عن ذلك كله ، نجد المعجم اللغوى مظنة لاختلاف اراء النحاة في قواعد النحو ومقاييس اللغة ، واختلاف القراءات القرآنية وموازين الكلام والتصويبات اللغوية

---

(١) المنصف ١٧٦/٢ ٠ سر الصناعة ٩/١ ٠

الى غير ذلك مما له علاقة (بالنحو التعليمي) و (الصرف التعليمي) اللذين يرى دارسو فقه اللغة اخراجهما من موضوعات فقه اللغة ،اذان هذين العلمين يدخلان تحت مفهوم مايسمى بـ القواعد grammar وهو الذى يمكن ان نطلق عليه ـ المعايير النحوية والصرفية ، التي يكون ميدانها كتب النحو والصرف لاغير . على ان هذا الاختلاط كان مبكرا في حياة الدراسات اللغوية العربية ، وبقيت له اثار في القرون التي تلت ، وان اتخذت طريقها الى التقلص والتخصص الدقيق بشكل بطيء .

فنحن واجدون في كتاب سيبويه ، وهو من اوائل الكتب التي الفت فيقواعد النحو العربي الشيء الكثير مما يدخل تحت مفهوم (فقه اللغة) ـ ولا سيما الجزء الثاني منه ـ كابحاثه في مدارج الاصوات ، وصفاتها واختلافها والتغيرات التي تطرأ عليها ... الى غير ذلك من موضوعات لاتمس النحو والصرف بقدرما تمس اللغة وفقهها . وحين جاء المازني (٢٤٩ هـ) وفصل النحو عن الصرف لم يخل كتابه التصريف من مسائل كثيرة تناولت هذا الجانب الفقهي في اللغة كأشارته الى غريب الابنية ، وتألف الاصوات والتغييرات التي تطرأ عليها عند تنافرها . ويبدو ذلك بشكل اوضح عندما تجرد ابن جني لشرحه بكتابه المنصف كأشاراته الى اصول نطق الكلمة العربية(١) وتحليل احتياج اوائل الاسماء والافعال الى الهمزة تخلصا من النطق بالساكن الذى نجده في اللغات الاخرى واشاراته الى اختلاف اللهجات وتمييز فصيحها من نادرها وشاذها وغريبها(٢) ، كما ان ابواب الاعلال والابدال لاتخلو من كثير من الاشارات الى قضايا تخص فقه اللغة ، ولا سيما القوانين الصوتية القياسية (٣) .

وحين بدأ اللغويون العرب يميزون بشكل واسع بين موضوعات الدراسة

---

(١) المنصف ٢/١٧٦ . سر الصناعة ١/٩ .

(٢) المنصف ٢/١٧٦ و ٩٤ـ٩٥ .

(٣) نفسه ٢/٩٤ـ٩٥ و ٣٠٢ـ٣٠٣ و ١/٢٨٧ و ٢٨٨ و ١/٦٩ و ١٢٧ .

اللغوية فرض عليهم هذا التمييز ان تتجه دراستهم الى التخصص الدقيق ، ومعالجة كل فن في كتاب خاص ، فاذا وضع كتاب في البديع او المجاز او البلاغة ، فان وجهته ليست كوجهة من يؤلف في النحو ، او الصرف ، او اسرار **اللغة** .. واتخذت الكتب التي جعلت ديدنها الكشف عن اسرار اللغة وكيفية صناعتها وتألف حروفها واصواتها سبيل دراسة (فقه اللغة) او هي اقرب الى هذا الميدان من غيره ، كما نرى ذلك في القرن الرابع الهجرى ، عند ابن جني وابن فارس والثعالبي ممن حرصوا على الاشارة الى ذلك ، فكتاب (سر صناعة الاعراب) لابن جني (٣٩٢ هـ) شاهد على هذا الذى نزعمه هنا ، و فقه اللغة وسر العربية شاهد اخر يأتي به ابو منصور الثعالبي (٤٢٨ هـ) في ميدان فقه اللغة ولا تبعد لفظة (الخصائص) لابن جني عن هذا الموضوع ، لان الكشف عن خصائص اللغة وصفاتها هو البحث وراء اسرار تراكيبها او صيغها وابنيتها واسس تكوينها ، ويضع ابن فارس كتابه فقه اللغة وسنن العرب في كلامها) ويسميه بهذا الاسم ويضيف اليه : سنن العرب في كلامها ويريد : طرائق استخدامها اللغة ولهجاتها واختلافاتها مما يتضمنه موضوع هذا الدرس ٠

وهكذا نجد ان موضوعات (فقه اللغة) عند العرب بدأت تأخذ طريقها الصحيح الى البروز في ميدان البحث اللغوى منذ القرن الرابع الهجرى على يد امثال هؤلاء الرجال ، ويمكننا ان نقف ولو وقفات موجزة عند بعض هؤلاء مستشرفين من خلال مؤلفاتهم على شيء مما يمثل فقه اللغة عند العرب ٠

١ ــ سر صناعة الاعراب

ابن جني هو ابو الفتح عثمان بن جني الموصلي ولد بالموصل سنة ٣٢٠هـ(١) وقيل غير ذلك ونشأ فيها منذ صغره ميالا الى العلم ، فلزم ابا علي

---

(١) انظر : ترجمته مفصلة في معجم الادباء : ياقوت [مرجليوث] : ١٥/٥

الفارسي ، عندما مر به وراه متصدرا يتحدث بمسائل من الصرف لم يحكمها فقال له ابو علي : تزببت قبل أن تحصرم فسأل عنه فقيل له هو ابو علي الفارسي فاخذ عنه وتخرج به ، وكان يعتد بارائه في مذاهب النحو والصرف كما يبدو ذلك من خلال كتبه ٠

وتصدر ابن جني للتدريس ببغداد بعد وفاة شيخه الفارسي ، فتخرج به جماعة من العلماء كالثمانيني وابي احمد البصرى وابن الحسن الشمسي ، كما افاد منه ابناؤه الثلاثة علي وعالي وعلاء ٠ وعلا شأنه حتى قيل فيه : ليس لاحد من ائمة الادب في حل المشكلات مالابي الفتح ولا سيما في علم الاعراب ٠

وكان المتنبي يقول فيه : هذا رجل لايعرف قدره كثير من الناس وكان يقول فيه صديقنا ابو الفتح اعتزازا بمنزلته ـ واعترافا بقدرته العلمية وكان له شعر اميل الى شعر العلماء منه الى شعر الشعراء المحترفين ، كما ان له نثرا جيدا يشهد له بتمكنه من اساليب العربية الفصيحة ٠ ولابن جني مع ابي عبد الله محمد بن العساف الشجرى البدوى الفصيح مساءلات ومناقشات لغوية اشار اليها في عظم كتبه ولا سيما الخصائص وكان يقول فيه : وقلما رأيت بدويا افصح منه ، والجماعة معي على غاية الاستغراب لفصاحته ٠

تميز ابن جني في دراسته اللغويه والنحوية والصرفية ، بميله الى العقل والمنطق واجراء القياس مع عدم اهماله للسماع والرواية فضلا عن اعتماده على ذوقه اللغوى ، وكثيرا ماينفرد بأراء خاصة لايجارى فيها احدا من نحويي عصره او من تقدموه ، وبذلك اتفقت كتبه ببروز شخصيته وكثرة ارائه وترجيحاته ونقده بين الرفض والقبول ٠ الف ابو الفتح كثيرا من الكتب في العربية وادابها بلغت العشرات ، منها كتابه الخصائص ومنها سر صناعة الاعراب و المحتسب في القراءات الشاذة و شرح المقصور والممدود و شرح

تصريف المازني و التمام في تفسير اشعار هذيل و تفسير ديوان المتنبي الكبير وتفسير معاني هذا الديوان و اللمع في العربية ... وغيرها(١) .

وتوفي ابن جني سنة (٣٩٢ هـ) في خلافة القادر(٢) .

اما كتابه سر صناعة الاعراب فيمثل صورة دقيقة لدراسة الحرف العربي واحواله ، ومواقعه من الكلمة ودوره في تغيير الدلالات والمعاني ، وارتباط الصوت بالدلاله ودراسة مخارج الاصوات جميعا ، ودرجات الصوت وصفاته بين الرخاوة والشدة والعمق والجهر والاطباق والانفتاح والساكن والمتحرك والصحة والاعلال والضغط والحث والتكرير والانحراف ... وجميع هذه القضايا وغيرها تدخل في موضوع (فقه اللغه العربية) .

وقد عبر عن منهجه في بحث هذه الجوانب في المقدمة ، قال :
اضع كتابا يشمل على جميع احكام حروف المعجم واحوال كل حرف وكيفية مواقعه في كلام العرب وان اتقصى القول فيه ، واشبعه ... واتبع كل حرف فيها بما رويته عن حذاق اصحابنا واجلتهم ، وحذوته على مقاييسهم ... واذكر احوال هذه الحروف في مخارجها ومدارجها وانقسام اصنافها واحكام مجهورها ومهموسها وشديدها ورخوها وصحيحها ومعتلها ومطبقها ومنفتحها وساكنها ومتحركها ومضغوطها ومهتوتها ومستويها ومكررها ومنحرفها ومستعليها ومنخفضها الى غير ذلك من اجناسها .

واذكر فرق مابين الحرف والحركة ... واذكر – ايضا – احوال هذه الحروف في اشكالها والغرض من وضع واضعها وكيف الفاظها مادامت اصواتا

---

(١) وترجم له الصفدى في الشعور بالعور ويتيمة الدهر ٣/٧٧ وانباه الرواة للقفطي ٢/٦٢٧ . ووفيات الاعيان ١/٣٩٤ ونزهة الالباء ٢٢٠ وتاريخ بغداد ١١/٨٨ ، فضلا عن ياقوت .
(٢) الوفيات ١/٣٩٤ والانباه ٦٢٧ .

مقطعة ، ثم كيف الفاظها اذا صارت اسماء معربة ، وما الذى يتوالى فيه اعلالان بعد نقله مما يتبقى بعد ذلك من الصحة في قديم حالـه ، ومـا يمكن تركيبه ومجاورته من هذه الحروف وما لايمكن ذلك فيه وما يحسن وما يقبح في كل ماذكر ٠٠٠

هذا ماأورده ابن جني في مقدمته ، وقد حذفنا منه مايتعلق بمسائل النحو والصرف البحث واساليبهما ولا سيما موضوع حركات الاعراب والخلاف في مواضعها أهي فوق الحرف ام قبله ام بعده واثر هذه الحركة على الحرف ٠٠٠ الى غير ذلك ، اما في ماعدا ذلك فان كثيرا من الموضوعات التي تضمنها (سر الصناعة) تمثل جزءا مهما من ابحاث فقه اللغة عند علماء العربية المتقدمين والحق ان هذا الكتاب يعد في مقدمة كتب الدراسات الصوتية العربية ، وربما يفوق الخصائص في هذا ٠ على ان ابن جني لم يتخل ـ كما هو منهج اللغويين العرب ـ عن حشر الكتاب بمذاهب النحويين والصرفيين وبالاخص عند بدء تفسيره للحرف المرتب (على المعجم) ففي حرف الباء ـ مثلا ـ اورد رأى سيبوية في زيادتها في الفاعل ـ كما في قوله تعالى (كفى بالله شهيدا) وقوله تعالى : (وكفى بنا حاسبين) كما اورد رأى ابي بكر محمد بن السراج ، وعلل مذهبه ثم ضعفه(١) واورد في حرف (السين) رأي سيبويه في كون السين في (استطاع) عوضا عن حركة ، وايده وخالف مذهب المبرد وهكذا(٢) ٠

ان كتاب سر الصناعة ، كتاب غايته البحث في (علم اللغة العربية) نحوها وصرفها وفقهها ، وان مابحثه في باب الفقه شيء لايستغنى عنه في (الاصوات خاصة) لما تميز به من احكام دقيقة ، وما استخدم من مصطلحات صوتية في صفات الاصوات وخصائصها ٠ ولئن كانت هناك اشارات تشيد بالابحاث الصوتية عند

---

(١) سر الصناعة : ١/١٠٠

(٢) نفسه : ١/١٢٧

العرب كما نرى عند جورج مونان الذي يرى ان العرب قد وضعت اسس تحليل صوتي ممتاز(١) ان مافعله ابن جني شاهد عليه ٠

٢ ـ كتاب الخصائص

وهو اوضح من سابقه في مضمار دراسات فقه اللغة واكثر دقة عند الباحثين بموضوعات الدلالة والبنية والاصوات والتنظيم ، وكان ابن جني كان يرمي الى هذه الموضوعات نفسها عندما فكر في وضعه ، فتراه يقول فيه : هذا الكتاب ليس مبنيا على حديث وجوه الاعراب ، وانما هو مقام للمعقول على اوائل اصول هذا الكلام ، وكيف بدىء به والام نحي ٠٠٠(٢) وبذلك يمكننا ان نضع مادة الكتاب في صلب موضوعات (فقه اللغة) اذ هو :

أ ـ لم يضعه في مسائل النحو والاعراب وما يتبع ذلك من البحث في وجوه المذاهب الاعرابية واختلافات الاراء ، فذلك كله ميدانه كتب النحو والصرف ، وهما علمان يخرجان عن الفقه اللغوي ٠

ب ـ حدود الغرض من هذا الكتاب تقع في :

١ ـ القول في اصول هذا الكلام ، وهذا يتناول البحث في اصل اللغة ومنشئها وكيفية بدء اللغة عند الانسان ونموها وفلسفتها ٠ ومن هنا بدأ ابن جني بتعريف اللغة اولا ٠

٢ ـ ثم فروعها واختلافاتها ومناحي اساليبها مما يتضمن معنى قوله والام نحي بالكلام ويريد بذلك طرائق التعبير والدلالات وصلة ذلك باصوات اللغة ، والتغيرات التي تطرأ ، مراعيا في ذلك كله السنن والقوانين التي تتحكم باللغة ٠ هذا المنطق في تحديد ماعمله ابن جني في كتابه (الخصائص) يدل

(١) مفاتيح الالسنية ج ٠ مونان ٣١ ٠

(٢) الخصائص ١/٦٧ ٠

بدقة على صحة اتجاهه الى الدراسة اللغوية البعيدة عن ميدان كتب النحو والصرف التي رأيناها عند غيره من اللغويين · على ان هذا لايعني ان ابن جني قد نقى كتابه من مسائل النحو والصرف (١) بل لقد سارت موضوعات النحو جنبا الى جنب مع موضوعات (علم اللغة وفقهها) · اما اهم ماتناوله ابو الفتح في كتابه هذا من موضوعات فقه اللغة فهو :

١ ـ البحث في اصل اللغة والنظريات التي قيلت فيها كالتوقيفية والتوافق ومحاكاة الاصوات الطبيعية التي رأى فيها انها مذهب متقبل ·

٢ ـ خصائص اللغة العربية وما يتناوله هذا الموضوع من البحث في الاشتقاق وانواعه(٢) و (الاطراد والشذوذ)(٣) وانواعهما ، وامساس الالفاظ لاشباه المعاني والاضداد والترادف ،والنوادر والغريب ،والمشترك اللفظي وصلة الاعراب بالمعنى وصلة الاصوات بالمعاني ·

٣ ـ اساليب الدراسة اللغوية وأصولها ، كالسماع (٤) والقياس والاستحسان وما اشبه ذلك ·

٤ ـ صلة شدة الاصوات وضعفها بالدلالات ، وقد استغرق عنده هذا صفحات ممثلا له بامثلة كثيرة ويقول فيه : (اما مقابلة الالفاظ بما يشاكل اصواتها من الاحداث ، فباب عظيم واسع ومنهج متلئب عند عارفيه مأموم، وذلك انهم كثيرا مايجعلون اصوات الحروف على سمت الاحداث المعبر بها عنها فيعد لونها بها ويحتذونها عليها وذلك نحو (خضم وقضم : فالخضم

---

(١) انظر حـ١ ص ١٨٣ موضوع الجر بالصفة المشبهة مثل (الحسن الوجه) و ٢١٩/١ موضوع الاضافة ·

(٢) الخصائص ١٢٣/٣ ·

(٣) نفسه ٩٦/١ ·

(٤) نفسه ٠٠٠/١ ·

لاكل الرطب كالبطيخ والقثاء ، وما كان نحوهما من المأكول الرطب ، والقضم للصلب اليابس نحو : قطعت الدابة شعيرها ، ونحو ذلك ٠

٥ ـ اشارات متناثرة في مقارنة اصوات العربية بغيرها من اللغات كالفارسية والرومية والحبشية واشارات اخرى الى صلة الدلالة بالاصوات في غير العربية ٠

٦ ـ هذا كله الى جانب بحث صفات الاصوات ودرجاتها واختلافاتها وتغييراتها وتأثير بعضها ببعض بشكل مستفيض واضح ٠

٣ ـ ادب الكاتب (١) [ابن قتيبة : : ٢٧٦ هـ] :

ابن قتيبة هو ابو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى اللغوى ، ولد بالكوفة ـ المجتمع اللغوى الثاني بعد البصرة ـ، وتلقى علم العربية والدين على اسحاق بن راهويه الفقيه (٢٣٨ هـ) والزيادى (٢٤٠ هـ) والسجستاني (٢٥٥ هـ) وابي الفضل الرياشي (٢٥٧ هـ) وعبد الرحمن ابـن اخـي الاصمعي (٢٣١ هـ) وولي قضاء الدينور فنسب اليها ٠

وحين تمكن من علوم اللغة ، الف جملة من الكتب فيها ، واخذ عنه جملة من طلبة اللغة منهم ابنه احمد وابو القاسم الصائغ وابو محمد بن درستويه وغيرهم من طلاب اللغة والادب(٢) ٠

تمرس ابن قتيبة بنحو البصريين والكوفيين وخلط بين المذهبين ، واكثر عن الكوفيين في كتبه ، ولكن ابا الطيب اللغوى يقول فيه ـ في هذا المضمار ـ انه

---

(١) الفهرست : ابن النديم ١٧ ٠ مقدمة تهذيب اللغة ١/٣٢ ومراتب النحويين اللغوي : ٨٥ والانباه ٢/١٤٦ وغيرها ٠

(٢) الفهرست : ابـن النديم ١٧ ٠ مقدمـة تهذيب اللغـة ١/٣٢ ٠ مراتب النحويين : ٢٥ ٠ الانباء ٢/١٤٦ وغيرها ٠

خلط .. بحكايات عن الكوفيين لم يكن اخذها عن ثقات ، وكان يتسرع في اشياء لايقوم بها(١)

ولابن قتيبة من الكتب في نحو العربية وفقهها : جامع النحو و النحو الصغير و المعارف و ادب الكاتب و تأويل مشكل القرآن .

فضلا عن كتب النقد والادب والاخبار ، كعيون الاخبار ، والشعر والشعراء وتعبير الرؤيا ، ومعجزات النبي ـ ص ـ وغيرها .

توفي سنة (٢٧٦ هـ) في خلافة المعتمد العباسي (٢) . أما كتابه ادب الكاتب وقد عرف بادب الكتاب كذلك فهو كتاب جامع لكتب كثيرة من العربية عني بطبعه M.Gria·iet في ليدن سنة (١٩٠٠ م) ثم طبعه محمد محي الدين عبد الحميد سنة ١٩٦٣ م ـ وهي الطبعة الرابعة ـ بعد طبعات ثلاث سابقة .

وعنى به من قدماء اللغويين ابو محمد بن السيد البطليوسي (٥٢١ هـ) فشرحه بكتاب الاقتضاب في شرح ادب الكتاب .

وقد طبع هذا الشرح سنة ١٩٠٠ م في بيروت كما عنى بشرحه : ابو منصور موهوب بن أحمد بن الخضر الجواليقي (٥٤٠ هـ) وطبع سنة ١٣٥٠ هـ . وشرح خطبته ابو القاسم الزجاجي (٢٤٠ هـ) .

ولطول خطبة هذا الكتاب قال ابن خلكان فيه : والناس يقولون : ان اكثر اهل العلم يقولون : ان ادب الكاتب خطبة بلا كتاب ، واصلاح المنطق (يعني لابن السكيت) كتاب بلا خطبة» .

ويرى ابن خلدون ان كتاب ادب الكاتب (٣) من اصول الادب العربي ،

---

(١) المراتب ٨٥ .

(٢) تاريخ بغداد ١٠/١٧١ .

(٣) مقدمة ابن خلدون ٤/١٢٦٨ .

فيقول : وسمعنا من شيوخنا في مجالس العلم ان اصول هذا الفن واركانه اربعة دواوين وهي : ادب الكاتب لابن قتيبة ، وكتاب الكامل للمبرد ، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ ، وكتاب النوادر لابي على القالي البغدادى ، وما سوى هذه الاربعة فتوابع لها ، وفروع عنها ، وكتب المحدثين في ذلك كثيرة ٠

يتكون ادب الكاتب من اربعة كتب ، وكل كتاب ينقسم على ابواب ٠

اولها ـ كتاب المعرفة ، ضمنه جملة من المفردات اللغوية المختلفة ذات الموضوعات المتفقة ، وهو بهذا يشبه كتب معجمات المعاني والموضوعات التي جاءت في معجمات (الغريب المصنف) لابي عبيد (٢٢٤هـ) (والمخصص) لابن سيده (٤٥٨هـ) (وفقه اللغة) للثعالبي : (٤٢٨ هـ) ٠

ثم كتاب (تقويم اليد) وضمنه كلاما في الهجاء وشيئا من موضوعات النحو واللغة٠ ثم كتاب (تقويم اللسان) وهو يضم جملة من التصحيحات اللغوية والتنبيهات على الاخطاء واللحن وهذا الباب مشاركة من المؤلف فيما الف من الكتب في لحن العامة والتصويب اللغوى ٠

اما الكتاب الرابع ، فهو كتاب (الابنية) وقد وزع مادته على اربعة اقسام : قسم في ابنية الافعال ، وقسم في معاني ابنيتها ، وقسم في ابنية الاسماء ، وقسم في معاني ابنيتها ، وختمه بابنية المصادر من الثلاثي وما فوقه ٠ وسنورد نصوصا من ذلك فيما بعد ٠

وهذا الكتاب الاخير ضمنه شيئا كثيرا من خصائص ابنية الكلم في العربية وموازينها ، ومعانيها المختلفة ، تبعا لذلك ٠ وهي اقرب الى موضوعات فقه اللغة العربية وخصائصها ، فصلا عما تضمنه كتاب المعرفة من موضوع دلالات الالفاظ ومن ذلك ماأورده في باب الاسماء المتقاربة في اللفظ والمعنى (١) قال : النضخ

---

(١) ادب الكاتب ٢٢٢ ـ ٢٢٤ ٠

اكثرمن النضح ،ولايقال من :النضخ فعلت٠ والحزم من الارض ارفعمن الحزن٠ والقبض بجميع الكف ،والقبص باطراف الاصابع ،وقرأالحسن :(فقبصت قبصة من اثر الرسول) ٠ والخضم بالفم كله ،والقضم بأطراف الاسنان٠وقال أبو ذر رحمه الله :يخضمون ونقضم والموعد الله ٠والخصر :الذى يجدالبرد ،والخرص الذى يجد البرد والجوع ٠

والرجز : العذاب ، والرجس : النتن ٠ والحفة : الخشبة التي يلف عليها الحائك الثوب، والحف هو المنسج ، والهلاس في البدن ، والسلاس في العقل)٠

هذا نص حاولنا فيه ان نعطي فكرة واضحة عن منهج المؤلف في ايراد بعض ابواب فقه اللغة العربية في كتابه ، وقد تناول هذا الموضوع الكثير من ائمة اللغة ، كابن جني في خصائصه ، وابي الطيب اللغوى في (الابدال) وغيرهما وقد جاء بعض مذهبه هنا مخالفا لبعض اللغويين ، فقوله في ذلك : ولا يقال من النضخ : فعلت مخالفة لقول ابي زيد نضخ عليه الماء ينضخ ـ بالمعجمة ـ ويقول الخليل في العين نضخ ثوبه بالطيب في حين وافقه ابن السيد البطليوسي(١) ، فقال : وأختار ماذكر ابن قتيبة ويمكن ان نلاحظ ان (ابن قتيبة) متقدم في هذا المضمار على ابن جني وابن فارس ، فهو بذلك يكون قد سبق كثيرا من اللغويين الذين قد ولجوا هذا الباب في كتبهم ، ولا سيما كتب القلب والابدال ٠

على ان ابن قتيبة لم يكن ليضع الكتاب في فقه اللغة ، وانما كان همه كما يدلنا منهجه والموضوعات التي طرقها ، ان يجعله في مسائل متنوعة من اللغة ، يمكن ان يدرج بعضها تحت موضوعات : النحو والصرف والبلاغة والمعارف اللغوية العامة ، ويدرج بعضها الاخر تحت موضوعات فقه اللغة ، وهذه الصفة للكتاب

---

(١) الاقتضاب ١٥٧ ٠ وانظر فيما يتعلق بالحزم والحزن كتاب : القلب والابدال لابن السكيت ٢٠ ٠ وكتاب الابدال لابي الطيب ٤٢٩/٢ ٠ وانظر في (خضم) اللسان : ٧٣/١٥

تؤكد لنا ماذهبنا اليه من ان التخصص الدقيق قد برز بشكل واضح في اواخر القرن الثالث ومطلع القرن الرابع الهجري على يد امثال ابن جني (٣٩٢ هـ) وابن فارس (٣٩٥هـ) وابي الطيب اللغوى (٣٥٠هـ) وابي محمد بن الانبارى (٣٠٤هـ) وابي بكر بن الانبارى (٣٢٨ هـ) وغيرهم ٠ ولقد نقلنا نصا واخر وثالثا من هذا الكتاب تأتي في مواضعها ٠

٤ – الصاحبي(١) [ابن فارس ٣٩٥ هـ] :

ابن فارس (٣٩٥ هـ) هو احمد بن فارس بن زكريا اللغوى المعروف بالرازى ، او القزويني او الهمداني او الزهراوى لتنقله في هذه المدن من بلاد الشرق ، ايام طلبه للعلم ، ونضج عقله العلمي ، اخذ في مطلع حياته العقلية والعلمية عن ابيه فارس بن زكريا وكان صاحب حديث وفقه وادب ولازم جملة من العلماء من امثال ابي بكر احمد بن الحسن – راوية ثعلب – وابي الحسن علي بن ابراهيم القطان ، وابي عبد الله احمد بن طاهر المنجم العالم الفقيه ، وتأدب بهم جميعا ونقل عنهم شيئا الى كتبه ٠

وكان قبل اقامته بهمدان – من بلاد فارس – قد نشأ وترعرع في قرية اسمها كرسف جيانا باذ – التي ذكرها في شعر – متمثلا :

بلاد بها شدت علي تمائمي وأول ارض مس جسمي ترابها

ثم رحل عنها في الافاق ، وكان اخر المطاف به ان استوطن (الري) ونسب اليها، وذلك عندما طلبه مجد الدولة ابو طالب بن فخر الدولة علي بن ركن الدولة البويهي ليقرئه الادب ، فلازمه وعاش في ظله حياة منعمة ٠

كان ابن فارس شافعي المذهب ، ولكنه حين انتقل الى بلاد المشرق لم ير للامام مالك من يأخذ بمذهبه هناك – فمال الى مذهب مالك حمية ، اذ قال فيه

---

(١) الديباج المذهب ٣٦ فما بعد ٠ معجم الادباء ٤/٩٣ يتيمة الدهر ٣/٤٠٥٠

عندما سئل دخلتني الحمية لهذا الامام المقبول على جميع الالسنة ان يخلو منه مثل هذا البلد ·

– يعني من مذهبه – فعمرت مشهد الانتساب اليه ، حتى يكمل لهذا البلد فخره، فان الري اجمع البلاد للمقالات والاختلافات في المذاهب على تضادها وكثرتها (١)

ويبدو ان ابن فارس قد سبق الشهرة مبكرا ، وان مقامه قد وقع في نفوس معاصريه من العلماء والادباء وذوى الرياسة موقعا جعلهم يعتدون به كثيرا · فهذا الصاحب (٣٨٥ هـ) الوزير كان يرى فيه : انه شيخه ، فكان يقول : شيخنا ابو الحسين ممن رزق حسن التصنيف وامن فيه من التصحيف (٢) · وهو حكم صحيح ، فان ماابدعه ابن فارس في كتابيه : المجمل والمقاييس يشهد لـه بطول الباع والمعرفة ·

وكان يتذهب في النحو للكوفيين ، وقد سبق انه اخذ عن احمد بن الحسن راوية ثعلب الكوفي ،والف كتابا سماه :الانتصار لثعلب مما يحقق صحة اتجاهه الكوفي هذا ·

وقد عرف ابن فارس بقوة الجدل والمنطق ، فكان يناظر الفقهاء والمتكلمين بما يحسنون من المعارف ، فان وجدهم بارعين جدلين جرهم الى اللغة والنحو وتفوق عليهم · بل لقد كان يحث اهل الفقه والكلام على اتقان اللغة لتعينهم على نجاحهم في مناظراتهم ، وكان يلقي على الفقهاء مسائل من اللغة يكشف بها ضعفهم مما يدعوهم الى الاهتمام بها ، وقد ذكر امثال هذه المسائل في كتاب له سماه فتيا فقيه العرب (٣ · وكان يقول من قصر علمه من اللغة وغولط غلط مدللا على اهمية اللغة في الجدل ·

---

(١) الديباج ٣٦ · انباه الرواة ١/٩٤ ·

(٢) نزهة الالباء ٣٢١ · الانباه ١/٩٤–٩٥ ·

(٣) الانباء ١/٩٤ ·

توفي (١) ابن فارس سنة (٣٩٥هـ) تقريبا ، وقيل قبل ذلك • ولقد ترك جملة من الكتب في اللغة ودراساتها ومعجماتها وادابها • منها كتابه : المجمل وهو معجم صغير نشره زهير عبد المحسن سلطان (٢) اذا قيس بكتابه المعجمي الاخر مقاييس اللغة • وله فيهما طريقة فذة ، انفرد بها عن سائر المعجميين ، سنأتي عليها عندما ندرس المعجمية العربية • وكتابه الثلاثة في اللغة وكتابه الصاحبي في فقه اللغة ، وتسميته بالصاحبي جاءت من انه الف كتابا قبله باسم (الحجر) وأهداه الى الصاحب بن عباد ،فرفضه هذا الاخير ،وقال :ردوا الحجر الى موضعه فلما علم ابن فارس بذلك ، الف له فقه اللغة ووسمه بخزانة الصاحب فنسب اليه ، فقيل له الصاحبي وهو كتاب جيد في بابه ولا سيمافقه اللغة العربية •

وكتاب متخير الالفاظ نشره هلال ناجي ، وكتاب الاتباع والمزاوجة نشره برونو سنة ١٩٠٦ ثم كمال مصطفى سنة ١٩٤٧ وغيرها من الكتب القيمة •

الكتاب

الصاحبي (٣) في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها من ابرز كتب اللغة على صغره ويعد هذا الكتاب اول الكتب التي اطلقت مصطلح فقه اللغة على مسائل لاتمس قضايا القواعد والنحو والصرف في الدراسات اللغوية العربية بقدر ما تمس اصل اللغة وفلسفتها وخصائصها وسنن العرب في ادائها ، وشيئاً من اصواتها ودلالات الفاظها ولهجاتها ، وأشياء عن بنية كلماتها وصيغ مفرداتها مما

---

(١) يؤكد ياقوت السنة لانه راى نسخة من المقاييس بخط المؤلف قبيل هذه السنة ، معجم الادباء ٤/٩٣ ــ ٩٥ •

(٢) حققه بدراسة عليا تحت اشرافي وطبع في بيروت سنة : ١٩٨٤ م •

(٣) نشر بالقاهرة سنة ١٣١٨ هـ/١٩١٠ م ثم سنة ١٣٨٢ هـ بتحقيق مصطفى الشويمي •

يكون مجاله بعيدا عن الاعراب والحركات والقواعد التعليمية وذلك كله هو ماتتضمنه موضوعات فقه اللغة عند الدارسين العرب ، ولقد سبقت الاشارة الى ماتضمنه كتاب الخصائص لابن جني ، فان الالتقاء بين ذلك وهذا الكتاب لا يعدو هذه المسائل التي قصد اليها الباحث اللغوى العربي في هذا المضمار ٠واهم الموضوعات التي طرقها كتاب الصاحبي: اولا- القول في اصل اللغة : وقد افاض في موضوع توقيفية اللغة من الله ٠ وتبنى هذا المذهب ودافع عنه بحرارة وحجته في ذلك :

١ ـ انه لم يبلغنا ان قوما ـ من العرب ـ في زمان يقارب زماننا اجمعوا على تسمية شيء من الاشياء مصطلحين عليه ، فكنا نستدل بذلك على اصطلاح قد كان قبلهم ويقوى مذهبه هذا بان الصحابة وهم الفصحاء البلغاء لم يصطلحوا على : اختراع لغة او احداث لغة لم تتقدمهم ، ومعلوم ان حوادث العالم لاتنقضي الا بانقضائه ، ولا تزول الا بزواله ، وفي كل ذلك دليل على صحة ماذهبنا اليه ٠

٢ ـ ودليل اخر على صحة مانذهب اليه اجماع العلماء على الاحتجاج بلغة القوم فيما يختلفون فيه او يتفقون عليه ٠ ثم احتجاجهم باشعارهم ٠ ولو كانت اللغة موضعة واصطلاحا لم يكن اولئك في الاحتجاج بهم بأولى منا في الاحتجاج بنا لو اصطلحنا على لغة اليوم ولا فرق (١)

٣ ـ ويعتقد ابن فارس ان اللغة لم توقف دفعة واحدة (٢) ، بل وقف الله ماشاء ان يعلم الانسان مما يحتاجه في زمانه ، ثم اتسع نطاق ذلك فيما تلا ذلك من الزمان بحسب حاجة الانسان على الارض ٠

وهذا الرأى الاخير يدلنا على ان ابن فارس يؤمن بان الاوليات كانت

---

(١) الصاحبي ٣١ـ٣٤ ٠

(٢) سننقل النص من الكتاب ، طبعة الشويمي ٠

عبارة عن اصوات محدودة والفاظ مقصورة على مايحيط الانسان الاول من اشياء ثم كان الاتساع والتطور بالنظر للحاجات والمتطلبات . وهذه النظرة مقبولة عند بعض العلماء كالباقلاني والاسفراييني .

ثانيا ـ تناول الكتاب موضوعات من سنن العرب في كلامها وخصائص لغاتها وشملت هذه الموضوعات .

١ ـ اللهجات القبلية : وتميز لهجة قريش من بينها بالفصاحة(١) وحسن تخير الالفاظ ، وسلامة الذوق والسليقة . وسمي مثل هذه الابحاث : اختلاف لغات العرب .

٢ ـ الاشتقاق : واصوله في لسان العرب ، فوضع باب القول في لغة العرب هل لها قياس ؟ وهل يشتق بعض الكلام من بعض(٢)؟ ومن ذلك قوله : ان للغة العرب قياسا ، وان العرب تشتق بعض الكلام من بعض ، وان اسم الجن مشتق من الاجتنان ، وان الجيم والنون تدلان ـ ابدا ـ على الستر ، تقول العرب للدرع جنة واجنه الليل ، وهذا جنين ، أى هو في بطن اومقبور ،وان الانس من الظهور ،ويقولون : أنست الشيء أبصرته وعلى هذا سائر كلام العرب ..

وهذا عنده يقوى مذهبه في توقيفية اللغة ، ثم يقول : وليس لنا : اليوم ان نخترع ولا نقول غير ماقالوه ، ولاان نقيس قياسا لم يقيسوه ،لان فيذلك فساد للغة ، وبطلان حقائقها ، ونكتة الباب ان اللغة لاتؤخذ قياسا نقيسه نحن الان .

٣ ـ وضمنه ـايضا ـ اشارات كبيرة في قضايا الدلالات كأثر الاسلام في تطور

(١) الصاحبي ٢٣ .
(٢) نفسه ٦٧ .

الدلالات وتغيير معاني الالفاظ ، من مثل الصلاة والزكاة والصوم والحج ... الخ ومنها ماوضعه في الترادف والتضاد والمشترك وحروف المعاني والمعربات واسماء الاشخاص وماخذها .. الى غير ذلك فمن مذهبه في الترادف ، يسمى الشيء الواحد بالاسمين المختلفين ، نحو السيف والمهند والحسام .. والذى نقوله في هذا ان الاسم واحد ، وهو السيف وما بعده من الالقاب صفات ومذهبنا ان كل صفة منها غير معنى الاخرى(١) . ويؤكد عبارته الاخيرة في موضع ثان من الكتاب رادا على من يزعم ان المعاني واحدة(٢) : كالفرق بين البعد والنأى ، والفرق بين القعود والجلوس ، فيحاول التفريق بينهما على الرغم مما يبدو من ترادفهما .

٤ ـ وضمنه بابا في : حقائق الكلام والمجاز وسنن العرب فيهما .

٥ ـ وضمنه شيئا من الحديث عن اصوات الحروف العربية وثباتها ، واختلاف أصوات حروف اللغات الاخرى . ومن الابدال والاعلال(٣) فيها كقوله : ومن سنن العرب ابدال الحروف واقامة بعضها مقام بعض ، ويقولون : مدحه ومدهه ، وفرس رفل ورفن(٤) .

٦ ـ وضمنه شيئا من ابنية الكلم وتأليفها في العربية والقوانين التي تسير عليها هذه الابنية .

ومن اهم الموضوعات بناء مافوق الثلاثي ، فقد ذهب الى انه لابد ان يكون

---

(١) الصاحبي ٦٥ـ٦٦ .

(٢) نفسه ٦٦ .

(٣) نفسه ٢٥و١٧٣ وسماه حروف الهجاء

(٤) نفسه : ٦٦

منحوتا من كلمتين واكثر (١) . فصهصلق - مثلا - من صهل وصلق وصلدم من صلد و صدم ... وهكذا .

وتحت باب (النحت) رسم منهجا في القياس والاشتقاق في كلام العرب وسنتهم فيه ، وهو ماعرف عند الباحثين باسم : الاشتقاق الكبار ، مضيفين اليه ماينحت من جملة نحو بسمل المنحوتة من بسم الله الرحمن الرحيم وحوقل وهيلل وطلبق ... الخ .

هذه هي ابرز الجوانب التي عنى بها ابن فارس ، وهي موضوعات تمس صلب فقه اللغة العربية وخصائصها .

٥ - فقه اللغة وسر العربية للثعالبي (٤٢٨ هـ)

الثعالبي هو ابو منصور عبد الملك بن محمد الاديب الكاتب المعروف بالثعالبي وصاحب التصانيف الكثيرة المشهورة في الادب والاخبار والبيان واللغة، ولد ابو منصور الثعالبي في نيسابور عام ٣٥٠ هـ ونسب اليها فعرف بالنيسابوري وتلقى علوم العربية على مشايخ نيسابور ، وكثير من علماء الشرق الاسلامي ، ومال منذ شبابه الى نظم الشعر ،والجمع والتأليف ،فتميزت كتبه بغلبة الجانب الادبي والفني على الجانب اللغوى ، والف مجموعة كبيرة من الكتب منها : يتيمة الدهر في مجلدات ، جمع فيه اخبار الشعراء العباسيين المتأخرين وقسمه على بلدانهم واقاليمهم ،ولم يخله من متخير شعرهم وملحهم .كما الف في المنتخبات العربية كتبا ، كالمنتحل للشعراء المولدين - ايضا - وكتاب الاعجاز والايجاز وكتاب ثمار القلوب في المضاف والمنسوب وكتاب لطائف المعارف وكتاب فقه اللغة وسر العربية وغيرها من العلوم اللسانية والمعرفية .

وتدل كتبه على سعة افقه وكثرة اطلاعه وثقافته ، على ان الملاحظ على كتبه

---

(١) نفسه ٢٢٧ .

انه قليل الابداع والابتكار ، اذ يغلب على منهجه في التأليف ، النقل والسماع ، ورواية الاشعار ، يذكر الشاعر أو الكاتب أو العالم وينسب اليه القول ٠ توفي الثعالبي سنة (٤٢٨ هـ) (١)

اما كتابه (فقه اللغة وسر العربية) فهو كتاب وضعه في فنون كثيرة من اللغة ،ولكنها ليست ـ جميعا ـ معا يصدق عليها تسميته : فقه اللغة فقد قسمه الى ثلاثين بابا اشتملت على ماجاء في امور الحياة والطبيعة والحيوان والنبات والانسان ، كاللباس والسلاح والنساء والابل ، والاظماء والانواء ، فاذا تناول في باب من الابواب ـ مثلا ـ اعمار الابل اعطانا سنواتها ، واسم الابل في الاشهر والسنوات والوانها ـ وشياتها ـ وما يتعلق بذلك ٠ وكل هذه المسائل ليست من ابواب فقه اللغة ، بل انها لتدخل ضمن التأليف المعجمي المنظم على الموضوعات والمعاني كما نرى ذلك في كتاب (المخصص) لابن سيدة (٤٥٨ هـ)) او الغريب المصنف لابي عبيد القاسم بن سلام الهروى (٢٢٤ هـ) والذى يبدو من اسلوب تأليف فقه اللغة انه حاول ايجاز ماجاء في مثل هذه المعجمات من قضايا اللغة ومفرداتها موزعة على الموضوعات ٠

على أنه لم يخله من بعض المباحث الخاصة بفقه اللغة ، كعقده فصلا في الغريب في اللغة والاعجمي الذى دخل العربية من الرومية والفارسية وغيرها ناقلا في ذلك كله اقوال العلماء ورواة اللغة ، كما هي عادته في اول كل باب او فصل٠

ومن هذه المباحث ماكان من الالفاظ مشتركا بين العربية وغيرها وهو الباب التاسع والعشرون وسنورده فيما يأتي من ابحاث الكتاب بحث فيه ـ بفصول

---

(١) وقيل سنة ٤٢٩ او ٤٣٠ هـ ٠ انظر : مقدمة اليتيمة وفقه اللغة ٠ وكتاب الاقتباس من القرآن الكريم تحقيق الدكتورة ابتسام الصفار : ١٩٧٣ ٠ انظر وفيات الاعيان : ٣/١٨٠ ونزهة الالباء ٢٤٩

خمسة - ماانفردت به اللغات غير العربية ، فاخذته العربية على اعجميته او عربته ، او الالفاظ التي ماتت عند الفرس وبقيت مستعملة عند العرب الى غير ذلك مما يدخل في باب المقارنات اللغوية بين العربية وغيرها ، وان كان بشكل مبتسر وجيز(١) لايتعدى بابا واحدا . ولم تخل الابواب الاخرى من ايراد مجموعة من المفردات في التضاد والمشترك والترادف . والنوادر والغريب وغيره، مما يدخل في باب خصائص اللغة العربية وسنن العرب في كلامها .

وحاصل القول ان هذا الكتاب الصق بالمعجمات المؤلفة على الموضوعات والمعاني منه بكتب فقه اللغة ، وان كان صاحبه قد اسماه بذلك .

٦ - المخصص لابن سيده (٤٥٨ هـ)

ابن سيده (٢) هو ابو الحسن علي بن اسماعيل بن سيده الاندلسي المتوفى سنة (٤٥٨ هـ) كان لغويا بارعا وناقدا في الادب والشعر ، وكان كفيفا ويحفظ كثيرا من الكتب ، ككتاب الغريب المصنف، والف جملة من الكتب في نقد شعر المتنبي وفي الادب والنحو والحكمة وفي المعجمات واللغة ومنها كتابه (المخصص) الذى بناه على الالفاظ الموضوعة لمعان معينة ، وكتاب المحكم) وهو معجم كبير على منهج كتاب (العين) للخليل ،اما كتابه (المخصص) فيقع في سبعة عشر جزءا بحث فيه ابن سيده جوانب دقيقة في (فقه اللغة) ومنها :

١ - البحث في نشأة اللغة العربية(٣) ..

٢ - البحث في خصائص العربية كالالفاظ المنقولة في التضاد والترادف والمشترك

---

(١) فقة اللغه : الباب ٢٩ من ص ٣١٤ - ٣١٩ في خمسة فصول (الطبعة المحققة)
(٢) ترجم له ابن فرحون في الديباج المذهب : (علي) وفي معجم الادباء : علي بن احمد : ٥/٨٤
(٣) المخصص : المقدمة ١/٣-٦ .

اللفظي والاشتقاق والتعريب والمجاز والمقصود والممدود والتذكير والتانيث واوزان الصيغ ، ودلالات الالفاظ والغريب والنادر والشاذ والمطرد ولهجات القبائل ، والكثير الاستعمال وقليله ...

٣ ـ البحث في مسائل تتعلق باصوات العربية كالابدال لبعض الحروف من بعض، وقد عرض لمثل هذه الابحاث في الاجزاء الاخيرة من كتابه .

٧ ـ المعرب ـ للجواليقي (٥٤٠ هـ)

الجواليقي : هو ابو منصور موهوب بن احمد بن الخضر ولد سنة : ٤٦٦هـ. وتوفي على الارجح سنة : (٥٤٠هـ) له كتاب المعرب من الكلام الاعجمي الذى دخل العربية في اطوارها التاريخية رتبه على حروف المعجم(١) . كان الجواليقي ثقة صدوقا .أخذ عن التبريزي ،وسمع من ابي القاسم ابن اليسرى، وابن الجوزي ، وأخذ عنه ابو البركات ابن الانباري : وغيره(٢) .

درس في كتابه هذا نشأة التعريب وشروطه في مقدمة كتابه ، ثم رتب الالفاظ الاعجمية التي استعملها العرب في لغتهم : ماورد منها في القرآن الكريم وفي كلام العرب وحاول ان يرجع هذه المفردات الى لغاتها الاصلية ، ولكنه ـ في احيان كثيرة ـ يعطي اختلاف الائمة اللغويين في نسبتها من غير ان يقطع باصالتها وذلك راجع الى ماكان يعانيه المؤلف او غيره من قلة معرفة باللغات المتعددة التي احتكت بها العربية خلال زمن طويل ، بل انه خلط كثيرا في نسبة العربي الصحيح الى الاعجمي .

ويعد كتابه اول محاولة تجمع (المعرب والدخيل) في كتاب خاص مؤلف

---

(١) تقدم السيد عبد المنعم احمد صالح برسالة للدكتوراه حول المعرب ونال به الدرجة ١٩٧٩

(٢) تنظر ترجمته في : معجم الادباء : ٧ر١٩٧ـ١٩٩ و نزهة الالباء : ٤٧٥ .

بشكل معجمي . اذ كان قد سبقه المعجميون الى الاشارة في معجماتهم العامة الى أعجمية مثل هذه الكلمات ولكنهم درجوها في مؤلفاتهم من غير ان تفصل في كتب خاصة ، ولذلك اقتفى اثره جملة من العلماء الذين جاءوا - بعده - فوضع البشبيشي (ت ٨٢٠هـ) كتابه (التذييل والتكميل) لما استعمل من الدخيل يعني في كلام العرب . ثم جاء شهاب الدين الخفاجي (١٠٦٧ هـ) فجمع الالفاظ التي دخلت الى العربية خلال مراحلها المتقدمة ، ومن عصورها المتأخرة حتى يومه ، فوضع كتابه شفاء الغليل فيما ورد في كلام العرب من الدخيل اشار فيه الى مادخل العربية من الفارسي والرومي والتركي والهندي والحبشي والسرياني وغيره . كما عني بما ولدته العامة من الالفاظ في كلامها .

٨ - المزهر للسيوطي (٩١١ هـ)

المزهر : من الكتب التي تعد في جملة ما الف اللغويون العرب في فقه اللغة العربية ، لجلال الدين عبد الرحمن بن الكمال ابي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيرى الاسيوطي اللغوى الاديب المفسر ولد سنة ٨٤٩ هـ ونشأ منذ عهد مبكر من عمره ميالا الى التتبع والقراءة وملازمة الشيوخ ، وكان ابوه ممن عني بالعلم ، فتلقى على يديه شيئا من علوم العصر ولازم مشايخ زمانه في ماكانوا يحسنون من العلوم ، فأخذ عن الشمني (النحو والعربية) وعن شهاب الدين الشارمساحي الفرائض ، وعن علم الدين البلقيني الفقه ، وعن تقي الدين الشبلي الحديث والعربية ، حتى كان عدد من اخذ عنهم قد بلغ مئة وخمسين شيخا ذكرهم في رسالة له فيهم .

ورحل في طلب العلم ، وحج وزار الحجاز ، وطوف في بلاد الشام واليمن والهند والمغرب ، كما زار مجموعة من المدن المصرية كالمحلة والفيوم ودمياط وغيرها .

وكان مولعا بالحفظ وقراءة المؤلفات ، فحفظ القرآن وهو في سن الثماني

أو دونها ، وحفظ (العمدة) و (مناهج الفقه) و (الاصول) و (الفية ابن مالك).

وحين اصبح متمكنا من العلوم والاداب بدأ بالتأليف وسنة لم تتجاوز السابعة عشرة ، اجيز في هذه السن بتدريس اللغة ، وحين بلغ السابعة والعشرين تصدر للتدريس ، والف تصانيف ورسائل وشروحا وتعليقات جاوزت السبعمئة بين كتاب في مجلدات ورسالة صغيرة في صفحات ، ونظم الشعر وله بديعية في مدح النبي ـ ص ـ سماها نظم البديع في صريح خبر الشفيع عارض بها بديعية ابن حجة الحموى ، ومن مؤلفاته الحسان :

١ ـ الاشباه والنظائر ، وهو في اللغة والمناظرات والنحو يقع في مجلد وهو مطبوع في الهند :

٢ ـ الاقتراح في اصول النحو ، وهو مطبوع ـ ايضا ـ .

٣ ـ همع الهوامع في النحو ، وهو مطبوع .

٤ ـ الاتقان في علوم القرآن في جزئين ، وهو مطبوع .

٥ ـ بغية الوعاة في تراجم رجال اللغة والنحو ، وهو مطبوع اكثر من مرة .

٦ ـ اللالىء المصنوعة في الاحاديث الموضوعة في جزأين ، وهو مطبوع .

٧ ـ حسن المحاضرة في الاداب والمحاورة ، ومنه نسخ مخطوطة كثيرة ، وهو مطبوع

وله رسائل كثيرة في التضمين وحروف الهجاء والرد على علماء عصره وغيرها ، لسنا هنا في موضع حصرها ، فقد استوفى ذكرها الدكتور عدنان محمد سلمان في كتابه السيوطي النحوى وهو رسالة دكتوراه ، كما نشر السيد اقبال احمد الشرقاوي في المغرب كتابا ضخما سماه «مكتبة السيوطي» ضمنه كل رسائله ومؤلفاته مرتبة على المعجم .

وتوفي السيوطي سنة ٩١١ هـ .

نظر السيوطي في كتابه المزهر الى ماالف العلماء العرب في اللغة وعلومها فرأى ان ماوضع المؤلفون منها في هذا الميدان ينقصه التنظيم والتبويب الدقيق

للموضوعات اللغوية ،فجمع ماكتبوا في ذلك ووضعهفي (مزهره) ناظرا في تنظيمه الى كتب علوم الحديث ، واشار في مقدمته(١) الى انه لم يسبق اليه ووضعه في خمسين نوعا ، اولها : معرفة الصحيح والثابت وختمها بالنوع الخمسين وهو في معرفة اغلاط العرب ٠

وجعل مصادر كتابه : كتب اللغة المتقدمة وفقهها ، ككتاب الخصائص لابن جني ، وكتاب الصاحبي لابن فارس ، وسر الصناعة لابن جني ، والعين للخليل ، والتهذيب للازهرى والجمهرة لابن دريد ، والصحاح للجوهرى ، والمعرب للجواليقي ، وغيرها من الكتب اللغوية المهمة ٠

ولقد نقل السيوطي من هذه الكتب بالنص ، ولم يحاول التصرف فيها(٢) ، ولذلك جاءت نصوصه موثوقا بها ، صحيحة مضبوطة تدل على امانته ، ولم يكتف السيوطي بذكر الشخص ، بل يذكر معه اسم مؤلفه ، كما ترى في قوله : قال ابن فارس في فقه اللغة : باب القول على لغة العرب ، هل هي قياس وهل يشتق بعض الكلام من بعض : اجمع اهل اللغة الا من شذ منهم ان اللغة العربية قياس ٠٠٠ الخ ٠

وينقل في الباب السابع عشر عن ابن جني في (خصائصه) في معرفة تداخل اللغات(٣) ايضا ، نصا طويلا ، ثم يليه النوع الثامن عشر وهو معرفة توافق اللغات فينقل فيه عن ابن جني وابي عبيدة وصحاح الجوهرى وفقه الثعالبي

---

(١) المزهر ١/٣ وما بعد ٠

(٢) وردت الى رسالة من أخي الدكتور محمد يعقوب تركستاني - جامعة جدة في السعودية - يشير فيها الى أنه وجد نقصا كبيراً في المطبوع من المزهر ولذلك باشر بجمع مخطوطات الكتاب ، واشتغل على تحقيقه ، ليخرجه كاملا ٠

(٣) المزهر ١/١٠٠-١٠١ ٠

وغيرهم . والذى يهمنا من نقوله هذه ، انه جمع اقوال العلماء المتناثرة هنا وهناك في كتبهم اوكتب غيرهم ،مما يدور في موضوعات مختلفة ،فوحد بينها وجمعها في موضوعات مقسمة ومبوبة تبويبا علميا دقيقا ، بحيث يسر للباحث في موضوعات فقه اللغة العربية ان يعثر علـى مايحتاج اليه من نصوص هـذه الموضوعات في ابوابها الخاصة بها ، وهو عمل جليل وكبير . وهذه بين ايدينا كتب فقه اللغة العصرية قد استعانت بالمزهر بشكل واضح بين في كل مجالات هذا العلم ، ونقلت منه ماا حتاجت الى الاستشهاد به من نصوص (١)

على ان السيوطي لم يقف في كتابه (المزهر) على النقل ، وانما حاول في كثير من الاحيان ان يعطي رأيا ، او يرجح قولا على قول ، كما ترى في رده على من زعم ان كتاب العين للخليل كثير التخليط والفساد ، وكقوله يبين ما تتفق فيه اللغات وما يكون معربا منها : قلت والفرق بين هذا النوع وبين المعرب، ان المعرب له اسم في لغة غير اللفظ الاعجمي الذى استعملوه بخلاف هذا (٢) وعلى اية حال ، فان ماجمعه السيوطي فيه يدخل اكثره في علم اللغة وفقهها ، وان كان ثمة موضوعات لاصلة لها بهذا الجانب مـن اللغة كمعرفة الوفيات واسـماء الشعراء والقابهم والتحقيق في صحة نسبة الكتب الى مؤلفيها(٣) ، اوماشبه هذه الجوانب التي تكون صلتها بالادب وتاريخه اشـد مـن صلتها باللغة ودراستها الدقيقة .

٩ ـ كتاب سر الليالي في القلب والابدال

هذا الكتاب في اللغة لاحمد فارس بن يوسف الشدياق ، لبناني ولد في قرية

---

(١) نفسه ١٥٥ .

(٢) نفسه : النوع ١٨ .

(٣) اذا كان هذا الجانب يعد من باب تحقيق النصوص فهو في عرف الباحثين الاوربيين من باب فقه اللغة كما مر معنا تعريفه .

الحدث احدى قرى لبنان ، وهي التي ذكرها المتنبي في ميميته • على قدر اهل اهل العزم ••

وذلك سنة ١٨٠٤ م وكان ابواه مسيحيين مارونيين ، فاسمياه فارسا نشأ منذ صغره يطلب العلم ، فرحل الى مصر والتقى علماءها ـ يومئذ ، ثم تركها ليعمل في (مالطة) مديرا لادارة الطباعة الامريكية ، ثم زار كثيرا من الاقطار الاوربية ، ثـم القى عصا ترحاله في تونس ليلتقي بعض ائمة الديـن والعلم وبذلك اعتنق الاسلام وسمى نفسه (احمد) وعرف باحمد فارس •

ثم غادر تونس الى تركيا ليصدر هناك صحيفة (الجوائب) عام ١٢٧٧ هـ بدعوةمن القسطنطينية ،وبقي فيها سنوات بلغت ثلاثا وعشرين حتى كانتوفاته فيها سنة ١٣٠٥ هـ/١٨٧٧ م ودفن مع اسرته في لبنان بعد نقل جثته اليها •له مـن الكتب مجموعة(١) ، منهـا : الساق علـى السـاق فيما هو الفارياق ، والجاسوس وهو مطبوع وغنية الطالب في الصرف والنحو : وكشف المخبا وغيرها• اما كتابه (سر الليالي) فوضعه في كشف اسرار العربية كما تبدو له ويعتقد ان كثيرا من خصائصها كانت خافية على المشتغلين بها ، ومن بين من فاته الشيء الكثير من امر اللغة هو (الفيروز ابادى) في (القاموس المحيط) فهو يأخذ عليه في كتابه (الجاسوس على القاموس) ثلاثين مأخذا • ومن هنا فقد رأى ان الائمة المتقدمين قد فاتهم مايعده هو (سرا) من اسرارها ، وفحوى هذا السر في اللغة هو ان جميع الافعال تفيد القطع سواء أكان ذلك حقيقة ام مجازا (٢) ، وحاول ان يصور معنى القطع الذى تفيده افعال العربية فضرب مثلا بمن يريد ان يبني دارا فانه لابد له من ان يقطع مايبتني به من الحجر ، او الخشب ، او نحوهما ، ومن يود ان يخيط ثوبا ـ بالضرورة ـ قطع هذه الاجزاء التي يتركب منها الثوب،

---

(١) انظر : هدية العارفين : ١/١٩١ •

(٢) مقدمة الكتاب : صفحة ح فما بعد •

والمسافر يقطع الارض مجازا ، واستشهد لذلك بالافعال (جاب الارض) و (جذع الوادى) و (قص الاثر) ومنه (عزم على الشيء) فانه يقطع ارادته فيه وهكذا ٠

وجعل أحمد فارس (الفعل المضعف) ـ اصلا ـ لتطبيق هذه النظرة ، ناظرا الى عدة امور منها : ان اكثر كلمات العربية اما حكايات صوت مثل (خر الماء ورف العصفور وصر الجندب ، واما حكاية صفة : مثل (قهقه) و (كركر) و (صرصر) ، وان (المضعف) هو الاصل في اللغة ، ثم يليه الاجوف ثم السالم ثم الناقص ، وهذا تسلسل طبيعي لنمو اللغة ، لانها كائن حي لم تكتمل الا بمرورها بهذه المراحل ، معللا هذه الاطوار بتحليلات خاصة ٠

ومنها ان المزيد بحرف على المضعف مثل : جم وجمع ، وقط وقطع ، وجذ وجذع لم يبعد معنياهما من بعضهما ٠

ولان الزيادة هي السبيل الطبيعي في نص اللغة لانقصها . اذ العكس يعني العدول من الكمال الى النقص ٠

ثم ان اكثر ماوقع فيه (الابدال والقلب) من الالفاظ مادل على الكسر والشق والهدم والخرق ، لكونه مأخوذا من حكاية صوت ، نحو : بعط وعبط ، وبمعنى ذبح ٠ والواقع ان ماذهب اليه احمد فارس ليس شيئا جديدا لم يسبق اليه ، اذ ان موضوعات الاشتقاق الذى طرحه ابن جني في خصائصه والذى سماه اللغويون الاكبر قد تناول هذه الفكرة بشكل مستفيض ولكنهم لم يجعلوا هذا النوع من الاشتقاق اساسا لنظرة موسعة في اصل البنية للكلمات العربية ، فنظر احمد فارس الى المضعف فجعله اصلا ثم بنى عليه مذهبه في اصل دلالة الفعل في العربية وهي القطع ـ حقيقية او مجازا ـ مستشهدا لذلك بما يراه مناسبا لتوضيح فكرته ، وحاول ان يسند قوله بان الثنائي المضعف هو الاساس وان الثلاثي في بنية المادة العربية هي طور متأخر يدل على الاكتمال ، محتجا لذلك بما

اوردنا ، على أن هذه الفكرة نفسها لم تكن بدعا – ايضا – فقد بنى ابن فارس اللغوي (٣٩٥ هـ) كتابه : مقاييس اللغة على الصوتين الاول والثاني من بنية المادة اللغوية وجعلها اصلا في الدلالة او اكثر من اصل ، واضاف اليها مايثلثها من الاصوات مفسرا مايحصل فيها من تغيير على الاصل الدلالي ، فاستمد الشدياق من هنا بناء منهجه على الثنائي المضعف وتطوره الى الثلاثي ، ولكن مراحل هذا التطور عنده هي نظرة خاصة لم يسبق اليها احد ٠ بقي ان الشدياق قد خرج بفكرة جديدة في مذهبه ، وهي ان جميع الافعال تفيد (القطع) حقيقة او مجازا ، وهو ماحاول اثباته في كتابه (سر الليالي) ٠

الفصل الثالث

١ ــ لغة الانسان الاولى ــ نص من خصائص ابن جني في اصل اللغات

٢ ــ الكتابة والخط

٣ ــ فصائل اللغات

اولا ـ لغة الانسان الاولى

هـذا الموضوع لايرسو بالباحث علـى جانب ثابت مـن الحقيقة العلمية الابمقدار مايمتلكه الباحث نفسه من ايمان في نفسه باحقية هذه النظرة دون تلك او بترجيح هذا الرأى على غيره ، وذلك تبعا للمنهج والسلوك الذاتي الذى ينهجه الباحث في معاملاته ومعتقداته في الحياة ٠

فمنذ اقدم العصور تساءل الفلاسفة اليونانيون ، عما اذا كانت اللغة وليدة الطبيعة او نتيجة اتفاق ونشاط جماعي(١) ؟ فالقول بان اللغة افراز افرزته الطبيعة يساوى القول بانها اخذت اصلها من مبادىء خالدة ، ولايتحكم فيها شيء بشرى ٠

فالذين يؤمنون بالدين وقيمه المثلى ، وما سن من شرائع وقوانين للبشرية يجدون ان كل كائن هو من صنع الله ـ تعالى ـ وانه ـ سبحانه ـ قد خلـق للبشر كل متطلبات الحياة والعيش والاستقرار من سمع وبصر وعقل وعواطف ، حتى اللغة التي يعبر بها عن حاجته والا فما قيمة خلق الله لجهاز النطق في البشر اذا لم يكن هذا الجهاز قد خصص لغاية مهمة من حياة الانسان ، وهي الاصوات المناسبة لهذا الجهاز كي يستخدمها ـ لغة في التعبير عن افكاره وحاجاته، ان الطفل ليبكي ـ اول خروجه الى الدنيا ، ليعبر ببكائه عن احساسه بالشيء الغريب الذى اكتنفه في هذه الحياة الجديدة ، ثم يتحول هذا السلوك من التعبير عند الطفل الى الوان اخرى شيئا فشيئا ـ متأثرا بمحيطه حتى يستطيع الكلام ، فالطفل يستخدم جهاز النطق للتعبير بحيث يجده جاهزا ، ولادخل له في تكوينه وصنعه ، كما انه لادخل له في تكوين اللغة وانما لقنها من محيطه ووجدت اللغة جهازا كاملا يستطيع استخدامها بشكل متكامل ٠

ان النظرة الـى كون اللغة الهاما مـن الله انطلقت مـن لسـان الفلاسفة

---

(١) المزهر ١/٨ ، فلسفة اللغة : الحاج ١٨ـ١٩ ٠

اليونانيين منذ اقدم العصور ، فهذا هرقليطس يرى ان الاسماء تعطي من قوة الهية لذلك جاءت وقفا على المسميات وايده في ذلك افلاطون(١) ٠

ومن هنا كان ايمان الكثيرين من علماء العربية كابي الحسن الاشعرى (٣٢٤ هـ) ومحمد بن الحسين بن فورك (٤٠٦ هـ) وابي علي الفارسي وابن فارس اللغوى ، كما امن اهل السنة والجماعة من المسلمين بان اللغة توقيف من الله ، ولقد نقل ابن جني (٣٩٢هـ)(٢) عن شيخه ابي علي الفارسي حين سأله عن اصل اللغة : اتواضع واصطلاح هي ام توقيف ؟ فقال له : هي من عند الله محتجا بقوله تعالى (وعلم ادم الاسماء كلها) على فرض تفسير الاسماء باللغات ،ومهما يكن من الاختلاف في تفسير لفظ (الاسماء) بين علماء اهل السنة من انه علمه بعض الالفاظ ـ اولا ـ ثم تواضع(٣) الناس على باقيها كما هو مذهب ابي اسحاق الاسفرايني(٤) او علمه اسم كل شيء من دابة وارض وسهل ٠٠ او اسماء ذريته اواسماء الملائكة(٥) ٠٠ فان المهم في هذا ان هذه الجماعة تؤمن بان اللغة توقيف من الله في اصل تكوينها ٠ ولهؤلاء حجج يمكن الرجوع اليها فيما ذكرنا من مراجع لها في هذا المبحث (ينظر الصاحبي ، المزهر ، الخصائص ، المحكم سفر التكوين) ولم يكن هذا الرأى وقفا على اهل السنة والجماعة من المسلمين ، بل لقد امن كثير من رجال الدين في العالم المسيحي ، فرجال الكنيسة كالاب (لامي) وغريغوريوس الذى جمع بين التوقيف والاصطلاح يرون ان الله خلق الاشياء من الطين ثم عرضها على ادم ليسميها ، فكانت اسماء المخلوقات ـ اذن من صنع الله وادم ، مستندين في ذلك الى ماورد في سفر التكوين الاصحاح الثاني مما يجرى مع هذا المعنى(٦) وكان هذا الرأى كما سبقت الاشارة هو راى

---

(١) فلسفة اللغة : كمال يوسف الحاج : ١٨ ـ ١٩

(٢) الخصائص ١/٩ـ١٠ ٠

(المزهر ١/١٦ ٠

(٤) ومن الاوربيين DeBonaldLami انظر علم اللغة : د٠ وافي ٩٧ ٠

(٥) الصاحبي ٣١ـ٣٤ ٠

(٦) اية ١٩ من السفر ٠

(هيروقليطس) اليوناني ايضا ، ولقد دفع مثل هذا الايمان باصل اللغة احبار اليهود للادعاء بان (العبرية) هي لغة الوحي ، وانها اللغة الاقدس ، وحاول (كيشارد) الدفاع عن مضمون هذه الفكرة واثبات احقية العبرية بالتقدمة على غيرها من اللغات · ولا سيما العربية التي عدها المسلمون لغة الوحي ، لانها لغة القرآن المقدس · اما الاوربيون فيرجعون بموقفهم هذا الى ماجاء في سفر التكوين قال الرب الاله : لايحسن ان يكون الانسان ـ وحده ـ فاصنع له عونا بازائه وجبل الرب الاله من الارض جميع حيوانات البرية واتى بها ادم ليرى مايسميها ، فكل ماسماه به ادم من نفس حية فهو اسمه ، فدعا ادم جميع البهائم وطير السماء وجميع وحش الصحراء باسماء (١))) ·

على ان كون اللغة توقيفا لم يرتضه جملة من العلماء المعنيين بالدين او اللغة ولهم في هذه القضية مذاهب مختلفة وحجج عقلية تدل على شدة تمسكهم بما يعتقدون فاهل الاعتزال من المسلمين يرفضون ان تكون اللغة الاولى توقيفا ويؤمنون بانها تواضع واصطلاح بين البشر ، وعلى رأسهم ابو هاشم عبد السلام بن محمد الجبائي (٣٢١ هـ) · وتردد ابن جني في (خصائصه) بين التوقيف والاصطلاح ، ثم مال الى نظرية انفرد بها وهي نظرية (المحاكاة) التي سنعرض لها بعد قليل · والغريب ان بعض اهل السنة والجماعة والاشعرية تردد مع ابن جني في اعطاء رأى ثابت في هذا الميدان ، فهذا ابو بكر الباقلاني (٤٠٢ هـ) وكان اشعريا يقول : يجوز ان يثبت توقيفا ، ويجوز أن يثبت اصطلاحا ، ويجوز ان يثبت بعضه توقيفاوبعضه اصطلاحا والكل ممكن(٢) ومثل هؤلاء يعتقدون ان الله علم ادم الاسماء كلها · اى : ان التعليم حصل بالقوة ، ثم ترك الله ادم يخلق

---

(١) سفر التكوين : اية ١٨ـ٢٠ ف ٢

(٢) المزهر ١/٢٠ · وانظر كمال يوسف الحاج : فلسفة اللغة ٢٢ · الاحكام في اصول الاحكام الامدى حـ ١/ق ٢ ط مصر ١٩١٤ ·

لنفسه مايشاء ،وذلك ان اولاده من بعده اصطلحوا على لغاتهم ،قال تعالى:(وما ارسلنا من رسول الابلسان قومه) :

والحق ان مثل هذا القول ليس غريبا عن الواقع ، وذلك ان الخوض في مثل هذا الميدان ليس من قضايا فقه اللغة ـ كما سبق ان قررنا ـ بقدر ما هو بحث احتمالي يعتمد على الحدس والظن ٠ فهل هي نتيجة عقد محكم وموقع عليه، او انها نتيجة عقد جماعي بين اعضاء الجماعة(١) او هي هبة ولايد للبشر فيها ؟

وعلى اية حال فان القول بان اصل اللغة تعارف بين ابناء البشر وارتجال عند الكثيرين من علماء اللغة ، فيعتقدون انها من نتائج التقاليد والاعراف او العادات ،فهي ـاذن ـ اصطلاح واتفاق رأى غير مقطوع فيه ـ أيضا ـ٠وقد امن به المعتزليون وهو مذهب فلسفي امن به من فلاسفة اليونان (ديمقريطس) الذى عد منشأ اللغة عملية تواطؤية لان الشيء الواحد ذاته ـ كثيرا ما ـ يقبل عدة اسماء ولان الشخص ألواحد ذاته يظل هو هو على الرغم من تطوره اوتنازله عن اسمه، لذا فان الاسماء تعطى من الانسان لامن قوة عليا ٠ وايد هرموجينس هذه النظرة واحتج لها(٢) ٠ كما امن بذلك من المعاصرين (ادم سمث) و (لوك) و (ريد) و (استيوارت) غير انه مذهب تنقصه الكثير من الادلة القاطعة على صحته ، ولذلك نجد الدكتور (وافي) يستضعف هذا المذهب لتعارضه مع النواميس العامة التي تسير عليها النظم الاجتماعية التي لاترتجل أرتجالا ولا تخلق خلقا ، بل تتكون بالتدريج من تلقاء نفسها ٠ هذا الى ان التواضع على التسمية يتوقف في كثير من مظاهره على لغة صوتية يتفاهم بها المتواضعون مما يجعله اصحاب هذه النظرية منشأ للغة يتوقف هو نفسه على وجودها من قبل ٠

ومن المبطلين لهذه النظرية في العصر الحديث (رينان) الفرنسي في كتابه

---

(١) البنيوية في اللسانيات : د٠ الحناش : ٤٩

(٢) فلسفة اللغة : الحاج ١٨ ٠

(اصل اللغة)(١) اذا مال الى ان اللغة غريزة زود بها النوع الانساني للتعبير عن المدركات الحسية كسائر الغرائز الاخرى مؤيدا بذلك (مولر) ، كما سنأتي عليها بعد قليل ٠

ولابن جني في تخريج قوله ـ تعالى ـ (وعلم ادم الاسماء كلها) رأى يمكن ان يقرب بين هذه النظرية والتي قبلها ، فهو يرى انه يجوز ان يكون تأويله ان الله اقدر ادم على ان واضع عليها وهذا المعنى من عند الله ـ سبحانه ـ لامحالة ، فاذا كان ذلك محتملا ـ غير مستنكر ـ سقط الاستدلال به(٢) وذلك يعني عند ابن جني انه لابد للانسان الاول من معرفة بعض الاشياء المخلوقة معه ، فالهمه الله القدرة على ان يتواضع على تسميتها مع افراد جنسه ، وهذا التأويل ـ ايضا ـ يعتمد على التجويز والاحتمال ، لاعلى النص المنقول المثبت ٠ ويذهب باحثون اخرون الى ان الاصل في نشأة اللغة الانسانية الاولى كان من ميل الانسان الاول الى محاكاة الاصوات الطبيعية المسموعة كدوى الريح وحنين الابل وهزيم الرعد وخرير الماء وزقزقة العصفور ومواءالقطة وخرخرتها وشحيج البغل ٠٠٠ الخ ٠

ولقد نقل هذا المذهب ابن جني في (خصائصه) ونسبة الى اناس قبله ثم قال :« وهذا ـ عندى ـ وجه صالح ومذهب متقبل(٣) » ٠

وهو رأى امن به من الدارسين الاوربيين (سبنسر الانجليزى) و (يسبرسن السويسرى) كما مال اليه الدكتور علي عبد الواحد وافي ، اذ عده ادنى الى الصحة

(١) علم اللغة ٧٦ـ٧٧ ٠
(٢) الخصائص ١/١٠ ٠
(٣) نفسه ١/٤٤ ـ ٤٥ ٠

واقرب الى المعقول واكثر اتفاقا مع طبيعة الامور وسنن النشؤ والتطور والارتقاء الخاضعة لها الكائنات وظواهر الطبيعية الاجتماعيه (١)

ويمكن تحديد هذه النظرية في ان الانسان الاول قد مر بمراحل تطورت فيها لغته ، فقد (٢) :

١ ـ قام بمحاكاة أصواته الطبيعية التي تعبر عن الانفعال كاصوات الفرح والحزن والرعب والغضب ٠٠٠ الخ في مطلع حياته ، باصوات مختلفة تتناسب وموضوع حاجته ٠

٢ ـ وبمحاكاة أصوات الحيوان الذى يعيش معه وفي وسطه ٠

٣ ـ ومحاكاة ظواهر طبيعية واشياء كالريح والشجر وصرير الباب وصوت القطع والضرب وسقوط الشيء على الشيء مما يحدث اصواتا متنوعه ٠

٤ ـ واستخدم في محاكاته قدرته على لفظ اصوات مركبة ذات مقاطع مما نشأ عنها ألفاظ محدودة قليلة التنوع قاصرة في الدلالة عن المقصود الا فيما يفهم ٠

٥ ـ كما استخدم اشاراته اليدوية والجسمية ليساعد الصوت على الدلالة بشكل بدائي ٠

٦ ـ ثم توسع في المحاكاة والحركة والاشارة ، فحاكى اشكال الاشياء وحجومها ومصنفاتها ٠

٧ ـ ثم وسع نطق ذلك بتوسع نواحي الحياة ، وتبعا لارتقاء التفكير ، واتساع الحاجات ٠

هذه هي الاطوار التي يمكن ان تكون اطوارا لنمو لغة الانسان الاول

---

(١) ابراهيم ابو النجا : فقه اللغة ١٦ ٠

(٢) وافي : علم اللغة ١٠٥ ٠

ويشبهها اصحاب هذه النظرية بتطور لغة الطفل والمراحل التي يمر بها حتى تستقيم له اللغة ، ولقد فات هؤلاء ان ثمة بونا بين الاثنين ، فلا يمكن التسليم بان هذه هي الاطوار التي ينبغي ان يكون الانسان الاول قد مر بها ، حتى تكونت اللغة ، على رأى الذين يؤمنون بنظرية المحاكاة ، ويتخذون من تطور لغة الطفل شاهدا على صحة هذه النظرية ، لاننا يمكن ان نلاحظ هنا ان الفرق بين نشأة اللغة الانسانية الاولى ونشأة اللغة عند الطفل في : ان لغة الطفل تنشأ من محاكاة لغة جاهزة ناضجة ، وهي لغة المجتمع كله ، والتي منها لغة الابوين ، وليس كذلك نشأة لغة الانسان الاول ، فهو لابد ان يكون قد بدأ من الصفر ، على ان في بعض ملامح اللغات البدائية في الامم البدائية اليوم مايدل على احتمال كون اللغة الاولى بدأت بمحاكاة الاصوات اذ ان ثمة اصواتا في لغات الامم البدائية تدل على ماتحمله تلك الكلمات من صوت ، كما ان سذاجة هذه اللغات يفرض على الشعوب المتكلمة بها ان تستخدم الاشارات بمساعدة اعضاء الجسم لاستكمال المعاني او الصور التي يعبرون عنها ، ومع ذلك فقد رأينا من يرفض هذه النظرية ويذهب الى بطلانها ، مثل (مولررينان) ٠ اما ماكس مولر الالماني(١) ورينان الفرنسي فقد ذهبا الى ان اللغة الانسانية الاولى ترجع الى غريزة خاصة قد زود بها الانسان حملته على التعبير عن المدركات الحسية والمعنوية ٠

وهذه الغريزة اشبه بسائر الغرائز الانسانية كالغضب والخوف والفرح والحزن التي تحمل الانسان على اطلاق اصوات مناسبة لها وحركات معروفة ، ولما كانت الغرائز الانسانية واحدة في النوع الانساني كانت (اللغة) الغريزة واحدة عند جميع البشر ، غير ان هذه الغريزة بدأت بالانقراض حين بدأت اللغة الخاصة تنشأ في الوسط الانساني ، فاستعاض بها عن الغريزة ونفى اصحاب هذه

---

(1) Science du Langage : Muller

انظر : علم اللغة : وافي : ١٠١

النظرية ان تكون اللغة قدنشأت من محاكاة الاصوات ،اومن التواضع والاصطلاح لامور اهمها :

١ ـ ان ماكس مولر(١) وجدان اللغاتالاوربية ـالهندية تشترك مفرداتها في خمسمئة اصل ، تمثل اللغة الاولى ،وان اصول هذه اللغات تدل على معان كلية على الرغم من عدم التشابه بين اصواتها وماتدل عليه من فعل ،ولعدم التشابه بين الاصوات والدلالات ، تأكد لديه ان اللغة لم تنشأ من محاكاة الاصوات .

٢ ـ كماان وجود المعاني الكلية العامةدليل علىأن التواضع والاصطلاح فيوضع اللغة الاولى غير صحيح ، لان المتواضعين يجب ان يتفقوا على لغة صوتية او اشارية قبل وضع لغتهم الاصطلاحية وهـذا ممـا لايعقل ، ولان لغـة الاشارة مرتبطة بالمحسوسات والموجودات المادية ، في حين وجد (مولر) ان الاصول تدل على المعاني الكلية العامة ، وعلى الامور المعنوية التي لايمكن ان تدركها الاشارة المادية او الحركة الجسمية .

وقد رفض الدكتور جسبرسن هذه النظرية كما رفضها الدكتور وافي وردها بشكل علمي دقيق يمكن تلخيصه : بان الاصول التي كشفت عنها دراسة مولر تمثل بقايا لغة حديثة راقية ، وكاملة ، وانها على رأى سيسس وبريال ـ مجرد اصول نظرية ولا علاقة لها باللغة الانسانية الاولى ، لان الانسان الاول بدائي التفكير وهذه الاصول تدل على رقي عقلي واضح(٢) .

ويبدو لي ان ماكس مولر قد استوحى هذه الدراسة للغات الاوربية من مذهب افلاطون في نشأة اللغة ، اذ يرى ان اللغة موهبة انسانية نشأت مع الانسان

---

(١) علم اللغة وافي ١٠١ .

(٢) فقه اللغة العربية د. نجا ٢٣ . علم اللغة : د. وافي ١٠١ـ١٠٣ .

ويرى مع هرقليطس انكار ان تكون الاسماء وليدة الاتفاق والتواطؤ ، وان الذى ينبغي ان يدور البحث حوله هو النظر في نشأة الالفاظ الاولى ٠٠ وان الوصول الى ذلك بصورة حاسمة يتطلب معرفة لغات الشعوب الاخرى ، وعمل موازنة دقيقة بين الفاظ كل لغة والفاظ اللغات الاخرى ٠٠ ولم يتيسر للاغريق هذه المهمة لعدم تعرفهم على لغات الامم(١) فقام بدراسة هذه اللغات فهدته الى هذه النتائج التي سبق تقريرها ٠

ويرى باحثون اخرون ان اللغة وسيلة اجتماعية وحاجة ملحة في المجتمع البشرى قام الدماغ البشرى في اختراعها وتكوينها ، لسد متطلباته في التفاهم والتخاطب والتعاون باتصال بعضهم ببعض ، يقول بول شوشار في تعريف اللغة: واللغة اختراع قام به الدماغ الاساسي في سبيل خلق اتصال اجتماعي ، والذى يحرم هذه الوسيلة من وسائل الاتصال الاجتماعي لن يستطيع ابدا كمال انسانيته(٢) ٠ على ان هذا لايعطينا فكرة واضحة في كيفية وضع الانسان الاول للغتة التي يستخدمها وسيلة لارتباطه ببني جنسه ، وتبقى المشكلة قائمة في معرفة الوسيلة التي اتخذها لخلق اللغة ، وينقل د٠ ابراهيم نجا في هذه النظرية ان (نوار) — وهو صاحب هذه النظرية — يرى ان قيام الانسان بمجهود عقلي يصاحبه التنفس الشديد وكثيرا مايحرك الهواء المار بالحنجرة الاوتار الصوتية فتحدث اصوات مختلفة ٠

فاذا زاول عدد كبير من الناس عملا شاقا حدث بشكل جماعي صوت موحد يدل على نوع ذلك العمل او الحركة او المنتوج ، ويعني ذلك اذا تكررت الاعمال الجماعية او تنوعت تنوعت معها الاصوات واختلفت الدلالات ، ويمثل ناقل هذه الفكرة بما يتلفظ به العمال عند اشتراكهم في عمل جماعي من مثل هيلا هوب

---

(١) اللغة : ج ٠ فندريس ٣٩ــ٤٠ ٠

(٢) اللغة والفكر : شوشار ١٠٢ ٠

اوما اشبه ذلك (١) . غير اننا لو تأملنا هذا القول رأيناه لايصلح لان يكـون اساسا لنشأة اللغة الانسانية الاولى ، لان مثل هذه الحالات لاتؤسس لغـة . والحق فان معظم هذه الاقوال لاتعطي صورة كاملة عن قيمة نشأة اللغة لانها كلها تصلح لتفسير مسائل جزئية من النشاطات اللغوية الانسانية : أذا ان جميعها تصلح ان تكون تفسيرا لنشأة اللغة الاولى ثم تطورها واكتمالها عبر قرون طويلة. ولعلنا نخوض مجالات عائمة لانستقر فيها على رأى او حقيقه ثابتة في اصل اللغات ، لاستحالة الوصول الى نتيجة مرضية قطعية ، توضح لنا بدقة كيف بدأ الانسان الاول يعبر عن حاجاته لاخيه الانسان . وبقيت المشكلات ملبدة بشكل لايمكن حله ، هو مشكل اصل الكلام كما يقول جورج مونان (٢)

ومن ابرز من انكر الابحاث في موضوع اصل اللغات فندريس في كتابه اللغة اذ يقرر ان هناك لغات تنسب الى تواريخ منها القديم ومنها الاقدم .

ونحن نعرف بعض لغاتنا الحديثة في صور قديمة ترجع الى اكثر من عشرين قرنا ، ولكن اقدم اللغات المعروفة لاشيء فيها من البدائية ، ومهما اختلفت عن لغاتنا الحديثة فانها لاتفيدنا علما بالتغيرات التي طرأت على الكلام ، ولاتدلنا على شيء من كيفية نشوئها (٣) وهذا هو الذى يقرره علم اللغة الحديث ، اذ يحاول ان يبعد هذا الجانب من الدراسة اللغوية ، ولا يعده من اختصاص اللغويين . يقول فندريس (٤) : (ان مشكلة اصل اللغة خارج مجال العالم اللغوي . فالواقع ان الصلـة مرتبطة باصل الانسان والمجتمـع ، وتنتمي الـى التاريخ الانساني وتقدم المجتمع ، ومن المستحيل تبين الصورة التي اتخذتها اللغة الانسانية في اول الامر) .

---

(١) فقه اللغة العربية ٢٣ وانظر كذلك : اللغة والمجتمع د. وافي ٤ فما بعد .

(٢) مفاتيح الالسنية مونان ٣١-٣٢ .

(٣) فلسفة اللغة ٢٨ .

(٤) اللغة : فندريس ٧ .

ويقول مونان : ولكن معالجة اللغات معالجة تاريخية قد بقيت رغم الرواد ملبدة بشكل لايحل ، هو مشكل اصل الكلام طبقت عليه فرضيات غالطة حول ما يجب ان يكون قد حدث ، لكي يأخذ البشر في الكلام (*) ٠

ولذلك كله وقف (لايبنتز) محايدا فترك جملة الاقوال التي طرحت ، وجعل اللغة موضوع درس ، ووجد ان البحث فيها يبقى ظنيا لاقطعيا ، وان اللغات لا تعطينا قطعا في ذلك كله ، واصل الكلام يبقى سرابا ٠ فوضع لنفسه منهجا استقرائيا لدراسة اللغة فكان بحق واضع علم اللغة الحديث في الدراسة الاوربية الحديثة ٠ فاذا كان هذا هو رأى الدراسات اللغوية الحديثة ، فانه يبقى علينا ـ اذن ـ ان نقف بين امرين لاثالث لهما هما :

١ ـ اما ان يكون الانسان الاول قد تلقى اللغة من خالقه وهو مذهب اهل التوقيف ويقرب من هذا القول الزعم بان اللغة غريزة او ملكة او هبة من الله ٠

٢ ـ او ان يكون قد صنعها هو بنفسه ولنفسه ، وهو ما جاءت به النظريات المختلفة في تفسير وجودها كالمحاكاة والاصطلاح والاجتماعية ٠

ولم يتعد ماوقفت عليه دراسة اللسانيين العرب هذين الجانبين ٠ وبما انفرد به ابن جني في نظرية (محاكاة الاصوات) ليكون البحث اللغوى العربي ، قد تناول ثلاث نظريات هي مدار اختلاف اللغويين ـ اليوم ـ مضيفين اليها نظرية الغريزة والنظرية الجماعية ٠

قال ابن جني(١):

(باب القول على اصل اللغة الهام هي ام اصطلاح ؟)

هذا موضوع محوج الى فضل تأمل(٢) غير ان اكثر اهل النظر على اصل

(*) مفاتيح الالسنية ٥٣ ٠

اللغة ، انما هو تواضع واصطلاح ، لاوحي وتوقيف . الا ان ابا علي(٣) ـ رحمه الله ـ قال لي ـ يوما ـ هي من عند الله ، واحتج بقوله ـ سبحانه ـ (وعلم ادم الاسماء كلها)، وهذا لايتناول موضع الخلاف ـ وذلك انه قد يجوز ان يكون تاويله: اقدر ادم على ان واضع عليها ، وهذا المعنى من عند الله ـ سبحانه ـ لامحالة ، فاذا كان ذلك محتملا غير مستنكر سقط الاستدلال به ·· على انه لم يمنع قول من قال : انها تواضع منه ، على انه قد فسر هذا بان قيل : ان الله ـ سبحانه ـ علم ادم اسماء جميع المخلوقات بجميع اللغات : العربية والفارسية والسريانية والعبرية والرومية وغير ذلك من سائر اللغات ، فكان ادم وولده يتكلمون بها ثم ان ولده تفرقوا في الدنيا وعلق كل منهم بلغة من تلك اللغات ، فغلبت عليه واضمحل عنه ما سواها ، لبعد عهدهم بها(٤) ·

واذا كان الخبر الصحيح قد ورد بهذا وجب تلقيه باعتقاده والانطواء على القول به : فان قيل : فاللغة فيها اسماء وافعال وحروف ، وليس يجوز ان يكون المعلم من ذلك الاسماء دون غيرها ، مما ليس باسماء ، فكيف خص بالاسماء وحدها ·

قيل اعتمد ذلك من حيث كانت الاسماء اقوى القبل الثلاثة ، ولا بد لكل كلام مفيد من الاسم ، وقد تستغني الجملة المستقلة عن كل واحد من الحرف والفعل ، فلما كانت الاسماء من القوة والاولية في النفس والرتبة على مالا خفاء به جاز ان يكتفي بها مما هو تال لها ومحمول في الحاجة اليه عليها ··

ثم لنعد ، فلننقل في الاعتلال لمن قال بان اللغة لاتكون وحيا ، وذلك أنهم ذهبوا الى ان اصل اللغة لابد فيه من المواضعة ، قالوا وذلك كأن يجتمع حكيمان او ثلاثة فصاعداً فيحتاجوا الى الابانة عن الاشياء المعلومات ، فيضعوا لكل واحد منها سمة ولفظا ، اذا ذكر عرف به ماسماه ليمتاز من غيره ، وليغني بذكره عن احضاره الى مراة العين فيكون ذلك اقرب واخف واسهل من تكلف احضاره

لبلوغ الغرض في ابانة حاله .. فكأنهم جاءوا الى واحد من بني ادم فاومئوا اليه وقالوا : انسان انسان انسان فأى وقت سمع هذا اللفظ علم ان المراد به هذا الضرب من المخلوق وان ارادوا سمة عينه او يده اشاروا الى ذلك ، فقالوا : يد عين رأس قدم او نحو ذلك .. ثم لك من بعد ذلك ان تنقل هذه المواضعة الى غيرها ، فتقول : الذى اسمه انسان ، فليجعل مكانه (مرد) والذى اسمه رأس فليجعل مكانه (سر) وعلى هذا بقية الكلام .. قالوا : ولكن لابد لاولها من ان يكون متواضعا بالمشاهدة والايماء قالوا : والقديم ـ سبحانه ـ لايجوز ان يوصف بان يواضع احدا من عباده على شيء ، اذ قد ثبت ان المواضعة لابد معها من ايماء واشارة بالجارحة ، نحو المومأ اليه والمشار نحوه . والقديم ـ سبحانه ـ لاجارحة له ، فيصبح الايماء والاشارة بها منه فبطل عندهم أن تصح المواضعة على اللغة منه ، تقدست اسماؤه .

قالوا : ولكن يجوز ان ينقل الله اللغة التي قد وقع التواضع بين عباده عليها ، بان يقول : الذى كنتم تعبرون عنه بكذا عبروا عنه بكذا ، والذى كنتم تسمونه كذا ، ينبغي ان تسموه كذا ، وجواز هذا منه ـ سبحانه ـ كجوازه من عباده ، ومن هذا الذى في الاصوات مايتعاطاها الناس الان من مخالفة الاشكال ، في حروف المعجم ، كالصورة التي توضع للمعميات(٥) والتراجم(٦) وعلى ذلك ايضا اختلفت اقلام ذوى اللغات ، كما اختلفت انفس الاصوات المرتبة على مذاهبهم في المواضعات ، وهذا قول من الظهور على ماتراه .

الا انني سألت يوما بعض اهله (٧) فقلت : ماتنكر ان تصح المواضعة من الله ـ تعالى ـ ؟ وان لم يكن ذا جارحة ، بأن يحدث في جسم من الاجسام خشبة او غيرها اقبالا على شخص من الاشخاص وتحريكا لها نحوه ويسمع في نفس تحريك الخشبة نحو ذلك الشخص صوتا يضعه اسما له ، ويعيد حركة تلك الخشبة نحو ذلك الشخص دفعات ، مع انه ـ عز اسمه ـ قادر على ان يقنع في تعريفه ذلك بالمرة الواحدة ، فتقوم الخشبة في هذا الايماء وهذه الاشارة مقام

جارحة ابن ادم في الاشارة بها في المواضعة ، وكما أن الانسان - ايضا - قد يجوز اذا اراد المواضعة عليه فيقيمها في ذلك مقام يده ، لو اراد الايماء بها نحوه ، فلم يجب عن هذا باكثر من الاعتراف بوجوبه ، ولم يخرج من جهته شيء - اصلا - فاحكيه عنه ٠

وهو عندى ، وعلى ماتراه الان لازم لمن قال بامتناع مواضعة القديم - تعالى لغة مرتجلة غير ناقلة لسانا الى لسان ، فاعرف ذلك ٠

وذهب بعضهم الى ان اصل اللغات كلها(٨) انما هو من الاصوات المسموعات كدوى الريح وحنين الرعد وخرير الماء وشحيج الحمار ونعيق الغراب وصهيل الفرس ونزيب الظبي ونحو ذلك ، ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد ، وهذا عندى وجه صالح ومذهب متقبل ٠

واعلم فيما بعد انني على تقادم الوقت ، دائم التنقير والبحث عن هـذا الموضع ، فأجد الدواعي والخوالج قوية التجاذب لي مختلفة جهات التغول على فكرى وذلك انني اذا تأملت حال هذه اللغة الشريفة الكريمة اللطيفة ، وجدت فيها من الحكمة والارهاق والدقة ، مايملك علي جانب الفكر ، حتى يكـاد يطمح به امام غلوه السحر ٠٠٠ وانضاف الى ذلك وارد الاخبار المأثورة بانها من عند الله - جل وعز - فقوى في نفسي اعتقاد كونها توقيفا من الله - سبحانه وانها وحي(٩) ٠

ثم اقول في ضد هذا ٠٠٠ على تأمل هذه الحكمة الرائعة الباهرة ، كذلك لاننكر ان يكون الله - تعالى - قد خلق من قبلنا ، وان بعد مداه عنا من كان الطف منا اذ هانا واسرع خواطر ، واجرأ جنانا فاقف بين تين الخلتين حسيرا ،

واكاثرهما فانكفىء مكثورا ٠٠٠ وان خطر لي خاطر ، فيما بعد ، يعلق الكف باحدى الجهتين ، ويكفها عن صاحبتها ، قلنا به ، وبالله التوفيق ٠

شرح الهوامش

(١) الخصائص ١/٤٠ فما بعد ٠

(٢) التأمل في اصل اللغة الانسانية ، تبقى نتيجته موضوع الاحتمالات والحدس والتخمين ، ولا يمكن للباحث فيه ان يصل الى حقيقة ثابتة والدارسون المحدثون انشعبوا الى فئات مختلفة المذاهب والنظريات في هذا المضمار كما انشعب المتقدمون ، غير ان منهم من ربط مشكلة اصل اللغة بتاريخ البشر على الارض ، ولما كانت المراحل الاولى لتاريخ الانسان غير مستندة بوثائق تاريخية ، فهي اذن وما يتبعها من فصول تبقى في حكم المجهول وهذا هو الذى يراه فندريس حين يقرر : ان مشكلة اصل اللغة تقع خارج مجال العالم اللغوى ٠ فالواقع ان المشكلة مرتبطة باصل الانسان والمجتمع وتنتمي الى التاريخ الانساني البدائي ٠

لقد نشأت اللغة بتطور المخ الانساني وتنظيم المجتمع ومن المستحيل ان نتبين الصورة التي اتخذتها اللغة الانسانية في اول الامر ٠٠٠ فندريس : اللغة ٦ ـ ٧ ٠

(٣) وكذلك قول ابي الحسن الاشعرى (٣٢٤ هـ) ومحمد بن فورك (٤٠٦ هـ) انظر : المزهر ١/١٦ وكذلك مذهب ابن فارس في الصاحبي ٣١ـ٣٤ ٠

(٤) هناك من قال : ان اللغة في اصل وضعها من الله ـ تعالى ـ ثم توسع الناس بها حسب حاجاتهم وممن قال بذلك أبو اسحق الاسفراييني (٤١٨ هـ) المزهر ١/١٦ ٠ وكذلك قول ابي بكر الباقلاني (٤٠٣ هـ : يجوز ان يثبت توقيفا ويجوز ان يثبت اصطلاحا ويجوز ان يثبت بعضه توقيفا وبعضه اصطلاحا والكل ممكن المزهر ١/٢٠ وكذلك سنرى ابن جني في اخر المطاف انه يتردد بين القولين مع ترجيحه مذهب المحاكاة الذى ذكره ـ في النص هنا ٠

ومذهب التوقيف الذى يشير اليه ابن جني ـ هنا ـ مذهب اهل السنة

والجماعة ومذهب الاصطلاح والتعارف ،هومذهب المعتزلة ومن قال بهمن زعمائهم ابو هاشم الجبائي (٣٢١ هـ) وحجتهم كما نقل السيوطي هي : ان اللغات لاتدل على مدلولاتها كالدلالة العقلية ، ولهذا المعنى يجوز اختلافها ولو ثبتت توقيفا من جهة الله ـ تعالى لكان ان يخلق الله العلم بالصيغة ، ثم يخلق العلم بالمدلول ، ثم يخلق لنا العلم بجعل الصيغة دليلا على ذلك المدلول ، ولو خلق لنا العلم بصفاته لجاز ان يخلق لنا العلم بذاته فبطل التكليف وبطلت المحنة · انظر المزهر ١/٢٠ ·

(٥) المعميات ، وتعرف في مصر بالشفرة ، وهي ان يضع الانسان بدل احرف الاسم الذي يريد اخفاءه احرفا جديدة ، فلا يستطيع الانسان ان يعرف حقيقة الاسم المطلوب ·

(٦) اى الكشف عن الاسماء المعميات · انظر خزانة الادب ٣/٢١٣ · نقد النثر ٢٥و٢٨ · صبح الاعشى : القلقشندى ٩/٢٣١ ففيها جميعا تفسير للمعمي والمترجم · قال قدامة ومن الظن العيافة والقيافة والزجر والكهانة واستخراج المعمى والمترجم من الكتب ·

(٧) يعني اهل الاعتزال ، ويريد به ـ هنا ـ ابا هاشم عبد السلام بن محمد الجبائي ٣٢١ هـ وقد مضت الاشارة الى مذهبه ، ومناقشة ابن جني له بهذا الكلام يشعر في اخره باستجابته لمذهبه وقبوله تفسيره لوضع اللغة ·

(٨) هو مذهب محاكاة الاصوات الطبيعية : وهو مذهب قديم امن به بعض فلاسفة اليونان والكثير من الدارسين المحدثين · واشارة ابن جني في هذا النص تدل على قدم هذه النظرة ·

(٩) مذهب ابن فارس في الصاحبي هو : انها توقيف وله في ذلك حجج يمكن تلخيصها كما ياتي :

أ ـ الدليل الاول هو قوله تعالى : وعلم ادم الاسماء ، المراد بالاسماء اسم كل

شيء او اسماء المخلوقات المعروفة او اسماء الملائكة او اسماء ذريته اجمعين .

ب ـ الاجماع على الاحتجاج باللغة المروية المتوارثة . ولو كانت مواضعة واصطلاحا ، لم يكن هؤلاء المتقدمون اولى من المتاخرين في الاحتجاج باللغة التي يتكلمون بها ويصطلحون عليها .

حـ ـ ان اللغة توقيف ، ولكنها لم تأت دفعة واحدة ، بل (وقف الله ـ جل وعز ـ ادم ـ ع ـ ماشاء ان يعلمه اياه مما احتاج الى علمه في زمانه ، وانتشر من ذلك ماشاء الله ... ثم قر الامر قراره ، فلا نعلم لغة من بعده حدثت، فان تعمل ـ اليوم ـ لذلك متعمل ، وجد من نقاد العلم من ينفيه ويرده .

د ـ لم يصل الى علم ابن فارس في عصره ان احدا من العرب المتأخرين اجمعوا على تسمية شيء من الاشياء مصطلحين عليه ، حتى يمكن الاستدلال به على اصطلاح اللغة عند من كان قبلهم . ينظر : الصاحبي في فقه اللغة : ابن فارس (ط بيروت) ٣١ـ٣٢ .

باب القول على لغة العرب

آتوقيف ؟ ام اصطلاح؟(١)

اقول : ان لغة العرب توقيف ، ودليل ذلك قوله ـ جل ثناءوه » وعلم ادم الاسماء كلها»(٢) ٠

فكان ابن عباس يقول : علمه الاسماء كلها ، وهي هذه الاسماء التـــي يتعارفها الناس من دابة وارض وسهل وجبل وجمل وحمار واشباه ذلك من الامم وغيرها ٠

وروى خصيف عن مجاهد(٣) قال : علمه اسم كل شيء ٠ وقال غيرهما : انما علمه اسماء الملائكة ٠ وقال اخرون : علمه اسماء ذريته اجمعين ٠

والذى نذهب اليه في ذلك ماذكرناه عن ابن عباس ، فان قال قائل : لو كان ذلك كما تذهب اليه لقال : ثم عرضهن او عرضها فلما قال : عرضهم علم ان ذلك لاعيان بني ادم او الملائكة ، لان موضوع الكناية في كلام العرب أن يقال لما يعقل عرضهم ولما لايعقل عرضها او عرضهن ٠ قيل له : انما قال ذلك ـ والله اعلم ـ لانه جمع مايعقل وما لايعقل ، فغلب مايعقل وهي سنة من سنن العرب اعني باب التغليب وذلك كقوله ـجل ثناؤه ـ «والله خلق كل دابة منماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ، ومنهم من يمشي على اربع يخلق مايشاء ان الله على كل شيء قدير»(٤) ٠

---

(١) الصاحبي ٣٩ فمابعد ٠ وفي المزهر للسيوطي ١/٨ وما بعدها ٠

(٢) سورة البقرة / ٣١ ٠

(٣) خصيف : هو خصيف بن عبد الرحمن الجزرى ، ترجمته في تهذيب ابن حجر ٣/١٤٣ ٠ ومجاهد بن جبير القريشي المكي : تابعي توفي ســنة ١٠٣ هـ طبقات القراء ٢/٤١ ٠

(٤) سورة النور / ٤٥ ٠

فقال : منهم تغليبا لمن يمشي على رجلين ، وهم بنو ادم ·

فان قال : افتقولون في قولنا : سيف وحسام وعضب الى غير ذلك من اوصافه : انه توقيف حتى لايكون شيء منه مصطلحا عليه ؟ قيل له : كذلك كذلك نقول ، والدليل على صحة مانذهب اليه اجماع العلماء على الاحتجاج بلغة القوم فيما يختلفون فيه او يتفقون عليه · ثم احتجاجهم باشعارهم ، ولو كانت اللغة مواضعة واصطلاحا لم يكن اولئك في الاحتجاج بهم باولى منا في الاحتجاج بنا لو اصطلحنا على لغة اليوم ولا فرق ·

ولعل ظانا يظن ان اللغة التي دللنا على انها توقيف انما جاءت جملة واحدة في زمان واحد ، وليس الامر كذلك بل وقف الله ـ جل وعز ـ ادم ـ عليه السلام ـ على ماشاء ان يعلمه اياه مما احتاج الى علمه في زمانه ، وانتشر من ذلك ماشاء الله ، ثم علم بعد ادم ـ ع ـ من عرب الانبياء ـ ص ـ نبيا نبيا ماشاء الله ان يعلمه حتى انتهى الامر الى نبينا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فاتاه الله ـ جل وعز ـ من ذلك مالم يؤته احدا قبله تماما على ماا حسنه من اللغة المتقدمة · ثم قر الامر قراره فلا نعلم لغة من بعده حدثت ، فان تعمل اليوم لذلك متعمل ، وجد من نقاد العلم من ينفيه ويرده · ولقد بلغنا عن ابى الاسود ان امرأ كلمه ببعض مانكره ابو الاسود ، فسأله ابو الاسود عنه ، فقال هذه لغة لم تبلغك فقال له : ياابن اخي انه لاخير لك فيما لم يبلغني فعرفه بلطف ان الذى تكلم به مختلق ·

وخلة اخرى : انه لم يبلغنا ان قوما من العرب في زمان يقارب زماننا اجمعوا على تسمية شيء من الاشياء مصطلحين عليه ، فكنا نستدل بذلك على اصطلاح قد كان قبلهم · وقد كان في الصحابة ـ رض ـ وهم البلغاء والفصحاء من النظر في العلوم الشريفة مالا خفاء به · وما علمناهم اصطلحوا على اختراع لغة او احداث لفظة لم تتقدمهم · ومعلوم ان حوادث العالم لاتنقضي الا

بانقضائه ، ولا تزول الا بزواله وفي كل ذلك دليل على صحة ماذهبنا اليه في هذا الباب ٠

التعليق

من خلال هذا النص تتضح امامنا عدة ملاحظات حول نظرية التوقيف عند ابن فارس ولعل ابرز مافيها هو انقطاعه الى هذا القول ، واعتناقه بحرارة ، والدفاع عنه بحجج يعتقد انها هي الاسس الصحيحة في يقينية هذه النظرة دون سواها ٠

واول مايبدو لنا من مذهبه هو اعتماده على ماورد في القرآن الكريم من قوله ــ تعالى ــ : « وعلم ادم الاسماء كلها » ومن خلالها يبدو الاتي :

١ ــ ان المراد بالاسماء كلها هو انه ــ تعالى ــ علمه كل شيء في الوجود ، وخصوصا اسماء الاشياء التي يتداولها الناس فيما بينهم ، والتي تعيش بين ظهرانيهم وفي حياتهم العامة والخاصة ٠ واحتج لذلك بان الله ــ تعالى ــ قد قال ثم عرضهم بضمير جمع العاقلين ، تغليبا لهذا الضمير على ضمائر غير العاقلين ، وهذه سنة من سنن العرب في كلامها وقوى مذهبه هذا بايراد اية من القرآن الكريم غلب فيها العاقلون على غير العاقلين بقوله تعالى (ومنهم من ٠٠

٢ ــ واكد نظرية التوقيفية بان عد الاسماء وما يتبعها من صفات كالسيف والحسام والعضب توقيفا كذلك ، محتجا لذلك بان العلماء مجمعون على الاحتجاج بالشعر القديم ، ولو كانت اللغة اصطلاحا لما احتاج العلماء الى الكلام القديم ليستشهدوا به ، ولما كان المتقدمون وكلامهم اولى من المتاخرين وكلامهم ، لان اصطلاح اللغة ومواضعتها يجعلها في مستوى واحد من الاهمية ولا فضيلة لمتقدم على متاخر في ذلك ولا العكس ٠

٣ ـ ويرى ان اللغة ـ وهي توقيف ـ لم تأت مرة واحدة بل علم الله ادم الاشياء التي تدور في محيطه ، ليستطيع التواصل بها ، ثم انقضى هذا العهد وتلت عهود اخرى وجدت امور على عصور الانبياء ، فعلم الله انبياءه ماشاءوا وما احتاجوا من اللغة حتى عهد نبينا محمد ـ ص ـ فاعطاه جوامع الكلم وعلمه مالم يعلم أحدا غيره ممن تقدم ، واستقرت اللغة على هذا الحال ، ولم يضع احد لغة بعد النبي ـ ص ـ ولو حاول احد ان يولد او يحدث لرد وانتقد ، وقوى هذه النظرة بما نقل عن ابي الاسود من خبر .

٤ ـ ولما لم ير ابن فارس احدا من الناس ولا قوما يجمعون على وضع شيء من اللغة ، او يصطلحون على وضع اسم لمسمى من زمن الصحابة ـ وهم البلغاء الفصحاء ـ حتى عصره ، اتخذ من ذلك دليلا على ان اللغة توقيف .

٥ ـ والواقع ان ابن فارس بدأ حديثه عن لغة العرب وحصر القول فيها ، وكأنما اللغة ـ هي العربية وحدها ـ وليس ثمة لغات اخرى ، وهذه نظرة ضيقة ولكنه حين يمضي في حديثه يبين من خلاله انه عمم النظرة ، واصبح حديثه يجري على سائر اللغات دون العربية ، وذلك حين تحدث عن لغة ادم ، ومن وليه ، ومع انه قال من عرب الانبياء الا انه لم يرد العربية وحدها ـ لانه يعلم ان ثمة اية تقول : « وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه» ثم تنحصر نظرته ثانية في العربية حتى ينتهي حديثه وذلك واضح من عباراته :

أ ـ اجماع العلماء على الاحتجاج بلغة القوم .

ب ـ حتى انتهى الامر الى نبينا محمد ـ ص ـ فاتاه الله ..

حـ ـ انه لم يبلغنا ان قوما من العرب في زمان يقارب زماننا اجمعوا ..

د ـ فهذا كله يدل على ضيق النظرة وعدم اطلاقها على اللغة الانسانية بشكل عام فضلا عن انه بدأ حديثه بقوله : ان لغة العرب توقيف ٠

ثانيا ـ الكتابة والخط

ان وجود الكتابة لأول مرة في تاريخ البشرية قد يرجع الى عوامل مختلفة، ابرزها العامل الحضارى ، لكونها اداة لحفظ القيم الحضارية والتقدمية في المجتمعات البشرية ، كما انها مقياس دقيق لهذه القيم ، وترتبط الكتابة في ازدهارها وانتعاشها بقضية استقرار الشعوب ونشأة المدن ، وتنظيم الحياة والمجتمع ، ويربط ابن خلدون وجود الكتابة وازدهارها بازدهار عنصر من عناصر الحياة ، وهو الصناعة والمهن ، اذ تمثل الكتابة مهنة يدوية تنمو وتتطور بتطور هذا الجانب في حياة الشعوب(١) ٠

على أن ثمة عوامل اخرى لاتقل اهمية عن عامل تقدم المجتمع وتحضره واستقراره ، لها اثر واضح في وجود الكتابة والخط في المجتمعات القديمة ، وهو ارتباط الخط بالرسم والفن ، ومن ثم ارتباطه الروحي بالدين والكهانة والسحر فلقد حاول الانسان الاول ان يقلد صور المخلوقات الاخرى التي تعايشه كأنواع الحيوان ،وخصوصا الحيوانات التي تنزل فينفسه منزل القدسية والجلال ،فكان يقدس لاجلذلك رسومه وخطوطه وكتاباته ،وفي محاورة سقراط لفيدوس يتبين لنا قدسية الخطوط والكتابات في نظر سقراط الفيلسوف ، اذ ان الالة (توت) المخترع يخبر ملك مصر بأهمية اختراع الكتابة ـ اكسير الحكمة ـ مما جعل الكتاب يتلقونها منه ويحاولون تقليده ، ومن ثم يقدمونها لانها اختراع الهي لابشرى(٢) ٠ ومن ـ هنا ـ شاعت فكرة كون الكتابة توقيفا والهاما ،

(١) العصبية والدولة ، فكر ابن خلدون : محمد الجابرى ٢٣١ ٠

(٢) تاريخ العلم ١/٢٥٢ـ٢٥٣ ٠ جورج سارتون ، ترجمة ابراهيم بيومي مدكور وجماعته ٠

لاصطلاحا وتعارفا بين البشر ، واصبحت هذه النظرية مرتبطة – اصلا – بقضية نشأة اللغة البشرية الاولى التي يعتنقها اللاهوتيون من فلاسفة اليونان والكنسيون والاباء من علماء الدين في المسيحية واليهودية ، بل لقد اعتقد المسلمون بتوقيفيتها عندما نسبوا وضعها وابتداعها الى الانبياء ، يقول القلقشندي وقد عرف ان الذين وضعوها وابتدعوها ورسموا رسومها هم الانبياء – ع – (١) ..

ويبدو ان الكتابة قد اتخذت مراحل في تطورها ، حتى اصبحت فنا قائما برأسة ، ولعل بدايتها كانت قد مرت بمرحلة التصوير والرسم للمحسوسات والمخلوقات التي تعيش الى جانب الانسان ، كصورة الاسد والفرس ، ليتخذ من ذلك رموزا للقوة والعنفوان والكبرياء ، غير ان هذا النمط لم يتعد الماديات وبقي مقصورا عليها ، قاصرا عن ان يعطي معاني كلية او افكارا مجردة يريد التعبير عنها . وهو على اية حال مرحلة بدائية ظهرت اثارها في تراث العراقيين القدماء ، والصينيين والهنود والمصريين .

ثم تحولت هذه المرحلة الى ماهي اكثر تقدما وادق تحديدا ، عندما استخدم الرمز اسلوبا للتعبير عن معان اكثر دقة وشمولية ، فقد استعاض الكتاب عن صورة الشيء بلوازمه ، فرسم (القلم) رمز معبر عن الكتابة او الرسم او الخط ، وتطور الرمز والصورة الى وجود المقطع الصوتي الخالي من اصوات المد والعلة ، ثم جاء بعد ذلك طور ارتباط الرمز بالصوت ، ولم يعد للصورة مكان في الدلالة .. وبذلك تكون الكتابة قد قطعت اشواطا بعيدة في تطورها وتكونها (٢)

وهنا سؤال يطرح نفسه ، هل واكبت الكتابة ، نشأة اللغة الاولى ؟

---

(١) صبح الاعشى ١/٣٩ .

(٢) تاريخ العلم ١/١٦٠ .

من الطبيعي والمعقول ان تكون اللغة اقدم من الكتابة ، لان الكتابة وجدت وسيلة لحفظ اللغة ، كما ان الكتابة وجدت بعد ان مر الانسان بمراحل طويلة من حياته ، انتقل فيها من حياة البدو والتنقل والهمجية الى حياة الاستقرار والتحضر وسكنى المدن ، والازدهار التجارى والصناعي والفكرى ، مما هيأ الجو المناسب لظهور الكتابة – حدثا تاريخيا طارئا – عندما اكتملت الشروط ودعت الضرورات اليها ، وبذلك اصبحت الكتابة وسيلة لنقل اللغة من ابعادها الزمانية الى ابعاد مكانية ، كما اصبحت اداة من ادواتها المهمة ، تتم وظيفة اللغة ، وترتبط بها ارتباطا كليا ، اذ ان وجود الكتابة متوقف على وجود اللغة ، غير ان مايحصل للغة من تطور وتغير تعجز الكتابة عن مسايرته ، اذ لا تستطيع الكتابة التعبير عن كل الاصوات التي تكون طبيعية ومكتسبة(١) ٠

وكانت الرسوم والكتابات تقيد تفكير الانسان ، وتحفظ له ادابه ونشاطاته ، وكان (الطين) يمثل بداية مرحلة التقليد والحفظ للماثر والاعمال الانسانية ، حتى نقل ابن النديم ان ادم – ع – كان يكتب على الطين(٢) ٠ والثابت في الدراسات التاريخية والبشرية ان السومريين سكان العراق الاصليين كانوا يكتبون على الطين بخطهم المسمارى المعروف ، لاعتقادهم بأن الطين مادة تعيش عمرا طويلا دون ان يؤثر فيها تطاول الزمن او يتلفها ، ولعل هذه الفكرة هي التي حدت بالشعوب القديمة ان تسجل كثيرا من مظاهر حياتها وماثرها الحضارية والفنية على الاعمدة ولوحات القبور وجدران المعابد ، وتنوعت وسائل حفظ الكتابة ، بشكل يدل على حرص الشعوب القديمة على اختيار المادة التي تعيش عمرا اطول ، كمادة الطين الجاف – لذلك كان الحجر والصخور والورق والجلود والعظام ٠٠٠ في طليعة المواد المستخدمة لهذا الشأن ٠

---

(١) علم اللغة ٠ وافي ٢٧٣ – ٢٧٦ ٠

(٢) الفهرست ٣١ ٠

وظلت هذه الوسيلة تعيش مع الانسان فترة طويلة من حياته ، حتى اخترع المصريون – ورق البردى – المأخوذ من لب السيقان الطويلة لنبات البردى ، وهو نبات يزرع على شواطيء النيل يزال قشره ويقطع لبه في شرائح عريضة وتصقل صقلا جيدا بعد ان يجفف ويصبح جاهزا للكتابة عليه(١) ٠

وتأثرت كثير من امم الارض بهذه الصناعة المصرية ، فحاول اليونان الاستفادة من البردى المصرى ، فجلبوه من مصر واطلقوا عليه (بابلوس : Byblos

فاشار ابن النديم الى صناعة المصريين للقرطاس فقال : وكتبوا على الخشب وورق الشجر ، ثم دبغت الجلود فكتب الناس فيها ، وكتب اهل مصر في القرطاس ويعمل من قصب البردى ، وقيل : اول من عمله يوسف النبي (٢)

واشارة ابن النديم الى ان اول من عمله هو يوسف لاتخلو من النظرة القائلة ، بان التوقيف والالهام اساس المعرفة الانسانية ، وهو رأى يتساوق مع نظرية التوقيف في نشأة اللغة ثم الكتابة ، وما يتعلق بها من لوازم وادوات ٠

واطلق اليونانيون على مادة البردى المجلوبة لهم من مصر اسم : CHARTA ثم اخذتها اللاتينية بنفس الدلالة ، وماتزال في الايطالية – اللاتينية – تنطق : Charta وصلة هذه اللفظة بلفظ (كاغد) العربية قريبة واضحة ٠ فالغين تقابل الراء ولا سيما في اللغة الفرنسية – اللاتينية – والتاء هي الدال في اللفظ العربي ، وقد لاحظ ذلك العلماء المتقدمون فقالوا في (الكاغد)(٣) : يتخذ من بردى مصر ، وكل كاغد قرطاس ٠

---

(١) تاريخ العلم ١/٨١–٨٢ ٠

(٢) الفهرست ٣١ ٠

(٣) صبح الاعشى : القلقشندى ١/٤٧٤ ٠

واتخذ (القلم) اداة للكتابة منذ اقدم العصور ، ونزل منزلة مقدسة في حياة الشعوب ونسبت بعض الروايات الكتابة بالقلم في اوليات وجوده الى النبي ادريس ـ ع ـ(١) واقسم القرآن الكريم به ، فقال ـ تعالى ـ :(ن والقلم وما يسطرون)(٢) وهذه النظرة الى تقديس القلم تتماشى مع النظرة الى تقديس اللغة والكتابة والخط عند الذين يؤمنون بتوقيفية ذلك من الله .

انواع الخطوط القديمة

ان ثمة اختلافا بين المؤرخين لحياة الشعوب والاجناس القديمة ، يتمثل في اى الشعوب القديمة اسبق في اختراع الكتابة ، وينحصر معظم الخلاف في الشعبين : العراقي والمصرى ، والمعروف ان الحضارة البابلية ترجع في تاريخها الى القرن الخامس والثلاثين قبل الميلاد ، فضلا عن انها مسبوقة بحضارة السومريين قبل هذا التاريخ بفترة غير معروفة على وجه التحديد ، والسومريون هم الذين عرفوا بالخط المسمارى الذى اخذه عنهم البابليون ، في حين كانت الامبراطورية المصرية قد بلغت ذروتها الحضارية في القرن السادس قبل الميلاد(٤) .

ومن ـ هنا ـ فقد عرفت في تاريخ الكتابة والخطوط انواع متعددة بعد هذين النوعين المذكورين ، ويمكننا ان نستعرض بشكل موجز اهم مميزات الخطوط القديمة ، ومراحل تطورها ، محيلين لمن اراد التوسع على المعنيين بها في مؤلفاتهم :

١ ـ الخط السومرى : وهو المعروف بالمسمارى وموطنه بلاد سومر في جنوب

(١) عيون الاخبار ٤٩/١ .
(٢) المزهر ٣٥١/٢ .
(٣) تاريخ العلم ٢٠٦/١ .

العراق ، وقد عرف عند الافرنج بالخط (المثلث) او (الاسفيني) وعرف عند اليهود (بخط الاوتاد)(١) وسماه العرب بالمسمارى لانه يشبه المسمار في شكله المدبب الرؤوس .

وقد كتب به السومريون ، وظل مستعملا مدة طويلة من الزمن ، ولكنه لم يتطور الى مرحلة الهجائية ، وكان الخط به يكون بوضع المسمار عموديا على رقعة الطين الطرية ويضغط عليها ابتداء من الشمال وانتهاء باليمين حتى تنتهي الكتابة ، ثم تجفف وتحرق لتتحول الى قطعة منخورة .

ومع انتشار هذا النوع من الخط الا انه لم يدخل الجزيرة العربية ، وربما يرجع ذلك الى طبيعة ارض الجزيرة العربية الرملية .

٢ ـ الخط الهيروغليفي : وهو الذى عرفته الكتابة المصرية القديمة ، وتسميته بالهيروغليفي ، اى : المقدس ، ويعتمد الخط الهيروغليفي على التصوير . وقد مر باطوار هي طور تصوير الاشياء ، ثم طور الرموز البسيطة والمركبة ثم طور تكوين الصوت والمقطع ....

ثم الطور الهجائي ، وقد امتدت هذه الاطوار حقبة طويلة تبتدىء من حوالي القرن العشرين قبل الميلاد حتى القرن الرابع قبل الميلاد حيث وجد مايعرف بالكتابة المختزلة(٢) . فقد كان عدد رموزه القديمة حوالي (٧٣٠) رمزا ، ثم اختزلت الى (٢٢٠) رمزا ، ثم الى (٨٠) رمزا في اخر المطاف ، في حين عرف الخط المسمارى (٣٥٠) رمزا ثابتا . وهذا يجر الى القول بان الخط الهيروغليفي قد لقي تطورا كبيرا في حين استقر الخط المسمارى على مسيرة واحدة ثابتة ، وربما يرجع السبب في ذلك الى ان الخط المصرى قد استخدم ورق البردى مادة لتطوير الخط والتفنن فيه ، بينما بقي الطين مادة لاتسمح بالتطور الكبير . فتكيف للخط المسمارى ولازمه.

---

(١) تاريخ اللغات السامية : ولفنسن ١/٣٤ .

(٢) تاريخ العلم ١/٨٥ .

٣ ـ الخط السامي الاكدى : تعلم الاكديون الكتابة من السومريين بعد ان اقاموا دولتهم في حدود (٣٦٠٠ ق ٠ م) على انقاض دولة السومريين ، واخذوا عنهم الخط المسمارى ، ولكنهم حاولوا تطويره ، فادخلوا عليه الرسم الصوتي المقطعي ، فاصبحت بعض علاماته ترمز الى مقطع صوتي مجرد من الدلالة ، وربما تكون المقطع من صوتين او اكثر(١) ٠ وعرف الخط الاكدى الكتابة من الاعلى الى الاسفل ، ثم تحول الى الكتابة الافقية من الشمال الى اليمين ٠

وحاول الاشوريون ان يطوروا شيئا بالكتابة البابلية وان يدخلوا بعض التبسيط والتعديل عليها ، ولكنهم في العموم بقوا على نفس الخط المسمارى الذى كتبت به الشعبة البابلية ٠

٤ ـ الخط الكنعاني : نشأ الخط الكنعاني في الشام ـ موطن الكنعانيين ـ في حدود القرن السادس والعشرين ق٠م ،ولكننا لم نعثر على نقش كتب به شيء بهذا الخط في الاثني عشر قرنا الاولى من حياة الشعب الكنعاني ، وانما عثر على نقوش كتبت بالخط المسمارى البابلي ترجع الى القرن الرابع ق ٠ م ٠ ولعل سبب ذلك يرجع الى ان الخط المسمارى كان قد ساد المنطقة قبل مجيء الكنعانيين ، فما كان للكنعانيين ان يحيدوا عنه في سنوات حياتهم الاولى فكتبوا به ، غير ان ظروف معيشتهم المعتمدة على التجارة والعلاقات القائمة بينهم وبين الشعوب الاخرى ، هيأ لهم التأثر بهم ، ونقل ماعندهم من مظاهرة الحضارة ، فاخذوا عن المصريين مايقرب من نصف احرف الكتابة الهيروغليفية او يزيد ، وكان الفينيقيون اول من تأثر بالكتابة المصرية(٢) ٠

---

(١) فقه اللغة : د٠ علي عبد الواحد وافي ٢٦ـ٢٧ ٠

(٢) اللغة بين المعيارية والوصفية : د٠ تمام حسان ١٣٧ ٠

وربما يكون الكنعانيون قد اخذوا بعض الشيء من الخط المسمارى وطوروه الى مايناسب ذوقهم الفني ومزجوه بالخط المصرى ، واضفوا عليه شيئا من سماتهم وشخصيتهم ، فاصبح ماعندهم يتسم بطابع خاص ، يبعد في الكثير من خصائصه الفنية والشكلية والجمالية عن اصوله ، ولعل هذا هو الذى حدا باسرائيل ولفنسن الى القول بان الخط الكنعاني (ليس الا من صنع الكنعانيين واختراعهم وحدهم ، لانه لادليل ـ مطلقا ـ على وجود ابجدية حرفية من هذا النوع عند غيرهم من الامم) ثم قال (ولايمنع هذا ان مخترعي هذا الخط كان لهم المام بالخط الهيروغليفي والخط المسمارى ، وانهم استعانوا ببعض صور وعلامات هذين الخطين على اختراع خطهم الجديد)(١) ٠

واهم مايميز به الخط الكنعاني هو :

١ ـ وجود رسم هجائي يرمز كل حرف فيه الى صوت مفرد ٠

٢ ـ خلوه من الصوائت ٠

٣ ـ الكتابة الافقية من اليمين الى الشمال ٠

وقد بقيت هذه الخصائص ملازمة لفروع الخط الكنعاني ، كالاوكريتنى والعبرى ، فالعبرى ـ مثلا ـ يتألف من (٢٢) حرفا ، ويكتب من اليمين الى الشمال ، متفرق الحروف غير مضبوط بالشكل ، خاليا من الصوائت ، غير انه لقي تطورا كبيرا عندما اصطدم في تاريخ حياته بخطوط وكتابات لغات اخرى كالخط الارامي ٠

٥ ـ الخط الارامي : يتحدد وجود الاراميين بالقرن السادس عشر ق ٠ م وانتشروا انتشارا واسعا مما هيأ للغتهم ان تنتشر في اصقاع متباعدة ، فتأثرت كتابتهم بالخطوط الموجودة قبلهم ، ولا سيما (الفينيقية) ولكنها بدأت بعد سيطرتهم على شمال وشرق الجزيرة والعراق باتخاذ خصائص

(١) تاريخ اللغات السامية ٩٩ ٠

متميزة وثابتة ، وحين تكونت لهم لهجات مختلفة متباينة تنوعت الكتابة نوعا ما بحسب فروع الارامية ، وتكونت الكتابة (السطرنجلية) التي كتب بها السريان ، فعلى الرغم من الاتفاق بين الخط السطرنجلي ، والخط الارامي الاصلي من حيث القواعد العامة واشكال الحروف ، والافقية من اليمين الى الشمال الا ان له خصائصه المميزة عن سائر فروع الاراميات ، وله تأثير كبير على الخط العربي(١) .

٦ ـ الخط اليمني : وهو الخط المعروف (بالمسند) كتب بـه عـرب الجنوب القحطانيون ، ويرى الدكتور البهبيتي(٢) : اصالة هذا الخط ، ويعده ابا الكتابات في العالم ، وان الهجائية الفينيقية قد بنت عليه اصولها ، وهو رأى خلاف ماهـو مشهور بيـن الدارسين مـن ان الخط اليماني (المسند) مستمد من الكنعاني ، وقد اشرنا الى ذلك في حديثنا عن لغة القحطانيين الجنوبية ، وبينا ما يتميز به الخط (المسند) من خصائص شكلية وفنية ، ونشير ـ هنا ـ الي ان القلقشندي يرى انه انما سمي بالمسند لانهم كانوا يسندونه الى هود ـ ع ـ(٣) .

٧ ـ الخط العربي : من المقطوع به ان العرب كانت تعرف الكتابة ، وقد ثبت ذلك لدى الدارسين والباحثين تاريخيا ، كما اشار القرآن الكريم الى (الخط باليمين)و (مايسطرون)و (من اقلام)... الى غير ذلك من الاشارات التي تدل على معرفتهم بالكتابة وأدواتها من اقلام وحبر وصفحات وكتاب وقراطيس وصحيفة .. فضلا عما روى من ان النعمان كان يمتلك ديوانا فيه اشعار الفحول وما مدح فيه هو واهل بيته(٤) . ولذلك كان الكثير

---

(١) تاريخ اللغات السامية : ولفنسن ١٦٠ .
(٢) تاريخ الشعر العربي ١٩٤ .
(٣) صبح الاعشى ٣/١٣ .
(٤) طبقات فحول الشعراء : ابن سلام ١٧ . والصاحبي : ٣٤

من الباحثين كغوستاف لوبون والدكتور البهبيتي وبروكلمان يؤمنون بان العرب تعرف الكتابة ، ودونت بها كثيرا من اثارها وتواريخها منذ مالا يقل عن عشرة قرون قبل الاسلام (١) ٠ والا فبماذا نفسر مثل قول لبيد :

وجلا السيول عن الطلول كانها   زبر تجد متونها اقلامها

ثم بماذا نفسر قوله تعالى :(ياايها الذين امنوا اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه ، وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب ان يكتب كما علمه الله) :

اليس في هذا كله مايعبر عن فهم العرب للكتابة ومعرفتهم بها حاق المعرفة٠ انهم كانوا يعرفون الخط والكتاب ٠ يكتبون وينقشون على الحجر ويؤرخون لعظمائهم وملوكهم ولكن ذلك لايعني أن الكتابة كانت تمثل مظهرا متميزا من مظاهر حضارتهم ، ولا خصيصة من خصائصهم ، لانهم كانوا بدوا مترحلين ، والكتابة مظهر حضاري يلازم الاستقرار والتمدن : ولذا يمكن القول بان الكتابة في العرب كانت مقصورة على عدد قليل جدا ، وفي نطاق ضيق من اصقاع الجزيرة العربية ، وهذا هو السبب الذي دعا النبي ـ ص ـ الى ان يطلب من الاسرى في بدر أن يعلموا المسلمين الكتابة لقاء اطلاق سراحهم وحريتهم ٠

فاذا ثبت لدينا ان بعض العرب كان يعرف الكتابة ، فما شكل الخط العربي ؟ وما اصوله ؟ ومن اين أنحدر اليهم ؟

لابد قبل معرفة هذه الانماط من الاسئلة واجوبتها ان نشير الى ان ثمة اختلافا بين علماء العربية حول اصول الخط ، ووضعه ، فهناك من يرى انه (توفيق من الله) (٢) وانه الهم به اسماعيل ابو العرب ٠

---

(١) تاريخ الادب العربي : بروكلمان ٦٣/١

(٢) الضاحي ٣٤ ٠

ونقيض هذا المذهب ان الخط والكتابة من وضع البشر واصطلاحهم ٠ وعليه فمن الباحثين من يرى ان الخط المسماري السومري فالبابلي الاشوري هو اساس الخط العربي ، على فرض ان العرب ساميون ويمثلون امتدادا طبيعيا للموجات السامية الاولى التي عرفت الخط المسماري القديم ٠

فهل كان الاصل الاول للخط العربي : الخط البابلي او الخط الكنعاني او الحيري او الارامي ؟

ان الباحثين يتوزعون هذه الاصول جميعها ولا يكادون يستقرون على واحد منها ٠ فمن قائل : ان اصل الخط العربي ، هو الخط الحيري (١) الذي كان يكتب به نصارى الحيرة فاقتبسه العرب وكتبوا به القرآن ٠ ومن قائل : انه مشتق من الخط الارامي السرياني ، ومن قائل : انه من الخط المسند ٠

ومن قائل انه منحدر من الخط النبطي ٠٠ والكثير من الدارسين المحدثين يرون ان هذا الاتجاه الاخير لايبعد عن الحقيقة ٠

ويرى باحثون اخرون : انه لابد من ان يكون منحدرا من الخط (المسند) (٢) لوجود التقارب اللغوي بين اللهجات العربية البائدة والباقية ، المتمثلة في النقوش التي عثر عليها في النمارة ٠ و بصرى ٠

والحقيقة التي يمكن ان تخلص اليها ــ هنا ــ هي ان جميع هذه الاقوال لم تستند الى مايقوى اتجاهها ويؤكد صحتها ، لذلك ارى ان الخط العربي ، انما هو مرحلة متطورة ناضجة لمراحل الخط السامي الاول الذي بدأ ببداية الموجات السامية الاولى ، مع الاكديين في العراق وهو الذي كان يستخدم (المسمار) اداة لرسمه بمثابة مرحلة من مراحله الاولى ، وشاع في اكثر بلاد

---

(١) تاريخ اداب اللغة العربية : جورجي زيدان ١٩٩ ٠

(٢) دراسات في فقه اللغة ٥٦ ٠

السامييين يومئذ مما ادى الى ان يكتب به الكنعانيون حوالي الف ومئتي عام بحيث دخل في طور جديد بعد ذلك ، ثم تناوله الاراميون وتشعب على ايدى مجتمعاتهم الشرقية في العراق ، والغربية في فلسطين والشام ، واتخذ اشكالا مختلفة ـ نوعا ما ـ في شمال الجزيرة على يد الثموديين واللحيانيين ، وفي جنوب الجزيرة على يد العرب القحطانيين ، فكان يمثل في كل زمن ومكان طورا ومرحلة من مراحل التقدم والتطور والنضج حتى استوى على الصورة التامة في العربية الباقية ٠

ولعله ليس من الغريب ان نرى هذا الرأى ، وبين ايدينا ـ اليوم ـ ما يشير الى ظاهرة اختلاف الكتابة في المجتمع العربي الواحد من مشرقه الى مغربه ، فان العديد من صور الحروف قد تغيرت بين المشرق والمغرب فصورة الضاد (ض) المشرقية تختلف عن الضاد المغربية (ض) والفاء المشرقية (ف) معجمة من فوق ، في حين يعجمها المغاربة من تحت ، والقاف المشرقية معجمة من فوق باثنتين ، وهي معجمة عند المغاربة بواحدة من فوق ، وحلول الصوائت الطويلة في مثل (هاشيم) و (راشيد) عند المغربيين بدل الصوائت القصيرة عند المشارقة في (هاشم) و (رشيد) وان كانت خطأ املائيا ، تمثل ظاهرة من ظواهر التغير في الكتابة ، والخط ، على الرغم من انتماء الخطين الى لغة واحدة ٠

وثمة سؤال يطرح نفسه ـ الان ـ : هل الخط الذى كتب به العرب في جاهليتهم والذى قررنا انه تطور عن الخطوط السامية القديمة ، بقى هو نفسه يكتب به المسلمون وبنفس الاعجام والرسوم الحرفية التي توارثناها عنهم اليوم ؟

ان هناك رأيا يذهب الى ان العرب كتبت في جاهليتهم ثلاثة قرون على اقل تقدير بهذا الخط الذى عرفه بعد ذلك المسلمون ، وقد اصبحت معرفة الجاهلية بالكتابة معرفة قديمة امرا يقينيا ، يقرره البحث العلمي القائم على

الدليل المادى المحسوس ، وكل حديث غير هذا لايستند الا الى الحدس والافتراض ٠

هذا الرأى تبناه الدكتور ناصر الدين الاسد(١) وقد اكد صحته باكثر من مستند تاريخي ووثيقة اثرية ٠ فقد اعتمد على نقوش وجدت في القرن الثالث الميلادى ، نقش منها مؤرخ في سنة ١٠٦ م من سقوط سلع ، ونقش وجد في طورسينا ، واخر في المكان نفسه ، ورابع في مدائن صالح سنة ٢٦٧ م ، واخر في حوران ٢٧٠م ٠ وجميع كلمات هذه النقوش تتفق وصورة الكلمات العربية ٠

وعثر على نقش في النمارة يرجع الى القرن الرابع (٣٢١م) صورته قريبة جدا من الخط العربي الاسلامي ٠

وفي القرن السادس الميلادى عثر على نقشين اولهما : نقش في (زبد) بين قنسرين ونهر الفرات (٥١١ م) وهو شديد الصلة بالخط الكوفي الاسلامي ٠

والنقش الاخر (٥٦٨م) عليه كتابات يونانية وعربية عثر عليه شمال جبل الدوز(٢) ٠ ان جميع هذه النقوش تؤكد ان المسلمين قد توارثوا رسم الخط العربي الذى مازالت فنونه وصوره الجميلة تتطور من عرب الجاهلية باعجامه وروابطه المتعانقة بين حروفه ٠

---

(١) مصادر الشعر الجاهلي ٣٣ ٠
(٢) المصدر نفسه ٢٥ـ٣١ ٠

نظرة ابن فارس(١)

والذي نقول فيه : ان الخط توقيف وذلك لظاهر قوله – عز وجل – (اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم ، الذي علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم(٢) .

وقال – جل ثناؤه – :(ن والقلم وما يسطرون)(٣) واذا كان كذا ، فليس بعيدا ان يوقف ادم – ع – او غيره من الانبياء – ع – على الكتاب ، فاما ان يكون مخترع اختراعه من تلقاء نفسه فشيء لانعلم صحته الا من خبر صحيح

وزعم قوم ان العرب العاربة لم تعرف هذه الحروف باسمائها ، وانهم لم يعرفوا نحوا ولا اعرابا ولا رفعا ولا نصبا ولا همزا . قالوا : والدليل على ذلك ماحكاه بعضهم عن بعض الاعراب انه قيل له : اتهمز أسرائيل ؟ فقال : اني لرجل سوء قالوا : وانما قال ذلك ، لانه لم يعرف من الهمز الا الضغط والعصر وقيل لاخر : اتجر فلسطين ؟ فقال : اني – اذن – لقوى ، وسمع بعض فصحاء العرب ينشد :

نحن بني علقمة الاخيارا

فقيل له : لم نصبت بني ؟ فقال مانصبته ، وذلك انه لم يعرف من النصب الاسناد الشيء . قالوا : وحكى الاخفش عن أعرابي فصيح انه سئل ان ينشد قصيدة على الدال ، فقال : وما الدال ؟ وحكي أن ابا حية النميرى سئل ان ينشد قصيدة الكاف فقال (٤) :

---

(١) الصاحبي ٣٤ فما بعد . وقبل هذا الكلام أن ابن فارس ينسب الخط للنبي اسماعيل عليه السلام .

(٢) العلق / ١–٥ .

(٣) سورة ن / ١ .

(٤) البيت ينسب لبشر بن ابي خازم وهو في ديوانه : ١٤٢

كفى بالنأى من اسماء كاف وليس لسقمها : اذ طال شاف

قلنا : والامر في هذا بخلاف ماذهب اليه هؤلاء · ومذهبنا فيه (التوقيف) فنقول / ان اسماء هذه الحروف داخلة في الاسماء التي اعلم الله – جل ثناؤه انه علمها ادم – ع – وقد قال – جل وعز –(علمه البيان(١) فهل يكون اول البيان الا علم الحروف التي يقع بها البيان ؟ ولم لايكون الذى علم ادم – ع – الاسماء كلها هو الذى علمه الالف والباء والجيم والدال ··· انا لم نزعم ان العرب كلها – مدرا ووبرا – قد عرفوا الكتابة كلها والحروف أجمعها ، وما العرب في قديم الزمان الاكنحن – اليوم – فما كل يعرف الكتابة والخط والقراءة وابو حية كان أمس ، وقد كان قبله بالزمن الاطول من يعرف الكتابة والخط ويقرأ وكان في اصحاب رسول الله – ص – كاتبون ، منهم امير المؤمنين علي – رض – وعثمان وزيد – رض – وغيرهم ·

·····(٢) وعن هانيء قال : كنت عند عثمان وهم يعرضون المصاحف فارسلني بكتف شاة الى ابي بن كعب فيها : لم يتسن و فأمهل الكافرين و لا تبديل للخلق قال : فدعا بالدواة ، فمحا احدى اللامين وكتب لخلق الله(٣) ، ومحا : فامهل وكتب : فمهل(٤) وكتب : يتسنه(٥) · الحق فيها (هاء) أفيكون جهل ابي حية بالكتابة حجة على هؤلاء الائمة ·

والذى نقوله في الحروف ، هو قولنا في الاعراب والعروض ······

---

(١) سورة الرحمن / ٤ ·

(٢) سلسلة رواية طويلة حذفناها · ننظر في الصاحبي ٣٦–٣٧ ·

(٣) سورة الروم /٣٠ ·

(٤) سورة الطارق / ١٧ ·

(٥) سورة البقرة / ٢٥٩ ·

التعليق

من خلال هذا النص يبدو ان ابن فارس يؤمن بتوقيفية الخط والكتابة .. كذلك ـ وشأنه في ذلك شأن توقيفية اللغة ٠ وقد حاول خلال كلامه الرد على الذين يزعمون غير هذه النظرة ، والحق ابن فارس بهذه النظرات قوله بتوقيفية العروض والاعراب والرد على الذين قالوا : ان ابا الاسود اول من وضع العربية، وان الخليل اول من تكلم في العروض(١) ٠ بقوله : نحن لاننكر ذلك ، بل نقول : ان هذين العلمين قد كانا قديما ، واتت عليهما الايام وقلا في ايدي الناس ، ثم جددهما هذان الامامان ، وقد تقدم دليلنا في معنى الاعراب ، واما العروض فمن الدليل على انه كان متعارفا معلوما اتفاق اهل العلم على ان المشركين لما سمعوا القران ، قالوا ـ او من قال منهم ـ انه شعر ، فقال الوليد ابن المغيرة منكرا عليهم : لقد عرضت مايقرؤه محمد على اقراء الشعر : هزجه ورجزه وكذا وكذا فلم اره يشبه شيئا من ذلك ٠ أفيقول الوليد هذا وهو لايعرف بحور الشعر ؟ وقد زعم ناس ان علوما كانت من القرون الاوائل والزمن المتقادم وانها درست وجددت منذ زمان قريب وترجمت واصلحت منقولة من لغة الى لغة ، وليس ماقالوا ببعيد ٠

هذه النظرات من ابن فارس ـ جميعها تسير في خط واحد ملتزم ، هو القول بتوقيفية العلوم ، وان الانسان لم يبدع شيئا من عنده ثم ينقل عن بعض الناس ان هذه العلوم التي تبدو مستحدثة في ايدى الناس انما جاءتهم نقلا عن المتقدمين من طريق الترجمة ، او التجديد ٠

وهي نظرة كما هو واضح ، بعيدة عن الواقع ، لان الله ـ تعالى ـ انعم على عباده بنعم كثيرة وهيأ لهم سبل استثمارها والاستفادة منها بما وهبهم من قدرات واستعدادات عقلية وعضلية لمصالحهم الدينية والدنيوية ٠

---

(١) الصاحبي ٣٧ـ٣٨ ط مصطفى الشويمي ، بيروت لبنان ١٣٢٨هـ/١٩٦٣م٠

ثالثا ـ فصائل اللغات

لم تعن دراسة العلماء العرب بفصائل اللغات كما عنيت الدراسات الاوربية ، ولكن قد وردت اشارات في معجمات اللغة وكتب اللغة الى ان العربية ترجع الى اصل قديم واحد ٠

كما يعرفون ان العربية والكنعانية والارامية هي من نفس الاصل(١) ولم يكلفوا انفسهم التفتيش عن اصول سائر اللغات ، فبقيت هذه المسائل في حكم المجهول عند علماء العربية ، اعني مايتعلق باللغات الاخرى غير السامية . ولم تنسب العربية واخواتها الى السامية الاعلى يد شلوزر الذى نسبها الى ابناء سام بن نوح ، فسميت باسم اللغات السامية بعده ٠ على ان الدراسة الاوربية لم تكتف بتقسيم اللغات الى فصائل ، بل حاولت أن تقف على ابرز التطورات التي مرت بها اللغة الانسانية الاولى حتى استوت لغة ناضجة موزعة بين اجناس البشر على الشكل الذى تميزت به كل فضيلة او فرع عن اختها بمميزات وخصائص واضحة ٠

ومن الدراسات اللغوية في هذا الميدان مايقرر ان اللغة الانسانية الاولى تشبه نشأة اللغة عند الطفل فهو يبدأ بمرحلة الصراخ وهو عبارة عن أصوات مبهمة ، ثم مرحلة المد ثم المقاطع ، فكذلك اللغة عند الانسان الاول فان لها ثلاث مراحل :

١ ـ مرحلة الاصوات المبهمة التي تطلق تعبيرا عن الانفعالات او اصوات مظاهر الطبيعة والحيوان كخرير الماء ودوى الريح وحفيف الشجر واصوات قطع الاشياء وضربها بعضها ببعض كما تقرره نظرية محاكاة الاصوات الطبيعية ٠

---

(١) وهو رأى ابن حزم الظاهرى كما في كتابه : الاحكام ٣٠ ٠

٢ ـ مرحلة اصوات المد كالالف والواو والياء وهي التي تسمى باحرف اللين ٠

٣ ـ مرحلة تكوين المقاطع ، وظهور الاصوات الساكنة الى جانب اصوات اللين وهي مرحلة جمع فيها الانسان بين الاصوات ، ولعل هذه النظرية يمكن أن تكون تعضيدا للذين ذهبوا الى ان نشأة اللغة الانسانية كان بمحاكاة الاصوات الطبيعية التي نادى بها ابن جني في خصائصه ٠

ولم يرتض ماكس مولر هذه النظرية لانه كما سبق ان مررنا على نظريته الغريزية ، يرى ان اللغة الاولى قد بدأت بالفاظ ذات مدلولات كلية عامة ، ثم انشعبت هذه المفردات الى معان جزئية اخذا بمعكوس هذه الفكرة . وقد ذكرنا فيما مضى ضعف هذه النظرة كذلك ٠٠٠ ويبدو ان الدراسات في هذا المضار لم تقتنع بما توصل اليه الدارسون الاسبقون ، فان هناك دراسات اخرى ترى تقسيم النشأة الى ثلاث مراحل ـ ايضا ـ ولكنها مراحل تختلف عما قاله الاخرون ومن ذلك ماقرره (شليجل) في نظريته ، وتقوم على اساس أن اللغة البدائية الاولى قد مرت بمرحلة (العزل) ثم تلتها مرحلة (الالصاق) ثم المرحلة الثالثة وهي مرحلة (التصرف) ٠ وهذه النظرة كما يبدو وهي مرحلة مابعد النشأة الاولى للغة البشرية ٠ ولكل مصطلح من هذه المصطلحات معنى ، يمكننا ان نقف عنده قليلا ٠

١ ـ مرحلة العزل : وهي المرحلة التي تكون اللغة فيها غير متصرفة من حيث البنية والتنظيم ، فاما من حيث البنية فان كل كلمة لاتتصرف وانما تلزم الجمود ، كما لايلصق بها شيء من الاصوات ، وبذلك يبقى معناها ثابتا . واما من حيث التنظيم فان الكلمة داخل الجملة لايربطها بغيرها من الكلمات رابط ولكنها تتجاور فتتكون بمجموعها معنى الجملة ويدخل ضمن هذه المجموعة من اللغات : الصينية ولغات الامم البدائية ٠

٢ ـ مرحلة الالصاق أو الوصل : وتعني ان المتكلم يصدر الكلمة بصوت او

مقطع صوتي من كلمة ذات دلالة ميتة او متروكة ليكون معنى من المعاني التي يقصد اليها ، وربما كان الوصل بالحاق الكلمة مثل هذا الصوت او المقطع ليساعد على تفسير معنى الاصل او ليشير الى صلة هذه الكلمة بما قبلها وما بعدها من الكلمات ، ويسمى المقطع في اول الكلمة سابقا او صدرا والمقطع في اخر الكلمة عجزا او لاحقا ومن هذا النوع من اللغات اللغة التركية واليابانية ومعظم سكان القسم الجنوبي من افريقيا الاستوائية والسكان الاصليين لامريكا الشمالية(١) .

٣ ـ التحليلية المتصرفة : وهي اخر مرحلة متقدمة ناضجة في تكوين اللغات وسميت متصرفة لانها ينظر اليها من حيث البنية والتنظيم . فيرى ان المادة اللغوية تتصرف الى مشتقات كثيرة تتغير معانيها بتغير انواع المشتقات كأسم الفاعل واسم المفعول وصيغ المبالغة وافعل التفضيل والافعال والمصادر وصيغ الجموع ، وأما التنظيم فانه يتحلل الى اجزاء التركيب من فعل وفاعل وملحقات وتكملات وتوابع .. الخ وللكلمة في اللغات المتصرفة دور مهم ووظيفة في تغيير معنى التركيب بحسب الموقع والحركة ، كما ان لها روابط تربطها بما قبلها وما بعدها من الجملة ، ولهذه الروابط دور مهم ـ ايضا ـ في تغيير معنى التركيب وتوضيح انواع العلاقات فيه .

ويمكن توضيح ذلك في جملة من اللغة العربية متنوعة الاجزاء ، فمثال ذلك أنك نقول :(كتب خالد ومحمد قصيدة في البيت ثم خرجا) فالملاحظ ان التركيب تألف من كتب وهو فعل دل على الزمان الماضي وخالد وهو اسم علم انتهى اخره بضمة ـ وهو صوت واو قصير ـ ونون ساكنة ، فدل بذلك على انه هو الذى كتب فهو فاعل ، والواو وهي رابط مهمته ان يبين ان (خالد) لم يكتب

---

(١) علم اللغة : د. وافي ١١٦ نقلا عن : V. Ribotopcit : 89.

القصيدة ـ وحده ـ بل شاركه فيها محمد ومحمد معطوف على خالد بهذه الواو.
اما القصيدة فبمجرد انك وضعت فتحة ـ وهي صوت الف قصير ـ على اخرها عرفت انها هي المكتوبة فهي مفعولة ويعربها النحاة مفعولا به . اما ثم فهي ـ ايضا ـ تفيد العطف ومهمتها ربط عنصر من عناصر الجملة بعنصر اخر . وهذا كتب و خرجا ولكنها ادت وظيفة اخرى في التراخي في الزمن بين الكتابة والخروج ، والالف التي في اخر خرجا عرفتنا ان كلا من خالد ومحمد قد اشترك في الخروج اما في فقد اعلمتنا معنى المكان الذى كتبت فيه القصيدة وهو البيت وهكذا يلاحظ ان كل جزء من اجزاء الجملة له وظيفة في تكوين المعنى وتأدية مضمون الجملة ـ مرة واحدة ـ وما يقال ـ هنا ـ يقال كذلك في سائر اللغات المتصرفة الانكليزية والالمانية والاسبانية وغيرها من اللغات الاوربية الهندية ، كما يصدق على سائر اللغات السامية(١) .

على اننا نلاحظ ان هذه اللغات التي تعد في طور النضوج والكمال لم تسلم من مظاهر المراحل كالعزل واللصق ، كالذى يلاحظ في بناء صيغ التفضيل واسم المفعول والفعل الماضي والشخص الثالث والتغيرات التي تطرأ على الفعل والالحاقات عند تصرفه في اللغات الاوربية ـ جميعا ـ كما لاتخلو من العزل ـ أيضا ـ وامثلة ذلك كثيرة . وكذا الحال في اللغات السامية ـ عموما ـ والعربية خصوصا . فما يلحق جمع المذكر السالم والمثنى من (ون / وين) وان / وين)

(١) تسمى اللغات تحليلية بالنظر لتحليل الجملة ومتصرفة بالنظر لتصرف المادة اللغوية الى انواع الاشتقاق . ويبدو ان المنهج البنيوى اعتمد على التحليل والتوزيع والتركيب والتوليد متخذا امثلة في الدراسة من اللغات التحليلية غالبا كاللاتينيات والهندية الاوربية وان كان ذلك لايمنع من أن تؤخذ من النوعين الاخرين . انظر مفاتيح الالسنية : مونان : ٧٣ ، فقد فقد أورد أمثلته من العربية والفرنسية والاسبانية والروسية وهن متصرفات .

هو من اللواحق في اخر الكلمة و (ال) التعريف و (همزة التعدية) نحو : ذهب واذهب وحروف انيت الداخلة على الفعل الماضي لتفيده معنى استقبال كل ذلك من السوابق ونحو قولنا (ضربت ليلى سلمى) وهو من اسلوب العزل ،لان كل كلمة احتفظت بمعناها الخاص ولم يبين الاعراب الفاعل من المفعول ولم يكن ثمة رابط بينهما ولذلك يصر اللغويون في مثل هذه الجمل على عد الاول فاعلا والثاني مفعولا ٠

ان هذا النوع من التقسيم للغات لم يبن علـى اساس القربي في الرحـم والمنشأ ، بل قام على اساس الاتفاق في الاساليب المستخدمة في كل مجموعة من تلك المجموعات اللغوية ، ولذلك كان تقسيم (مولر) للغات على اساس صلات الرحم فيما بينها اقرب الى الصحة ، واكثر كشفا للخصائص والصفات المشتركة في كل فصيلة منها ، والمعروف ان مولر قد جعل اللغات العالمية ثلاث فصائل هي :

١ ـ السامية الحامية : وجعلها شعبتين لكل منهما تاريخها وتفرعاتها اللهجية وخصائصها المميزة وقوانينها الخاصة ٠

٢ ـ الهندية ـ الاوربية : وهي اللغات الارية وقد نبه (شليجل) الى ان الاصل لهذه المجموعة هو واحد وهو اللغة السنكريتية الهندية(١) ٠ وجعلها اللغة الام لكل من : الجرمانية والاغريقية واللاتينية ، غير ان (فرانتس بوب) F. BOPP خالفه في هذا وعمد الى دراسة هذه المجموعة كاملة ليستخدم الملامح المشتركة بينها ومعرفة اللغة الاقدم منهـا والتـي تفرعت منها كل اللغات لهذه الفصيلة ومنها السنكريتية ٠

٣ ـ اللغات الطورانية : وهـي اللغات التـي لـم تندرج مـن حيث خصائصها وصفاتها تحت واحدة من الفصيلتين السابقتين وليس بينها ـ اي كل

---

(١) علم اللغة العربية : د٠ حجازى ١٢٧ ٠

كل لغة منها على انفراد ـ صلات اسلوبية واضحة ، ومن هذه الفصيلة : التركية والمنشورية والمغولية ٠

ولقد قامت الجمعية اللغوية الفرنسية بدراسة هذه اللغات ناظرة الى مايربط بينها من صلات في التراكيب والخصائص الاسلوبية والمفردات والاصوات ، فاصبحت تسع عشرة شعبة او فصيلة(١) ٠ اضافة الى الفصيلتين المتقدمتين ٠ اما الشعبة السامية من الفصيلة الاولى فسنمر سريعا على اهم لهجاتها ، ثم سنفرد بحثا عن (العربية) منها لانها تمثل اكبر لغة سامية حية واوسع مفردات واجمع للخصائص المشتركة من اخواتها السامية ٠ وقد كان العلماء العرب يدركون صلة اخواتها بها كالسريانية والعبرية وغيرها من الساميات ، كانوا يعتقدون بوحدة الاصل لهذه اللغات ـ جميعا ـ غير ان الدراسات الحديثة هي التي ارجعتها الى الشعوب السامية كما هو معروف في الدراسات اللغوية الاوربية ، اما ابن حزم الظاهرى الاندلسي فيقول : الذى وقفنا عليه وعلمناه ـ يقينا ـ ان السريانية والعبرانية والعربية ٠٠٠ لغة واحدة تبدلت مساكن اهلها فحدث فيها جرش كالذى يحدث في الاندلسي اذا رام نغمة اهل (فحص البلوط) وهي على ليلة واحدة من قرطبة : كاد يقول : انها لغة اخرى غير لغة اهل قرطبة ٠٠٠ فمن تدبر العربية والعبرانية والسريانية ايقن ان اختلافها انما هو من نحو ماذكرنا من تبديل الفاظ الناس على طول الازمان واختلاف البلدان ومجاورة الامم وانها لغة واحدة في الاصل(٢) ٠ وهذا ـ وحده ـ يشعرنا بانهم يعرفون الحقيقة ٠ والمعروف ان العبرية هي احدى لهجات الكنعانية وان السريانية من الاراميات وبذلك يكون ابن حزم قد ارجع ذلك كله الى اصل واحد ، وهو مااتفق عليه علماء اللغة في اوربا منذ القرن الثامن عشر حتى اليوم ٠

---

(١) قام بهذه المحاولة الباحثان الفرنسيان ميلي وكوهين في
Les 'langues duMonde.

(٢) في كتابه : الاحكام في اصول الاحكام ٣٠ ٠

تمثل هذه المجموعة من اللغات شعوب شمال افريقيا وجزيرة العرب وقسم من شرقي افريقيا ، وهي لو قيست بمجموعة شعوب اللغات الارية : الهندية الاوربية لرأينا ان المجموعة الثانية اكبر منها رقعة ارض واكثر شعوبا ، غير ان الملاحظ على مجموعة اللغات الارية اختلافها في الجنس والطبيعة ، في حين ان الملاحظ على مجموعة اللغات السامية الحامية كونها متقاربة في المواطن والاصل واطلق عليها اسم السامية الحامية لانها مكونة من شعبتين : السامية من جهة والحامية من جهة اخرى ٠ فاما الحامية ـ نسبة الى حام بن نوح ـ فتمثلها ـ القبطية والمصرية القديمة والبربرية والكوشتية ٠

ويتكلم بالبربرية سكان افريقيا الاصليون ، القسم الشمالي (تونس والجزائر والمغرب وليبيا) والقسم الغربي الاوسط ومجموعة الجزر البحرية من هذه المناطق ، وفيها لهجات :

١ ـ القبيلية : Kabyle

٢ ـ التماشكية Tamachek وهي لغة قبائل الطوارق ٠ وأما اللغة

٣ ـ القبطية فهي فرع من المصرية ـ ثم المصرية القديمة ـ فيتكلم بها المصريون القدماء وتسمى (اللغة المصرية) وهي ذات صلة تنظيمية وبنيوية بالسامية القديمة ٠

٤ ـ ويتكلم القسم الشرقي من افريقيا بالكوشية ، كما يتكلم جزء قليل من الاحباش بها اضافة الى السامية المتوارثة منذ اقدم العصور التي دخلت فيها ، ولوجود التقارب القوى بين (المصرية القديمة) و (السامية ثم (الليبية القديمة) و (السامية) رأى (بروجش) وتابعة (ايرمان) (١)

---

(١) علم اللغة العربية : حجازى ١٣٤ ـ ١٣٥ و ١٣٦ ٠

ان لغة المصريين هي لغة سامية اصابها تطور كبير ، مما ابتعد بها عن الاصل ، وانها هي لغة الغزاة الساميين الذين غلبوا على السكان الاصليين واخضعوا لغتهم الى السامية وبنفس الاتجاه حاول (روسلر اللغوى الالماني) ان يقرر بعد دراسة النصوص الليبية القديمة المعروفة بالنقوش (النوميدية) انها لغة سامية انفصلت عن اللغات السامية في الشرق في مرحلة مغرقة في القدم ، ثم اصابها تطور جعلها تختلف عن الاصل السامي بالاحتكاك والتأثر والتوليد . ومن هنا عمد الدارسون الى محاولة الربط بين هذه اللغات الحامية واللغة السامية فبحثوا في اوجه الشبه بينها ، فوجدوا ان التقارب يكمن في : استخدام المصرية القديمة للضمائر ـ التاء للمخاطب المفرد والنون للجماعة المتكلمين ، والاشتراك في اسماء العدد واسماء الذوات ، والاشتراك في بعض ابنية الاسماء وصيغها كبناء الاسم من صوتين ، من مثل : يم و فم و حم و ماء كما نجد ذلك في اللغات السامية في الاسماء الخمسة وغيرها من الاسماء المبنية من صوتين ، والاشتراك في البنية والتنظيم : كالحاق تاء المؤنثة باخر الاسم او الصفة للمذكر مثل فائز = فائزة ـ عامر = عامرة، وكتصدير الفعل المضارع بضمير في اوله : نلعب تدرس وهي التي اطلق عليها النحاة العرب حروف انيت وكاستعمال الفعل المساعد للدلالة على الاستمرار في المضي (كان يفعل) . واهمية الاصوات الساكنة في بناء المادة اللغوية كما في السامية وقلة الاهتمام باصوات اللين (الالف والواو والياء)

هذه هي اهم وجوه الشبه التي وقف عليها الدارسون بين الفرعين السامي والحامي وقد لاحظنا ان معظم وجوه الشبه كائن بين السامية والمصرية القديمة (القبطية ـ ولغة المصريين القدماء) وتقل الوجوه بينها وبين فروع الحامية الاخرى لاسباب مختلف فيها بين العلماء(١) .

---

(١) يمكن الرجوع الى فقه اللغة : د. وافي ٢٤ . علم اللغة : د. حجازى ١٣٥ .

ومن الجدير ان نذكر هنا ان الكثيرين من المؤرخين المسلمين يرون ان قبائل البربر ـ او بعضها ـ كصنهاجه ـ من اصول عربية ، وذلك انهم يقررون اصلهم السامي كابن جرير الطبرى وغيره . ولقد نقل عبد الواحد المراكشي(١) ان افريقيا سميت افريقيا لنزول افريقش بن حام بن نوح بها قال وافريقش هذا هو ابو البربر ، فالبربر كلهم من ولد حام بن نوح خلا صنهاجه ، فانهم يرجعون الى حمير .

فان كان هذا الذى ينقله المراكشي صحيحا ، فهو يعني وجود الصلة منذ اقدم العصور بين الحامية والسامية في هذه المواطن ، وأن هذا لايعني أن التشابه قد حصل بفعل الظروف السياسية والتاريخية التي ذكرها الدارسون اللغويون .

---

(١) المعجب ٤٩٣ /ط ٧ .

الفصل الرابع

اولا ـ اللغات السامية .

ثانيا ـ اهم الموجات .

ثالثا ـ نظرة في خصائص الساميات .

رابعا ـ لهجات اللغات السامية .

خامسا ـ زحف العربية السامية .

اولا ـ اللغات السامية

لانريد الخوض في اصل الساميين وموطنهم الاصلي ، بل نمر مرورا سريعا بهذا الشأن ، لانه بحث بشكل مستفيض في اكثر من دراسة(١) .

يطلق اسم الساميين على العرب والكنعانيين والاراميين والفينيقيين والعبريين والبابليين والاشوريين واول من اطلقه في القرن الثامن عشر (١٧٨١م) الباحث شلوزر Shlotzer على هذه الشعوب ، مستندا الى العهد القديم ، ثم اطلق (ايكهورن) Eichorn اسم اللغات السامية على لغات هذه الشعوب . واصل هذه التسمية هو مما وجده شلوزر في سفر التكوين من ان اولاد نوح وهم : سام وحام ويافث ، قد انحدرت منهم شعوب ونسبت اليهم . ففي السفر المذكور ان اولاد سام هم : عيلام واشور وارفخشاد ولود وارام ، كما جاء في الاصحاح العاشر منه . ووجد الدارسون ان هُناك خطا تاريخيا قد وقع فيه السفر ، وانه عد الليديين والعيلاميين من الساميين مع انهما شعبان بعيدان عن الساميين ، اذ يرجح ان يكون العيلاميون اريين ، ولم يعرف لحد الان اصل (الليديين) . كما وقع شلوزر في خطأ اخر ، اذ عد الفينيقيين من الحاميين : لعدم وجود اشارة اليهم ضمن الساميين في السفر ، بل عدهم السفر من الشعوب الحامية لوجود صلات سياسية وثقافية تربطهم بالحاميين ولا سيما شعب مصر القديم والبربر ، ولاختلافهم مع العبريين سياسيا واجتماعيا . ويرجع هذا الاختلاف الى ان اليهود جعلوا أقرب الناس اليهم من كانت له علاقة طيبة بهم . ومن هنا توجب ان نشير الى شيء عن موطن الساميين الاصلي ثم نتبعه ببعض الصفات اللغوية المشتركة التي تتميز بها هذه اللغات .

---

(١) انظر تاريخ اللغات السامية : ولفنسن٢ فما بعد . فقه اللغة : د. وافي ٦١ فما بعد . دراسات في فقه اللغة : صبحي الصالح ٦٧ . الساميات : نولدكه : ٢ . علم اللغة : حجازى ١٣٢ . التاريخ العام للغات : رينان ٤٣ .

اما موطنهم ، فقد وقع الدارسون في اختلاف كبير بينهم حول تحديد اصله الذى بدأت الموجات السامية تخرج منه تباعا ، وتتحدد هذه الاختلافات ·

١ ـ ان موطنهم الاصلي هو منطقة ارمينية ، وربما كان لهذا الرأى صلة بقصة الطوفان ·

٢ ـ ان موطنهم الاصلي هو شمال افريقيا وخرجوا الى اسيا عن طريق برزخ السويس وانتشروا في البقاع المعروفة في التاريخ ·

٣ ـ انه بلاد الحبشة ومنها انتشروا عن طريق باب المندب الى المواطن المعروفة·

٤ ـ انه جنوب العراق وهو مذهب (جويدى) ·

٥ ـ انه بلاد الشام ـ موطن الكنعانيين ، ولعدم وجود مدنية سابقة للساميين في هذه البلاد فلم يعرف تاريخ نشأة المدنية السامية فيها ·

٦ ـ انه بلاد الحجاز ونجد واليمن وما جاورها ، وهو مذهب (رينان) و (بروكلمان) وغيرهما لاسباب كثيرة منها :

أ ـ ان هذا الموطن هو المكان الذى بدأت منه الهجرات السامية الاولى كالبابليين والاشوريين والكنعانيين ··· وان اول هجرة الى الحبشة من اليمن ·

ب ـ اشتراك الشعوب السامية بصفات لغوية واحدة ترجع جميعها الى المحسوسات المادية التي لاتنشأ الا في مواطن صحراوية قليلة الظواهر الطبيعية فقيرة المناخ ، وهذه كلها مواصفات تنطبق على هذه المناطق ·

ج ـ لقد ثبت تاريخيا ان هذا الموطن كان كثيف السكان والخيرات خصب الارض ، ولكنه اصيب بتغيرات مناخية وجيولوجية ادت الى جفافه ويبسه

مما دفع السكان الى الهجرة من هذه المواطن طلبا للرخاء والخصب فكانت موجة البابليين ثم تلتها الموجات الاخرى(١) ٠

ثانيا – اهم الموجات السامية وتسمية لغاتهم

١ – في حدود (٣٦٠٠ ق ٠م) كانت هجرة البابليين الساميين الى جنوب العراق وغلبوا السومريين وهم سكان البلاد الاصليون ، وكونوا دولة وحضارة واستمدت من السومريين الخط المسماري للكتابة البابلية ، وكانت هجرة ثانية – بعدهم بالف سنة تقريبا ، اى في حدود (٢٥٠٠ ق ٠م) للساميين الذين سكنوا القسم الشمالي من العراق واتخذوا (اشور) عاصمة لهم ، ثم جعلوا (نينوى) عاصمة لهم وعرفوا بالاشوريين ، ومثلت لغة الشعبين وحدة لغوية متقاربة الصفات ٠

٢ – وفي حدود (٢٦٠٠ ق ٠م) كانت هجرة الكنعانيين الى شمال الجزيرة واستقروا في ارض الشام وعلى سواحل البحر الابيض المتوسط وكونوا حضارة ودولة قوية ، وتفرعت لغتهم الاصلية الى لهجات هي : الاوكرينية والكنعانية القديمة والموابية والفينيقية والعبرية ٠

٣ – وفي حدود (١٦٠٠ ق ٠م) كانت الهجرة الثالثة للعراق وتأسست الدولة الكلدانية وفي اثناء ذلك أو بعدها بقليل كان الاراميون قد سيطروا على ارض كنعان والعراق وكونوا لهم دولة وسيادة لغوية قوية بحيث شملت كل العراق وسوريا وفلسطين الى سيناء وتفرعت لغتهم الى لهجات ٠

٤ – وفي حدود القرن السادس قبل الميلاد كانت هجرة (الاسماعيليين) من

---

(١) انظر الصفحات الاولى من كتاب محب الدين الخطيب : اتجاه الموجات البشرية من جزيرة العرب ٠ تاريخ اللغات السامية ٤ فما بعد ٠ فقه اللغة وافي ١٠ فما بعد ٠

الحجاز الى الشمال وهم (بنو قيدار) الذين سكنوا (يثرب) وخرج جماعة منهم الى (مدائن صالح) ومنهم من هاجر الى خليج العقبه ووادى موسى ، ثم النبط الذين نزحوا الى الحجاز ايضا ومنها الى خليج العقبة وكونوا دولة وحضارة ، ومن اثارهم الحضارية (الخط النبطي) الذى اشتق منه الخط العربي .

٥ ـ وفي القرن الاول الميلادى كانت هجرة القبائل المعدية الى الشام من الحجاز وهجرة القبائل القحطانية من اليمن الى الحجاز والشام ،فنزلت (خزاعة) في مكة ، و (الاوس والخزرج) في (يثرب) و (غسان) في الشام ، (لخم) في العراق .

ويمكننا ان نقسم اللغات السامية بناء على ماتقدم على :

أ ـ لغات شرقية ـ وهي : الاكدية وتشمل البابلية والاشورية ، ونسبت الى (الاكدية) لانها نشأت في بلاد (اكد) ، وتسمى (المسمارية) ـ ايضا ـ لانها تأثرت بالخط المسمارى السومرى ، وقسم منها : الارامية الشرقية التي انقسمت على لهجات اربع سنأتي عليها .

ب ـ لغات غربية ـ وهي : الكنعانية ولهجاتها والارامية ولهجاتها ، وانقسمت على قسمين : شمالية وهي الكنعانية والارامية ، وجنوبية وهي العربية التي ظلت في الجزيرة وهذه انقسمت ـ كما سنرى ـ على بائدة وباقية وشمالية وجنوبية .

ثالثا ـ نظرة في خصائص الساميات

تشترك اللغات السامية بخصائص وصفات ، تدل على وحدة المنشا والتناسل ، ولكن اى واحدة منها لاتدل على انها هي الاصل لجميع اللغات

السامية ، والاخريات فروع لها وحاول الدارسون الوصول الى معرفة اقدم لغة سامية كان يتكلم بها الشعب السامي فكانت ثمة اختلافات يرجع بعضها الى عوامل عصبية واخرى الى عوامل علمية صرف ، فاحبار اليهود ، - مثلا - يعدون العبرية - اقدم لغة انسانية - ويعتقد اخرون ان الاكدية هي اقدم لغة سامية ، على حين تنقص الذاهبين هذا المذهب دلائل كثيرة منها : قلة ماورد من نصوص اشورية او بابلية واختلاط الكثير منه بكلمات سومرية يتعذر معها معرفة قدمها ٠

وحاول اخرون ان يجمعوا الامور المشتركة بين اللغات السامية في (البنية والتنظيم والاصوات) ليتخذوا منها صورة للغة السامية الاولى ، غير انهم قد فاتهم ان هذه اللغات جميعا - قد مرت بمراحل من التطور ، فتركت اشياء واستحدثت اشياء ، وتفاعلت مع غيرها من اللغات المجاورة فاخذت واعطت جريا مع القوانين الطبيعية للغة الانسانية ٠ ومن هنا يمكن ان يحصل شيء من التقارب بينها ، وهو تقارب لايدل على كون هذا المشترك هو الاصل لجميعها ٠

ولقد احتفظت اللغة العربية بكثير من الصفات المشتركة بين اللغات السامية وحملت كثيرا من خصائصها ومكوناتها الاساسية في التنظيم والبنية والدلالة والاصوات ويرجع ذلك الى ان العربية قد احتفظت بكيانها السامي وباقدم موطن للساميين في الجزيرة ، ولم تؤثر فيها مؤثرات خارجية ، كما اثرت في الكنعانية او الاكدية او الارامية ، لذلك عمد اللغويون الاوربيون الى الاستعانة بالعربية في حل رموز العهد القديم العبرى والارامي(١) ويرى (أولسهوزن) ان العربية هي اقرب لغة سامية الى الاصل السامي(٢) ٠ ومن هنا فان ماسنذكره من خصائص وصفات مشتركة بين هذه

---

(١) علم اللغة العربية : د٠ حجازى ١٣٢ ٠

(٢) مقدمة كتابه عن العبرية ٠

اللغات سيكون مثاله من العربية ، بوصفها محتفظة بهذه الصفات جميعا ، وهذه الصفات هي :

١ ـ تكوين المادة اللغوية

تتكون المادة اللغوية في الساميات من اصول ثلاثة في مرحلة النضج والتكامل (١) ، لان ثمة اتجاها علميا الى ان الاصل الثنائي كان مرحلة من مراحل المادة اللغوية السامية – ومنها العربية(٢) ـ وهذه الاصول الثلاثة هي اصوات سواكن مثل (كتب) و (ذهب) (٣) و (علم) ··· الخ ويشذ عن هذه القاعدة ماكان على صوتين من الاسماء والحروف ، ويذهب بعض الباحثين الى انها أقدم من الافعال المشتقة من ثلاثة أحرف وأن الفعل الثلاثي أقدم من الرباعي(٤) فالحروف الثنائية مثل : (في ، عن ، قد ، ما ، لا ، من ···الخ) ويشذ بعض المبهمات من الاسماء والضمائر واسماء الاشارة نحو (من ، ما : ذا ، ذى ، هو ، هي ، هم ، ها ، ذو ··· الخ) ويبقى الفعل المثال في الامر على صوتين نحو: عد، صف ،ويشذ بعض الافعال الجوف عند اسنادها للضمائر: نحو (نلت ، بعنا ، بعتم) وبعضها يحذف لامها عند أتصالها بناء التأنيث ، نحو: علت ، صفت ، هوت ··· الخ · وبعض الافعال ـ كما رأى ابن جني ذلك ـ تعتمد في دلالتها على الصوتين الاول والثاني ، وليس للصوت الثالث الا تحديد المعنى ، وذلك نحو : جد وجدب ، جدث ، جدر ، جدع ، جدف ، جدل ، جدا) كما يشذ ايضا ان تكون المادة من صوتين فقط مع تضعيف الثاني مثل : جد ، جذ ، ورق ، وصف · او تكون المادة من صوتين ساكنين وثالث لين نحو :

---

(١) تاريخ اللغات السامية : ولفنسن : ١٤
(٢) وهو رأى مرمرجي الدومنيكي في : هل العربية منطقية ١٤٥ ·
(٣) تاريخ اللغات السامية : ١٤
(٤) نفسه : ١٦

سار ، دار ، نما ، سعى . كما ان بعض المفردات تكون من صوتين . ويقدر الدارسون العرب لها صوتا ثالثا نحو : دم ، يد ، عد ، اخ . وقد تكون بعض المواد من أربعة اصول مثل : دحرج ، زخرف ، بعثر ، ولكن ابن فارس كما سبقت الاشارة اليه ذهب الى ان مثل هـذه المفردات منحوتة مـن مادتيـن ثلاثيتين ، أي متأخرة كما يرى ولفنسون .

٢ ـ ترتيب المادة اللغوية :

الاصل الثلاثي في الساميات يلزم ترتيبا واحدا اذ تبقى الاصوات الساكنة في المشتق ، مهما اشتققنا من الاصل ، فمادة درس ـ مثلا ـ يشتق منها :دارس، مدروس ، دراسة تدريس ، مدرسة ، دارس ... الخ فنجد ان موضع الدال هو فاء الكلمة وان الراء هو عين الكلمة وان السين هو (لام الفعل) ، ولم يتقدم صوت منها على اخر في كل المشتقات ففي : (دارس) لزم كل صوت منها موضعه ، وكذا في (مدروس) ، اما الزوائد التي الحقت بالمادة فقد اتخذت مواضعها بحسب الصيغة المشتقة في الصدر او الحشو او العجز ، لتدل علـى المعاني المستقلة من المعنى الاصل ، فالف بعد الدال في (دارس) دلت علـى القائم بالدراسة ، وسميت الصيغة اسم فاعل ، والميـم في صدر (مدروس) والواو حرف المد الطويل بعد الراء دلت على صيغة اسم المفعول ، كالاثر او الكتاب المدروس ، ولو وضعنا ضمة ـ وهي صوت مد قصير ـ علـى الـدال وكسرة تحت الراء لبني الفعل للمجهول : درس وهذا يدل على أن المادة ذات معنى أصلي عام ، تغيره الى معان جزئية من المعنى العام اصوات المد ـ القصيرة والطويلة الداخلة فيها .

وقد تتخلل المادة اللغوية اصوات ساكنة ـ ايضا ـ وهي تزاد على المادة الاصلية ، لزيادة معنى او لوظيفة في بنية الكلمة كما ترى في : استنجد زيادة

الهمزة والسين والتاء ، لزيادة معنى (طلب النجدة) وفي انتقل زيادة الهمزة في أول نقل والتاء بعد النون لاعطاء معنى المطاوعة في النقل ولم ينقله احـــد ، وهكذا ٠٠٠

٣ ـ التزام المادة اللغوية دلالة واحدة ٠

وهذا يعني ان المادة اللغوية في الساميات تلزم دلالة واحدة لاتتغير الا بالمجاز والخروج عن الحقيقة(١) ، او بنحت اكثر من اصل لغوي في كلمة ، وهذا في طبيعته لايدخل فيما نحن بصدده ، وقد سبق ان اشرنا الى مذهب ابن فارس من ان الرباعي عنده منحوت من مادتين ذات اصلين دلاليين مختلفين يجمعان : ليكونا معنى جديدا ، وقد تتعدد الدلالة بالعلاقات والقرائن كعين الانسان وعين الماء وعين الميزان ٠

٤ ـ الاصوات السامية

ان ابرز ما تتميز به الساميات من الاصوات هو احتواءها على مجموعة من الاصوات اللغوية الخاصة بها ، يندر ان ترى نظيرها في اللغات الاوربية ـ او غيرها وهذه الاصوات هي :

اصوات المجموعة الحلقية : ع ح ه خ غ والهمزة ، واصوات المجموعة المطبقة : وهي ص ض ط ظ ويضاف اليها في الدراسات الحديثة صوت (القاف) وهـــذه الاصوات ـ الاخيرة ـ تشترك في صفة واحدة وهي : ان يتخذ اللسان وضعا في داخل الفم ، يختلف عن سائر الاصوات الاخرى ، وذلك بأن يتقعر وينطبق على السطح الاعلى للفم ـ الحنك الاعلى ـ مع الانحسار الى الخلف قليلا ٠ وعلى الرغم من ان هذه المجموعة من الاصوات اعني الحلقية والاطباقية تتميز بهـــا

---

(١) يمكن الرجوع الى كتاب : اساس البلاغة للزمخشري لمعرفة خروج الدلالة الحقيقية الى المجازية ٠

الساميات من سائر اللغات الاخرى ، الا ان اللغات السامية نفسها تختلف – فيما بينها – بمقدار هذه الاصوات ، في حين نجد (اصوات الحلق) في العربيتين الشمالية والقحطانية الجنوبية ، ونجد ان الامهرية ينقصها صوت (العين) والعبرية(١) ينقصها صوت (العين – كذلك)(٢) ،كما فقدت الاكدية (القاف)(٣) ولم تقف الاكدية عند فقد القاف – وحدها – بل فقدت السين والعين والحاء والغين(٣) ويقال مثل ذلك في الاصوات الاطباقية ، فقد فقدت العبرية والاكدية الضاد والظاء وجعلت هاتان اللغتان مكانهما : صوت الصاد ٠

وفقدت الارامية : الضاد(٤) وجعلته قافا مرة وعينا مرة اخرى ٠ ونظرا لهذا الاختلاف الحاصل بين فروع الساميات عن عربيتي الشمال والجنوب . ذهب علماء اللغة الاوربيون الى ان العربية هي المثال الصحيح للاصوات السامية برمتها ، وان ماحصل لاخواتها من تغييرات صوتية راجع الى ظروف كل لغة – على حدة – وبقيت هذه الاصوات في العربية تمثل امتدادا طبيعيا للغة الساميات الام(٥) ٠

---

(١) فقدت العبرية اكثر من صوت غير العين الحلقي ، فقد فقدت الضاد والذال ٠

(٢) الاصوات اللغوية : د ٠ انيس ٥١ ٠

(٣) اذا تلفظ الاكدى السامي : بعل ، قمح ، نهر قال :

بعل :	BAL
قمح :	QAM
نهر :	NAR

بمد الحركة تعويضا عن اصوات الحلق المفقودة في لسانه ٠

(٤) المصدر السابق : ٥١ – ٥٢ ٠

(٥) علم اللغة العربية : د٠ حجازى ١٤٧ ٠

٥ ـ تركيب الجمل السامية

اهم مكون للجملة السامية هو الفعل ، يرتبط به الاسم والضمير ارتباطا وثيقا : فهو كما يرى ولفنسن : كل شيء ومنه تتكون الجملة ولم يخضع للاسم او الضمير بل نجد الضمير مسندا اليه . ومن الخصائص المميزة للجملة السامية القديمة ، انها لم تكن معقدة ، ولا طويلة ، بل كانت جملا بسيطة واضحة الفكرة قصيرة ترتبط بالجمل الاخرى بادوات الربط كالواو ـ الموروثة في عربية اليوم ـ ولم يدخل التعقيد في الجملة السامية الا بعد التقدم الفكري والحضاري ، ويمكننا ملاحظة هذه الظاهرة في العربية مما وصل الينا من نصوص مروية عن عرب الجزيرة قبل الاسلام ، فمثل : من مات فات ، وكل ماهو آت آت ليل داج ، وسماء ذات ابراج ، ... الخ . فاننا نجد انه جمل قصيرة وعبارة غير معقدة ، يربط بين هذه الجمل القصيرة حرف الواو ، مع العلم ان امثال هذه النصوص المروية لاتمثل مرحلة متقدمة في الزمن اذا ما قيست بعربية النقوش القديمة ، فان هذه الاخيرة لم تكن الا وحدات صغيرة واضحة الفكرة تتعلق بعضها مع بعض بالواو الرابطة (١) واخواتها من الروابط .

٦ ـ المفردات والابنية

وهناك تشابه لكثير من المفردات والابنية والصيغ والتراكيب في اللغات السامية ، فالفعل ـ مثلا ـ له زمنان هما الماضي والحال او الاستقبال ، يستثنى من ذلك اللغة الاكدية ففيها للفعل ثلاثة ازمنة هي : زمن انتهى وزمن الحال وزمن ممتد مستمر كما ترى في الفعل الاكدي : يغزودو ـ يغازادو ـ غازادو ، والجديد من هذه الازمنة هو زمن له استعمال في العربية ولكنه بفعل مساعد (٢)

---

(١) يمكن ملاحظة النصوص التي حللها ولفنسن في كتابه : تاريخ اللغات السامية عن عربية الجنوب او العربية البائدة . من ص ١٤ فما بعد .

(٢) انظر : تنمية اللغة العربية د. ابراهيم السامرائي : ٢١٦

وذلك نحو : كان يغزو اى استمر على الغزو(١) . ويؤنث الاسم والصفة ـ غالبا ـ بتاء تلحق اخره نحو : ابـن ، ابنة ، كاتب ، كاتبة ، خالـد ، خالدة ، والسامية من هذه الناحية تشترك مع الحامية كما مرت الاشارة ، كما اشتركتا في الحاق احرف انيت باول الفعـل الماضي ليصبح دالا علـى الحـال وهـذه الزيادة سابقة . لاية زيادة أخرى على اخره . اما الاشتراك في المفردات ودلالتها فهي كثيرة كالافعال ومفردات الحياة المصاحبة للشـعوب السامية ، واسـماء الاعداد ومفردات القربى كالاب والاخ والحم والابن واعضاء الجسم والضمائر واسماء الاعلام وصيغ التصغير مثل : اذينة وشعيب ، وتتكون بعض المشتقات بزيادة ميم في اول المفردة كأسماء المكان والزمان ، واسم المفعول وأستخدام نون الوقاية (٢)

اما الاختلافات بين اللغات فقد أدت الى ان تنقسم اللغة السامية الى لغات فضلا ـ عن ان هذه الفروع قد غيرت فيها عوامل كثيرة اجتماعية وبيئية ولغوية وجنسية مما ادى الى ظهور بعض الاختلافات فيها . ويرجع أبن حزم الاندلسي سبب اختلافها ـ مع كونها واحدة في المنشأ ـ الى عوامل بيئية وجغرافية(٣) . كما مثل بلهجتي أهل فحص البلوط وقرطبة .

كما حصل للغة الاكدية ـ البابلية ـ من التأثر بلغة السكان الاصليين في العراق ـ وهم السومريون ، فرأينا ان الفعل الاكدى تكون له ثلاثة ازمنة مخالفا في ذلك الفعل في سائر الساميات ، اذ هو من زمنين ، وكاستعمال (الهاء) في العبرية اداة للتعريف في حين تستعمل العربية (الالف واللام) واللغة القحطانية

---

(١) وهو كذلك في القحطانية ، فهي تستعمل فعلا مساعدا ايضا كالعربية .

(٢) بل ان هذه الظاهرة اللغوية لتشترك فيها اللغات الافرو اسيوية كما لاحظ : غرينبرك الامريكـي في دراسته للغـات : السـامية والبربرية والمصرية القديمة والكوشيتية والتشادية .

(٣) الاحكام ٣٠ .

(النون) ملحقة بالكلمة ، كالتنوين وتستعمل السريانية الالف الممتدة في آخر الكلمة ، ولم نجد للتعريف اثرا في الاكدية ولا الحبشية .

رابعا ـ لهجات اللغات السامية

نظرا لاتساع الرقعة التي عاشها كل فريق من الساميين ، انقسمت كل لغة سامية الى لهجات متخذة شيئا من الخصائص المميزة لكل واحدة منها ، وهذه مباحث موجزة تتناول كلا منها :

أ ـ اما الاكدية : فقد انقسمت على لهجتين كبيرتين هما :

١ ـ لهجة الجنوب : وتتمثل في لغة اهل بابل(١) وما جاورها في جنوب العراق حتى الخليج وهي اقدم لهجة سامية معروفة .

٢ ـ لهجة الشمال : وتتمثل في لغة الاشوريين الذين سكنوا شمال العراق في ارض الموصل التي كانت تعرف بنينوى ، وبين اللهجتين كثير من مظاهر الاختلاف التي فرضتها طبيعة ظروف الشعبين وطبيعة ارضها ومجاوزتها للشعوب الاخرى . ومن المحتمل ان تكون اللهجتان قد مرتا بادوار تاريخية حولت كثيرا من صور البناء والتنظيم والدلالات الى صور جديدة ومتطورة ولعل ابرز العصور التي مرت بها هاتان اللهجتان ، هي :

أ ـ عصر النقوش والكتب والرسائل المحفورة على الخزف والطين ، وهو عصر تأثرت فيه البابلية بالسومرية وكان ذلك اول عهد الدولة الاكدية القوية في بابل، قبل تمكن الاشوريين في الشمال . ويسمى الباحثون هذه الحقبة بالبابلية القديمة ، يلاحظ عليها نوع من الازدواجية لتأثرها بالتنظيم

---

(١) أي :باب الاله ، لان سرجون الاول (٢٨٠٠ق٠م) أقام معبدا جديدا لمردوك الذى كان في عصره يمثل الاله الاول لمدينة بابل ، واطلق عليه باب اله (باب الله) . انظر : تاريخ اللغات السامية : ولفنسن : ٢٤

والبنية في اللغة السومرية ، كما يلاحظ عليها اخذها للخط المسمارى في الكتابة .

ب ـ ظهور اللهجة الشمالية ـ الاشورية ـ واستمدادها من البابلية وتسمى هذه الفترة بالاشورية القديمة . وقد عثر على نقوش كثيرة منها .

حـ ـ التحام اللهجتين من الاشورية البابلية ـ وتكوين اللغة الاكدية الوسيطة وتمتد من القرن (١٦ ق .م الى ٩ ق .م)

د ـ عصر الدولة البابلية الاشورية الجديدة من القرن التاسع حتى السادس ق .م . وفي هـذا العصر تنزع البابلية الاشورية كثيرا مـن اثوابها القديمة وتدخل في عصر تطور جديد ، تكتسب فيه اتساعا وتأثرا بلغات اخرى جديدة كالارامية حتى تدخل مع هذه الاخيرة في صراعات وخاصة في اواخر هذا العصر ، ويطلق الدارسون على هذه الفترة من حياة اللغة الاكدية : اللغة البابلية الحديثة .

هـ ـ ثم تضعف البابلية الاشورية عند استفحال امر الارامية في هذه الارجاء ولم تتمكن مـن الوقوف امامها فتتدهور وتسقط امـام الزحف اللغوى الجديد الذى جاء مع مطلع القرن السادس ق.م ، فغلبت الارامية على لغة التخاطب والكتابة والسياسة والحكم والاداب ، وكان القرن الرابع ق.م عصر موات اللغة الاكدية وحلول لغة جديدة . بحيث لم يبق مـن الاكدية سوى لغة الكتابة والادب والدين حتى ميلاد المسيح . وتسمى البابلية في هذه الفترة (البابلية المتاخرة)

ب ـ لهجات الكنعانية : ذكرت عرضا لهجات الكنعانية وهي :

(١) الاوكريتية (٢) الكنعانية القديمة (٣) المؤابية (٤) الفينيقية

(٥) العبرية (٦) البونية ، فاما الاوكريتية فقد اكتشفت نقوشها على ساحل البحر الابيض المتوسط في منطقة سوريا وتمثل القرن الرابع عشر ق٠م ولعلها اقدم لهجة كنعانية وصلت الينا ٠

واما الكنعانية القديمة فهي اللهجة الاولى للغة الكنعانية قبل انشعابها الى لهجات مهمة هي الفينيقية والعبرية والموابية وما اليها ، وقد عثر على نصوص مدونة بالخط المسماري في (تل العمارنة) في القرن الرابع عشر ق ٠م ولكنه لايدل على مظاهر واضحة في هذه اللهجة سوى وجوه شبه قريبة من العبرية كما عثر على نص اخر لعهد ملك مؤاب في القرن التاسع ق٠م مرسوم بخط سامي وفيه بعض الشبه بالفينيقية والعبرية ٠

واما المؤابية فيستدل علماء اللغة بالنقش الذى ذكرناه قبل قليل والذى يرجع الى القرن التاسع ق ٠م انه هو الذى يمثل اللغة المؤابية التي يتكلم بها اهل (مؤاب) من نسل لوط بن اخي ابراهيم الخليل كما ورد في العهد القديم ٠

واكبر لغتين تفرعتا من الكنعانية هما : الفينيقية والعبرية ٠

عثر على نقوش الفينيقية في القرنين العاشر والتاسع ق٠م في صور وصيدا وجبيل وقبرص وعثر على نقوش ترجع الى القرون المتأخرة من القرن الخامس ق٠م فما دون ٠

تتميز هذه النقوش باختلافات واضحة بينها وبين العبرية في تركيب الجمل وابنية الكلم والصيغ ٠ وتفرعت من الفينيقية لهجة يتكلم بها القرطاجيون ، أسماها الدارسون (باللغة البونية) عثر على نقوش لها في مدينة قرطاجنة(١) ترجع الى القرن الرابع ق٠م فيها بعض اوجه شبه بالفينيقية من

---

(١) قرطاجة مدينة كبيرة ذات حضارة قديمة تملكها الرومان فترة طويلة من الزمن ، تقع في تونس على ساحل البحر الابيض ، فتحها المسلمون في زمن عثمان ـ رض ـ انظر : المعجب ٤٩٥ ٠

حيث شكل الحروف واستخدام الاصوات الساكنة ،٠وتختلف عنها في كثير من الوجوه الاخرى ٠ واللهجة المهمة الاخرى من لهجات الكنعانية ، والتي اصبحت لغة ذات شخصية متميزة وكيان مستقل هي (اللغة العبرية) التي تعد أكبر لغة ذات اثار ادبية وفنية وحضارية عرفتها الحضارات القديمة ، هذه اللغة يتكلم بها (بنو اسرائيل) من بين العبرانيين الذين نزحوا من مصر الى سيناء ومنها الى ارض كنعان واستقروا بفلسطين في القرن الثالث عشر قبل الميلاد ٠

ولقد جمعت لغتهم كثيرا من خصائص اللغة الكنعانية مع انهم لم يكونوا من السكان الاصليين لهذه البلاد ، ولعل ذلك يرجع الى تراجع لغة العبريين الاصلية أمام لغة السكان الاصليين لهذه البلاد فتغلبت الكنعانية على لغتهم ، وامتزجت اللغتان لتؤلفا لغة قريبة جدا من الكنعانية والفينيقية مع بعض المظاهر المتأصلة في لغتهم ٠

ويمكن تحديد مراحل تطور العبرية ثم موتها واقتصارها على الكتابة والتدوين دون التخاطب بما ياتي :

١ ـ عصر النشأة وكان ذلك في القرن ١٣ قبل الميلاد وتسمى عبرية العهد القديم

وتميزت العبرية في القرون التي تلت بكونها لغة التخاطب والتأليف والسياسة والدين والادب وقد مرت بمرحلتين منذ نشأتها حتى السبي البابلي ٥٨٧ ق٠م وهي المرحلة الذهبية لازدهار اللغة ، اذ دون فيها اسفار التكوين ونشيد الاناشيد والقضاء ٠٠٠ الخ ٠

بعد السبي البابلي الى انقراضها في القرن الرابع ق٠م على يد اللغة الارامية الزاحفة ويسمونها (المرحلة الفضية) للعبرية اذ دون فيها بعض الاسفار كيونس وزكريا وجزء من سفر دانيال ، وبعض تاريخ الادب والتاريخ العام ٠

٢ ـ عصر اقتصار العبرية على الكتابة والتأليف والدين ويبدأ من بعد القرن

الرابع ق٠م الى اليوم وهي (عبرية مابعد العهد القديم) وانقسمت على عصرين ايضا :

المرحلة الاولى :

كانت العبرية فيها تسمى العبرية (الربانية) نسبة الى الربانيين من بنى اسرائيل او (التلمودية) نسبة الى (التلمود) ففي هذه المرحلة الف (المشناة) وهو نص القوانين والتشريعات اليهودية ثم شرحت هذه (المشناة) بما يسمونه (الجمارا) ومن مجموع المشناة والجمارا يتكون التلمود ، ويبدو من خلال التلمود تأثر العبرية بالارامية وغيرها من اللغات التي عاصرتها ٠

مرحلة العبرية الحديثة :

وتبدأ من العصور الوسيطة حتى اليوم ، وتتميز بتعدد انواع جنسيات الكاتبين بها كالالمان والانكليز والفرنسيين والعرب ٠ ويظهر في هذه العبرية تأثرها بالعربية وغيرها من اللغات العالمية التي احتكت بها ٠

حـ ـ الارامية ولهجاتها :

انقسم الاراميون في سكناهم قسمين : منهم من سكن ارض كنعان ومنهم من سكن على حدود دولتي بابل واشور في العراق (١)

ولذلك اشتبكت لغتهم مع لغات هذه الدول بصراع انتهى بغلبة الارامية متأثرة بالرسم الكنعاني وحروف الهجاء ، وكان ذلك منذ مطلع القرن الخامس عشر ق ٠م ، حتى القرن الرابع ـ الاول ق٠م ، ولم تستطع السيطرة على الاكدية (البابلية ـ الاشورية) في العراق الا في القرن الرابع ق٠م فأماتتها وحلت محلها (٢) ٠ وبذلك سادت كل العراق وارض كنعان واصبحت لها السيادة

---

(١) علم اللغة : د٠ وافي ٣٣ ٠

(٢) سنة : ١٥٠٠ ق٠م ٠ أي : بعد مرور (١٥٠٠ عام) على استقرار الكنعانيين في ارض العمران ٠ تاريخ اللغات السامية : ولفنسن : ١١٥ فما بعد

من القرن الثالث ق٠م حتى سنة ٦٥٠ ب٠م اذ زحفت عليها العربية وسادت كل هذه الاصقاع فانحسر مدها ، ولم يبق لها الا مدن في شمال العراق وسوريا يتحدث بعض اهلها بها . ولاتساع هذه اللغة وسيطرتها على مساحات شاسعة من الارض حتى وجد لها اثار في مصر وبلاد فارس والنبط وشبه جزيرة سيناء وتدمر وتيماء والحجر ومدائن صالح والعلا وغيرها(١) ، ادى ذلك الى ان تتكون لها لهجات كثيرة يمكن تبيينها فيما يأتي :

١ ـ المجموعة الشرقية ولها اربع لهجات :

أ ـ الجنوبية استخدمها يهود مدرسة بابل الذين كتبوا بها (تلمود بابل) ، وهو تفاسير المشناة ٠

ب ـ المندائية : في جنوب العراق يتكلم بها المندائيون ، وكتبت بها مؤلفات الطائفة المسيحية ، ويرى المستشرقون أن المتكلمين بهـا كانـوا يدينون بالمسيحية المشوبة بالوثنية والمبادىء اليهودية ٠

حـ ـ الحرانية : نسبة الى مدينة حران شمال العراق ، والحرانيون يدينون بالوثنية ، وانقرضت لهجتهم في القرن (٩٠م) عند زحف العربية عليها ٠

د ـ السريانية : وكان يستخدمها اهل مدينة الرها ـ المعروفة عنـد اليونان بأوديسا ـ شمال حران ،وهي اهم اللهجات الارامية انتاجاللاداب والتاريخ والتأليف في مختلف الفنون والمعارف واكثرها تأثرا باللغات الاخرى كاليونانية ، وقد انقسمت الى لهجتين هما :

ـ اللهجة اليعقوبية واصحابها القائلون بوحدة طبيعة المسيح ٠

ـ اللهجة النسطورية واصحابها القائلون بازدواجية طبيعة المسيح ٠

---

(١) انظر حول حروبهم واستقرارهم في الارض : تاريخ الساميات ٠ ولفنسن ١١٧

٢ ـ المجموعة الغربية ، وقد انقسمت الى لهجات ـ ايضا ـ اهمها :

أ ـ الارامية الغربية نحو القرن ٨ ق ٠ م ويتضح فيها تأثرها باللغات المتقدمة، فقد كتبت برسوم قريبة من الكنعانية والفينيقية ٠

ب ـ الارامية الفلسطينية التي كتب بها اليهود (تلمود بيت المقدس) ومسيحيو سوريا وفلسطين في ترجمة العهدين القديم والجديد ٠

د ـ الشعبة السامية في الجزيرة :

لقد كتب للعربية الشمالية ـ الباقية ـ ان تكون الوريث الاصيل لكل ما خلفت اللغة السامية الام من اثار في سائر لهجاتها ولغاتها المتفرعة ، وسيطرت العربية على اجزاء كبيرة من الارض العربية واصبحت في حقبة وجيزة ـ وخاصة بعد الاسلام ـ لغة الادب والدين والسياسة والعلم والثقافة ، فضلا عن كونها لغة التخاطب ٠ ولم يبق من المناطق التي كان اهلها يتكلمون بالارامية الا قليل ـ كبعض قرى في شمال العراق وشرقي الموصل وجبال كردستان وهم جميعا لا يتجاوزون مئات الالاف من النسمات ، وكان منهم من يتكلم بالسريانية الحديثة التي يبدو عليها كذلك تأثرها بالعربية الزاحفة ، كما يبدو تأثرها باللغات المجاورة كالفارسية والتركية والكردية ٠

ان هذه العربية الباقية تمثل القسم الشمالي من شعب اللغة السامية التي بقيت في الجزيرة العربية ولم يتهيأ لها ان تخرج الا بعد الاسلام في الفتوح وانتشار الرسالة الاسلامية ٠ وكانت لغة الجنوب ـ اى عرب اليمن ـ تمثل الشطر الثاني الذى تدهور قبل ان تمتلك العربية الشمالية زمام الامور في كل الجزيرة ، بفضل زحف العربية الشمالية ووقوع العربية الجنوبية في صراعات معها ، وضعف الكيانات السياسية لشعب تلك المناطق ٠ وتسمى هذه العربية الجنوبية او السبئية أو القحطانية ٠

وان هذه العربية ـ القحطانية ـ(١) كان لها امتداد لغوى معروف في افريقيا ، بحيث استطاعت ان تكون لها فرعا لهجيا ساميا في الحبشة سيطر على جزء غير قليل ، وسميت هذه اللغة في هذه الارجاء باللغة الحبشية ، وتكونت منها لهجات . وسنمر عليها فيما يأتي ثم ندرس العربية الباقية .

اولا ـ الحبشية ولهجاتها

هي كما سبقت الاشارة من شعبة السامية الجنوبية ، ولقد عرفنا مما مضى : ان هذه اللغات السامية انحدرت مع اهلها اليمانيين الذين هاجروا الى الحبشة قبل الميلاد مرات متعددة واشتبكوا في مناطق من الحبشة بصراع لغوى انتهى بغلبة السامية على الحامية وبذلك اصبح في الحبشة لغتان :سامية دخيلة وحامية أصيلة يتكلم بها كثير من سكانها . وهذه السامية قريبة الشبه باللهجات الجنوبية اليمنية ، ويطلق على السامية منها (الجعزية) . أي لغة القبائل الحرة ، لان (الجعز) تعني : الحر .

اذ بدأ الاحباش يستخدمون الرسم السبيء في كتاباتهم ثم تحولوا عنه الى الرسم الجعزى ـ نسبة الى الجعزية ـ كبرى اللهجات السامية ، وبقي الرسمان يستخدمان في الحبشة مجردين من (اصوات المد والحركات) مدة من الزمن ثم وضعوا علامات تدل على المد والحركة تكتب مع السواكن بلغت سبعة اشكال ، ويبدأ الرسم من الجهة اليمنى الى الشمال ، ومنهم من تحولوا عن هذه الطريقة

---

(١)اطلاق مصطلح عربية الجنوب او القحطانية او اليمنية القديمة او الحميرية او السبئية باسم احدى لهجاتها هو اطلاق على لغة واحدة وهي الفرع الجنوبي للعربية . وهذه العربية . بادت كما بادت معها الصفوية والثمودية واللحيانية : الشمالية . وتقسيم العربية الى بائدة وباقية ،هو الصحيح كما يرى ولفنسون : ١٦٤ ـ ١٦٥ من تاريخ الساميات .

فصاروا يكتبون من اليسار الى اليمين وبقوا على ذلك الى اليوم. واطلق اليونان على هذا اللغة : (الاثيوبية) ، وبقي هذا الاسم عند الاحباش حتى اليوم . (١)

لهجات الحبشية

تنقسم الحبشية السامية على :

أ ـ الجعزية : نسبة الى الجعزيين الذين هاجروا الى الحبشة منذ اقدم العصور وتمثل لغتهم اللغة الحبشية القديمة ويطلق عليها ـ احيانا ـ اسم الحبشيـة او الاثيوبية ـ كما مر ـ ولقد وصل الينا منها نقوش ترجع الى القـرن الرابـع الميلادي وترجمة للكتاب المقدس وبعض المؤلفات الديـنية ولوحظ انهـا قريبة من العربية واليمنية القديمة ، وقد مرت بأطوار ثلاثة الطور الاول وهـو طور الكتابة السبئية . والثانية : السبئي المتقدم . والثالث : الجعزي المتميز من الساميات(٢) .

ب ـ الامهرية : وهي في الاصل لهجة القبائل الامهرية الذيـن غلبوا الجعزيين وقوضوا مملكتهم ودحروا لغتهم الجعزية واصبحت السيادة للامهرية منـذ القرن الثالث عشر الميلادي أي : عام ١٢٧٠ بعد الميلاد . وكونوا لانفسهم مملكة على انقاض الجعزيين ووقعـت في صـراع مـع اللهجات الاخـرى كالكوشية فغلبتها واصبحت الان لغة ثانية للسكان . غير ان هذا الصراع اثر فيها كذلك فابتعدت في كثير من قواعدها واساليبها عن السامية القديمة ، كما لحق الجزء السامي من هذه اللهجة تغيير كبير مما جعلها تبدو لغة لاعلاقة لها بالسامية ، وعدها الكثير من الباحثين الجسر الموصل بين السامية والحامية وفقدت كثيرا من اصوات الساميات كحروف الحلق .

---

(١) تاريخ اللغات السامية : ولفنـسـون : ٢٥٤ـ٢٥٥

(٢) نفسـه : ٢٥٦

ح ـ التيجرية: وهي فرع من الجعزية قوية الشبه بها ، يتكلم بها سكان شمالي منطقة تجرينيا وأقسوم ومعظم اهلها مسلمون ، لذا كان تأثير عربية القرآن الكريم فيها واضحا في المفردات اليومية ٠

د ـ الجوراجية: مجموعة لهجات يتكلم بها اهل جوراجيا ، وهم مسلمون ومسيحيون ووثنيون

هـ ـ التجرينية: وهي فرع من الجعزية ـ ايضا ـ ويتكلم بها اهل تجرينيا ، وهي لغة مشافهة ومحادثة ، لا لغة كتابة ورسم ٠

و ـ الهررية: نسبة الى مدينة هرر ، وهي متفرعة من الامهرية ، اهلها مسلمون وهم خليط من جملة قبائل جالا وصومال ٠ولذلك تأثرت لهجتهم بالعربية بشكل واضح ،لقربهم من لغة القرآن، وتحتفظ هذه اللغات بأصوات الحلق٠

ز ـ لهجة أهل جافات ٠ يسكنون شمال جبال طلبا وأوها ، وهي من الامهرية٠ ، ولكنها انقرضت ٠

ويلاحظ ان هذه اللهجات الاخيرة لم تكن الا فروعا للجعزية او الامهرية فالتيجرية والتجرينية هما فرعان من الجعزية ، واما لهجة مدينة هرر وجافات فهما فرع من الامهرية وتختلط اللهجتان في جوراجيا ٠ ومن هنا كانت اللهجتان الجعزية والامهرية اهم لهجات السامية الحبشية واكبرها واكثرها تميزا بصفاتها العامة المعروفة في اللسان السامي ٠

ثانيا ـ عربية الجنوب

وموطنها اليمن ويطلق عليها القحطانية ، ويطلق على الشطر الشمالي العدنانية وتعرف (باللغات اليمنية القديمة) وقد تسمى بالسبئية ٠ ويلاحظ ان هذه اللغات ذات خصائص وصفات تختلف عن العربية الباقية كثيرا ٠ ولو

اخذنا سطرا من نقش ذكره اسرائيل ولفنسن في كتابه (١) والترجمة العربية وجدنا فيه بعض الاختلاف في القواعد والبنية والدلالات والاصوات ،ولعل ذلك هو الذي دعا اباعمرو بن العلاء الى الحكم بان عربيتهم ولسانهم يختلفان عن عربية الحجاز ـ وهي عربية الشمال ٠

النص اليمني القديم

وهو نص مقتطع من نقش طويل ، ومخلخل ، وهذا هو :

(بمقم مراهيمو عشتر شرقا اشمسهوا والال تهمو وباخيل ومقيمت خميس)

وترجمته العربية : بمجد سيدهم عشتر الشرق (او المشرق) والهتهم الشموس وسائر الالهة وبحول وقوة الخميس ـ وهو الجيش ـ كما في العربية ٠ (٢)

ويبدو لي ان (بمقم) هو بمقام ، اى : المكان والرفعة وهو الذى عبر عنه ولفنس : (بمجد) واما (مراهيمو) فتعني: اميرها اوسيدهم كما في الترجمة ، واما عشتر شرقا التي اختلف في ترجمتها فلا تعدوان تكون (عشتار المشرق) او (عشتار الشرق) واما (باخيل) فهي : بحول ٠ و (مقيمت خميس) تعني (مقام او مجد او قوة) كما ترجمت مضافة الى (خميس) التي تعني الجيش ، والمفردتان (الخميس والجيش) من مفردات العربية الباقية والواضح في (اشمسهووا لال تهمو) هي (الشموس والهتهم) ٠

ومع ان هذه الترجمة وغيرها هي عبارة عن احتمالات لا يمكن القطع بصحتها ، الا اننا نرى ان بينها وبين العربية الباقية شيئا من القرابة تدل على وحدة الاصول اللغوية بينهما ٠ غير ان اللغويين يقررون ان القرابة بين السامية

---

(١) تاريخ اللغات السامية ٢٤٨٠

(٢) نفسه ٢٨٠ ٠ وتختلف بعض ترجمات الاخرين عن ولفنسن كما هو الحال عند ليتمان ٠

الحبشية وهذه اليمنية اكثر صلة ووضوحا ، وسبب ذلك يرجع الى الهجرات اليمنية المعروفة الى ارض الحبشة منذ اقدم العصور.

وعلى اية حال فان مجموع هذه اللغات الثلاث وهي :

(١) العربية (٢) اليمنية القديمة (٣) الحبشية ، تمثل مجموعة واحدة تسمى (الشعبة السامية الجنوبية) وهي تكون في مقابل الشعبة الشمالية السامية المتألفة من الكنعانية والارامية والاكادية .

اللهجات اليمنية

تنقسم اليمنية القديمة على لهجات هي :

١ ـ اللهجة المعينية: نسبة الى المعينيين الذين انشأوا بجنوب اليمن دولة حوالي القرن الثامن ق.م وكانوا اصحاب تجارة بحرية وامتد نفوذهم الى شمال الجزيرة ، وقد عثر على نقوش لهم في كنعان واليمن .

٢ ـ اللهجة السبئية: قاموا على انقاض المعينيين وسيطروا على اصقاع كبيرة في بلاد اليمن وغلبت لهجتهم على سائر اللهجات ، وبذلك يطلق الدارسون اسم السبئية على لغات اليمن الجنوبية ، دالت دولتهم في اواخر القرن الرابع بغزو الاحباش لليمن وعثر على نقوش في (مأرب) عاصمتهم .

٣ ـ الحميرية: تنسب للحميريين الذين نازعوا السبئيين سلطانهم مدة طويلة حتى غزو الاحباش فاستطاع الحميريون بذلك ان يتولوا حكم اليمن وان تتغلب لغتهم وتبرز فيها ـ مدة ـ الى ان غزا الاحباش اليمن ـ مرة ثانية سنة : ٥٢٥م ـ واسقطوا ملكهم وهو ذو نواس ، وهو لقب لـ (يوسف اسار) الذي اصبح ملكا لكل القبائل اليمنية(١) .

---

(١) ونالت لهجتهم مكانة كبيرة حتى اطلقت على جملة عربية الجنوب وسميت بالحميرية ، كما سميت بالسبئية عند سيطرة السبئيين . انظر : تاريخ اللغات السامية : ٢٤٠

٤ _ القتبانية: نسبة الى قبائل قتبان . كونوا دولة في المناطق الواقعة شمال (عدن) . ولكنهم لم يطل حكمهم ، اذ سيطر عليهم السبئيون في القرن ٢ق.م واندمجت لغتهم بالسبئية .

٥ _ الحضرمية : نسبة الى بلاد حضرموت وقفت مع السبئية في صراع فغلبتها السبئية ولم يبق الا آثار قليلة .

ملاحظات حول الخط اليمني والكتابة

لم يعرف الدارسون شيئا عن كيفية النطق لهذه اللغات_اللهجات_اليمانية القديمة ، اذ لم يصل اليهم الا النصوص المكتوبة بالخط اليمني _ المسند الذي ننقل منه_هنا_شيئا من حروفه مقارنة بالعربية واللاتينية والفينيقية ، ويمكن ملاحظة بعض الاشكال المتفقة بينه وبين الفينيقية الكنعانية .

فمن هذه المجموعة من الحروف يبدوان هناك صلة بين الخط الجنوبي _ المسند_ وبعض رسم الخط الفينيقي الذي يمثل واحدا من خطوط اللهجات الكنعانية ويقرر دارسو اللغةأن الخط اليمني _المسند_ هوخط مشتق في الاصل من الخط الكنعاني القديم وهو رأي (ليدزبارسكي) في حين يرى غيره ان العكس هو الصحيح، مثل هومل (١) غير ان المسند يتميز عن الخط الكنعاني بدقته المتناهية واختلاف أشكاله الهندسية الجميلة .

ويكتب الخط المسند من اليمين الى اليسار ، وقد يكتب من اليسار ،وهناك نوع ثالثمن الكتابة لهذا الخط وهو الكتابة الموصولة ،ايبيدأ من اليمين وينتهي باليسار ثم يبدأ من اليسار وينتهي باليمين ثم يبدأ من تحت من يمين السطر الى اليسار ثم يبدأ السطر الجديد من تحت يمين السطر والى اليسار حتى نهاية النص الذي يراد كتابته ، وصورته كالآتي :

---

(١) ولفنسون : ٢٤٣



وهذا سطر اخر :



ويلاحظ عليه انه يسند الى أعمدة في معظم حروفه كما يفصل بين كلماته خطوط عمودية ، وتتغير تشكيلات الحروف الاخرى بين صورة الدائرة والمعين والمثلث والمستطيل والمربع وما اشبه ذلك من هذه الاشكال.

ولقد وجد الدارسون ان المسند يتميز بخصائص اخرى عن سائر الخطوط هي :

ا – يتألف من تسعة وعشرين حرفا ،وهي جميع اصوات العربية الشمالية،كما اشرنا في غير هذا الموضع . أما الخط الكنعاني فتنقصه: الذال والضاد والظاء والثاء والسين والغين .

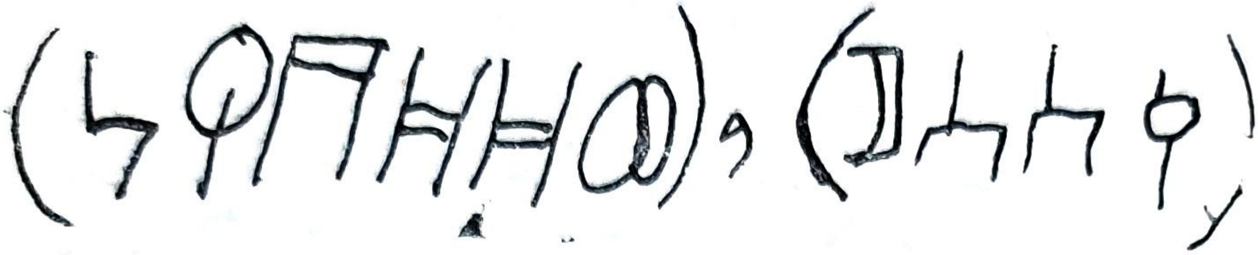
ب – ان هذه الاصوات خالية من الشكل والحركة .

ح – انها خالية–ايضا–من اشكال الحروف التي تساعد على الربط بينها ، اى انها تختلف عن العربية الباقية بان هذه الاخيرة تمتلك اشكالا متنوعة تربط الحروف ببعضها في الكلمة الواحدة ، في حين يكتب الخط المسند منفصل الحروف كما هو واضح فيما اثبتنا من الامثلة .

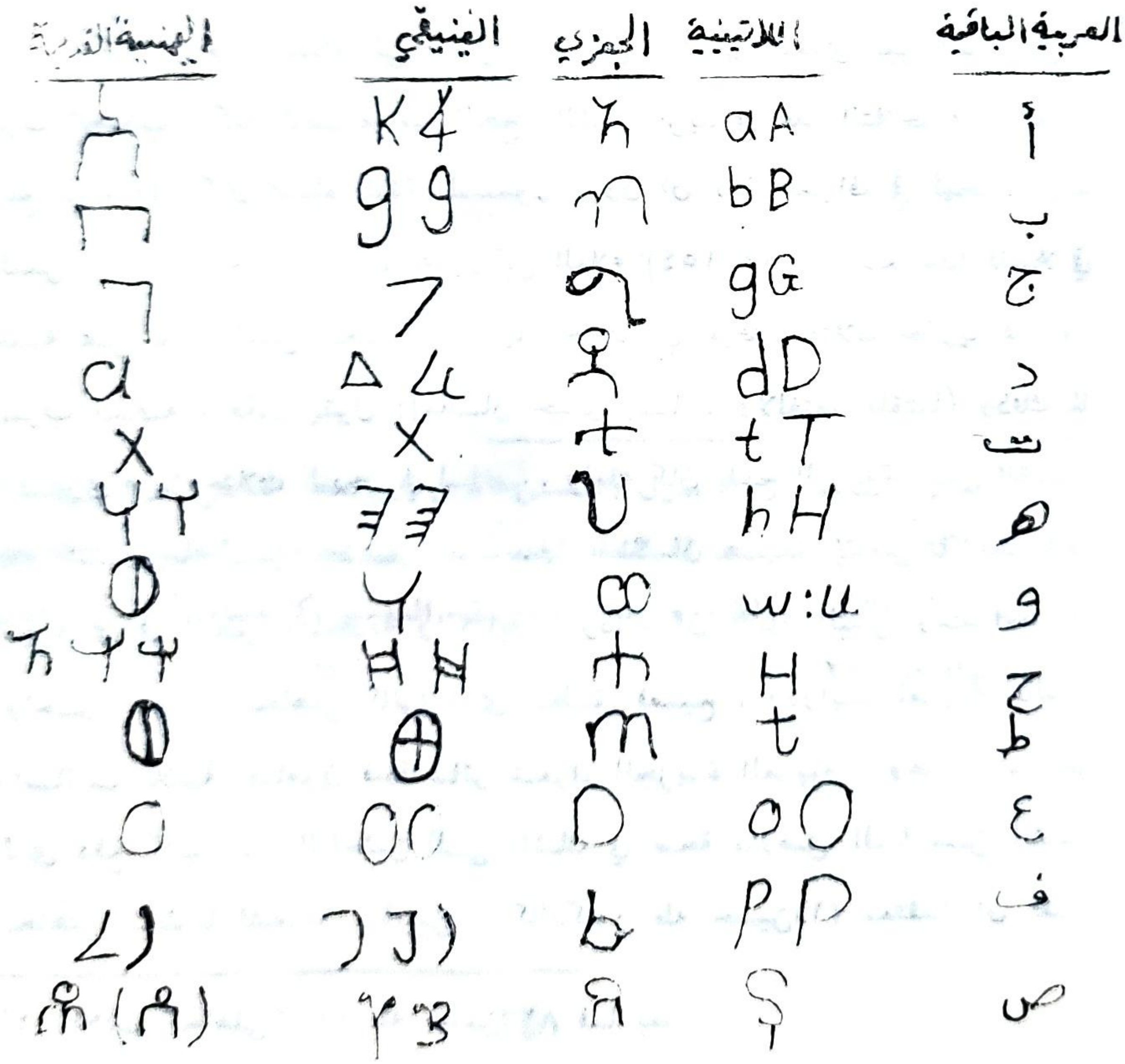
د – تنفصل الكلمات بعضها عن بعض بوجود خط يفصل بينهما ، وتكون هذه الخطوط عمودية كما هو واضح في السطرين السابقين .

هـ – اذا احتاج الخط المسند الى التشديد للحرف كرر رسم الحرف ، دلالة على

الشدة التي استخدمتها العربية الباقية فوق الحرف نحو : خلد ، أرخ — بتشديد اللام والراء — اما في الخط المسند فيكون على الشكل الآتي:



اى تكرار صورة الحرف ٠ ولقد كتبت اللغة اليمنية ارقامها بالحروف ، واتبعته بالرقم ، في حين كتبت العربية الارقام بالحروف ولم تستعمل الرقم الا متاخرا عن عربية الجنوب ٠



زحف العربية الشمالية

ان اخر عهد باليمينة ـ القحطانية ـ كان قد تم على يد العربية الكنعانية حين زحفت على الجزيرة العربية قبل الاسلام فدخلت معها في صراع لغوى طويل تمكنت عربية الشمال في نهاية المطاف ان تسجل نصرا ساحقا على معظم اجزاء الجزيرة ٠

على انه قد بقي لعربية الجنوب كثير من الاثار في لهجة عرب جنوب الجزيرة وبقي كثير من المفردات في العربية السائدة ، على الرغم من ان أهل الحجاز ونجد كانوا يتفاهمون بالعربية مع سائر عرب الجزيرة ٠

وكانت رحلة الشتاء الى اليمن تزيد من التلاحم اللغوى بين الفريقين ، عرب الجنوب ، كما كانت مواسم الحج والشعر تزيد في هذا التلاحم والتفاعل . ومع ذلك فقد كان علماء اللغة المسلمون يرون ان ثمة انحرافا في لهجات عرب اليمن ، وممن لاحظ ذلك ابو عمرو بن العلاء (١٥٤ هـ) اذ وضع حدا فاصلا في حكمه على لغات اليمن الجنوبية بكونها تختلف في عرفه اختلافا جذريا عن لغة العرب الباقية ، فكان يقول :(مالسان حمير بلساننا ولالغتهم بلغتنا) وذلك لما كان يرى من الاختلاف اللهجي في لسانهم ، ولعله كان يلمح الى لغة اليمن القديمة التي اشرنا الى بعض خصائصها ، الا ان هذا لايعني الاختلاف الجوهرى في النطق والمحادثة والكتابة ، وذلك ان ادباء اليمن وشعراءها في اواخر العصر الجاهلي كانوا ذوى منطق فصيح ، ودراية لغوية عالية واساليب بلاغية يضاهون فيها سائر شعراء الجزيرة العربية ، وهذا الامر هو الذى دفع كثيرا من الباحثين الى الشك في صحة ماوصل الينا من الشعر الجاهلي منسوبا لشعراء يمانيين ، كالدكتور طه حسين(١) معتقدا ان لغة

---

(١) الادب الجاهلي : د٠ طه حسين ٨٢ فما بعد ٠

اليمن في هذه الحقبة من حياة العربية كانت بعيدة عن الفصاحة التي تميزت بها العربية الباقية ، ولم يكن على صواب ، لكن العربية في هذه الاثناء كانت ذات سيادة امتدت من شمال الجزيرة الى جنوبها بحكم انتهاء الممالك اليمنية ومجاورة العربية لها مدة طويلة من الزمن ، واتصال المصالح التجارية والدينية والسياسية والادبية بالحجاز ومكة وكثرة الناطقين بالعربية مع قلة الناطقين باليمنية ، ثم مبلغ رقي العربية وهي في عنفوانها الادبي والفني ، وغزارة مفرداتها واتساعها للتعبير في مختلف فنون القول ، كل ذلك جعل اللهجات الاخرى تتراجع امامها لتحل محلها .

كان الخط المسمارى يشتمل على الحروف الاتية كما يستخلص ولفنسن(١)

---

(١) اللغات السامية : ٣٨ يقول ولفنسن : نرى أن الخط البابلي لم يكن يشتمل على كثير من الحروف السامية ، فاننا لم نرفيه حروف التضخيم والتفخيم العربية كالطاء والظاء والضاد وحروف الحلق كالحاء والعين والغين والهاء ص ٣٩

الحرف العربي	الحرف الأكدي بالرسم العبري	الحرف اللاتيني
أ	א	A
ب	ב	B
ج	ג	G
د	ד	D
ز	ז	Z
ح	ח	H
ط	ט	T
ك	כ	K
ل	ל	L
م	מ	M
ن	נ	N
س	ס	S
پ	פ	P
ص	צ	Ṣ
ق	ק	Ḳ
ر	ר	R
ش	ש	Ś
ت	ת	T

كلمات عربية مقابلة بالبابلية

العربية	البابلية بالحرف اللاتيني حسب تلفظها
١ ـ اب	1. ABU
٢ ـ اله ـ الله ـ ال	2. ILU
٣ ـ ارض	3. IRSITU
٤ ـ اسم	4. SUMU
٥ ـ باب	5. DALTU
٦ ـ بعل	6. BELU
٧ ـ جمل	7. GAMMALU
٨ ـ حديث	8. EDESSU
٩ ـ حصان	9. SISU
١٠ ـ دم	10. DAMU
١١ ـ ذكر	11. ZIKRU
١٢ ـ رحم	12. RAMU
١٣ ـ ركب	13. RAKABU
١٤ ـ سماء	14. SAMU
١٥ ـ سنة	15. SATI-SANNTI
١٦ ـ شهر	16. ARHU
١٧ ـ ضأن	17. SANU
١٨ ـ طيب	18. TABU
١٩ ـ عين	19. ENU
٢٠ ـ كن العصفور ـ او عشه	20. KINNU
٢١ ـ لبنة ـ اجرة	21. AGURRU
٢٢ ـ هلاك	22 ALAKU

عثر على نقوش كثيرة تنسب الى الكنعانيين في قبرص وصيدا وقرطاجنة وصقلية ومالطا ونواحي فلسطين ، ومنها رسائل موجهة من بعض الامراء الكنعانيين الى الملك امون حوطف المصري في القرن (١٤ ق ٠م) مكتوبة بالبابلية. وفيها بعض المفردات الكنعانية ،ومنها رسائل تنسب الى الملك (كلمو) في القرن (٩ ق٠م) ٠ وهذا النقش الاخير يتضمن ستة عشر سطرا ، وهذا حله بحروف عربية ٠

١ ـ انخ كلمو برحي

٢ ـ ملك حبر على يادى وبل بعل

٣ ـ كن بمه وبل بعل وكن ـ وخن ـ(١)اب حبا وبل بعل وخن ـ وكن ـ اح٠

٤ ـ شأل وبل بعل وانخ كلمو برتم ماش بعلت ٠

٥ ـ بل بعل هلفنيم كن بت ابي بمتخت ملكم اد

٦ ـ رم وكل شلح يدلل ـ ح ـ م وكت بيد ملكم كماش اكلت

٧ ـ زقن(٢) و ـ كم اش اكلت يد وادر على ملك دنيم وشكر ـ وشخر ـ

٨ ـ انخ على ملك اشر علمت يتن بش وجبر بسوت

٩ ـ انخ كلمو برحيا يشبت على كسا ابي لفن هم

١٠ ـ لخم هلفنيم يتلخن مشكبم كم كلبهم ٠ وانخ لمي كث اب ولمى كث ام

١١ ـ ولمي كت اخ ومي بل حر بن ش شتى بعل عدر ومي بل حزين الف شتي بعل

١٢ ـ بقر وبعل كسف وبعل حرص ومي بل حز كثن لمنعرى وبيمي كسي ب

١٣ ـ ص٠ وانخ تمخت مشكيم ليد وهمت شت نبش كم نبش يتم بام ومي ببن

١٤ ـ ى اش يشب تحتن ويزق بسفرز مشكيم اليكبد لبعرر م وبعرر

---

(١) احتمال كون الكاف بصوت الخاء ، والعكس صحيح كذلك

(٢) زقن : اى : الذقن او اللحية ٠

١٥ ـ م اليكبد لمشكيم ومي يشحت هسفرز يشحت راش بعل صمد اش لجبر

١٦ ـ ويشحت راش بعلحمن اش لبمه وركبال بعل بت

ترجمة هذا النقش بعد كتابته بالحرف العربي :

١ ـ انا كلمو بن حيا

٢ ـ جبر حكم علي يادى وما فعل شيئا

٣ ـ ثم كان بمه ٠ وما فعل شيئا ثم كان ابي حيا وما فعل شيئا ثم كان اخي

٤ ـ شاؤل وما فعل شيئا ٠ واما كلمو بن تمه ـ امرأة ولعلها امه ـ فقد فعلت

٥ ـ مالم يفعل السابقون ، كان بيت ابي في وسط ملوك اقوياء

٦ ـ وكلهم مدوا ايديهم ليأكلوه ٠ وكنت في يد الملوك اذ أكلت

٧ ـ لحيتي ٠ واكلت يدى وتغلب علي ملك دنيم واغرى

٨ ـ بي ملك اشور ٠ فكانت الفتاة تعطى بشاة والرجل بثوب

٩ ـ انا كلمو بن حيا جلست على كرسي ابائي امام

١٠ ـ الملوك السابقين ٠ كان اهل مشكب كالكلاب ، واما انا فكنت لهم ابا واما

١١ ـ وصرت لهم اخا ، ومن لم ير وجه شاة جعلته صاحب قطيع ، ومن لم ير وجه بقرة جعلته صاحب صوار ٠

١٢ ـ وصاحب فضة وصاب ذهب ، ومن لم ير كتانا منتفشا ففي ايامي كسي بملابس بص(١) ٠

١٣ ـ وقد حميت اهل مشكب حتى سكنوا سكون اليتيم الى امه ومن من ابنائي٠

١٤ ـ من يجلس بعدى على العرش ، ويؤذى هذا النقش فالمشكابيون لايحترمون اهل برر ٠

١٥ ـ لايحترمون قوم مشكب ٠ والذى يخرب هذا النقش ليخرب رأسه بعل صمد الذى يجبر ٠

---

(١) نقل ولفنسون : ان (بص) هو نوع من اللباس الفاخر ٠ وقد ذكر هذا اللفظ في سفر استير من العهد القديم اصحاح : ١ اية ٦ ٠ ناريخ اللغات السامية ٦٥ ٠

شـــــرحه

١٦ ـ وليخرب رأسه بعل حمان الذى ببمة وركب الى بعل بيت ٠

وجد هذا النقش في نواحي زنجرلي شمال سوريا ، وهو اقدم نص من النصوص الكنعانية (حوالي القرن ٩ ق ٠م) يحتوى على صورة الملك كلمو بملابسه الحربية ، ويحمل خنجرا ، وصورتين : للشمس والقمر ٠

الملاحظات عليه

١ ـ نقل هذا النص بكامله ولفنسون في كتابه اللغات السامية ، ويبدو من خلاله ان كثيرا من مفرداته صعب الحل ويحتمل اكثر من وجه ٠

٢ ـ ان بعض الاصوات يحتمل اكثر من وجه كما نرى في الكاف والخاء ٠

٣ ـ استخدام واوات العطف بكثرة للربط بين جمل النص القصيرة ٠

٤ ـ ليس لاصوات المد وجود في رسم الكلمات ٠

٥ ـ اتفاق مفردات اعضاء الجسم والاسرة والعائلة والحياة العامة في المجتمعات السامية ، كاليد والاخ والام والاب والرأس والحيوانات كالشاة والبقر٠٠ وغيرها ٠

٦ ـ استخدام بعض الاصوات محل اصوات جاءت طورا لها كالراء بدل النون في (بر) : (بن)

٧ ـ وردت في النص كلمات ممزوجة وكان الاصح ان تكتب منفردة مثل : ملكا شر : الملك اشور ٠

نقش ارامي وحلـــه

اكثر النقوش الارامية الشرقية او الغربية التـي عثر عليهـا قصيرة ، وملحقة بتواريخ تعين ازمنة نقشها ، وهي متنوعة لتنوع لهجات اللغة الارامية ٠ ومن هذه النقوش نقش يرجع الى مملكة تدمر التي حكمتها زنوبيا ٠ فقد وصلت

هذه المملكة اوج عظمتها سنة (١٣٠ ب٠م) الى (٢٧٣ء٢ ب٠م) ولغتهم قريبة الشبه باللهجات الغربية الارامية ، وفيها الفاظ كثيرة مما يألفه الشرقيون في نطقهم ٠ واكثر نقوشهم في تدمر ، ومنها نقوش عثر عليها في افريقيا وروما والمجر وانكلترا ، ويرجع الباحثون الى ان كثيرا من التدمويين كانوا ملتحقين بالجيش الروماني ٠ وخط التدمريين قريب من العبرى(١) والمربع ٠

وهذا نقش يوليس اورليس بالحروف العربية ٠

١ ـ صل مادنة دى يوليس اورليس

٢ ـ زبيدا بر مقيمو بر زبيدا عشتور

٣ ـ بيدا دى اقيم له تجرا بنو شيرتا

٤ ـ دى نحت عمه لالجاشيا ليقره بديل

٥ ـ دى شفر لهون بيرح شنة ٠٠٠

ترجمتـــــه

١ ـ هذا تمثال يوليس اورليس

٢ ـ زبيد بن مقيمو بن زبيدا عشتار

٣ ـ بيدا الذى اقامه له تجار القافلة

٤ ـ التي وردت معه الى الجاشيا لتعظيمه ، لانه

٥ ـ احسن لهم ٠ في تاريخ شهر نيسان ٥٥٨

يقول ولفنسون : الجشيا المذكورة مدينة تقع على الفرات في جنوب شرقي بابل ، وهي تابعة للدولة الفرثية ٠

الملاحظات اللغوية على هذا النص

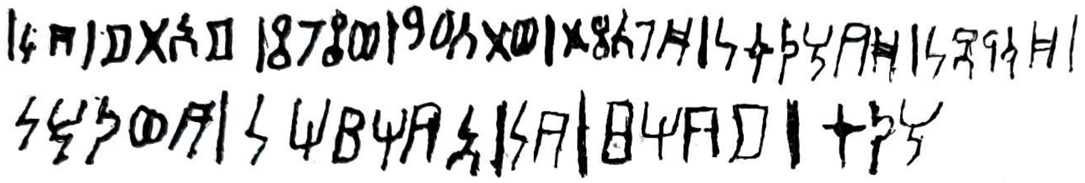
ليست هناك ملاحظات جديدة على ماضى من التفسير ، الا ان الباحثين

---

(١) انظر ولفنسون ١٢٩ ٠

يرون تأثر التدمرية باللغة اليونانية ، ونقل بعض المفردات من هذه اللغة اليها ولا سيما الاعلام ، فضلا عن ان اسماء الاعلام فيها عربية ٠

نص من الكتابة بالخط المسند ، وهو جزء من النقش الذى اقتطفنا منه سطرا فيما مضى مع حل كلماته ، بعد كتابته بالعربية :



وكتابته بالحرف العربي كالاتي :

حن يور خن ذ قيصن ذ بخرف ذ لشنت وتسعى وثلث ماتم بن خرف مبحص بن ابحص :

وترجمته العربية كالاتي :

في شهر ذى قيصن من سنة ثلاثمئة سنة بعد مبحص بن ابحص(١) ٠

---

(١) نقله ولفنسون عن : EPHENMERIS ج ٢/م١/ص٩٣

انظر تاريخ اللغات السامية ٢٤٨ ـ ٢٥٠ ٠ ونقل منه نصوصا اخرى مترجمة ، انظر الصفحات ٢٥١ ـ ٢٥٢ ٠

الفصل الخامس

١ ـ العربيتان البائدة والباقية ٠

٢ ـ لهجات العربية الباقية ٠

٣ ـ بعض اوجه الخلاف بين لهجتي تميم والحجاز ٠

٤ ـ صفة الاعراب في العربية الباقية ٠

١ ـ العربيتان البائدة والباقية

العربية في واقعها التاريخي عربيتان : عربية الشمال وعربية الجنوب ، وفيما مضى ذكرنا العربية الجنوبية المتمثلة بالقحطانية وهي اليمنية القديمة ـ او السبئية ـ ٠

اما الشمالية فهي عربيتان ـ كذلك ـ عربية بائدة ، وهي التي يطلقون عليها عربية النقوش(١) ، اذ ان معظم ماوصل الينا من نصوصها هي كتابات منقوشة على الجدران او القبور او البيوت الجبلية ، ولا تتعدى في قدمها القرنين قبل الاسلام ، ولوحظ انها متأثرة باللغة الارامية التي كان لها قديما السيطرة العظمى على مناطق شمال الجزيرة والعراق ، وارض كنعان في هذه الاثناء ، وقد كتب لهذه العربية ان تبيد ـ كذلك ـ كما بادت الجنوبية ـ القحطانية ـ ، والعربية الثانية : فهي العربية الباقية وهي التي كتب لها البقاء والخلود اذ وصل الينا منها النصوص الكاملة من الشعر العربي الجاهلي والامثال وأقوال الفصحاء والبلغاء وخطبهم ، فضلا عن القرآن الكريم واحاديث النبي ـ ص ـ ونصوص مخاطبات الصحابة وخطبهم واقوالهم المأثورة ، مما اعان الباحثين في دراستهم بشكل متكامل ووضع قوانينها واسسها العامة المعروفة في كتب النحو والصرف والبلاغة والنقد والادب والعلوم المتفرعة ٠ وكانت البائدة قد تفرعت الى لهجات هي : (الثمودية) المنسوبة الى قبائل ثمود ـ كما ذكروا في القرآن ـ ويرجع معظم نصوصها الى القرنين الثالث والرابع بعد الميلاد ، عثر عليها فيما بين الحجاز ونجد ودمشق ، مدونة بالخط المسند مكتوبة من الاعلى الى الاسفل ويتضح في بعض مفرداتها التأثر بالعربية والارامية ٠

واللهجة الاخرى هي (الصفوية) نسبة الى منطقة الصفا ، وقد عثر على

---

(١) تاريخ اللغات السامية : ولفنسن ١٦٣ ٠

(٢) فقه اللغة : وافي ١١ ـ ١٢ ٠

مايناهز الفي نص بين (الصفا والدروز) مدونة بين القرنين الثالث والسادس الميلاديين بخط قريب من الثمودية ، الا انه يقرأ بعضه من الشمال الى اليمين ، وبعضه من اليمين الى الشمال ٠

اما (اللحيانية) المنسوبة الى قبائل لحيان فقد عثر على نقوشها مكتوبة من اليمين الى الشمال بشكل انيق اكثر تنظيما ودقة من الثمودي والصفوي يرجع معظمها الى القرنين الثالث والثاني ق٠م ٠ وخطها يرجع الى المسند ـ ايضا ـ، واللحيانية اقدم من سابقتيها تاريخا ٠ وقد تميزت هذه النقوش ـ جميعا ـ بقربها من العربية الباقية وتكون خطوطها المرحلة البدائية ، الا انه يهمل احرف اللين ـ أ ـ و ـ ي ، ومنه مانقل ولفنسون(١) من قبر القيض بنت عبد مناة وهو مؤرخ سنة ٢٦٢ الميلادية وهو : (ذن للقض بنت عبد منت ، وتفسيره (هذا للقيض بنت عبد مناة) اى : هذا القبر ٠٠٠ والواضح فيه قد اهمل ـ فعلا ـ استعمال الاصوات الصائتة ٠

نص نقش النمارة

هذا النقش عثر عليه مكتوبا بالقلم النبطي ، ولكن لغته ارامية ، غير ان الدارسين تبينوا من خلاله سمات العبارة العربية المتميزة بالقصر ووضوح الفكرة ، واستعمال الروابط كالواو العاطفة بكثرة ، والنص كما ترجمه المستشرقون(٢) :

ـ هذا قبر امرىء القيس بن عمرو ملك العرب ـ كلهم ـ الذى ملك(٣) التاج

---

(١) تاريخ اللغة السامية ١٧٨ وانظر : ١٨٩ ـ ١٩٠ ٠

(٢) مجلة دراسات تاريخية ، مقال لمحمد محفل ٧١ ٠ تاريخ اللغات السامية ولفنسن ١٩٠ ٠

(٣) في ولفنسن : حاز التاج

ـ «وقهر(١) الاسديين ونزارا وملوكهم ، وهزم مذحجا(٢) بقوته وقاد»
ـ «الظفر الى اسوار نجران (٣) مدينة شمر ، واخضع معدا واستعمل»
ـ «بنيه على القبائل ، وانابهم عنه لدى الفرس ، والروم فلم يبلغ ملك مبلغه»
ـ «في القوة ٠ مات سنة ٢٢٣ يوم ٧ من كسلول ٠ وفق بنوه للسعادة»

ويبدو من خلال هذا النص الاصلي خلوه من اصوات المد وورود بعض المفردات الارامية مثل لفظه (كسلول) اسم الشهر ٠ وعند ايراد النص الاصلي بالحرف العربي يتضح بعض تلك الخصائص :

١ ـ تي نفس مر القيس بر عمرو ملك العرب كله ذو اسر التج
٢ ـ وملك الاسدين ونزر وملوكهم وهرب مذحجو عكدى وجا
٣ ـ بزجي في صبح نجرن مدينة شمر وملك معد ونزل بنيه
٤ ـ الشعوب ووكلهن فرسو لروم فلم يبلغ ملك مبلغه
٥ ـ عكدي ٠ هلك سنة ٢٢٣ يوم ٧ بكسلول بلسعد ذو ولده

كما يتضح صورة الخلاف بين المترجمين ، مما يؤكد لنا ان المترجمين ـ لحد الان لم يوحد بينهم اتفاق واضح ٠

٢ ـ لهجات العربية الباقية

لقد نزل القرآن الكريم ، وجاءنا حديث النبي محمد ـ ص ـ والشعر العربي وسائر النصوص اللغوية الاخرى بلغة اشبه ان تكون واحدة في تنظيمها وكيانها البنيوى وصيغ مفرداتها ومشتقاتها مع العلم ان العرب الناطقين بهذه اللغة كانوا قبائل تمثل وحدات لغوية تتميز ببعض خصائص لهجية مختلفة في

---

(١) في ولفنسن : وملك الاسدين ٠
(٢) في ولفنسن : مزحج ٠
(٣) ولفنسن : وجاء الى نزجى (اوبزجى) في حبج نجران ٠٠ وانزل بين بنيه ارض الشعوب

الدلالات والاصوات في داخل اطار اللغة الواحدة ، ومن المؤكد ان القبليين كانوا يتفاهمون بلهجاتهم الخاصة داخل قبائلهم ، ولكنهم كانوا يحاولون نبذ اللهجة الخاصة اذا ماالتقوا سائر العرب في المواسم الادبية والدينية التي كان مقرها قبل الاسلام منطقة الحجاز مكة والطائف وما جاورها . على ان الاسلام بكتابه العزيز، وبمنطق النبي – ص – وبما روى من شعر الشعراء الفحول قد نقل لنا لغة واحدة – او موحدة – ذات خصائص وصفات عامة وقوانين ثابتة تحكم اجزاءها وتضبط تراكيبها . وحاول اللغويون الاولون ان يكشفوا النقاب عن قوانين هذه اللغة معتمدين على هذه النصوص دون الالتفات الى ماكان يخرج عنها في بعض اللهجات العربية الاخرى .على ان هذه النصوص التي بنيت عليها اسس قواعد النحو العربي لم تكن – كذلك – لهجة خاصة بقبيلة واحدة دون اخرى ، فان من المفترض سلفا ان تكون لهجتا تميم والحجاز من اللهجات المعول عليها عند اللغويين في وضع قواعد هذه اللغة . ولم يتخل اللغويون عن نقل نصوص لهجات القبائل الاخرى للاستعانة بها على تقوية القاعدة او التفريع عليها ، فعلى الرغم من اننا نجد القوانين اللغوية العامة منصوصا عليها في كتب اللغة تجد باب الجواز والتسامح مفتوحا بشكل واسع ، اذ سرعان مايرد الى جانب القاعدة العامة جواز وجه على لغة هذيل او اسد او طيء ... الخ .

من ذلك جواز تسكين هاء (هو) و (هي) بعد الواو والفاء ، ولام الابتداء وقلة تسكينه بعد كاف الجر وحذف الواو والياء منهما . قال الرضي : ويسكنهما قيس واسد ، ويشددهما همدان قال :

وان لساني شهدة يشتفى بها   وهو على من صبه الله علقم(١)

وهذا كله خارج عن القاعدة العامة التي اتفق عليها الدارسون والتي وجدوها في كلام القبائل التي عولوا عليها في وضع اسس الكلام العربي القويم .

---

(١) شرح الكافية ٢/١ . أي : بتشديد واو (هو) .

ومن ذلك ـ ايضا ـ ان المتفق عليه في كلام معظم العرب ضم الهاء في (منه) الا بكرا فانها تكسر ، قال ابو علي النحوي ان ناسا من بكر بن وائل يكسرونها في الواحد والمثنى والجمعين ، نحو : منه ومنهما ومنهم ومنهن ، وهذا مخالف لما درج عليه جمهور العرب ٠

يقول الرضي : ضم الهاء متفق عليه ، يعني بين جمهور قبائل العرب (٢) الا بعض بكر ٠ وتعددت اللغات في كلام الدارسين حتى بلغ بعضها العشرات ، مما يدل على انهم لم يهملوا الاشارة الى لهجات القبائل العربية ، والعناية بها ، وكثر في احكامهم : الاضطرار والشذوذ والقدرة وجواز القياس على القليل او الذى انفردت به قبيلة دون اخرى ، قال ابو حيان (كل ماكان لغة لقبيلة قيس عليه(٣) ٠ وهو قول ابي عثمان المازني :(ماقيس على كلام العرب فهو من كلامهم)٠ وعضده ابن جني في خصائصه ٠

ومع هذا الذى نلاحظ في منهج الباحثين العرب نجدهم قد خصوا بحثهم اللغوى في قبائل عربية خالصة العروبة وحصروا الاخذ والتلقي فيها ، هذه القبائل هي : قيس وتميم واسد وهذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين ، عنهم نقلت العربية ، وبهم اقتدي ، وعليهم اتكل في الغريب وفي الاعراب والتصريف» (٤) ٠ فضلا عن انهم عرفوا لقريش فصاحتها وحسن لغتها ورقة لسانها ، لانهم عرفوا ان قريشا كانت «تتخير من كلام الوفود احسن لغاتهم ، واصفى كلامهم فكانوا بذلك افصح العرب» (٥)

---

(١) نفسه ٢/١١ ٠ وانظر المزهر للسيوطي ١/٢٥٨ فما بعد ٠

(٢) المزهر ١/٢٥٨ ٠

(٣) شرح الكافية ٢/١١ـ١٢ ٠ وانظر : أبو عثمان المازني ومذاهبه في الصرف والنحو : رشيد العبيدي ٠ مطبعة سلمان الاعظمي ـ بغداد

(٤) الصاحبي ٢٣ ٠

(٥) الاقتراح للسيوطي ٦ـ٧ ٠

وكانت هذه المعرفة بلغات القبائل العربية هي التي وجهت عنايتهم الى وضع اسس العربية وقواعدها على هذه المجموعة من القبائل دون تلك ، والى اخراج جملة من القبائل بعيدا عن ميدان البحث اللغوى ، الا ماكان تفريعا على القاعدة العامة ـ كما أسلفنا ـ او تجويزا لوجه او تقوية لما توصلوا اليه من احكام وضوابط . فمما كان يدخل تحت حكم التجويز الاختلاف اللهجي في الصيغ والابنية والضبط الاعرابي ، كالاختلاف في قولهم : رغم ، ورغم ورغم ورغوة ورغوة ورغوة بتثليث الراء في ذلك كله ، يقول ابن جني كلما كثرت الالفاظ على المعنى الواحد كان ذلك اولى بان تكون لغات لجماعات اجتمعت لانسان واحد من هنا وهناك (١)

وجوز الكثير من اللغويين الاحتجاج بهذه اللغات لكونها تمثل وحدات لغوية في اطار لغة عامة واحدة يتكلم بها شعب واحد في شبه الجزيرة العربية ولذلك عقد ابن جني فصلا سماه اختلاف اللغات ، وكلها حجة ، ذهب فيه الى ان من يستعملها لم يكن مخطئا لكنه يكون مخطئا لاجود اللهجتين ، ويجوز له ان يستعملها في شعر او سجع ، وان يقيس على ايها شاء مع وجود الاجود في الفصاحة (٢) والصحة .

ومع هذا الموقف المتسامح من بعض اللغويين لم يكن الامر عند الاوائل من دارسي اللغة بهذا القدر من التسامح والسعة في تحديد الاحكام ، ووضع الاسس بل كان هناك المخرج والشاذ والضعيف وغير المستعمل مما توقف عنده النحويون. ولم يدخلوه تحت مطلق احكامهم وعموم قوانينهم ، اذ ان عملية الفرز الدقيقة استطاعت ان تنبه على الشاذ اوالذى وقع اضطرارا اوالمستثنى اوالنادر ،وليس صوابا ان ننسب عملية الفرز هذه ـ كما ارى ـ الى انهم خلطوا بين اللغة

---

(١) الخصائص ١/٣٧٨ .

(٢) نفسه ١/٤١١ .

الادبية المثالية الموحدة التي هي لغة الخاصة ولهجات التخاطب العامة لدى القبائل الكثيرة المشهورة على حين ان شرط اللغة هو الاطراد والتوحد في الخصائص(١). فان وضعهم اليد على مجموعة القبائل العربية ، وعدها من القبائل التي لايجوز الاخذ والتلقي عنها واخراج مجموعة من اللهجات خارج نطاق وضع القواعد العامة ككشكشة ربيعةومضر وكسكسة اسدوهوازنوتلتلةبهراء وطمطمانيةحمير واستنطاء بكر وتضجع قيس وعجرفية ضبة وعنعنة تميم وعجعجة قضاعة وشنشنة اليمن ولخلخانية اعراب الشحر وعمان وفحفحة هذيل وغيرها(٢) كل ذلك يشهد لهم بانهم لم يخلطوا بين ماكان لغة مثالية ادبية وغيرها ، بل ميزوا بوضوح تام بين ذلك كله . وعرفوا الغث من السمين ، ووضعوا الامور في نصابها . بل لعلهم اعتمدوا في ذلك كله على ماميزه لهم الاعراب انفسهم المروية عنهم اللغة بين فصيحهم وغير الفصيح منهم(٣) .

ومن هنا كانت مصادر الدراسة اللغوية عند اللغويين العرب تعتمد على الاصول اللغوية الصحيحة التي وصلوا بها الى القواعد العامة للغتهم ، جاعلين على رأس اللهجات العربية المدروسة لهجتي تميم والحجاز لمجيء عظم النصوص بهما فضلا عن اللهجات الفصيحة الاخرى .

---

(١) في اللهجات العربية : د. ابراهيم انيس ٤١ .

(٢) انظر في ذلك كله : الصاحبي ٢٤ واماني القالي ٢/٧٧ . الخصائص ١/٤١١ المزهر ١/٢٢١-١٢٣ ومقدمة الجمهرة . وبحث : عيوب اللسان واللهجات المذمومة : الدكتور رشيد العبيدي مجلة المجمع العلمي العراقي :م٣٦سنة ١٩٨٥ جـ ٣/ص٢٣٦ فما بعد .

(٣) اعني ان البدو انفسهم كانوا قد وضعوا ايديهم على افصح قبائلهم ، ونبهوا على البعيدين عن الفصاحة ، كما روى لنا عن معاوية بن ابي سفيان وهو وهو يسأل اعرابيا عن افصح العرب فيجيبه الاعرابي بان افصحهم قوم ارتفعوا عن لخلخانية الفرات وعنعنة تميم و ..... انظر البيان والتبيين للجاحظ ٣/٢١٢-٢١٣ . الكامل للمبرد ٢/٥٨١ .

ولقد عني القرآن الكريم بلهجات القبائل العربية بشكل ملحوظ عند ذكر بعض اوجه الخلاف اللهجية في قراءات جزء من آياته · وذلك يدل على ان لغة القرآن التي نزلت بلهجة قريش والحجاز في المعظم قد تجاوزت النظر الى تفضيل لهجة على اخرى اذا كانت اللهجات العربية الفصيحة تمثل سلامة المنطق اللغوى كله في داخل اطار اللغة العربية الواحدة ،ومن ذلك الايات :(ان هذان لساحران «و» أسروا النجوى الذين ظلموا «و» ثم عموا وصموا كثير منهم) الى غير ذلك من الايات التي تحمل الاشارات الصريحة الى لهجات القبائل العربية الفصيحة كطيء وبلحارث بن كعب وغيرهما ، وهي اشارات تدل على ان القرآن قد عنى – كذلك – بغير لهجة الحجاز من اللهجات العربية ، لانها جميعا تمثل لغة العرب في الجزيرة ·

٣ – بعض اوجه الخلاف بين لهجتي تميم والحجاز

يمكن ان تتحدد مواطن الخلاف اللهجي بين لهجتي الحجاز وتميم في قواعد البنية وقواعد التنظيم والاصوات وبعض الدلالات ، يلاحظ من خلالها انها ترجع الى اسباب ذوقية واجتماعية وبيئية · وهذه مجموعة من المفردات والصيغ والابنية تختلف اللهجتان فيها ·

التميميون	الحجازيون
تتقي الله – بكسر التاء	تتقي الله – بفتح التاء
تعلم	تعلم
يؤيد التميميين فيها : قيس واسد وربيعة وعامة العرب وهي التي تعرف (بتلتلة) بهراء	يؤيد الحجازيين فيها اعجاز هوازن وازد السراة وبعض هذيل
– فزد – بابدال التاء دالا	فزت
– ود – بدل من وتد	وتد
– زهد – وحقد	زهد – وحقد

– بكسر عين الفعل –	بفتح عين الفعل –
– ماهذا بشر – برفع بشر	ماهذا بشرا – بنصب بشر
– ليس الطيب الا المسك – برفع المسك	ليس الطيب الا المسك – بنصب المسك
– يفرغ فراغا	يفرغ فروغا
– كم حربا خضت ، وكم فارسا جندلت	كم حرب خضت ،وكم فارس جندلت !؟
– برئت من المرض – بكسر الراء	برأت – بضم الراء
– بئس المهاد ، (الذئب) بالهمزة	بيس المهاد(٢) ، الذيب) – بقلب الهمزة
شأن يؤمنون بتحقيق الهمزة او بنبر الهمزة	شان يومنون – بتليينها او بتخفيف الهمزة
– غض الطرف ، وقوله تعالى : (ولا تمن تستكثر) (ومن يشاق) .	اغضض الطرف ، ومن يشاقق تمنن تستكثر – بالفك – في كل ماجاء
بالادغام للمثلين	مدغما عند التميميين
– ذأى يذأى البقل	ذوى يذوى البقل
– قليت البراقليه قليا	قلوت البراقلوه ، قلوا
– ألاته يليته (يستعملون منه الرباعي) : اى نقصه	لات الشيء يليته اذا نقصه حقه ، (باستعمال الثلاثي) للفعل
– اتخذت	تخذت ووخذت : قال تعالى «لتخذت»
– اصدت الباب – بقلب الواو الفا	اوصدت الباب – بتصحيح الواو
– اكدت تأكيدا	وكدت توكيدا
– ضللت – بكسر اللام	ضللت – بالفتح
– حصاد وقطاف – بفتح الاول لما دل على الزراعة	حصاد وقطاف – بالكسر
– حج – بالفتح للحاء	حج – بالكسر للحاء ، قال تعالى : حج البيت
مرية –بضم الميم	مرية – بكسرها

(١) – قلنسوة – بالواو	قلنسية – بالياء
– الهدى كالعشي – بتشديد الياء	الهدى كالرمي – بتخفيف الياء
– الاكاف	الوكاف
– الوتر – بكسر الواو	الوتر – بالفتح
– أسوة وقدوة – بضم الاول	اسوة وقدوة –بكسرها
– مبيوع ومديون ومهيوب	مبيع ومدين ومهيب
– هلم وهلموا وهلمي وهلممن وهلما – حسب الاسناد	هلم يازيد ويارجال ويانسوة هو (واحد) في الجميع
– هيهات – قال – تعالى – (هيهات هيهات)	ايهات – لم ينطق بها القرآن
– صيغة فعال – اذا لم تنته براء فهي معربة ممنوعة من الصرف	– فعال مبنية على الكسر – منتهية براء ام بغيرها في كل الاحوال : حذار ، حذام
– ثنتان «وقالوا : ثنتان لابد منهما)(١)	اثنتان (فيها اثنتان واربعون حلوبة)
– ذاك ، تاك – للاشارة البعيدة	ذلك وتلك – للاشارة البعيدة
– اولى – بالقصر – للاشارة الى الجميع	اولاء – بالمد – لنفس الغرض
– قصر الضمير المتصل في : انه – يده الى اهله	مده عندهم – انهو – يدهو – الى اهلهي
– مذيومين ويومان	منذ يومين ويومان

«يتفقون في الاعراب ويختلفون في مذ ومنذ(٢)»

– هو البر والشعير والتمر والذهب والبريد – يذكرون	هي البر والشعير والتمر والذهب والبريد – يؤنثون

---

(١) انظر المزهر ٢/٢٧٦ – ٢٧٧ ·

(٢) نفسه ٢/٢٧٧ ·

هي الساق والعضد والعنق ـ بالتأنيث ـ هو الساق والعضد والعنق ـ يذكر

هي الطريق والسبيل ـ يؤنث	ـ هو الطريق والسبيل ـ مذكر
ـ والسوق والصراط ـ مذكر	والسوق والصراط ـ مؤنث(٢)
ـ الصواغ	الصياغ

كلمة وعجز ونبقة ومعدة ـ بسكون العين ـ كلمة وعجز وعضد ونبقة ومعدة ـ بحركة العين ـ

ـ لثام وتلثمت	لفام وتلفمت(١)
ـ حوث ـ بالواو وهي لغة طيء	حيث ـ بالياء(٢)
ـ الثوم	فومها ـ بالفاء كما في القرآن الكريم ٠
ـ صوام ونوام	صيام ونيام ـ بالياء
ـ العنعنة ـ قلب الهمزة(٣) عينا مثل (عن) بدلا من (أن) و (عن) في (أن)(٥)	ابقاء الهمزة على حالها أ أن ترسمت من(٤)
ـ فحصط برجلك ـ الميل الى التفخيم	فحصت برجلك

٤ ـ صفة الاعراب في العربية

اكبر عنصر من العناصر التي تتكون منها العربية ، هو الاعراب فقد اتصفت هذه اللغة بنظام دقيق يجعل للحركة على اخر الكلمة في اطار الجملة معنى مختلفا

---

(١) اللسان ١٦/ح٤ (لفم ولثم) ٠
(٢) مغني اللبيب ١/١٣١ ٠
(٣) المزهر ٢/٢٧٦ ـ ٢٧٧ ٠ وانظر اللسان : مادة (عن) و١٧/١٦٤ ٠ المزهر ١/١٠٩ طبعة بولاق ٠
(٤) الصاحبي ٢٤ ٠ فقه اللغة : الثعالبي ١١٣ ٠
(٥) قال ذو الزمة :

أعن ترسمت من اسماء منزلة
ماء الصبابة من عينيك مسجوم

عنه اذا ماتغيرت هذه الحركة ، وكذلك تبعا لمراد المتكلم ومقتضيات المعنى المعبر عنه ٠

والحركة الملحقة في اخر الكلمات ، التي يعبر عنها بالاعراب ميزان ـ او معيار تحتكم اليه الجملة العربية للتفريق بين المعاني والاغراض المختلفة ، اذ لو توقف هذا النمط من العلاقات عن وظيفته التي يؤديها في اخر الكلم لالتبس المراد، وخفي الفرض ، ولما استطاع المخاطب او القارىء او المتكلم نفسه من تبيين مراده، او الاعراب عما في نفسه ، ولاختلط مايكون مسندا بما يكون مسندا اليه ، وما يكون عمدة من الكلام بما يكون فضله ٠

فالاعراب اذن في معناه اللغوى الحقيقي هو الافصاح والتبيين ، فيقال : أعرب عما في نفسه ، اذا افصح وأبان(١) ، ولقد ورد في الحديث عنه ـ ص ـ انه قال «اعربوا القرآن» واراد ـ ص ـ اقرءوه بتبيين وافصاح واظهار لحروفه وحركاته(٢) ٠

ولم يبتعد لفظ «الاعراب» في معناه الاصطلاحي عن هذا الغرض ، اذ الاعراب في حدود كونه احد عناصر العربية ، يقوم بمهمة التمييز بين المعاني والدلالات المستعملة في تركيب الكلام ويقترن بمعنى يقصده المتكلم ٠

والمعروف ان الوظيفة التي تؤديها اللغة هي الابلاغ(٣) ، والابلاغ يعتمد على نظام دلائل ورموز معبرة تتخذ وسيلة لنقل الافكار ٠ ويتفق على هذا كل الدارسين العرب والاوربيين كجسبرسن ولالند وسوسير وغيرهم ٠

---

(١) انظر مقدمة كتاب : الاعراب عن قواعد الاعراب : ابن هشام (بتحقيقنا) ط سنة ١٩٧٠ ٠

(٢) الصاحبي : لابن فارس ٣١ ٠

(٣) مفاتيح الالسنية : ج ٠ مونان ٣٧ـ٣٨ ٠

والاعراب نظام يستخدم ادواته من اصوات محددة هي الفتحة والضمة والكسرة ، وما يتبعها من تنوين ، كما يستخدم الالف والواو والياء ، علامات فرعية تساعد على التوضيح والتبيين في الجملة العربية (١)

ولما كانت العربية احدى اللغات السامية كان طبيعيا ان تشاركها في ظاهرة الاعراب هذه ، جملة اللغات السامية الاخرى ، ولقد اثبتت الدراسات اللغوية في الشرق والغرب لنصوص اللغات السامية ان هناك بعض المظاهر التي تدل على وجود الاعراب في الساميات وابرز هذه اللغات ــ بعد العربية ــ اللغة الاكادية ، فان النصوص اللغوية المكتشفة في اللغة ــ البابلية والاشورية ــ تثبت وجود حركات ثلاث هي الحركات المستعملة في العربية الضمة والفتحة والكسرة ، وهي تطابق الحالات الاعرابية المعروفة : النصب والرفع والجر ، واستعملت هذه اللغة اعني الاكدية ــ حالة التنوين ــ كذلك ــ كما تستعملها العربية بشكل بارز ، غير عوضا عن (النون) في حالات تنوين المرفوع(٢) ان الاكدية تستخدم (الميم) والمنصوب والمجرور ، ويمكننا ملاحظة ذلك في الشكل الاتي لاعراب كلمة (بعل) مرسومة بالحرف اللاتيني والعربي ٠

العربية	الاكدية القديمة	الاكدية المتاخرة
الرفع ــ بعل ــ بعلن	BELUM	BALU
النصب ــ بعلا ــ بعلن	BELAM	BALA
الجر ــ بعل ــ بعلن	BELIM	BALI
ملاحظات	ملاحظات	ملاحظات

---

(١) حديثنا هنا خاص بالعربية ، اذ ان هذه الظاهرة لم تكن موجودة في الكثير من لغات العالم الاخرى ، فهي تميز بين المعاني والاغراض باساليب اخرى وبرموز وعلامات خاصة بها ٠

(٢) يسمى التمييم ، كما ان العربية تستخدم النون فيسمى (التنوين) ٠

يلاحظ في العربية ان التنوين	يلاحظ في الاكدية القديمة
يعني نونا ساكنة ولكنها	ان التنوين هو تمييم وهو
لاترسم فهي تكتب كما يمكن	ميم ساكنة في اخر الاسم
في الحالة الاولى :	ولقد اختفت العين من
بعل وبعلا وبعل .	(بعل) .

اما الاكدية المتأخرة وتشاركها
الوسيطة والحديثة فقد تخلصت
من التمييم بوضع الحركات الثلاث
الضمة والفتحة والكسرة لوحدها .

هذا النظام المكتشف في الاكادية القديمة والمتوسطة والمتاخرة والجديدة (١) هو نظام موروث يدل على ان السامية الاولى كانت لغة اعراب ، وان فروع هذه الام قد ورثت هذه الظاهرة غير انها تغيرت بشكل ملحوظ من لغة لاخرى ، بحيث

اكتشفت الدراسات اللغوية وجود اثار قليلة في العبرية الدينية والعربية البائدة والارامية والحبشية ، تدل ـ ايضا ـ على توارث هـذه الظاهرة مـن السامية الام(٢) . على ان جميع هذه الصفات للغات المتناسلة من الاصل السامي الواحد لم تمتلك من الخصائص الاعرابية ما امتلكته اللغة العربية ، اذ يمثل النظام الاعرابي فيها شكلا تنظيميا دقيقا متميزا عن سائر اخواتها ، بل هو متميز ـ كذلك ـ من سائر اللغات العالمية ـ الارية : الهندية الاوربية والطورانية ـ

فمن المعروف ـ مثلا ـ ان التقسيم الثلاثي لحالات الاعراب (الرفع والنصب والجر) هو حالة فريدة في العربية ، تخالفها فيه الالمانية اذ تجعل هذه الاخيرة

---

(1) Des Akhadiche Syllabar: Von Soden: P:22

(٢) علم اللغة العربية : د. حجازى ١٤٤ـ١٤٥ .

حالات الاعراب اربعا هي : الرفع والنصب والجر والاضافة · وفي اللغة اللاتينية حالات اكثر ، من ذلك حالة النداء ويقال مثل ذلك في السلافية والتركية وغيرهما والفرق بين هذه الحالات التي نجدها في اللغات العالمية ، وحالات الاعراب في العربية ، ان العربية تعبر عنها باداة او بحرف مع الاسم التالي(١) ·

وقد عرف علماء العربية مالهذه الميزة في اللغة من اثر على تحديد وظيفة الكلمة داخل اطار الجملة ، فعنوا بالاعراب وتبيان وجوه اختلافه على الكلم واغرقوا البحث فيه حتى جرتهم المغالاة الى كثير من الاحكام الغريبة والتمحلات العقلية · وطوعوه لمنطق العقل والنظر الفلسفي · ويبدو ذلك واضحا في المنهج البصرى المعتمد على التعليل والبحث وراء الاسباب والعلل ·

وحق لهم ذلك ، فقد ورثوا اللغة في نص القرآن الكريم وحديث الرسول ـ ص ـ وكلام الصحابة والبلغاء والخطباء والشعراء من العرب قبل الاسلام وبعده ، فاشتد حرصهم على بقاء هذا الموروث العظيم تاما صحيحا ، ليتمكنوا به على التفاهم والتخاطب ومعرفة الاثار المروية والمدونة من ادابهم وعلومهم ، ولذلك كانوا يعبرون عن هذه الصفة في العربية باتها بها :

«تمييز المعاني ويوقف على اغراض المتكلمين(٢)» وجعلوا الاعراب «علما جليلا» قد «خص به العرب» من بين سائر الامم(٣) ، وهو : الفارق بين المعاني المتكافئة في اللفظ ، وبه يعرف الخبر الذى اصل الكلام ، ولولاه ماميز فاعل من

---

(١) V.Renan: Languesse mitiques : 384

(٢) الصاحبي : ابن فارس ١٦١ · وانظر المزهر ١/٣٢٩ ·

(٣) يقول الدكتور : وافي ، فقه اللغة ٢١٠ : وهذا النظام لايوجد له نظير في اية اخت من اخواتها السامية ·

مفعول ، ولامضاف من منعوت ، ولاتعجب من استفهام ، ولا حدود من مصدر ولا نعت من توكيد(١) » ٠

وباوضح من هذا الذى قدمناه في صفة الاعراب يقول ابن فارس قائل العبارة السابقة في : صاحبيه : فاما الاعراب فيه تميز المعاني ويوقف على اغراض المتكلمين ، وذلك ان قائلا لو قال : ما احسن زيد – اي بتسكين الدال – غير معرب ، او : ضرب عمر زيد غير معرب لم يوقف على مراده ، فاذا قال : مااحسن زيدا ! اى : –متعجبا – او مااحسن زيد ؟ اى : مستفهما عن احسن مافي زيد – اوما احسن زيد ؟ اى : مستفهما عن الشيء الذى احسنه زيد – ابان بالاعراب عن المعنى الذى اراده ، وللعرب في ذلك ماليس لغيرها ، فهم يفرقون بالحركات وغيرها بين المعاني ، يقولون : مفتح – بكسر الميم – للالة التي يفتح بها ومفتح –بفتح الميم – لموضع الفتح ٠ ومقص –بكسر الميم – لالة القص ، ومقص – بفتح الميم – للموضع الذى يكون فيه القص ٠٠٠ الخ(٢) وكلام ابن فارس هنا ذو شطرين ، اولهما يخص موضوع اواخر الكلم ، وهو التغير الذى يطرأ على اخر الكلمة بسبب تغير الكلام واختلاف مراد المتكلم ، وهو الذى نعنيه بالاعراب ، وهذا هو الذى ربطه الكثير من علماء العربية بالعوامل ٠ والثاني : هو اثر الحركة في بنية الكلمات ، وتغيير الدلالة وهو امر خاص بقواعد البنية ، ويدخل هذا تحت موضوع علم التصريف ، ولا علاقة له بموضوع الاعراب ، وهو الذى عبر عنه ابن فارس بقوله : وللعرب في ذلك ماليس لغيرها ، فهم يفرقون بالحركات وغيرها ، بين المعاني ٠٠ على اننا نستفيد من شطرى كلام ابن فارس ان للحركة – سواء كانت في قواعد البنية ام في قواعد التنظيم – اثرا واضحا ومهما في المعنى ٠ وان ثمة تلازما قويا بينهما لايمكن انكاره ، ومن هنا

---

(١) الصاحبي ٤٢ ٠

(٢) الصاحبي ١٦١ ٠

فان مازعمه بعض علماء العربية وهو قطرب (٢٠٣ هـ) من عدم وجود صلة بين الحركات والمعاني ، لايمكن قبوله في المنطق العلمي ، باية حالة ، فالقارىء لمثل قوله تعالى(١): «انما يخشى الله من عباده العلماء». يجد الترابط قويا بين المعنى والحركة ، اذ ان تغيير حركة لفظ الجلالة من الفتحة الى الضمة ، اى : بجعله فاعلا ، وحركة (العلماء) من الضمة الى الفتحة ، اى بجعلها مفعولا يغير المعنى الى مالايليق بالخالق ، فيكون الخالق ــ حينئذ ــ هو الخاشي والعباد العلماء هم المخشيين . والمراد ضد ذلك كما هو واضح من الاية(٢) .

وحين قرأ بعضهم ــ وهو الامام ابو حنيفة ــ برفع(الله) ونصب (العلماء)(٣) ذهب العلماء الى شذوذ هذه القراءة ، وحاول الكثيرون تأويلها على ان معنى يخشى هو : علو المنزلة عند الله ، ليوافق المعنى الاعراب ــ ايضا ــ . وهذا الذى يحدثه تغيير الحركة في المعنى يعطي اهمية بالغة للاعراب في هذه اللغة . ولئن استطاع العلماء المتقدمون والمفكرون منهم تخريج بعض القراءات الشاذة على شكل مرضي ــ نوعا ما ــ مأخوذين بالترف العلمي الذى اغراهم بتوجيه القراءات كما يرى البعض ، ان بعض التغيير يؤدى الى الخطأ الكبير ، يقول الدكتور صبحي الصالح : ان ذلك ليبدو صعبا جدا ــ عندما تتغير حركة اللفظ في غير ذلك من ايات القرآن الاخرى ، فيتغير المعنى الى الخروج والكفر ، ويلاحظ هذا في قراءة من قرأ ــ مخطئا ــ قوله تعالى :«ان الله بريء من المشركين ورسوله» بجر(رسوله) ظنا منه انه معطوف على (المشركين) فان المعنى سيكون عندئذ ان الله بريء من المشركين ، وبريء من رسوله ، وهذا مالايمكن ان يقع من الله ــ وهو الذى ارسل رسوله ليبلغ رسالاته ويؤدى الواجب الملقى على عاتقه . ولذا وجب هنا ــ ان

---

(١) سورة فاطر : ٢٩ .

(٢) للابة تخريج بحسب هذه القراءة عند النحويين واللغويين والمفسرين .

(٣) البرهان في علوم القرآن : الزركشي ١/٣٤١ . انظر تفسير القرطبي ١٤/٣٤٤ .

تمتنع حركة الكسر ، في حين جاز ان تكون القراءة بنصب (رسوله) عطفا على لفظ الجلالة المنصوب ، او رفع (رسوله) على معنى : ورسوله بريء من المشركين كذلك ٠ بل لعلنا نجد اهمية الحركة اكثر وضوحا في مثل قولنا(١) :هذاموضوع في كتاب مفيد فلو وقفت على دال (مفيد) بالسكون لم تدر : أكان صفة (لموضوع) ام كان صفة (لكتاب) فلو أردت كونه صفة (لموضوع) وجب رفعه ، ولواردته صفة (لكتاب) وجب جره ، وان كان الوصف قد وضع موقع مايوقف عليه ويتضح ذلك بشكل اكثر دقة في قوله تعالى : بل هو قرآن مجيد(٢) ، في لوح محفوظ »٠فان اردت (محفوظ)صفة ل(لوح) فان القراءة تكون بالكسر حتما،وهذا ماكان عليه معظم ائمة القراءة ، وعليها يكون المعنى ان اللوح هو المحفوظ ، وفيه القرآن المجيد ٠ وان اردت ان القران المجيد هو المحفوظ قرأت بالرفع ، وبذلك قرأ نافع(٣) ٠

ومع ان مثل هذه الاختلافات في القراءة لاتؤدى الى كبير فرق في المعنى ، ولا الى تحميل العقل النظر في تأويلها او تحمل تخريجات بعيدة عن الواقع ، الا انها توضح بشكل يقطع الشك في ان للحركة على اواخر الكلم اثرا كبيرا ووظيفة مهمة في تحديد المعاني وبيان وجوه الاغراض والمقاصد التي يريدها المتكلم ، ومن هنا كان من الغريب ان وجد ادعاءات فارغة من المنطق العلمي السليم تذهب الى :

١ ـ ان الاعراب وقواعده المتشعبة الدقيقة لم تكن مراعاة الا في لغة الاداب : شعرها وخطابتها ونثرها ، اما لهجات التخاطب العامة فهي لهجات غير معربة منذ اقدم عصورها ٠

---

(١) مباحث في علوم القرآن ٢٥٢ ٠ دراسات في فقه اللغة ١٢٠ ٠
(٢) سورة البروج : ٢١ ـ ٢٢ ٠
(٣) املاء مامن به الرحمان ١٥٢/٢ ٠ اتحاف فضلاء البشر : البنا : ٤٣٦ ٠

وهذا المذهب هو مذهب كوهين في كتابه(١) ، لغات العالم Langues du Monde مستدلا على ذلك بامرين :

أ ـ خلو اللهجات العامية العربية من ظاهرة الاعراب ـ هذا اليوم ـ فلو كانت لهجات العامة القديمة معربة لورثتها العامية المعاصرة .

ب ـ صعوبة قواعد اللغة وكثرة تشعبها مما يدفع اللسان العامي الى تركها والميل الى السبيل الايسر في التعبير .

٢ ـ ان لغة القرآن لم تكن معربة في اول نزولها ، لانها نزلت بلغة اهل مكة التي كانت خالية من الاعراب ، ثم تداولها العلماء بالتنقيح والتقعيد ووضع المقاييس لها ، فاصبحت بذلك لغة معربة ذات قواعد واحكام وقياسات ، واتسمت بعد ذلك بالعذوبة والبيان . وصاحب هذا الرأى هو (فولرز(٢).

٣ ـ ان قواعد اللغة المتوقفة على هذه الظاهرة ليست الا ظاهرة جاءت متأخرة بعد الفتح الاسلامي واختلاط العرب بغيرهم من الامم واطلاعهم على لغات الامم الاخرى كالاغريقية فحاولوا مسايرة نظم اللغات الراقية : ليتمموا نقصها ، وليسموا الى مصاف هذه اللغات المتقدمة الراقية ، وانما كانت العربية قبل ذلك غير معربة لافي لغة الادب ولافي لغة التخاطب .

ويرجع المؤمنون بمثل هذه الافتراءات سبب خلو العربية من ظاهرة الاعراب الى ان العقلية السامية ساذجة ، وان العرب في الجزيرة قد ورثوا هذه السذاجة. فتميزوا بالبساطة والضعف في التفكير وقصر النظر ، فلم يمكنهم ذلك من خلق قواعد ونظام دقيق متشعب في مثل هذه الحدود التي لايقدر عليها الا عقل معقد وتفكير راق .

---

(١) فقه اللغة : د. وافي ٢١١ .
(٢) دراسات في فقه اللغة : د. الصالح ١٢٢ .

وان مثل هذه القواعد لايمكن ان تكون قد وجدت من تلقاء نفسها ، ولذا كانت هذه الظاهرة – في عرفهم – قد وضعت وضعا وخلقت خلقا . وصادف هذا الرأى المحموم هوى في قلب بعض الدارسين العرب – كالدكتور ابراهيم انيس(١) فعقد فصلا في كتابه من اسرار اللغة تحت عنوان قصة الاعراب ذهب فيه الى أن الاعراب قصة : استمدت خيوطها من ظواهر لغوية متناثرة بين قبائل الجزيرة العربية ثم حيكت وتم نسجها حياكة محكمة في اواخر القرن الاول الهجرى اواوائل الثاني ، على يد قوم من صناع الكلام نشأوا وعاشوا معظم حياتهم في البيئة العراقية ، ثم لم يكد يدخل القرن الثاني الهجرى حتى اصبح الاعراب حصنا منيعاامتنع حتىعلى الكتاب والخطباء والشعراء منفصحاء العربية وشقاقتحامه الاعلى قوم سموا فيما بعد بالنحاة .

هذه هي جملة الاتهامات التي حملها اناس ، اما ان يكونوا بعيدين عن حقيقة العربية جهالا بها كالمستشرقين ، او عارفين بها خير المعرفة ، ولكنهم اعمتهم احقادهم كالمتحاملين من المستشرقين ، او الذين انساقوا وراءهم كابراهيم انيس . والحق ان كل هذه المذاهب تحمل بطلانها بنفسها لما تميزت به من التحامل الواضح ، وفقدان النظرة العلمية الموضوعية ، ويمكننا ان نقف على حقائق علمية ثابتة تهدم مثل هذه الادعاءات ، ندرجها في النقاط الاتية :

أ – ان الكثيرين من المستشرقين حتى المتاملين منهم – مثل – رينان الفرنسي ونولد كه الالماني ويوهان فك الالماني ، وولفنسن وغيرهم (٢) يرون ان من اهم خصائص العربية هو هذا الاعراب الذى تميزت به من بين اللغات .

---

(١) من اسرار اللغة ١٢٥ .

(٢) انظر : العربية : يوهان فك ٤ وقبلها وبعدها . اصل اللغات : رينان ٣٨٤و ٤٠٣ و ٣٩٨ . كتاب المدخل الى دراسة النحو العربي على ضوء اللغات السامية : عبد المجيد عابدين ١٣٩ .

ب ـ ان ظاهرة ايقاف الاعراب في اللغة هي التي ولدت متأخرة ، وليس العكس ، اذ ان اتساع رقعة الفتوح واختلاط العرب بغيرهم من الامم غير العربية ادى الى تفشي العجمة وتولد اللحن وظهور العاميات المحلية التي كانت ـ غالبا ما ـ تتخلص من الاعراب ، بايقاف حركة اواخر الكلم ٠

حـ ـ ان نصوص الشعر العربي التي روتها الناس من الجاهلية الى الاسلام قبل ان تصل الى افواه الرواة المحترفين ، رويت معربة بشكل لايقبل الشك ، اذان الاعراب يدخل في بناء القصيدة الموسيقي فضلا عن كونه عنصرا مهما في ربط اجزاء الجملة شكلا ومضمونا ، ولو اخذنا اية قصيدة من الشعر العربي اثبتت لنا قافيتها وحركة اعرابها المتصلة من اولها الى اخرها بانها من المستلزمات اللغوية الصارمة عند الشاعر العربي ، فالقصيدة المنصوبة تبقى منصوبة الروى حتى اخرها ، والمجرورة تبقى مجرورة حتى نهايتها ، مع تنوع اسباب النصب والجر والرفع ٠٠ ولم يكن الشاعر العربي في ذلك كله قد قرأ كتابا في النحو ، او اطلع على قاعدة تضبط له اصول لغته ، هذا مع وضوح الفكرة وبيان العبارات وشدة اسر الالفاظ داخل تركيب الجملة ٠ وقد كان لهذا الشعر المروى مكان كبير في التقعيد ووضع المقاييس ـ بعد ذلك ـ عند الدارسين الذين اتخذوا المنهج الوصفي اسلوبا لدراسة اللغة

د ـ ان احاديث الرسول الكريم شاهد من اعظم الشواهد القوية على ظاهرة الاعراب في العربية وقد كان الرواة يحرصون على نقله من في رسول الله ـ ص ـ او ممن رواه عنه مضبوطا معربا خوفا من ان يلحنوا فيه او يخرجوا به عن مراده ـ ص ـ وكانوا يعتدون ذلك من الدين ، روى الخطيب البغدادى عن ابن سيرين انه قال : ان هذا الامر دين ، فانظروا ممن تاخذون دينكم وهذا هو الحق ، لان اقوال الرسول وسنته كانت تشريعا للمسلمين ومنهجا لعقيدتهم بعد القرآن ، ولذلك كان (الحديث) عند

اللغويين احد الشواهد الفصيحة المعتمدة في المعجمات اللغوية ، كما نرى ذلك عند الازهرى (٣٧٠ هـ) في (تهذيبه) واحد الشواهد المقدمة على كلام البدو الفصحاء ويلي مرتبة القرآن في ذلك ، كما نرى ذلك عند ابن مالك (٦٧٢ هـ) في جل ماالف من كتب النحو • وكان النبي – ص – حريصا كذلك على ان يبقى اللسان العربي فصيحا سليما من الخطأ واللحن • وهو الذى اشار على صحابته – رض – ان يرشدوا اخاهم فقد ضل عندما سمعه يخطىء في شيء من كلامه • اما القرآن الكريم ولغته المعربة فلا يرتاب احد في انه نزل بلغة محكمة معجزة في قواعدها وفصاحتها واسلوبها البياني ذلك انه نزل بلغة قوم كانوا يعدون مركز العروبة ومنبع الفصاحة العربية وصفاء الحس اللغوى في الجزيرة وهم قريش وكانت مرجع العرب في المواسم الادبية والدينية والسياسية ، وليس من شك ان الخطب والاشعار كانت تلقى في انديتهم باللغة المعربة التي اشرنا اليها في الفقرة السابقة

(حـ) فنزول القرآن بهذه اللغة يحتم عليه ان يكون قد نزل معربا • وهو أمر طبيعي ، لانه تحدى أصحاب هذه اللغة المعربة ببيانه وفصاحته واساليبه التعجيزية المختلفة • وقد تناوله الصحابة من رسول الله – ص – وحفظوه كما سمعوه معربا مضبوطا ، فما نقل عن واحد منهم انه رواه غير معرب او قرأه مجردا من ظاهرة الاعراب ، لكونه نزل بلغة امة عامية كما زعم فولرز اوكوهين جهلا او حقدا •

د – ولو كان القرآن – كما زعم امثال هؤلاء – قد نزل بلغة عامية غير معربة لاختلطت آياته والتبست المعاني والاغراض ، ولتناقلت الرواة والحفظة هذا الخلط حتى يومنا هذا ، على الرغم من الجهد الجهيد الذى بذله الدارسون

---

(١) الجامع لاخلاق الراوى واداب السامع ١/١٥ (خط) نقل منها الدكتور صبحي الصالح في الدراسات : ١٢٢ •

واللغويون في المحافظة على نصوصه ، ولما استطعنا التمييز بين معانيه ومقاصده ٠ ان ذلك كله لم يحدث خلال هذه العصور الممتدة منذ اربعة عشر قرنا حتى اليوم والى الابد ، فقد نزل القرآن بلغة قريش المثالية الادبية ، واضح المعاني والمرامي ، بليغ العبارة ، مضبوط الشكل فكان قولا فصلا في كون ظاهرة الاعراب موروثة منذ اقدم عصورها ، وان الخروج عليها هو اللحن او الشذوذ او الخطأ ٠

هـ ـ اما الزعم بان عدم وجود قواعد اللغة في اللهجات العامية المعاصرة دليل على عدم وجودها في العربية المثالية ، فهو زعم فاسد ، وذلك ان العاميات وليدة التغييرات والانحرافات في الاوزان والصيغ والدلالات والمفردات والاصوات، وبذلك تبعد عن الاصل كثيرا ، وربما تصبح مثل هذه اللهجات على امتداد الزمن شيئا اخر يختلف عن اللغة الام ٠

وما اظننا بحاجة الى التدليل على ذلك فبين ايدينا ـ مثلا ـ اللغات السامية التي ترجع في الاصل الى لغة واحدة ، ولكنها تختلف في مظاهرها والكثير من قواعدها وأساليبها ودلالات مفرداتها واصواتها اختلافات واضحة يعرفها الدارسون ، كما ان اختلاف اللهجات العربية العامية المعاصرة دليل اخر على ان الظروف التاريخية والبيئية والاجتماعية وغيرها تؤثر في اللهجة ، فتبعد بها عن الاصل ٠ انظر الى ابن حزم الظاهري الاندلسي كيف يصور لك هذا الانحراف في اللغة وابتعادها عن اللغة الام بتغير المكان والزمان فيقول : الذي وقفنا عليه ، وعلمناه يقينا ان السريانية والعبرانية والعربية لغة واحدة ، تبدلت مساكن اهلها فحدث فيها جرش كالذي يحدث في الاندلسي اذا رام نغمة اهل فحص البلوط وهي على ليلة واحدة من قرطبة ، كاد يقول : انها لغة اخرى غير لغة اهل قرطبة٠٠(١) فتغير اللهجات العامية ـ اذن ـ امر طبيعي خاضع لقوانين

---

(١) الاحكام في اصول الاحكام : ابن حزم ٣٠ ٠

التطور اللغوى ولا علاقة له باللغة الام الا من حيث التناسل واستمداد المكونات الاساسية للهجة ، وفيما عدا ذلك فانه يحصل تغير كبير في الكثير من المظاهر اللغوية ومنها توقف ظاهرة الاعراب في العاميات المعاصرة وذلك توخيا لليسر والسهولة في اللسان العامي ·

و ـ ثم ان ثمة دليلا اخر يفند مزاعم القائلين بان فقدان ظاهرة الاعراب في اللهجات العامية دليل على فقدانه في اللغة المثالية ، ذلك ان الكثير من العاميات المعاصرة قد احتفظت بظواهر مهمة من عناصر الاعراب في اللغة ، ففي جميع الاقطار الناطقة بالعربية ، لغة الضاد ، يجعلون الاسماء الخمسة المضافة مقرونة بالواو فيقولون : ابوك ، ابو الوليد ، ابوها ، وحين يفردونها يقولون : اب ، اخ، وبعض اقطار المغرب العربي يجعلونها بالالف امتدادا لحالة النصب ، فيقولون : (باك) و(باه) واكثر العرب في المشرق يقرنون المضارع من الافعال الخمسة بالنون فيقولون يكتبون و تكتبين و يدرسون و تدرسين وعندما يسندون الفعل الماضي الى واو الجماعة فيقولون : درسوا ، وكتبوا ، ويبدو ميلهم الى التخلص من ثقل الاعراب او التصريف ـ احيانا ـ انهم يستخدمون صيغا قياسية صحيحة عوضا عن الصيغة الثقيلة على السنتهم ، وذلك نحو تخلصهم من صيغة الفعل المبني للمجهول وتحولهم عنها الى صيغة (انفعل) و (ينفعل) درس : اندرس ، وكتب : انكتب ، ويكتب : ينكتب ويندرس ، وهكذا · هذا فضلا عن ان كثيرا من ابناء البوادى العربية اليوم لايزالون متمسكين ببعض مظاهر الاعراب في كلامهم كظاهرة تنوين اواخر الكلم ، نحو قولهم : ماسمعنا حدا يلهج بهذا الكلام يريدون (أحدا) · كما ان استعمال جمعي المذكر السالم والمؤنث السالم ، بشكل قريب من الفصيحة كل ذلك وغيره دلائل قوية على ان الاعراب سمة بارزة ، وخصيصة رئيسة في خصائص العربية ، وان هذه المظاهر المتبقية في اللهجات الشعبية ، انما هي من ترسبات اللغة الام في فروعها اللهجية الشعبية (١) ، وتنقل لنا كتب الادب

(١) اللهجات العامية وصلتها بالفصحى : بحث للدكتور رشيد العبيدى ، مجلة الكتاب م٨/ سنة : ١٩٧٥ بغداد ص : ٧١ فما بعد ·

والتاريخ ان العامة في العصور الاسلامية المتأخرة ظلوا متمسكين ببعض علامات الاعراب ، وحاول ابو المحسن التنوخي في (نشوار المحاضرة) وابـو الفـدا في (تاريخه) ان ينقلا نصوصا من الكلام الشعبي فيها الكثير من التزام العلامات الاعرابية ، مع علمنا بميل العامة الشديد الى السبيل الايسر في التعبير . وفي ترجمة حياة أبي القاسم التنوخي نقل ياقوت جملة كبيرة من اللهجة الشعبية للقرن الخامس الهجري تعطي صورة جيدة عما نحن في صدده (١)

ز ـ ان الزعم بان للغويين يدا في خلق قواعد اللغة ووضعها بهذا الشكل الدقيق المتشعب بحجة ان العقلية العربية قاصرة عن ان تنتج لغة بهذه الدقة من المقاييس والاحكام ، والتشعب المتناهي ، زعم فاسد لايستند الى منطق ولا عقل واع ، وذلك لعدة أمور :

١ ـ ان النحويين الاوائل ـ منذ اواخر القرن الاول الهجرى حتى القرن الرابع الهجرى ـ كانوا مشغولين بسماع اللغة من افواه الاعـراب الفصحاء ، ليضعوا ـ بعد استقراء النصوص ـ قواعد اللغة ومقاييسها على وفق منهج وصفي دقيق ـ وكانوا مع اهتمامهم باللغة البدوية الفصيحة المأخوذة من لسان اهلها الفصحاء ، حريصين على ان تؤخذ من البادية وان يستبعد الاخذ من البدوى المتحضر ، خوفا من فساد سليقته وانحراف لسانه ، كما يستبعد الاخذ من بضع قبائل كانت تستوطن اطراف الجزيرة : كلخم وجذام وغسان وقضاعة واياد واهل اليمن وغيرهم ، بحجة احتكاك السنتهم بشعوب غير عربية ، وحصر الاخذ في قيس(٢) وتميم واسد وهذيل وبعض كنانة وطيء فضلا عن اخذها من قريش ـ اهل الله ـ كما نقل ابن فارس (٣)

---

(١) معجم الادباء : ٥/٣٠١ـ٣٠٩ [ط : مرجليوث]

(٢) الاقتراح : السيوطي ١٩٠ .

(٣) الصاحبي : ٢٣

٢ ـ لم يعرف النحاة العرب عن اللاتينية واليونانية شيئا ، ولا اطلعوا على قواعد شيء من ذلك ، حتى يمكن ان يدعى الزاعمون المفترون تأثر النحوى العربي بقواعد مثل هذه اللغات او النسج على منوالها ، هذا فضلا عن الاختلافات الكبيرة بين طبيعة العربية عن سائر اللغات المعروفة في العصور القديمة والحديثة ، وبالمقارنة بين قواعد اللاتينية والعربية ، نجد الفرق كبيرا يدل على عدم وجود صلة بينهما ٠

٣ ـ ان انتقال قواعد اللغة ـ على دقتها وتشعبها ـ الى الاجيال المتوارثة امر طبيعي والعربية لغة سليقة ودربة يتوارثها الاجيال العربية ـ عن طريق المحاكاة ـ حتى العصور الاسلامية معربة ، ولم يؤثر في اصالتها واشكال التعبير البيانية الفصيحة انتقالها من جيل الى جيل حتى كانت عصور الاحتكاك بالشعوب غير العربية مما ادى الى ضعف السلائق وانحراف الالسنة وكثرة اللحن والخطأ فكان سببا لظهور مايعرف بحركة التصحيح اللغوى والتنبيه على الغلط في القرن الثاني الهجرى ، وما تلاه من قرون الحضارة جيلا بعد جيل ٠

الفصل السادس

١ ـ في الاصوات اللغوية العربية .

٢ ـ في تفسير مصطلحات الاصوات العربية .

٣ ـ نظرة في تطور اصوات العربية وخصائصها

٤ ـ التناسق الصوتي .

٥ ـ نصوص في الاصوات .

خصائص مميزة للعربية

تتميز العربية من سائر اللغات السامية والعالمية بخصائص هي اصول متوارثة متناسلة عن اللغة السامية الام ٠

ولما لم تصب العربية بتطور وتغير كبيرين يذهب بصفاتها الاصيلة ، ويعفي على اثارها التي اكتسبتها من امها ، رأينا ان الكثير من خصائصها وصفاتها قد بقيت فيهاعلى الرغم من خروجها من الجزيرة واختلاطها بلغات عالمية متعددة، وذلك راجع الى قوة شخصية العربية وارتباطها بنصوص فصيحة منقولة عن عهد السجية والسليقة ٠

وسنرى في هذا الفصل كيف بقيت العربية محافظة على كثير من ظواهرها اللغوية وصفاتها كالاعراب الذى مضى الحديث عنه والاشتقاق ، وصور الابنية والتراكيب ،وظاهرة الاشتراك والاضداد والترادف كماحاولت التسمك باصواتها من غير ان يحصل فيها تطور كبير كما حدث في الكثير من اللغات ولذلك سنرى في هذا الفصل جملة من هذه الظواهر مشفوعة ببعض النصوص المنقولة فيها :

١ ـ في الاصوات اللغوية العربية

يتميز البحث اللغوى في موضوع الاصوات اللغوية في العربية بانه بحث يعتمد على الملاحظة والتجربة والخبرات الذاتية ، وتنقصه الدقة في تثبيت صفة الصوت ومدرجته وطبيعة النطق به كما هو معروف في الدراسات الحديثة المعتمدة على الاجهزة والمختبرات الصوتية والاعضاء النطقية الاصطناعية ، كسقف الحلق الاصطناعي وغيره من الاجهزة التي ترسم بدقة متناهية خصائص الصوت اللغوى ٠

ولعل ذلك قد ادى الى وجود الاختلاف الواضح في ترتيب الاصوات منذ عهد الخليل بن احمد الفراهيدى الذى يعد رائد الدراسة الصوتية العربية حتى

عهد ابن جني الذى استقرت على يديه اصول هذه الابحاث واتصفت بالدقة وقوة الملاحظة ، وصحة الاحكام ولقد كان لكتابيه الخصائص و سر صناعة الاعراب الفضل في توجيه الدراسة اللغوية الصوتية وجهتها الصحيحة ٠

ولقد ادرك ابن جني نفسه ماكان قد وصل اليه من مخارج الاصوات الخليلية ، وما خالف سيبويه استاذه فيها من ترتيب ، وعرف انما يقع الاضطراب في مثل هذه الامور ، لاعتماد الباحث على تجربته الخاصة وملاحظاته الذاتية ، فاشار في سر الصناعة(١) الى الخلل والاضطراب الذى وقع فيه الخليل ، بعد ان عرض هو نفسه لترتيب سيبويه من بعده(٢) ٠

يقول ابن جني : فهذا هو ترتيب الحروف على مذاقها وتصعدها ، وهو الصحيح فاما ترتيبها في كتاب العين ففيه خلل واضطراب . ومخالفة لما قدمناه — انفا — مما رتبه سيبويه وتلاه اصحابه عليه ، وهو الصواب الذى يشهد التأمل له بصحته(٣) ٠

اما ترتيب سيبويه الذى يشير اليه ابن جني ، فهو (الهمزة — الالف — هـ — ع — خ — غ — ق — ك — ج — ش — ى — ض — ل — ر — ن — ط — د — ت — ص — س — ز — ظ — ذ — ث — ف — ب — م — و —) وهو ترتيب يبتعد كثيرا عن ترتيب الخليل ، ويبدو انه اكثر دقة في تجميع الاصوات ذات المخارج المتحدة ، او المتقاربة ، وهو ترتيب اقرب في الصحة الى ماتقرره الدراسات الحديثة في مخارج الاصوات ، على الرغم من انها لاتزال تنظر الى الدراسة الصوتية اللغوية العربية على انها تنقصها الدقة وتتصف بالاضطراب ، لانها دراسات تعتمد الذوق اساسا لفرض الاحكام واستخراج الخصائص ٠

---

(١) سر الصناعة ٥٠ــ٥١ ٠

(٢) الكتاب ٢/٤٠٥ ٠

(٣)سر الصناعة ٥٠ــ٥١ ٠

والحق اننا لو عرضنا لترتيب الخليل في مقدمة كتابة العين (١) لرايناه يختلف عما ذكر سيبويه ، فترتيب الخليل هو : (ع ح هـ خ غ ـق ك ـ ج ش ض ـ ص ـ س ـ ز ـ ط د ـ ت ـ ظ ذ ـ ث ـ ر ـ ل ن ـ ف ب م ـ و ا ى ـ الهمزة) .

وهذه المجاميع مصطلح عليها بحسب انتسابها الى احيازها ومخارجها . فالمجموعة الاولى هي (الحلقية) ويليها صوتان لهويان ، ثم المجموعة (الشجرية) نسبة الى شجر الفم (٢) ثم (الاسلية) ف (النطعية) ف (اللثوية) فالاصوات (الذلقية) ثم (الشفوية) ثم الاصوات الثلاثة وهي الالف والواو والياء وتسمى الهوائية أو الجوف فالهمزة ، وقد افرد الخليل الهمزة لانه وجدها صوتا متغيرا ، فاذا التزم تحقيقه كان من اقصى الحلق ، واذا لين وسهل اصبح هوائيا ، في حين جعله سيبويه ـ وتابعه ابن جني ـ صوتا حلقيا فحسب . وجعل سيبويه وابن جني الالف صوتا حلقيا ـ ايضا ـ وهو عند الخليل صوت هوائي جوفي .

ويمكن ان نلاحظ على مجموع التغيرات التي طرأت على دراسة الاصوات عند سيبويه وابن جني ، ان جملة من الاصوات قد تقدمت في مدرجها وجملة اخرى قد تأخرت ، فقد ادخل ابن جني (الياء) في جملة الاصوات الشجرية وقد وافقه على هذا اكثر الدراسات الصوتية المعاصرة .

ثم قدم اصوات الذلاقة (رل ن) على النطعية والاسلية واللثوية وجعل (الواو) وحدها من اصوات الشفة ، وهو وضع صحيح في منظور الدراسة الصوتية الحديثة .

---

(١) العين : مقدمته ، نشر د. عبد الله درويش ـ بغداد ١٩٦٧ . وانظر كذلك مقدمته تهذيب اللغة للازهرى الجزء الاول نشر : مصر .

(٢) ينظر المصطلحات الصوتية في هذه الابحاث .

ولم يكن الاختلاف مقصورا على هذا فحسب ، بل تناولت الدراسات المتاخرة عن الخليل موضوع الاحياز والصفات والطبائع فسجلت للبحث اللغوى كثيرامن الظواهر الجديدة المخالفة لاحكام الخليل ، وابرز الدراسات الصوتية التي تناولت أصوات اللغة بشكل دقيق هي ماقدمه (علماء التجويد) من احكام دقيقة وفاصلة لمخارج الاصوات وصفاتها بين الجهر والهمس والشدة والرخاوة والاسعلاء والاستفال والاطباق وانفتاح (١) ولم يجد اللغويون المحدثون اختلافا كبيرا بين ماقرروه في هذا المضار وما توصل اليه علم التجويد ٠ ويمكننا ـ هنا ـ ان نضع يدنا على شيء من الاختلاف في صفات مجموعة من الاصوات عند القدماء والمحدثين وليكن ذلك في مجموعتي الاصوات المهموسة والمجهورة ، فان ماقرره ابن جني (٢) حول الاصوات المجهورة : voiced والمهموسة voiceless

ان المهموسة هـ ح ـ خ ـ ك ـ ش ـ ص ـ ت ـ سين ـ ث ـ ف عشرة اصوات وباقي اصوات اللغة هي المجهورة ، اما في الدراسات الحديثة ، فان المهموسة هي ت ـ ث ـ ح ـ خ ـ س ـ ش ـ ص ـ ط ـ ف ـ ق ـ ك ـ ه وما عداها فهي مجهورة . الا الهمزة فليست بمجهورةو ولا مهموسة (٣)

فتتفق الدراسات العربية القديمة والتجارب الحديثة على معظم الاصوات ولكنها تختلفان في عدد قليل منها ، كالطاء والقاف والهمزة في هاتين المجموعتين، وذلك راجع الى اسباب متعددة منها التطور الذى اجتازته بعض الاصوات اللغوية سواء بتأثير اللغات المجاورة او بتأثر اعضاء الجهاز النطقي خلال مئات السنين التي مرت على المتكلمين باللغة ، ومنها ايضا اختلاف اساليب الدراسة والبحث اللغوى بين القديم والحديث الى غير ذلك من العوامل والاسباب ٠

---

(١) انظر : المصطلحات الصوتية ٠

(٢) سر الصناعة ٦٩ ٠

(٣) الاصوات اللغوية : د٠ انيس ٧٢ـ٧٣ ٠

٢ ـ في تفسير مصطلحات الاصوات العربية :

تناولت دراسات فقه اللغة العربية اصوات اللغة ودرجاتها وقوتها وضعفها بشكل مستفيض ، ولا يخلو كتاب في اللغة والمعجمات من شيء من ذلك ، بل تعدى الاهتمام باصوات اللغة هذا النمط من التأليف الى كتب النحو والصرف فتعددت لذلك المصطلحات وكثرت دقائق الصفات والاسماء ، حتى انك لترى ان مثل كتاب سر الصناعة ليشتمل على جملة كبيرة من هذه المصطلحات الصوتية ، فيخيل للدارس كأن الكتاب موضوع في اصوات اللغة ـ وحدها ـ في حين يجد القارىء في سر الصناعة انه محشو بجملة من المذاهب النحوية المختلفة ٠

وفيما يأتي نود ان نلم بالمصطلح الصوتي الذى تناولته ابحاث فقه اللغة العربية لنعطيه تعريفا موجزا يقف بنا على مدى اهتمام فقهاء اللغة العربية بعلم الاصوات ، الذى تكون عندهم بطريقة الملاحظة والتذوق من طرق الدراسات اللغوية المعروفة ، مضيفين اليه بعض المصطلحات الحديثة التي اطلقها دارسو الاصوات العربية ـ اليوم ـ اتماما للفائدة ونرى ان نقدم ترتيب المصطلح بحسب احرف الهجاء ، ليسهل تناوله مفرقين بين ما يكون صفة ، وما يكون مخرجا للصوت وسنهمل النظر الى جذر المادة ونضع المصطلح اصلا ٠

ـ الابدال الصوتي :

هو ان يتغير الصوت الى مايناسبه في المخرج او الصيغة كابدال التاء دالا في صيغة (افتعل) عند وقوعها بعد الزاى او الدال والذال وذلك نحو : (ازتهر) ـ ازدهر (وادتغم) ادغم ، و (اذتكر) : اذدكر ٠ وكذلك ابدال التاء طاء في صيغة (افتعل) عند وقوعها بعد الصاد والضاد والطاء والظاء ، نحو : ضهد اضتهد ، اضطهد ـ اى بعد اصوات الاطباق ، واذا وقع الابدال في الاصوات (المعلولة) سمي (اعلالا) نحو : قال واصلها (قول) و (ميزان) واصلها (موزان) ، قلبت الواو ياء لسكونها وانكسار ماقبلها ، وهذا الابدال قياسي يتماشى مع القوانين الصوتية ٠

= **الاحتكاكي :**

وهو الصوت الذى يكون رخوا وهو الذى يحتك فيه الهواء بالمخرج عند النطق به كالفاء

= **الاسلية :**

وهي الاصوات التي يكون مخرجها من اسلة اللسان وهي مستدق طرفه . وقد اطلق الخليل على الاصوات التي يكون مخرجها من اللسان باشتراك الاسنان واللثة :أسلية وهي الصاد والسين والزاى .وتحديد مخرجها :هو مابين طرف اللسان وصفحتي الثنيتين العليين : والصاد ادخلها ثم السين ثم الزاى .وتوصف هذه الاصوات بالصفيرية لانها تحدث صفيرا عند النطق(١) . وعدها د. تمام حسان من حيث المخرج اسنانية لثوية(٢) .

= **الاسنانية :**

وهي الاصوات التي يشترك اللسان في اخراجها كالفاء بالاشتراك مع الشفة وكالظاء والذال والثاء ـ المعروفة باللثوية في الدراسات العربية ـ والضاد والدال والتاء والزاي والضاد والسين باشتراك اللثة .

= **الامالة :**

وهو أن ينحو المتكلم بالالف نحو الكسر والياء ، ولها قواعد ست معروفة (٣) .

= **الانتشارى :**

ويعرف ـ ايضا ـ بالمتفشي ، وهو صفة صوت الشين ، فان النفس ينتشر عند النطق به .

---

(١) انظر : النشر في القراءات العشر لابن الجزرى ١/ ٢٠٠ .

(٢) مناهج البحث ١٢٤ .

(٣) انظر : الموضح في تعليل وجوه القراءات السبع : المهدوى : (خط) . رسالة ماجستير كلية الاداب : ١٩٨٨

= **الانفجار :**

وهو انطلاق الصوت بعد انحباسه وذلك لقوة الاعتماد على مخرجه كاصوات الباء والهمزة والتاءوالجيم وسائرالاصوات الشديدة والقلقةوالجهرية ٠ويسمى الصوت انفجاريا اذا اكتسب هذه الصفة ٠

= **الانفي :**

وهو الصوت الذى يشترك الانف في اخراجه كالميم والنون واطلاق هذا المصطلح عليه هو صفة له ٠

= **البحة :**

وهي صفة صوت الحاء ٠ كما ذكر الخليل في مقدمة العين ٠

= التعطيش : وهو اختلاط صوت الجيم الانفجارى بنوع من الحفيف يقلل من شدتها ، وهو واضح في لهجة الشام ٠

= **الجاملة :**

وهي الاصوات الجامدة عدا الذائبة الصائتة ٠

= **الجانبي :**

وهو صفة صوت اللام ، لانه يخرج من أحد جانبي اللسان ٠ وهو مصطلح مطابق لمصطلح المنحرف(**) ٠

= **الجرسي :**

تسمى الهمزة الحرف الجرسي لمزيتها في التصويت(***) ٠

= **الجوف :**

وهي الاصوات التي تجرى عند خروجها في الجوف كله ، وهي الالف والواو

(**) علم اللغة : السعران : ١٨٥

(***) الرعاية : مكي : ١٠٨

والياء ويطلق عليها : الهوائية كذلك(١) • واصوات اللين • وتسميتها الهوائية يرجع يرجع الى انها بتصويتها ينتهي بانتهاء هواء الجوف(٢) • وهي الاصوات الصائتة ـ كذلك •

= الحلقية :

وهي الاصوات التي يكون مخرجها من الحلق ، وهو المنطقة المحصورة بين مايلي الفم الى الصدر ، وهي ثلاثة مدارج ، فاقصاها الهمزة والهاء وهو مايلي الصدر والمدرجة الوسطى ، مما يلي الصدر لصوتي العين والحاء واما اقربها للفم فلصوتي الغين والخاء • وجعل تمام حسان صوتي العين والحاء من الحلقية وحدهما(٣) •

= الحنجرية :

وهي الاصوات التي تنسب الى الحنجرة لانها موضع خروجها والصوتان : الهمزة والهاء من الحنجرية عند المحدثين • وتقع الحنجرة قبل اللهاة وفي مقدمتها الوتران الصوتيان •

= الحيز :

وهو الموضع الذى ينسب الصوت اليه في داخل الجهاز الصوتي وقد يكون شاملا اكثر من صوت داخل مجموعة المخرج كاحياز اصوات اللثة وهكذا •

= الخفية :

وهي الاصوات التي لاعلاج للسان في انتاجها كالهاء والواو والياء والالف وبعضهم جعل في الهمزة والنون خفاءا خفيفا(*) •

---

(١) مقدمة العين للخليل ١/٧ • ومقدمة التهذيب للازهرى •
(٢) انظر : النشر ١/١٩٩ •
(٣) مناهج ١٢٤ •
(*) الكتاب : ٢/٤٠٤ ـ ٤٠٦ والرعاية : مكي : ١٠٢ ـ ١٠٣

= **الخيشومي :**

وهو الصوت الذى يشترك الخيشوم في اخراجه وان كان مخرجه من مكان اخر ، كالنون الساكنة والتنوين حين يدغمان بغنة ـ كما سيأتي ـ او حين اخفائهما ، وكالنون والميم المشددتين في نحو : نعما : ولكن الله ٠٠

= **الذائبة :**

وهي اصوات المد : الالف والواو والياء ، وهي التي عرفت بالصائتة ٠

= **الذلقية :**

وهي الراء واللام والنون ، سميت بذلك لاندلاقها على طرف اللسان وهو ذلقه ٠ وهذه المجموعة سميت بذلك لمخرجها من ذلق اللسان كذلك ٠

= **الرئتان :**

وهما اول اعضاء الجهاز الصوتي كيسان هوائيان مهمتهما دفع الهواء في القصبة الهوائية الى الحلق والحنجرة والفم لاحداث الاصوات اللغوية ، اضافة الى وظيفتها التنفسية ٠

= **الرخوة :**

وهي الاصوات التي تنطلق عند النطق بها دون عناء في المخرج وذلك لتمام ضعف الاعتماد على المخرج ، وهذه الصفة مخالفة لصفة الشديدة كما سنرى ٠ وهي : ح ث هـ س ش خ ص ف ذ ز ض غ و ى ا ٠٠ وتسمى عند المحدثين بالاحتكاكية Fricative لاحتكاكها بالمخرج ، وعرفها سيبويه : بانها التي يجرى فيها الصوت(١) ٠

= **الساكن :**

وهو الصوت الذى يخلو من الحركة عليه وذلك عند اختباره وتذوقه لمعرفة

---

(١) الكتاب ٢/٤٠٦ ٠ وانظر سر الصناعة ٦٩ ٠

صفته او مخرجه . هذا من الوجهة البنيوية والتنظيمية . اما من جهة طبيعة الصوت فكل مجموعة الاصوات ماعدا اللين هي السواكن كالباء والتاء والجيم والراء ... الخ .

= **السيالة :**

وهي الاصوات التي تعرف عند المحدثين بالمائعة ـ كذلك ـ وهي مجموعة الاصوات التي تكون بين الشديدة والرخوة في الدراسات العربية القديمة والحديثة كاللام والميم والزاى والنون والواو والباء والالف ، وهي عند ابن جني مجموعة الاصوات التي تكون بين الشديدة والرخوة كاللام والنون والميم والراء ثم العين عند ابن جني . أي المتوسطة .

= **الشجرية :**

وهي الاصوات التي يكون مخرجها من شجر الفم ، وهي الجيم والشين والياء وقد جعل الخليل والازهرى(١) الضاد من الاصوات الشجرية وتحديد مخرجها يكون وسط الفم مع مايقابله من اعلى الحنك للجيم والشين والياء التي ليست حرف مد ، غير ان الجيم ابعدها عن الفم والياء اقربها اليه ، وجانبه مع الاضراس الطواحن الثلاث للضاد(٢) . وهذه المجموعة هي من المجاميع التي تنسب الى اللسان في المخرج في الدراسات الحديثة .

= **الشديدة :**

وهي الاصوات التي تتصف بتمام انحصار الصوت عند اسكانه في حالة تصويته ويجمعها قولهم : «اجدت طبقك» وقد اخرج صوت الجيم من هـذه المجموعة في الدراسات الصوتية الحديثة وادخل الضاد في مكانه(٣ وصوت الجيم القاهرية .

---

(١) مقدمة التهذيب والعين .

(٢) فقه اللغة : د. وافي ١٦٦ .

(٣) مناهج ١٢٤ .

= **الشفوية(١) :**

وهي الاصوات التي يكون مخرجها من الشفة كالباء والميم والواو أو الشفة والاسنان كالفاء ويسمى الفاء بالشفوى الاسناني ، وتحديد مخرج الفاء مما بيو باطن الشفة السفلى ورأس الثنيتين(٢) • والثلاثة الباقية تخرج من بين الشفتين • والميم باطباق الشفتين وبذلك سماها الخليل (مطبقة) والواو باستدارتيهما ،والباء بانطباقهما •والشفة عنصر مهم من عناصر الجهاز الصوتي في الانسان وتدخل في تحرير جملة كبيرة من الاصوات كما رأينا •

= **الصحيحة :**

وهي الاصوات السواكن ، اى ماعدا اصوات المد التي تعرف بالعلة •

= **صفة الصوت :**

وهي الحالة التي يتصف بها الصوت اللغوى عند اخراجه من حيث رخاوته او شدته او جهره او همسه ، او ماشبه هذه الصفات • وهذه الصفات مختلفة في عددها فمن الاقدميين من اوصلها الى اربع واربعين صفة ولا سيما علماء التجويد (٣) وجعلها اخرون اربع عشرة صفة • وعند الكثيرين سبع عشرة صفة • تذكر في مواضعها من هذا الثبت •

= **الصفير :**

وهي اصوات تحدث عند اخراجها صفيرا ، وذلك لانحصارها بين الثنايا وطرف اللسان وتعرف بالحروف الصفيرية(*) تسمية لها بصفتها ، وتتسمى ـ ايضا ـ بالاصوات الاسلية لان مخرجها من اسلة اللسان كما سبقت الاشارة

---

(١) او تسمى الشفهية كذلك : الجمهرة ١/٧ •

(٢) نهاية القول المفيد : محمد مكي نصر ٤٥ طبعة بولاق •

(٣) نفسه والصفحة نفسها ٤٥ •

(*) المقتضب المبرد : ١/١٩٣ و ٢٢٥ ـ ٢٢٦

وهي : الصاد والسين والزاى . وتسمى عند المحدثين (اسنانية لثوية) لان الاسنان واللثة يشتركان في اخراجها .

= **الطبق :**

اصوات الاطباق «المطبقة» وهو الجزء الاعلى من سطح الفم مما يلي اللهاة والحنجرة (تنسب اليه اصوات الاطباق) او الاصوات الطبقية وهي : ص ض ط ظ وتسمى ايضا «المطبقة» وسبب ذلك ان تصويتها يؤدى الى انحصار صوت الحرف بين اللسان والحنك الاعلى(١) حتى يلتصق بسطح الفم ، وضدها الاصوات المنفتحة(٢) ـ كما سيأتي .

= **الطلاقة :**

اصوات يكثر دورانها في بنية الكلمة العربية ولا سيما مافوق الثلاثي كالقاف والعين والسين والدال .

علم الاصوات اللغوية

وهو علم يتناول دراسة الصوت اللغوى من حيث طبيعته وصفاته ومخرجه وتأثير بعض الاصوات ببعض والجهاز النطقى الانساني في اللغة ، وقد قسم علماء اللغة دراسة الصوت اللغوى على قسمين هما :

١ ـ علم الاصوات اللغوية : يراد به الدراسات العامة للصوت اللغوى محددا فيها طريقة نطق الصوت وبيان مخرجه في الجهاز النطقي وصفاته ودرجته .

٢ ـ علم تشكيل الاصوات : وهو علم يبين وظائف الاصوات اللغوية وما يؤديه الصوت من دور في تكوين المقاطع واحداث النبرات وتغيير الانغام ، ولذلك يسمى علم وظائف الاصوات اللغوية phonology كما هو

---

(١) دراسات في فقه اللغة : د. الصالح ٢٨٢ .

(٢) وقد يطلق عليها : اصوات الاستفتاح .

معروف في المدرسة الانكليزية(١) ومن الدراسات اللغوية الصوتية ان يتناول البحث دراسة الموجات الصوتية وانتقالها في الهواء بعد ان نمر بنواح ثلاث : ناحية حركية عضوية : وهي التي تحدث الصوت ويعنون به الجهاز النطقي في الانسان وناحية صوتية تتمثل في حمل الهواء للصوت او ذبذباته من الجهاز الى اذن السامع · وناحية المستقبل للصوت : وهو سماع ماحدث من صوت في اذن السامع وتفسيره ، فاذا تناولت الدراسه تحليل الصوت اللغوى بوساطة جهاز تظهر عليه الذبذبات الصوتية على شكل خطوط توضح نوعه ومخرجه ودرجته ، سميت الدراسة : «علم الاصوات التشريحي» physio ogical phonetics :

اى دراسة الصوت كما يحدثه الجهاز النطقي · وان تناولت الدراسة الموجات الصوتية في الهواء سميت «علم الاصوات الهوائي» : Acoustic phonetics فان تناولت تأثير الاصوات في الاذن ودراسة اعضاء السمع المتصلة بالصوت سميت علم الاصوات السمعي المعبر عنه بـ physical phonetics فهي اذن حالات ثلاث حالة في الجهاز النطقي واخرى في الهواء وثالثة في الاذن(٢) ·

= الغارى :

هو الصوت المنسوب الى غار الفم الاعلى وهو سطحه وتنسب لغار الفم ثلاثة اصوات هي : الشين والجيم والياء ، وهذا عند المحدثين وقد سبق انها شجرية في المخرج عند القدماء ، وأن التي تنسب الى نطع الغار الاعلى هي النطعية وهي : ط د ت ·

---

(١) اللغة بين المعيارية والوصفية ١١٥ ·

(2) R.H. Robins: General Linguistics. P:82-83

= **الغنة :**

وهي صفة تلحق بعض الاصوات وذلك عند خروجها من الخيشوم وهي التنوين والميم والنون ·

= **فتحة المزمار :**

وهي فتحة تكون في مقدمة الوترين الصوتيين تنفتح وتنغلق عند مرور الهواء واحداث الاصوات ·

= **الفك الاسفل والاعلى :**

ويدخل الفك الاسفل في صنع الصوت اللغوى بالمشاركة ، وكذا الفك الاعلى كما اتضح في اكثر من موضع ·

= **القصبة الهوائية :**

وهي قناة تمتد من الرئتين الى الحلق فالمزمار مهمتها دفع الهواء الى الحنجرة فتحدث احتكاكا بين الوترين الصوتيين لاحداث الصوت ·

= **القلقلة :**

وهي اصوات تتميز بصفة الشدة واطلق عليها اصوات القلقلة لانها تضطرب بحركة عند تصويتها فتحدث نبرا شديدا بعد الانتهاء من غلق مخرج الصوت مباشرة · وسماها ابن جني بالحروف (المشربة) فيقول : واعلم ان في الحروف حروفا مشربة تحفز في الوقف وتضغط عن مواضعها ، وهي حروف القلقلة ، وهي القاف والجيم والطاء والدال والباء لانك لاتستطيع الوقوف عليه الا بصوت وذلك لشدة الحفز والضغط وذلك نحو : الحق واذهب واخلط واخرج ·· الخ(١) ·

(١) سر الصناعة ٧٣ ·

= **اللثوية :**

وهي الاصوات التي تكون مخارجها مابين ظهر اللسان مما يلي رأسه وبين رأسي الثنيتين العليين · وسميت لثوية نسبة الى اللثة وهي الطاء والذال والثاء وهي متقاربة المخرج(١) · وقد اطلق المحدثون اسم (اللثوية) على الراء واللام والنون في حين جعلوا الظاء والذال والثاء أسنانية ، لان اللسان يتعامل مع الاسنان في اخراجها(٢) · والمعروف ان اللثة عضو ثابت في اعضاء الجهاز الصوتي وتدخل في تحريك كثير من الاصوات ·

= **اللسان :**

وهو العضو المهم في اعضاء النطق واليه ترجع مجموعة كبيرة من الاصوات اللغوية فهو يشترك مع اصول الاسنان او الثنايا أو سطح الفم او اللثة لاخراج الصوت ، كما نجد ذلك في الاصوات اللثوية المتقدمة او اصوات الصفير ·

= **لسان المزمار :**

وهي لحمة تكون فوق فتحة المزمار وتساعد على اغلاق الفتحة او فتحها عند احداث الصوت ·

= **اللهويان :**

وهما صوتان ينسبان الى اللهاة لكونها مخرجا لهما · وهذان الصوتان هما القاف والكاف وقد اخرج المحدثون صوت الكاف منهما وجعلوه (طبقيا) والواقع ، ان بين مخرج القاف والكاف تباعدا · فاللهاة تقع بين الفم والحلق ، فمخرج القاف من اقصى اللسان مما يلي الحلق وما يحاذيه من الحنك الاعلى من منبت اللهاة · اما الكاف فتأتي بعد القاف في المخرج من اقصى اللسان(٣) ·

---

(١) نهاية القول المفيد ٣٨ ·

(٢) مناهج البحث في اللغة ١٥٦ ·

(٣) نهاية القول المفيد ٣٥ ·

= **اللينة :**

وهي اصوات المد (أ و ى) وتسمى ايضا الصائتة وعرفت عند النحويين بالعلة ٠

= **المائعة :**

وهي الاصوات المعروفة بالسيالة ، وهي المتوسطة كما مر وسيأتي ٠

= **المتحرك :**

وهو الصوت الذى ينطق مع حركته الضمة او الفتحة أو الكسرة ٠وبالحركة يتحول صوت المد الى صوت اشبه بالساكن مثل (ولي) ٠

= **المتفشي :**

وهي صفة صوت الشين كما في مصطلح «الانتشارى» السابق ٠

= **المتوسطة :**

وهي الاصوات التي لايتم انطلاقها ولا انحباسها ، اى ليست بالشديدة في اللفظ ولا الرخوة فهي متوسطة بين الرخاوة والشدة ويجمعها قولك (لن عمر) وتسمى عند المحدثين بالاصوات السيالة او المائعة(١) ٠

= **المجهورة :**

وهي بضعة اصوات في اللغة وهي الهمزة والباء والجيم والدال والذال والراء والزاى والصاد والظاء والطاء والعين والغين والقاف واللام والميم والنون والواو والياء والالف فهي تسعة عشر ٠ وصفة الجهر التي تتميز بها هذه الاصوات تتم بانحباس جريان النفس عند النطق بالحرف وذلك لقوة الاعتماد على المخرج ، فيخرج الصوت مجهورا ٠ ويفسر الدارسون المحدثون المجهور(٢) بانه يصاحب نطقه رنين ناتج عن اهتزاز الوترين الصوتيين ٠

---

(١) انظر جان كانتينو : دروس في علم اصوات العربية ص : ٢٤

(٢) الاصوات اللغوية : انيس ٢٠ ـ ٢٣ ٠

= **المحقورة(١) :**

وهي اصوات القلقلة نفسها · وسميت بذلك لانها تحصر في الوقت وتضغط عن مواضعها ، لانك لاتستطيع ان تقف عليها الا بصوت تابع ، وذلك لشدة الحصر والضغط ·

= **المخالطة :**

وهي الاصوات التي زادها سيبويه والباحثون من يعده على التسعة والعشرين نحو الصاد التي بين الصاد والزاي وما أشبه · سميت بذلك لانها تخالط غيرها(٢) ·

= **المخرج :**

وهو مسلك الصوت في الجهاز النطقي وموضع الخروج منه ويتحدد باعضاء النطق المشاركة في اخراجه ، ولذلك ينسب الصوت الى اسم العضو النطقي . كاللثوى نسبة الى اللثة والاسناني نسبة الى الاسنان والحنجرى نسبة الى الحنجرة والحلقي نسبة الى الحلق ، وهكذا · ومجموعة مخارج الاصوات في الجهاز مختلف فيها وقد جعلها بعضهم في حدود سبعة عشر مخرجا · ثلاثة منها لاصوات الحلق ومخرجان للصوتين اللهويين وهما : ق ك ومخرج للشجرية وثلاثة للذلقية والنطعية والاسلية واللثوية ،ومخرجان للشفوية ومخرج للخيشومية ومخرج خاص بالضاد ، اما اصوات الجوف الهوائية فان الفراغ الجوفي كله في الحلق والفم يعد مخرجا لها ·

وقد تكون المخارج متباعدة فيصبح لكل صوت منها مدرجة خاصة به ويصبح لكل صوت مخرجه الخاص ، اما اذا كانت المخارج متقاربة فيعني ذلك اتحاد المجموعة في المخرج وتنسب كلها اليه ·

---

(١) اللسان : حقر ، قلق ·
(٢) الرعاية : مكي : ١٠٥ ـ ١٠٦ ·

= **المد :**

وهي اصوات اللين (ا – و – ي) سميت بذلك لامتداد الصوت بها ٠

= **المدرج :**

ويراد به المخرج نفسه ، وقد ذكر (المدرجة) الخليل في مقدمة العين وكرر ذلك الازهري في (تهذيبه) وقال ابن جني : «واذكر احوال هذه الحروف في مخارجها ومدارجها» ويعني : مخارجها والمدرج هو مسلك الصوت في العضو داخل جهاز النطق ٠ ومن هنا يكون تمييز المدرج من المخرج ان الاول اخص ٠

= **المذلقة :**

وهي صفة الاصوات الشفوية والذلقية وهي الراء واللام والنون والفاء والباء والميم ، وماعداها فهي الاصوات (المصمتة) ، والاصوات المذلقة تدخل في تركيب مواد اللغة بشكل بارز وخصوصا الرباعي فما فوق فان وجدت كلمة من اربعة اصول مثل : دحرج زخــرف بعثر صلدم ٠٠ او خمسة اصول مثــل : سفرجل قذ عمل فرزدق ٠٠ فانه لابد من دخول احد هذه الاصوات او اكثر في بنائها والاعدت الكلمة دخيلة في العربية ، وهذا حكم الخليل في مقدمته للعين ، مصطلح (المذلقة) هو صفة لهذه الاصوات الستة ٠ اما (الذلق) فهــو مخــرج (ر ل ن) لانها تخرج من طرف اللسان وهو ذلقة ٠

= **المرقق :**

وهو الصوت الذى يتصف بالترقيق عند اخراجه كصوت اللام اذالم تضخم، وذلك اذا ما سبقت بالكسر نحو : بالله ، ومن عند الله و (أفي الله شك)٠

= **المركب :**

وهو المقطع او النبر او النغم الذى يتركب عادة مــن اكثر مــن صوت ،

وميدان دراسة الاصوات المركبة هو (علم وظائف الاصوات اللغوية) كما سبقت الاشارة في علم الاصوات ٠

= **المستطيل :**

وهو صوت الصاد لانه يستوجب امتدادا للصوت من اول حافة اللسان الى اخر نقطه ٠

= **المستعلية(١) :**

وهي اصوات من صفتها عند اخراجها ان تكون من اعلى الفم ، لان اللسان يتجه الى اعلى الفم نحو الحنك الاعلى ، وهذه الاصوات : خ ص ض غ ط ق ظ(٢) ، وتسمى اصوات الاستعلاء ٠ كذلك ٠ قال ابن جني : ومعنى الاستعلاء: ان تصعد في الحنك الاعلى ٠

= **المستفلة :**

وهي خلاف اصوات الاستعلاء ، اذ يكون خروج الصوت من اسفل الفم لتسفل اللسان عند النطق الى الحنك الاسفل ، ومجموعة الاصوات المستفلة اثنان وعشرون صوتا هي :أ ب ت ث ج ح د ذ ر ز س ش ع ف ك ل م ن ه و ى٠ وسميت هذه الحروف عند الاقدمين ايضا بالمنخفضة ولاسيما اللغويين منهم ، اما اصطلاح الاستفال فهو عند اهل القراءات والتجويد ٠

= **المستوى :**

هو الصوت الذى يخرج من موضعه من غير حدوث انحراف او تغيير في الجهاز النطقي ٠ وقد ذكر ابن جني صفة المستوى مع المكرر(٣) في مقدمة «سر الصناعة» مشيرا الى اختلافهما في الصفة ٠

---

(١) سر صناعة الاعراب ٧١

(٢) لاحظ ان اربعة منها تشاركها صفة الاطباق وهي : ص ض ط ظ ٠

(٣) سر الصناعة ٧٢ وانظر سيبويه ٢/٤٠٦ ٠

= **المشرب :**

قال ابن جني : واعلم ان في الحروف حروفا مشرية تحفز في الوقت وتضغط عن مواضعها وهي حروف القلقلة وهي : القاف والجيم والطاء والدال والباء لانها لاتستطيع الوقوف عليها الابصوت وذلك لشدة الحفز والضغط وذلك نحو : الحق واذهب واخلط واخرج وبعض العرب اشد تصويتا ٠ ومن المشربة حروف يخرج معها عند الوقوف عليها نحو النفخ ، الا انها لم تضغط ضغط الاول وهي : الزاى والظاء والذل والصاد وبعض العرب اشد تصويتا (٢) فالاشراب اذن هو صفة حروف القلقلة ، وبعض الاصوات الشديدة والمجهورة وهو ان يتبع صوت الحرف صويت في اخره عند الوقف عليه لشدة الضغط والحفز ٠ ويبدو ذلك عند تجويد القرآن وتلاوته ٠

= **المصمتة :**

وهي ماعدا أصوات الشفة والذلاقة الستة : ف ب م ر ل ن ٠ ولما كانت الاذلاق صفة الصوت كان الاصمات خلافه ٠٠ ويسمى الحرف مصمتا ، وتسمى كذلك حروف الاصمات او الحروف الصمت ، وهي الحروف التي يصعب على اللسان النطق بها لوحدها ، وسميت بذلك لانها اصمتت ، اى : صمت عنها ان تختص ببناء كلمة في لغة العرب اذا كثرت حروفها(٢)٠

= **المضغوط :**

وهو الصوت الذى يبذل في اخراجه جهد عضلي في جهاز النطق كحروف القلقة ، وهذه الصفة هي الحروف المشربة عند ابن جني ، قال : انها تحفز في الوقف وتضغط عن مواضعها ٠

= **المطبق :**

وهو الحرف الواحد من حروف الاطباق وقد مرت في (الطبق) ، ويوصف بهذا المصطلح ، فيقال فيه : صوت مطبق ٠

---

(١) سر الصناعة ٧٣ ٠

(٢) مقدمة جمهرة ابن دريد ٧/١

= **المعتل :**

وهو ماعدا الحروف الصحيحة وهي (ا و ى) غير المتحركة وتكون ماقبل الواو ضمة وما قبل الياء كسرة نحو : يروم ، يبيع فان سكن وتحرك ما قبله بالفتح فهو نصف حرف العلة مثل : قول وبيع المصدرين .

= **المفخم :**

وهي الاصوات الطبقية ، اطلق عليها المحدثون اسم المفخمة لانها عند نطقها تحدث صوتا مفخما بفعل اطباق اللسان على الحنك الاعلى وهي :ص ض ط ظ وما عداها فغير مفخم(١) .

= **المكرر :**

وهي صفة صوت الراء وسمي (تكراريا) ويعبر عنه بالانكليزيه : Rolled وذلك ان الوقف عليه يؤدى الى تعثر اللسان من طرفة فيحدث تكريرا(٢) . يقول سيبويه : ومنها المكرر وهي حرف شديد يجرى فيه الصوت لتكريره وانحرافه الى اللام فيجافي للصوت كالرخوة ، ولو لم يكرر لم يجر الصوت فيه وهو الراء(٣)» .

= **المنحرف :**

وهو الصوت الذى يصحب نطقه خروج النفس من احد جانبي اللسان او من كليهما ، وهذه الصفة هي صفة (اللام) وهو الذى سماه المحدثون جانبيا ويسمى في الانكليزية Lateral (٤) ويقول ابن جني : ومن الحروف حرف منحرف ، لان اللسان ينحرف مع الصوت وتتجافي ناحيتا مستدق

---

(١) مناهج البحث ١٥٦ .

(٢) انظر سر الصناعة ٧٢ .

(٣) الكتاب ٤٠٦/٢ .

(٤) وكذا : side wise

اللسان عند اعتراضهما على الصوت ، فيخرج الصوت من تينك الناحيتين ومما فوقهما وهو اللام(١) . ويقول سيبويه :منها المنحرف ،وهو حرف شديد يجرى فيه الصوت لانحراف اللسان مع الصوت ولم يعترض على الصوت كاعتراض الحروف الشديدة وهو اللام . وان شئت مددت فيها الصوت وليس كالرخوة ، لان طرف اللسان لايتجافى عن موضعه وليس مخرج الصوت من موضع اللام ، ولكن من ناحيتي مستدق اللسان فويق ذلك(٢) .

وهذه الصفة التي حددها سيبويه بدقة تضع اللام المكرر بين الشدة والرخاوة ، وهي الصفة التي سبقت تسميتها بالمتوسطة .

= **المنخفض :**

وهو الصوت المستفل – كما سبق – وقد علمنا ان كل ماعدا اصوات الاستعلاء السبعة : خ غ ض ط ظ ص (منخفضة) وذلك لانخفاض اللسان الى الحنك الاسفل في نطقها .

= **المنفتح :**

وهي ضد اصوات الاطباق ، يقول سيبويه : وللحروف انقسام آخر الى الاطباق والانفتاح فالمطبقة اربعة ... وما سوى ذلك فمفتوح غير مطبق(٣) .

والانفتاح او الاستفتاح : هو ان يجرى النفس لانفتاح ظهر اللسان في نطق الحرف ، فلا ينطبق على الحنك الاعلى كما يفعل في المطبقة ، وهذه الحروف هي كما يجمعونها : « من اخذ وجد سعة فزكا حق له شرب غيث »فيكون عددها خمسة وعشرين .

---

(١) سر الصناعة ٧٢ .

(٢) الكتاب ٤٠٦/٢ .

(٣) نفسه

= **المهتوتة :**

الهت هو الضعف والخفاء ، ولما كانت الهاء في صفتها هذا الشأن سماها الخليل حرفا مهتوتا ، قال ابن جني : ومن الحروف : المهتوت وهو الهاء وذلك لما فيها من الضعف والخفاء(١) وصورها الخليل بان فيها ههة وهي من الاصوات المهموسة التي يجرى فيها النفس من غير اعتراض ٠

= **المهتوف :**

وهو صفة الهمزة كما ذكر مكي(٢) في الرعاية ٠ قال : سميت بذلك لخروجها من الصدر كالتهوع ٠ فتحتاج الى ظهور صوت قوي شديد ٠ والهتف الصوت الشديد ٠

= **المهموس :**

الهمس صفة تغلب على مجموعة من الاصوات اللغوية ويفسره سيبويه بانه ضعف الاعتماد عن موضع الحرف حتى يجرى النفس معه بحيث يمكن تكرير الحرف مع جرى الصوت والحروف المهموسة عنده عشرة هي : الخاء والحاء والثاء والهاء والشين والكاف والسين والفاء والتاء والصاد(٣) ٠ اما سائر الحروف فمجهور ويجمعها أي المهموسة – قولك : حثه شخص فسكت ٠

ويرى المحدثون ان المهموس من الاصوات هو الذى لايصحب نطقه رنين كالحروف المجهورة كالحرف ـ P والاصوات المهموسة عندهم : ت ث ح خ س ش ط ف ق ، اى باضافة (القاف والطاء) اليها واخراج (الهمزة) من مجموعتي المهموسة والمجهورة(٤) ٠

---

(١) سر الصناعة ٧٤

(٢) الرعاية : ١١٢

(٣) الكتاب ٢/٤٠٥ وانظر سر الصناعة ٦٨ـ٦٩ ٠

(٤) الاصوات اللغوية : د٠ انيس ٢٠ ـ ٢٣ و ٧٢ ٠

= **النبر :**

حدة الصوت وتحقيقه وجعل مكي الهمزة : (النابرة) المحققة بحدة(*) .

= **النطعية :**

وهي الاصوات التي يكون مخرجها من نطع – بفتح النون وكسرها الغار الاعلى للفم وتحديد المخرج من فوق طرف اللسان مع اصول الثنيتين العليين . وهي : الطاء والدال والتاء(١) . ونسبها تمام حسان الى مجموعة : الاسنان اللثوية ، والطاء منها مفخم والدال والتاء غير مفخمتين والدال مجهور والطاء والتاء مهموسان .

= **نصف حرف العلة :**

وهما صوت حرف الياء وصوت حرف الواو وذلك اذا نزلا منزلة الاصوات الصحيحة عند تحركهما بالفتحة ، أما الالف فعند تحركها تتحول الى صوت الهمزة .

= **النفث :**

وهو صفة صوتي التاء والفاء ، كما ذكر الحسن التوني : لانهما يصاحب صوتيهما نفث (**) .

= **الهوائية :**

وهي حروف الجوف (ا و ى) ويشترك في اخراجها الجوف مع الحلق ، فهي تخرج من الصدر وتنتهي الى خارج الفم(٢) وتسمى (أحرف المد) او (أحرف

(*) الرعاية : مكي بن أبي طالب : ص ٩٢ ـ ١١٦ . وذكر التوني الحسن بن شجاع في كتابه المفيد في علم التجويد : ورقة : ٥ خط

(١) انظر النشر : ١/٢٠١ .

(**) المفيد : ورقة :٥ (خط) .

(٢) فقه اللغة : د. وافي ١٦٥ ـ ١٦٦ .

اللين) وينبغي ان تكون ساكنة مضموما ماقبل الواو ومكسورا ماقبل الياء وسميت هوائية لانها تنتهي بانقطاع هواء الفم . وقال الخليل عنها انها احرف هاويه في الهواء(١) .

= **الوتران الصوتيان :**

وهما وتران في مقدمة الحنجرة بينهما فتحة تسمى فتحة المزمار ولحمة صغيرة تسمى لسان المزمار ، مهمة هذين الوترين احداث احتكاك يتولد منه صوت الحرف عند مرور الهواء من بينهما اذ يهتزان منتظما على وفق الحرف المنطوق .

٣ ـ نظرة في تطور اصوات العربية وخصائصها

من المعلوم ان معظم الاصوات اللغوية في لغات العالم تشترك بنسب كبيرة ويختلف بعضها عن البعض الاخر ببضعة اصوات لاتتعدى اصابع اليد الواحدة . فالضاد العربية مثلا هي من ميزات هذه اللغة دون سائر اللغات وال P او V تخلو منها العربية في حين نجدها في بعض اخواتها كالعبرية وفي اللغات الاوربية والهندية ، ولكننا نجد انفسنا امام اصوات لاتخلو منها لغة كالشفوية : ف ب م f.b.m. والراء واللام والنون r.l.n. والاصوات الاسنانية كالدال والتاء d.t.

وحاولت الدراسات الحديثة ان تقف على مايميز هذه الفصيلة من تلك في اصواتها فوجدت مثلا ـ ان الفصيلة السامية ومنها العربية ـ تحصر نوعا من الاصوات يقل وجودها في اللغات الاخرى ، ولاسيما اصوات الحلق والاصوات المطبقة مثل : ع ح والهمزة ض ص ط ظ وهي اصوات سبق أن عرضنا لصفاتها ومخارجها ، فهذه الاصوات ليست معروفة كليا في اللغات ، ولكنها موجودة

---

(١) مقدمة العين :الجزء الاول ١٣ فما بعد .

بشكل متفاوت من لغة لاخرى ، كما انها موجودة بنسب متفاوتة في الساميات غير ان الشيء الذى يمكن ان يجعل خصيصة من خصائص العربية — وهي احدى الساميات — انها استطاعت ان تجمع كل الاصوات السامية بشكل موروث متصل ، لعلمنا انها عاشت في الموطن الاصلي الذى خرجت منه اللغات السامية ، فالذال والغين والطاء العربية ليست موجودة في العبرية ، والعين والقاف العربية خلت منها البابلية(١) وهي موجودة في اخواتها الاخرى ٠ ومع ان هذا الاختلاف القليل في الاصوات بين اللغات السامية نفسها ، فان هناك ميزة يتميز بها اللسان العربي ، هي انه يستطيع النطق بجميع الاصوات الغريبة عن لسانه كصوتي : ٧٠ ، ٢ وصوت الـ (الكيم) القاهرية وصوت الجيم — مثلثة النقاط الارية — وغيرها مما وجد في اللغات السامية وغير السامية ٠

ولقد لاحظ الاقدمون كابن فارس(٢) وابن دريد(٣) وغيرهما ان العربي اذا اضطر الى نطق الصوت الغريب عن لغته حاول تقريبه الى صوت عربي من جنس اصوات لغته ، كما يفعل في نطق الباء مثلثة في بور فانه على الرغم من استطاعته نطقها يحولها الى صوت (الفاء) ، فيقول (فور) ٠

هذه الصورة من ملاحظة الدارس العربي القديم للسان تقف بنا على ظاهرة مهمة يمكننا ان نسجلها — هنا — وهي محاولة اللسان العربي الاحتفاظ بالاصوات اللغوية العربية كما ورثها والتزامها في النطق هي ظاهرة لايمكن ان تتماشى مع مايقرره (فندريس)(٤) من استحالة بقاء النظام الصوتي ثابتا طوال تطور لغة من اللغات ، والذى دلتنا عليه الدراسات الحديثة ان العربية قد

---

(١) فقه اللغة : د٠ وافي ٢١ — ٢٢ ٠
(٢) الصاحبي ٧٥ ٠
(٣) الجمهرة ٤١١ ٠
(٤) اللغة : فندريس ٦٤

احتوت على اصوات الاطباق التي اختلت في عددها في الساميات فالقاف والصاد والظاء موجودة في الشعبة العربية القحطانية ، في حين تعرضت الضاد والظاء للتغيير الصوتي في عدد من اللغات السامية ، فكل ضاد وظاء عربية يقابلها (ص) عبرية واكادية وتحولت الضاد في الارامية الى قاف مرة والى عين مرة اخرى ، ولم يجد الباحثون تفسيرا لهذا التحول(١) الا ان الغالب بان ما استقرت عليه العربية من الاصوات لم يكن الا امتدادا متوارثا ومتطورا للاصوات السامية الاولى ٠

فمن المعلوم ـ مثلا ـ ان الثاء والتاء والسين والشين اصوات عربية ثابتة، وانها تأتي رموزا صوتية داخلة في بناء المواد اللغوية المختلفة الدلائل ولكنها في اللغات السامية الاخرى مختلفة في المفردة السامية مخالفة للعربية ، فالثوم في العربية تقابلها الشوم في الاكدية ومثلها في العبرية ٠ والتوم في الارامية والنوم في العربية الجنوبية والحبشية ويذهب الباحثون الى امكان تقرير ان الثاء هي الصوت السامي الاصل لهذه المفردة وان سائر الاصوات المقابلة في الساميات الاخرى هي التي طرأ عليها التغيير وهذا يلاحظ مثله اليوم في اللهجات الشعبية المعاصرة ، فأهل المغرب العربي ـ مثلا ـ يقلبون الثاء تاء نحو (ثلاثة) (تلاتة) و ثم (تم) وثناء (تناء) ، كما يقلبها المصريون وبعض المشارقة سينا ، فيقولون في حثيث : حسيس ، وفي بحث : بحس ، مما يدل على اصالة صوت الثاء واستحداث الاصوات المقابلة لها في المراحل التاريخية ، وما يقال في الثاء نجد مثله في تغيير صوت الضاد المطبق في الساميات وتغيره في اللهجات الشعبية المعاصرة ، مما يدل كذلك على اصالة هذا الصوت في العربية الموروث من السامية الاولى ٠

ان مايحصل لجميع الاصوات التي تجد لها تبدلات في اللسان السامي

---

(١) علم اللغة العربية : حجازى ١٤١ ـ ١٤٢ ٠

كالذال والظاء والقاف والجيم وغيرها يفسر بان ماورثته العربية هو الاصل السامي لهذه الاصوات وان ماحصل لها من تغيير انما هو من قبيل التطور التاريخي في فروع السامية ·

والحق ان ثمة اشارات الى شيء من هذه التبدلات في العربية الباقية كان الرواة قد عنوا بذكرها في كتبهم اللغوية ومعجماتهم كابدال صوت الجيم العربية الى صوت الـ (G) الارية التي توارثها المصريون اليوم · فقد روى ابن دريد ان بعض العرب تقول (الكمل) في (الجمل)(١) · وكابدال صوت القاف الى الكاف الصعيدية والخليجية ومعظم الشمال والوسط الافريقي ، كما رووا شاهدا لهم هو قولهم:

ولااكول لكدر الكوم كدنضجت ولااكول لباب الدار مكفول

بابدال القاف كافا اي : بصوت الجيم القاهرية والقاف الخليجية ونقل · عن بعض العرب انهم يقولون (كاتله الله) في (قاتله) الى غير ذلك من الاصوات العربية البعيدة عن الاصل السامي ، ولعل ذلك يرجع الى ان جنوب الجزيرة قد لقي احتكاكا وصلات بشعوب حامية افريقية وآرية هندية اسيوية خلال التاريخ نقلت له بعض هذه الاصوات ولم يتم لها ان تشيع في جمهور العرب فاقتصرت على بعضهم القليل الذى اشار اليه رواد اللغة ولم يشر الدارسون الى وجود شيء من هذه الاصوات في التسعة والعشرين العربية كما لم يصل منها شيء الينا فيما اثر من النصوص العربية الفصيحة ·

وعلى الرغم من الاشارات الى انَ بعض الاصوات العربية قد اصابها شيء من التغيير الصوتي بعد الاسلام الا ان هذه الاشارات قد اقتصرت على صوت واحد او صوتين هما (الضاد والظاء) من ذلك مانقل عن ابي الاسود انه سمع اعرابيا يخطىء في التمييز بين (ضالع وظالع) فيجعل الضاد في موضع الظاء ، وربما كان هذا الخطأ متأتيا من خطأ الاعرابي في دلالة اللفظين ووضع احدهما

(١) الجمهرة ١/٣-٤ ·

موضع الاخر . والخطأ في الدلالة او الصيغة او الخلط في الحالات الاعرابية(١) هي الاخطاء التي سادت في العصور الاسلامية المتقدمة ثم ماوليها وخصوصا عند المثقفين الذين يحاولون التحذلق في الكلام والتزام الفصيحة ، وقد روى عن حماد الرواية انه يقول(٢) : اني رجل اكلم العامة فاتكلم بكلامها ، في حين روى عن علقمة النحوى وعيسى بن عمر وغيرهما انهما كانا يتقعران في كلامهما وذلك التزاما بالفصيح من الكلام كما روى عن ابي زيد الانصارى انه سأل جزارا عن بطنين من اللحم فقال له : بكم البطنان فأجابه الجزار متهكما بدرهمان يا ...

فمثل هذه النماذج من رجالات اللغة ربما يجرها تحذلقها الى الخطأ كما لاحظ يوهان فك(٣) .

وعلى اية حال فان اهم مايلاحظه الدارسون لاصوات اللغات السامية هو ثباتها منسولة عن الاصول الاولى ثم تمييزها باصوات خاصة لامثيل لها في اللغات الاخرى كاصوات الاطباق واصوات الحلق وهي : ض ص ط ظ غ ح هـ خ ع والهمزة على الرغم من وجود الاختلاف في عددها بنسب متفاوتة بينهما .

٤ ـ التناسق الصوتي :

نعني بالتناسق الصوتي في العربية ، بناء المفردة العربية باصوات متلائمة منسجمة يعانق الصوت منها الصوت الاخر حتى نهاية البنية .

ولقد اشار الدارسون العرب الى ان ثمة اصواتا لاتتناسق مع اصوات اخرى في بناء الكلمة العربية كصوتي القاف والكاف ، وهما صوتان لهويان الا اذا كان احدهما في اخر الكلمة ، والثاني اول الكلمة التي بعدها في التنظيم .

(١) العربية : فك ٦٨ ـ ٦٩ .

(٢) تاريخ بغداد : البغدادى ١٣ / ١٤٥ .

(٣) العربية : فك ٦٩ .

او ادخلت الكاف على كلمة اولها قاف كما نرى في : كقول القائل ، أو كقوله او (انك قائل) او (لم يتق كائن) ٠٠ الخ

كما وجدوا ان صوت اللام والشين لاتجتمعان في محض العربية والللام اولا ٠ وان كان قد ورد في كلام العربي مثل قولهم : رجل لشلاشي ، للذى يتردد عند التقدم ، او اذا كان خفيفا ، وهي مفردة نادرة ولاتجتمع الصاد والجيم او القاف والجيم والنون والراء ٠٠٠ الى غير ذلك من القيم والاحكام المعتمدة على الاستقراء الدقيق في ابنية الكلم ومفردات اللغة ٠

وليست هذه الظاهرة الصوتية الا مثالا على الحس المرهف والذوق اللغوى الذى كان له اثار واضحة في اللغة وابنيتها وصيغها ، ولعل سبب ذلك يرجع الى ان العربية لغة بيئية مادية حسية تعتمد معانيها ومضامينها المعنوية على الامور المادية المتصلة بعالم الحس المشاهد شأنها في ذلك شأن اللغات السامية الاخرى ، فهي تستخدم مفردات تناسب في معانيها ودلالاتها ماهو ملموس ومشاهد في الواقع كظاهرة التنفس القوي السريع الذى يدل على الغضب وارتفاع الرأس والانف واعتدال القامة والتقطيب لها بين الحاجبين للدلالة على الانفة والكبرياء ٠٠ والى غير ذلك فضلا عما نحس من التناسب بين الاصوات : الغين والضاد والباء ـ مثلا ـ وكلما انعمنا النظر في بناء المفردة العربية وحاولنا الوقوف على وجود نوع من عدم التنسيق بين اصوات هذه المفـردة او تلـك اعجزنا ذلك ، وقد سبق الى دراسة هذه الظاهرة علماء البيان العربي ، وقرروا في كتب البلاغة العربية ان ماكان في الكلام متنافر الاصوات ، فانما هو مـن الجوشي الغريب الذى لايألفه السمع والذوق العربيان ولكن وقع لديهم شيء من ذلك في كلام العرب ، كمثل لفظ (مستشزرات) في شعر امرىء القيس :

غدائره مستشزرات الى العلا   تظل العقاص في مثنى ومرسل

او مثل فك الادغام في مثل قول الراجز :

الحمد لله العالي الا جلل   الواهب الفضل الكريم المجزل

ان ذلك لنادر شاذ ، وحكموا على اكثره بالضرورة التي لامندوحة للشاعر عنها . والدليل على ان مثل هذا التعسف في بناء الكلمة العربية شاذ او نادر استطاعة العلماء المتقدمين رصده بيسر وتقييده في كتبهم اذ لاتتجاوز امثلته عدد اصابع اليدين من بين هذا الحشد الهائل من الكلام العربي المأثور والمسموع والمدون . ولقد فطن رائد الدراسة اللغوية عند العرب ابو عبد الرحمان الخليل بن احمد الفراهيدى (١٧٠ هـ) فاشار في مقدمة العين (١) الى انه لايتأتى للفظ العربي ان يجمع بين اصوات الحلق : الهاء والخاء والعين لكونها من مخرج واحد وتقارب مدارجها فان اصطنعت لفظة كاهعخع والهخعضع وما اشبهها امكن ذلك ، ولكنه ليس من محض الكلام العربي في شيء ولا ينسجم مع ذوقه السليم فضلا عن حمل اللسان على نطق هذه الكلمات على غرابتها . ان التفاتة الفراهيدى الى ابنية الرباعي والخماسي وما يؤلفها من الاصوات ملاحظة تسير على وفق مانحن بصدده في هذا المبحث ، فقد لاحظ ان الرباعي يندر ان يأتي منه كلمة خالية من احرف الذلاقة وهي (ف ب م) الشفوية ، و (ر ل ن) الذلقية، فان جاءت كلمات خالية منها كالعسجد مثلا فانها لاتخلو من صوتي القاف اللهوى او العين الحلقي لما يتميز به صوت القاف من وضوح وبيان ، وما يتميز به العين من عذوبة جرس وقوة ، من بين سائر الاصوات كما لايمكنها ان تخلو من صوتين اخرين او احدهما : السين والدال من اصوات الطلاقة . فاصوات الطلاقة — اذن — وهي : ع س ق د لها اثر كبير في بنية الكلمة العربية . اما الخماسي فلابد له من ان يدخل في بنائه احد الاصوات الستة (ر ل ف ن م ب) او اكثر ، ولن تجد كلمة تعرى من بعض هذه الاصوات ، كما ترى في (سفرجل) الفاء والراء واللام ، وفي (فرزدق) الفاء والراء ، وفي (قرطعب) الراء والباء فان وقعت كلمة في العربية خالية من الاحرف المذلقة حكم عليها بالغرابة او الاعجمية وما ذلك الا قانون لغوى طبيعي جرت عليه هذه اللغة وتميزت به من بين سائر

---

(١) العين : المقدمة ٨٣ فما بعد ط بغداد .

اللغات • ومن هنا كان للتركيب اللغوى في العربية ثلاثة احكام هي : الاصوات التي يجب ان تقع في التركيب والاصوات التي يتحسن بها التركيب والممتنعة فيه • وحدد اللغويون وقوع هـذه الاصوات الواجبـة في التركيب بالاحـرف الشفوية وهي : الفاء والباء والميم واحرف الذلاقة وهي : الراء واللام والنون واما الصوتان المحسنان وهما : من اصوات الطلاقة ، او اكثر ، وهي : (القاف والعين والسين والدال) فهي اصوات محسنة ، وتسمى الاحرف الاربعة الاخيرة بالاصوات (المصمتة) عند اللغويين العرب فهي واخواتها ليست من الاصوات المذلقة الستة المذكورة فكأنها صمت عنها في بناء الرباعي والخماسي المعرى من الاحرف المذلقة فان كانت هناك كلمة رباعية خالية من اصوات الذلاقة، فلا بد لها من ان تكون محتوية على صوت من الاصوات الاربعة (ق ع س د)(١) او اكثر ، وهذه الاصوات جميعا واجبة الوقوع في البناء • ثم نعود الى صوتي (القاف والعين) فانهما ـ كما يرى اللغويون ـ من الاصوات ذات الجرس الناصع يتحسن بهما البناء في السماع • اما القاف ففيها متانة وصحة تصويت • ولذلك قالوا فيها «لاتدخلان في بناء الاحسنتاه » فيما عدا ذلك نجد ان بعض الاصوات ، ولاسيما الخارجة من مكان واحد في الجهاز الصوتي كالخاء والهاء والحاء والعين والزاى والسين والصاد والطاء اذا كانت في كلمة واحدة والقاف والكاف في تأليفهما والجيم والقاف والشين واللام ••الخ فان مثل هذه الاصوات لايمكن ان تجتمع في بناء الا كان عقيما لاسباب تجمل في :

أ ـ قرب المخرج مما يولد تنافرا بين الاصوات •

---

(١) حصر اللغويون العرب الكلمات الرباعية الخالية من الاصوات المذلقة بحوالي عشر كلمات ولكنهم لاحظوا انها لاتخلو من حرفي الطلاقة : ق ع ، او السين والدال • سر صناعة الاعراب : ابن جني ٧٤ـ٧٥ • انظر اول العين واول القاف من اللسان لابن منظور •

ب ــ عدم الفصل بينها بصوت متميز ، كما ترى في القاف والجيم (كيف قيلت لم يحسن تأليفهما الا بفصل لازم ٠

حـ ــ عقم التأليف ونبوه عن الذوق ٠

ومن خلال هذه الحدود الدقيقة التي وصل اليها الباحثون العرب بالاستقراء ضبطت قيم الفصاحة وعرف صحيح الكلام من خطئه ، وميز بين صحيح العربية والدخيل عليها ٠

ومما يقوى اشكال التناسق الصوتي في بنية الكلمة العربية ويدعو الى الايمان بهذه الظاهرة المتمكنة من تأليف الكلم ، ان ثمة صيغا وابنية تبدو وكأنها ماشاعت في العربية الا بعد ان صاغتها السنة متذوقة واحاسيس مرهفة ، تعرف اين تضع هذا الصوت او غيره من البناء ٠ فهذه صيغة (افعال) او (افعلل) فان جملة ماورد من هذا التركيب في العربية تشير الى حقائق ثابتة يمكن ان تتخذ طابعا محكما اذا لم نتخذها قاعدة عامة ، وهذه مجموعة من الافعال جاءت على هذه الصيغة :

و : اقشعر ــ ابذعر ــ اصمعد ــ اشمعل ــ اذلعب
و : اطمأن ــ احزأل ــ اشرأب ــ اشمأز ــ اتلأب
و : ارجحن : اضمحل ٠
و : ادلهم ــ اسرهف ــ اكرهف ــ اسرهد
و : اطرخم ــ اصلخد
و : اسمغد

فما الذى يلاحظ عليها ؟ يلاحظ عليها ان هذا البناء يدخل في تركيبه :

أ ــ الاصوات الحلقية : الهمزة والعين والحاء والهاء والخاء والغين ٠

ب ـ وان موضع هذه الاصوات هو الحرف الذى يقع قبل الحرف الاخير المتمد من الكلمة ·

جـ ـ وان طرفي هذا الصوت الحلقي اما ان يكون احد احرف الذلاقة او حرفين منها ·

فاما اصوات احرف الحلق فهي معروفة بنصاعتها وحلاوة جرسها واثرها على اصوات سائر الكلمة من حيث البيان والاظهار(١) ، ولذلك نالت الاصوات المصاحبة للحرف الحلقي شيئا من النصاعة في التصويت والظهور ·

واما اصوات الذلاقة التي اكتنفت الحرف الحلقي فقد علمنا في هذا البحث اهميتها في بناء الكلمة بوجوب وجودها في بنائها ولا سيما مافوق الثلاثي · على اننا قد نجد بعض افعال هذه الصيغة خالية من احرف الحلق كالفعلين · اسبكر واسبطر وهي كلمات معدودة قليلة لاتمثل ظاهرة لغوية واضحة ولكنها ـ ايضا ـ تدخل تحت ضابط وجود احد حرفي الذلاقة او كليهما ، وهما ـ هنا ـ الباء والراء في الفعلين ·

ان هذا الالتزام بتركيب واحد منسق يجعل للصوت مكانا خاصا في بناء الكلمة لم يأت عبثا أبدأ ، بل احكمه ذوق عال وحس مرهف ، ولادخل للهجة من اللهجات العربية المعروفة في الجزيرة في صياغته ، ولا يمكن ان يقال فيما شاع من لهجة قريش وفصاحتها : انها كانت اذا اتتهم الوفود تخيروا من تلك اللغات اقول لايمكن الانطواء على مثل هذا القول انطواء كاملا · وصرف النظر عن سائر الى نحائزهم وسلائقهم التي طبعوا عليها · فصاروا بذلك افصح العرب(٢) ·

---

(١) احرف الحلق واثرها في التغيرات الصوتية ، بحث للمؤلف في مجلة الاستاذ مجلة كلية التربية العدد ١ السنة ١٩٧٨ ·

(٢) الصاحبي ٢٣ ·

اللهجات العربية الاخرى ، فان هذه الظاهرة التي اكدناها في تناسق اصوات المفردة العربية ، تنسحب على كل اللهجات العربية الفصيحة ، فليست هي وقفا على قريش ولا قيس ولا تميم او اسد او هذيل او كنانة او طيء(١) .

فالذوق الذى ولدته الصحراء المترامية والحس الموسيقي المرهف ، هو ذوق جمهرة القبائل العربية وان كان بنسب متفاوتة ، تبعا لظروف كل قبيلة . وخصائصها البيئية والطبيعية والجغرافية ، وهذه الظروف قد فرضت نوعا من الخصائص اللهجية المحلية ، كما سبقت الاشارة تتمثل غالبا في تغير الدلالات وبعض التغيرات الصوتية التي رصدها اللسانيون العرب ، وتغير صيغ الاشتقاق بين هذه القبيلة ، وتلك على ماترى فيصيغة (اسم المفعول) من، الاجوف ،فتميم تقول : معيوب ومبيوع ، والحجاز يون يقولون : معيب ومبيع . وما اشبه هذا .

٥ ـ نص من مقدمة (العين)(٢)

مخارج الاصوات :(٢ب)

... اعمل فكرة في ترتيب أ ب ت ث ... فلم يمكنه ان يبتدىء التاليف من اول أ ب ت ث ، وهو الالف لان الالف حرف معتل فلما فاته الحرف الاول كره ان يبتدىء بالثاني وهو الباء الا بعد حجة واستقصاء النظر ، فدبر ونظر الى الحروف كلها وذاقها فوجد مخرج الكلام كله من الحلق ، فصير اولاها بالابتداء ادخل حرف منها في الحلق(٣). وانما كان ذواقه اياها انه كان يفتح فاه بالالف ثم يظهر الحرف نحو اب ات اج اع اغ ، فوجد العين(٤) ادخل الحروف في الحلق فجعلها اول الكتاب ، ثم ماقرب منها الارفع فالارفع حتى اتى على اخرها وهو الميم (٥) .

وقلب الخليل ا ب ت ث فوضعها على قدر مخرجها من الحلق ، وهذا

---

(١) الاقتراح : للسيوطي ١٩ .

(٢) ستأتي الحواشي بعد الانتهاء من النص

تأليفها وترتيبها ووضعها : ع ، ح ، هـ ، خ ، غ – ق ، ك – ج ، ش ، ض – ص زس – ط،د،ت – ظ، ذث – ر(٦)، ل، ن– ف، ب،م – و، ا، ى، همزة (٧) ٠

٠٠٠ (٨) قال الخليل : «اعلم ان الحروف الذلق والشفوية ستة(٩)»وهي: ر ل ن ، ف ب م ، وانما سميت هذه الحروف ذلقا ، لان الذلاقة في المنطق انماهي بطرف اسلة اللسان والشفتين وهما مدرجتا هذه الاحرف الستة(١٠) ٠ منها ثلاثة ذليقة : ر ل ن تخرج من ذلق اللسان من طرف غار الفم ، وثلاثة شفوية : ف ب م مخرجها من بين الشفتين – خاصة – لاتعمل الشفتان في شيء من الحروف الصحاح الا في هذه الاحرف الثلاثة فقط ٠ ولاينطلق اللسان الا بالراء واللام والنون ٠

واما سائر الحروف فانها ارتفعت فوق ظهر اللسان من لدن باطن الثنايا ، من عند مخرج التاء الى مخرج الشين بين الغار الاعلى وبين ظهر اللسان ، ليس للسان فيهن عمل اكثر من تحريك الطبقتين بهن ، ولم ينحرفن عن ظهر اللسان انحراف الراء واللام والنون (١١) ٠

واما مخرج الجيم والقاف والكاف(١٢) فمن بين عكدة(١٣) اللسان وبين اللهاة في اقصى الفم ، واما مخرج العين والحاء والهاء والخاء والغين فالحلق ٠

واما الهمزة فمخرجها من اقصى الحلق مهتوتة مضغوطة ، فاذا رفه عنها لانت ، فصارت الياء والواو والالف عن غير طريقة الحروف الصحاح ٠ فلما ذلقت الحروف الستة ، ومذل بهن اللسان وسهلت عليه في المنطق كثرت في ابنية الكلام ٠

٠٠٠(١٤) قال الخليل في العربية تسعة وعشرون حرفا ، منها خمسة وعشرون حرفا صحاحا لها احياز ومدارج واربعة احرف جوف وهي الواو والياء والالف اللينة والهمزة وسميت جوفاء لانها تخرج من الجوف فلا تقع في مدرجة

من مدارج اللسان ، ولا من مدارج الحلق ولا من مدرج اللهاة ، وانما هي هاويه في الهواء ، فلم يكن لها حيز تنسب اليه الا الجوف ، وكان يقول – كثيرا : الالف اللينة والواو والياء هوائية اى انها في الهواء(١٥) ٠

قال الخللل : فاقصى الحروف كلها : العين ثم الحاء ولو لا بحة في الحاء لاشبهت العين لقرب مخرجها من العين ، ثم الهاء ولولا هتة في الهاء اوقال ههة لاشبهت الحاء لقرب مخرج الهاء من الحاء ،فهذه ثلاثة احرف في حيز واحدبعضها ارفع من بعض ثم الخاء والغين في حيز واحد كلهن حلقية ٠

ثم القاف والكاف : لهويان ، والكاف ارفع ، ثم الجيم والشين والضاد في حيز واحد ، ثم الصاد والزاى في حيز واحد ثم الطاء والدال والتاء في حيز واحد ، ثم الظاء والذال والثاء في حيز واحد ثم الراء واللام والنون في حيز واحد ثم الفاء والباء والميم في حيز واحد ثم الالف والواو والياء في حيز واحد ٠ والهمزة في الهواء لم يكن لها حيز تنسب اليه ٠

قال الخليل : العين والحاء والهاء والخاء والغين حلقية لان مبدأها في الحلق والقاف والكاف لهويان لان مبدأهما من اللهاة والجيم والشين والضاد شجرية ، لان مبدأها من شجر الفم ، اى مخرج الفم ٠ والصاد والسين والزاى اسلية لان مبدأها من اسلة اللسان ، وهي مستدق طرف اللسان والطاء والتاء والدال : نطعية ، لان مبدأها من نطع الغار الاعلى ، والظاء والذال والثاء لثوية لان مبدأها من اللثة والراء واللام والنون ذلقية لان مبدأها من ذلق اللسان ، وهو تحديد طرفي ذلق اللسان والفاء والباء والميم شفوية – وقال مرة شفهية لان مبدأها من الشفة ، والياء والواو والالف والهمزة هوائية في حيز واحد لانها لا يتعلق بها شيء فنسب كل حرف الى مدرجته وموضعه الذى يبدأ منه ٠

وكان الخليل يسمى الميم مطبقة لانها تطبق الفم اذا نطق بها(١٦) فهذه

صورة الحروف التي الفت منها العربية على الولاء وهي تسعة وعشرون حرفا ع ح هـ ـ خ ٠٠٠ فهذه الصحاح (و ا ى ، همزة) فهذه تسعة وعشرون حرفا منها ابنية كلام العرب

شـــرح الهوامشـــ

٢ ـ مؤلفه هو الخليل بن احمد الفراهيدى ولد عام ١٠٠ هـ يعد رائد الحركة المعجمية في التأليف اللغوى العربي ، كما يعد اول رائد دراسة صوتية لاصوات اللغة العربية وهو صاحب اعظـم اكتشـاف في موسيقى الشعر العربي (الدوائر العروضية وبحور الشعر) وذكر له اكثر من مؤلف في النحو واللغة والشعر والانغام والجدل ٠٠٠ توفي سنة ١٧٥ هـ في البصرة ، ينظر كتابنا : مشكلات في التأليف اللغوى · فصل (العين) ٠ ننقل هنا نصوصا من مقدمة كتابه العين تكون متنوعة الاغراض والمقاصد واولها النص الذى يتضمن ترتيبه الاصوات على المخارج ثم نتبعه بما يبين احيازها ومدارجها في المخرج ٠

٣ ـ قوله :فوجد مخرج الكلام كله من الحلق تعميم يحتاج الى تقييد ،فقداراد بالحلق هنا اطلاق الجزء على الكل ، والا فان الحلق يمثل جزءا من جهاز النطق وتنسب اليه الاصوات الحلقية وهي : ع ح هـ ـ خ غ والهمزة ، اما سائر الاصوات فتنسب الى مخارج اخـرى مـن الجهاز الصوتي كاللثة والاسنان واللسان ٠ وسياتي في كلام الخليل نسبة كل صوت الى مدرجته وحيزه ٠

٤ ـ في الدراسات الصوتية الحديثة ان الهاء والهمزة ادخل من العين في المخرج٠

٥ ـ ليس الميم في ترتيب الاصوات اللغوية هو اخرها ، حتى ان الخليل نفسه قد جعل في ترتيبه (اصوات الهواء : ا و ى) واخر الاصوات ، ولكنه اراد ان الميم هو اخر الاصوات الساكنة ٠

٦ ــ وجاء عنه في بعض الاخبار انه وضع : ظثم ث ثم ذ وهو واحد وتسمى هذه الاصوات اللثوية ٠

٧ ــ الهمزة في ترتيب الخليل اخر الاصوات وسيأتي سبب ذلك ٠

٨ ــ النص الذى نورده هنا يبدأ في صفحة ٥١ الجزء الاول من العين ٠

٩ ــ يطلق عليها بمجموعها : الاصوات المذلقة ٠

١٠ ــ مدرجة الحرف أوالمدرجة هو المكان الذى تدرج عليه الدابة اوماشبهوهو قريب في المعنى من درج الصوت ٠

١١ ــ ينظر في تحديد هذه المخارج ومصطلحاتها ماتقدم موضوع «مصطلحات صوتية عربية» ٠

١٢ ــ جمع الخليل هنا بين صوت الجيم وهو شجرى والقاف والكاف وهما لهويان وانما اراد ان اللهاة واللسان يشتركان في اخراج هذه الاصوات ٠

١٣ ــ عكدة اللسان : اصله وعقدته العين : ١/١٩٣ ٠

١٤ ــ ننقل هنا نصا اخر يتمم كلام الخليل من صفحة ٥٧ الى صفحة ٥٨ يبين خلاله احياز الاصوات وخصائصها وشيئا من صفاتها ٠

١٥ ــ تسميتها بالهوائية هي تسمية خليلية وقد اثبتت الدراسات الحديثة ان مخارج هذه الاصوات مختلفة ، فالواو شفوية والياء شجرية ٠

١٦ ــ تسمية الميم بالمطبقة هي تسمية خليلية ، والمعروف ان الاصوات المطبقة هي : ص ض ط ظ وقد ضمت بعض الدراسات المحدثة القاف اليها ٠

عن ابن جني في سر الصناعة :

وضع ابن جني كتابه سر صناعة الاعراب في درس اصوات العربية حرفا حرفا مرتبة على حروف المعجم مبينا احكامها واحوال كل حرف منها ومواقعه في بنية الكلمة العربية ومخارجها ومدارجها .. كما بين ذلك في مقدمة هذا الكتاب ولقد اهدى هذا الكتاب كما يبدو من عباراته الاولى الى ابي بكر عبد الواحد بن عرس بن فهد الازدى من عرب الموصل .

ونود هنا ان نقتطف شيئا من المقولة التي ضمنها مصطلحاته في مجاميع الاصوات اللغوية منها مايتصل بصفة الصوت ، ومنها مايتصل بطبيعته وما يتصل بذلك من احكام في حالات القلب والابدال والاعلال والادغام .

يقول ابن جني(١) :

أضع كتابا يشتمل على جميع أحكام حروف المعجم(٢) واحوال كل حرف منها ، وكيفية مواقعه في كلام العرب .. واجتنب مع ذلك (الاسهاب والاطالة) الا فيما تضمن نكتا او اثار دفينا ، واتبع كل حرف منها مما رويته عن حذاق اصحابنا (يعني البصريين) وجلتهم وحذوته على مقاييسهم وامثلتهم ماأقدر ان فيه بلوغا لامدك واصابة لغرضك(٣) .

واذكر احوال هذه الحروف في مخارجها(٤) ومدارجها وانقسام اصنافها واحكام مجهورها(٥) ومهموسها(٦) وشديدها ورخوها وصحيحها ومعتلها ومطبقها ومنفتحها وساكنها ومتحركها ومضغوطها ومهتوتها ومنحرفها ومشربها ... ومستويها ومكررها ومستعليها ومنخفضها الى غير ذلك من اجنابها(٧) .

---

(١) النص هو من مقدمة سر الصناعة .

(٢) وهي حروف : أ ب ت ث ج ح خ ... وقد التزم ابن جني هذا الترتيب

حتى اخر الكتاب ، وهو الترتيب المعروف باسم النصر بن عاصم الليثي (٨٩ هـ) ٠

(٣) كاف الخطاب ــ هنا ــ تعود على ابى بكر عبد الواحد الازدى الذى وجه ابن ابن جني اليه الكتاب ٠

(٤) المخارج : هي اعضاء النطق التي تشترك في تكوين الصوت اللغوى وينسب اليها فيقال هو لساني اسناني ، او لساني لثوى ، او حلقي او شجرى ، اما المدارج فجمع : مدرجة او مدرج ، وهو الموضع الذى يدرج عليه الصوت اللغوى كسطح اللسان او غار الفم او اول اللهاة او اخر الحلق ٠٠ الخ والمدرجة والمخرج يشتركان في تحديد الحيز الذى ينتسب اليه الصوت ٠

(٥) الجهر : هو ان يهتز الوتران الصوتيان عند نطق الصوت فيحدثان رنينا قويا كما اثبتت الدراسات الحديثة ، ويرى سيبويه ان المجهور هو الحرف الذى اشبع الاعتمادفي موضعهومنع النفس انيجرى معهحتى ينقضىالاعتمادويجرى الصوت٠ الكتاب سيبويه ٢/٤٠٥٠ والاصوات المجهورة هي ماعدا : حثهش خ ص ف س ك ت ، فهي ــ اذن همزة ب ج د ذ ر ز ض ط ظ ع غ ق ل م ن و ى وقد اخرجت الدراسات الحديثة منها ط ، ق وعدتهما مهموسين والهمزة بوصفها صوتا لامهموسا ولا مجهورا ٠

(٦) الهمس : هو ضعف الاعتماد من موضع الحرف حتى يجرى معه النفس من غير ان يحدث رنين في الوترين الصوتيين ومجموع الاصوات المهموسة في الدراسات العربية قولهم : حثه شخص فسكت) وقد اضافت الدراسات الحديثة اليها (ط ، ق) الاصوات اللغوية : د٠ ابراهيم انيس ص : ١٣٥

(٧) ذكر ابن جني هنا جملة من المصطلحات الصوتية وقد سبق ان فسرناها في قائمة المصطلحات الصوتيةالتي تقدمت ٠ ونورد في هذا الموضع موجزا عن كل مصطلح :

ـ الشديد : هو الصوت الذي يمنع النفس ان يجرى معه ثم يخرج دفعة واحدة محدثا انفجارا بالصوت ، وهذه الحروف هي : همزة ق ك ج ط د ت ب وهي : «اجدت طبقك» .

ـ الرخو : هو الذي يجرى معه النفس فيحتك الصوت بالمخرج ولـذا يسميه الدارسون ـ اليوم ـ الصوت الاحتكاكي. والرخوة هي : ث ح خ ذ زس ش ص ض ظ غ ف هـ .

وثمة نوع من الاصوات بين الرخوة والشديدة وهي التي تعرف بالمتوسطة وهي : (يرملون + ع + الالف) وتسمى اليوم المائعة . ولقد اضافت الدراسات الحديثة اصواتا الى مجموعة معينة ، وأخرجت اصواتا مــن مجموعة كاخراج الضاد من الرخوة واضافتها الى الشديدة وغير ذلك .

ـ الصحيح : هو الصوت المعروف بالصامت اى غير المعتلة كالباء والتاء والثاء .. الخ

ـ المعتل : هو الالف والواو والياء ويسمى اللين او المد .

ـ المطبق هو الصوت الـذى يخرج باطباق ظهـر اللسان علـى الحنك الاعلـى كالاصوات : ض ط ، ص ظ .

ـ المنفتح : وهو ماعدا حروف الاطباق المذكورة ، اى اذا نطقت لايتحرك اللسان الى اعلى لينطبق على الحنك الاعلى .

ـ الساكن : هو الصوت غير المتحرك باحدى الحركات الثلاث .

ـ المتحرك : هو كل صوت رافقته حركة كالضمة او الفتحة .

ـ المضغوط : وهو الصوت الذى لايمكن الوقوف عليه الا بصوت لاحق وهذه هي صيغة حروف القلقلة وتسمى الحروف المشربة ـ عند ابن جني ، قال : حروفا مشربة تحفز في الوقف وتضغط عن مواضعها . وهذه الحروف هي: (قطب جد) .

- المهتوت : وهو الصوت الضعيف الخفي وينطبق على الهاء ٠

- المنحرف : وهو الذى ينحرف اللسان عند نطقه فيخرج من جانبيه او احد الجانبين وهذه هي صفة اللام ٠

- المشرب : وهو المضغوط نفسه ٠

- المستوى : وهو الصوت الذى لايتكرر اللسان باخراجه وكل الاصوات مستوية ماعدا : الراء

- المكرر : وهو وصف الصوت الراء لتكرار حركة اللسان في اخراجه ٠

- المستعلي : وهو الصوت الذى يتصعد العضو فيه الى الحنك الاعلى في اخراجه والمستعلية هي : خ غ ق ض ص ط ظ ، اربعة منها مطبقة ٠

- المنخفضة : او المستفلة وهي الاصوات التي ينخفض عضو النطق معه الى الحنك الاسفل في اخراجه وهي سائر الحروف ماعدا المستعلية ٠

- الحرف : اراد ابن جني بالحرف : الصوت اللغوى ، وقد ميزت الدراسات اللغوية الحديثة بين الحرف كرمز لصوت معين ناظرة الى الشكل والكتابة ، وصوته ناظرة الى كيفية اخراجه من جهاز النطق ٠

في عيوب اللسان والكلام (١) :

الفصل الثامن والعشرون

قال الثعالبي :

الرتة : حبسة في لسان الرجل ، وعجلة في كلامه ·

اللكنة والحكلة : عقدة في اللسان ، وعجمة الكلام ·

الهتهتة والهثهثة : حكاية التواء اللسان عند الكلام ·

التعتعة والثعثعة : ايضا ـ حكاية صوت العي والالكن ·

اللثغة : ان يصير الراء لاما في كلامه ·

الفأفأة : ان يتردد في الفاء ·

التمتمة : ان يتردد في التاء ·

اللفف : ان يكون في اللسان ثقل وانعقاد ·

الليغ : ان لايبين الكلام (عن ابي عمرو(٢) ·

اللجلجة : ان يكون فيه عي وادخال بعض الكلام في بعض ·

الخنخنة : ان يتكلم من لدن انفه ، ويقال : هي ان لايبين الرجل كلامه فيخنخن في خياشيمه ·

المقمقة : ان يتكلم من اقصى حلقه (عن الفراء)(٣) ·

---

(١) يمكن حصر عيوب الكلام في اللسان العربي في :
أ ـ عيب في الجهاز النطقي يكون خلقة في الانسان كالحبسة والعجلة واللكنة ·
ب ـ مرض طارىء على بعض اعضاء الجهاز الصوتي كالتواء اللسان او الثقل فيه وما اشبه ذلك ·

(٢) وهو الشيباني اسحاق بن مرار المتوفي سنة ٢١٣ هـ ·

(٣) الفراء : هو ابو زكريا يحيى بن زياد الفراء المتوفي سنة ٢٠٧ هـ النص بكامله في فقه اللغة ص ١٠٦ ·

الفصل التاسع والعشرون

في حكاية العوارض التي تعرض لالسنة العرب(١) :

ـ الكشكشة : تعرض في لغة تميم : كقولهم في خطاب المؤنث ماالذى جاء بش ، يريدون : بك ، وقرأ بعضهم : قد جعل ربش تحتش سريا لقول القرآن : قد جعل ربك تحتك سريا(٢) .

ـ الكسكسة : تعرض في لغة بكر : كقولهم في خطاب المؤنث : ابوس وامس ، يريدون ابوك وامك(٣) .

ـ العنعنة : تعرض في لغة قضاعة : كقولهم : ظننت عنك ذاهب ، اى : انك ، وكما قال ذو الرمة :

أعن توسمت من خرقاء منزلة ماء الصبابة من عينيك مسجوم(٤)

ـ اللخلخانية : تعرض في لغات اعراب الشحر وعمان كقولهم : مشا الله كان ، يريدون : ماشاء الله كان(٥) .

الطمطمانية : تعرض في لغات حمير كقولهم : طاب امهواء ، يريدون : طاب الهواء(٦) .

---

(١) النص في فقه اللغة : للثعالبي ١٠٧ .

(٢) الكشكشة : هي احدى اللهجات المذمومة التي عني بها اللسانيون العرب في لغوياتهم وقد ذكر الثعالبي ـ هنا ـ ان الكشكشة تنحصر في ابدال كاف الخطاب المؤنثة شيئا ، وهي صورة من صورتي الكشكشة ، والصورة الثانية هي اضافة صوت الشين على كاف المخاطبة فيحدث في اجتماعهما صوت اشبه بـ (CH) الانجليزية او الجيم الارية وذلك نحو : (عندكش) في (عندك) و (كتابكش) في (كتابك) وهذا الصوت لايزال معهودا في لهجة العراقيين ودول الخليج بشكل مطرد .

(٣) وهي كالكشكشة ، نجد ان بكرا تبدل الكاف سينا ، ولهذه اللهجة صدى ضعيف في بعض عرب الجزيرة ـ اليوم ـ ٠

(٤) اما العنعنة : فهي لغة مقصورة كما ذكر اللسانيون العرب على ابدال الهمزة عينا ، ومع وجود النون معها وهي المعروفة عند اكثر اللغويين بعنعنة تميم٠ ويبدو من بعض الابدالات المذكورة فيها ان ابدال الهمزة عينا غير مشروط بوجود النون ، فقد نقل السيوطي (المزهر ١٠٩/١)انهم يقولون في : الم يكن : علم يكن ٠ وقصد القراءة بقلب الهمزة عيناعلى كونها مفتوحة٠ونقل السيوطي ١٠٩/١ ،انهم يقولون (عذن) في (اذن) وانظر خزانة الادب ٥٠٥/٤ ـ٥٠٦ ٠

(٥)واللخلخانية : ذكر اللغويون لها معنيين : احدهما : انها لهجة مذمومة ، كما هو مذهب الثعالبي ـ هنا ـ والمعنى الاخر هو انها تطلق على الرجل او المرأة ، اذا لم يفصحا ، فيقال لهما : لخلخاني ولخلخانية ٠ وفي الحديث : اتانا رجل فيه لخلخانية اللسان ٢٠/٤ ٠٠ الخ ويبدو ان اللخلخانية عيب يرجع الى العجلة في اللسان مما يؤدى الى ابتلاع بعض الاصوات من الكلام٠

(٦) الطمطمانية : في اللهجات المذمومة وتتمثل في ابدال (ال) التعريف (ام) ، ولعلها لهجة قديمة تسربت في كلام حمير من لغتهم الحميرية القديمة ، او اصاب لسانهم شيء من التغيير خلال التاريخ الطويل ٠متأثرين باللغات التي احتكت بها في جنوب الجزيرة ، كالحبشية ٠ وفي الحديث ان اعرابيا من حمير سال رسول الله (ص) امن امبر امصيام في امسفر فاجابه بلهجته ٠ انظر : المزهر ١١٠/١ ٠ الكامل للمبرد : ٥٧٨ ٠

وفي عيوب اللسان واللهجات المذمومة ، نشرت بحثا طويلا في مجلة المجمع العلمي العراقي عام ١٩٨٥ ٠ جـ ٣ / مجلد ٣٦ ٠

الفصل السابع

الإلفـــاظ ودلالاتـــها

١ ـ في تغيير الدلالة .

٢ ـ التـــرادف .

٣ ـ المشترك اللفظي .

٤ ـ الاضداد :

نص من الثعالبي

نص منَ ابن قتيبة

نص من المزهر

نص من ابن فارس في تغيير الدلالة

٥ ـ ظاهرة الاشتقاق .

تتصف اللغة السامية بظواهر خاصة في دلالة المفردات تميزها من سائر اللغات ، وقد تناسلت فروع الساميات ،فالعربية والعبرية والسريانية وغيرها قدتوارثت هذه الصفات ، ولكنها ظهرت فيها بنسب متفاوتة ٠

فمن المعروف ان ثمة ثلاثة انواع من دلالات الالفاظ هي :

١ ـ ان يختلف اللفظ فيختلف المعنى تبعا لاختلاف اللفظ ، وهذه الظاهرة تشترك فيها معظم الساميات ويسمى عند اللغويين (بالمتباين) فالسيف والصارم لفظان يدلان على شيء واحد ، ولكن النظر الى اللفظين باعتبارين هما كون الاول دالا على ذات والثاني دالا على صفة ، يجعلها مختلفين من حيث الاعتبار(١) ٠

٢ ـ ان يختلف اللفظ ويتفق المعنى وذلك ان يترادف ورود الفاظ مختلفة في الصيغة والبناء ولكن دلالتها ـ جميعا ـ تكون واحدة ، وهو الذى عرف عند اللغويين (بالترادف) ٠ وهو اكثر من (المشترك) الذى سنذكره بعد قليل في اللغة ، كالليث والاسد والضيغم والهزبر والضرغام ٠٠٠ الخ ٠

٣ ـ ان يتفق اللفظ ويختلف المعنى وذلك ان تحمل لفظة واحدة معاني مختلفة ، وان تكون المعاني المختلفة مشتركة في لفظ واحد كالعين : لعين الانسان ، وعين الماء ، وعين الميزان ، والعين الجاسوس ، والعين : الذهب او المال، وعين الشمس ٠٠٠ الخ ولذا يطلق على هذا النوع من الالفاظ (المشترك اللفظي) وهذا النوع قليل اذا ما قيس الى النوعين الاول والثاني ٠

ومن النوع الثاني ، اعني ان يتفق اللفظان ويختلف معنياهما ، ولكن اختلاف المعنى ـ هنا ـ يضيق الى حد يصبح فيه المعنيان متضادين فيدخل تحت نوع جديد من ظواهر اللغة مايسميه اللغويون (بالاضداد) وذلك نحو : الصريم

والسليم والمولى وما اشبه هـذه الالفاظ التـي ضمتها كتب اللغـة او وضعتها بدراسات خاصة ٠ وسنحاول فيما يأتي ان نختار نصوصا لهذه الظواهر مـع تحليلها وتفسير غامضها ، مصدرة بدراسة في اهم اسبابها وعلل وجودها واراء اللغويين في حقيقتها ٠ وسنتناول فيما يأتي موضوع (تغير الدلالة معتمدين على مذهب ابي هلال العسكرى في كتابه : الفروق اللغوية ، وبعض كتب اللغة الاخرى

١ ـ في تغيير الدلالة

يتضمن موضوع الدلالة في اللغة مباحث كثيرة اهمها : الترادف والاشتراك اللفظي والتضاد وتطور الدلالة وصلة المعنى باللفظ ٠٠٠ الى غير ذلك مما له صلة بتغير دلالة اللفظ (الدال) و (المدلول) كما تعبر عنه الدراسات اللسانية الحديثة ، وفيما يأتي نصوص متنوعة من (الفروق) للعسكرى و (الخصائص) لابن جني ، و (الصاحبي) لابن فارس ، و (المزهر) للسيوطي وغيرها ، تضم جملة هذه المباحث ٠

قال ابو هلال العسكرى (٤٠٠هـ)(٢) (الباب الاول) في الابانة عن كون اختلاف العبارات والاسماء موجبا لاختلاف المعاني في كل لغة ، والقول في هذه الدلالة على الفروق بينها ٠

قال ابو هلال ٠٠٠ الشاهد على ان اختلاف العبارات والاسماء يوجب اختلاف المعاني ان الاسم كلمة تدل على معنى دلالة الاشارة ٠ واذا اشير الى شيء مرة واحدة فعرف ، فالاشارة اليه ـ ثانية وثالثة ـ غير مفيدة ، وواضع اللغة حكيم لايأتي فيها بما لايفيد فان اشير منه في الاول كان ذلك صوابا ، فهذا يدل على ان كل اسمين يجريان على معنى من المعاني وعين من الاعيان في لغة واحدة فان كل واحـد منهما يقتضي خـلاف مايقتضيه الاخر(٤) والا كـان الثاني فضلا لايحتاج اليه ٠ والى هذا ذهب المحققون من العلماء ، واليه اشار

المبرد في تفسير قوله تعالى: (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا)، قال ، فعطف (شرعة) على (منهاج) لان (الشرعة) لاول الشيء و (المنهاج) لمعظمه ، ومتسعه · قال : ويعطف الشيء على الشيء وان كانا يرجعان الى شيء واحد اذا كان في أحدهما خلاف · فاما اذا اريد بالثاني ماأريد بالاول فعطف احدهما على الاخر فخطأ(٥)·

وكذلك قول الحطيئة :

الاحبذا هند وارض بها هند وهند اتى من دونها النأي والبعد

وذلك ان النأى يكون لما ذهب عنك الى حيث بلغ ، وادنى ذلك يقال له : نأى(٦)·

والبعد تحقيق النزوح والذهاب الى الموضع السحيق ···

قال ابو هلال ـ رح والذى قاله ـ ههنا ـ · في العطف يدل على ان جميع ماجاء في القرآن وعن العرب من لفظين جاريين مجرى ماذكرنا من : العقل واللب والمعرفة والعلم والكسب والجرح والعمل والفعل معطوفا احدهما على الاخر · فانما جاز هذا فيهما لما بينهما من الفرق في المعنى · ولولا ذلك لم يجز عطف زيد على ابي عبد الله اذ كان هو هو ·· وقال بعض النحويين لايجوز ان يدل اللفظ الواحد على معنيين مختلفين(٧) حتى تضاف علامة لكل واحد منهما ، فان لم يكن فيه لذلك علامة ، اشكل والبس على المخاطب وليس من الحكمة وضع الادلة المشكلة الا ان يدفع الى ذلك ضرورة او علة ولا يجيء في الكلام غير ذلك الا ماشذ وقل·

وكما لايجوز ان يدل اللفظ الواحد على معنيين فكذلك لايجوز ان يكون اللفظان يدلان على معنى واحد ، لان في ذلك تكثيرا للغة بما لافائدة فيه(٨) · قال : ولايجوز ان يكون (فعل وافعل) بمعنى واحد ، كما لايكونان على بناء واحد الا ان يجيء ذلك في لغتين : فاما في لغة واحدة فمحال ان يختلف اللفظان ، والمعنى واحد كما ظن كثير من النحويين واللغويين ، وانما سمعوا العرب تتكلم بذلك على طباعها ، وما في نفوسها من معانيها المختلفة وعلى ماجرت به عاداتها

وتعارفها ، ولم يعرف السامعون تلك العلل والفروق ، فظنوا ماظنوه من ذلك وتأولوا على العرب مالا يجوز في الحكم .

وقال المحققون من اهل العربية : لايجوز ان تختلف الحركتان في الكلمتين ومعناهما واحد . قالوا : فاذا كان الرجل عدة للشيء(٩) . قيل فيه : مفعل ، مثل : مرحم ومحرب(*)، واذا كان قويا على الفعل(١٠) قيل : فعول ، مثل : صبور وشكور . واذا فعل الفعل وقتا بعد وقت ، قيل : فعال ، مثل : علام وصبار(١١) واذا كان ذلك (١٢) عادة له قيل : مفعال : مثل : معوان ومعطاء ومهداء . ومن لايتحقق المعاني يظن ان ذلك كله يفيد المبالغة فقط وليس الامر كذلك ، بل هي مع افادتها المبالغة تفيد المعاني التي ذكرناها ... الخ(١٣) .

فاما مايعرف به الفرق بين هذه المعاني واشباهها فاشياء كثيرة منها :

أ ـ اختلاف مايستعمل عليه اللفظان اللذان يراد الفرق بين معنييهما (١٤) .

ب ـ ومنها اعتبار صفات المعنيين اللذين يطلب الفرق بينهما(١٥) .

جـ ـ ومنها اعتبار مايوول اليه المعنيان(١٦) .

د ـ ومنها اعتبار الحروف التي تعدى بها الافعال(١٧) .

هـ ـ ومنها اعتبار النقيض(١٨) .

و ـ ومنها اعتبار الاشتقاق ، وذلك كالفرق بين السياسة والتدبير ، فالسياسة هي النظر في الدقيق من امور السوس ـ الحيوان ـ ولهذا لايوصف الله تعالى بالسياسة ، لان الامور لاتدق عنه ، والتدبير مشتق من الدبر ، ودبر كل شيء اخره ، وأدبار الامور عواقبها . فالتدبير اخر الامور وسوقها الى مايصلح به ادبارها ، اى عواقبها ...

ز ـ ومنها مايوجبه صيغة اللفظ من الفرق بينه وبين مايقاربه(١٩) .

ح ـ ومنها اعتبار حقيقة اللفظين او احدهما في اصل اللغة(٢٠) .

(*) أي بكسر الميم وفتح ماقبل الاخر .

فاذا اعتبرت هذه المعاني وما شاكلها في الكلمتين ، ولم يتبين لك الفرق بين معنييهما انهما من لغتين مثل : القدر : بالبصرية ، والبرمة : بالمكية . ومثل قولنا : الله : بالعربية وازر بالفارسية(٢١) .

شـــرح الهوامشـــ

(١) المزهر ١/١٩٤ ، مقدمة كتاب الفروق : العسكرى .

(٢) هو الحسين بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكرى ، يكنى بابي هلال ولد في عسكر مكرم فنسب اليها فقيل له : العسكرى ، ولد في المرجح سنة ٣١٥ هـ وتلمذ على يد ابي احمد العسكرى (٢٩٣-٣٨٢ هـ) في الادب والحديث واللغة والفقه ، فهو يقول عن نفسه :

وليالي اطلن مدة درسي ... مثلما قد مددن في عمر لهوى
مر لي بعضها بفقه وبعض ... بين شعر اخذت فيه ونحو
وحديث كأنه عقد ريا ... بت ارويه للرجال وتروي

وابو احمد العسكرى هذا هو خاله ، وله مصنفات في الادب واللغة . ويبدو ان ابا هلال قد اخذ عن غيره من علماء واشتغل بالتجارة ، وكـان بيـن الربح والاخفاق ولم يتهيأ له الربح الدائم فكان يتبرم بذلك ومنه قوله :

جلوسي في سوق أبيع واشترى ... دليل على ان الانام قرود
ولاخير في قوم يذل كرامهم ... ويعظم فيهم نذلهم ويسود

والف ابو هلال كتبا في الادب واللغة والاخبار ومنها : الاوائل ، والتلخيص ، وديوان شعره ، وديوان المعاني ، وما تلحن فيه الخاصة ، والفروق في اللغـة (الذى ناخذ النص منه (وهو الباب الاول) وشرح الحماسة ، وجمهرة الامثال ، وغيرها من الكتب النفسية ، وتوفي في حدود الاربعمئة . فقد رأى ياقوت (معجم الادباء ٢٥٨/٨) في اخر كتابه (الوسائل الى معرفة الاوائل) قوله وفرغنا من املاء هذا الكتاب يوم الاربعاء لعشر خلت من شعبان سنة ٣٩٥ هـ . ولـذا ذهـب السيوطي الى انه مات بعد الاربعمئة : بغية الوعاة ٥٠٦/١ ، وطبقات المفسرين

للسيوطي : ١٠ ٠ وانظر في ترجمته : الاعلام للزركلي ٢/ ٢١١ ، خزانة الادب ١/ ٢٣٠ (تحقيق عبد السلام هرون) وغيرها ٠

(٣) يريد ابو هلال العسكرى هنا انكار وجود مايسمى في اللغة بالمشترك اللفظي والترادف ، واشارته في هذا الموطن الى انكار (الترادف) لانه يرى ان اللفظ الواحد يوضع لمعنى فلا يوضع له لفظ ثان وثالث اذ لافائدة من تعدد الاشكال مع اتحاد المضمون ، فكل دال شكل او لفظ له مدلوله ـ المعنى او الدلالة او الفكرة ٠٠٠ ومن هنا فانه لابد من وجود فروق دقيقة بين المفردات التي يكون ظاهرها اتحادها في المعنى وهذه الفروق يحددها ابو هلال بطرق لغوية علمية ذكرها في هذا البحث ، وحصر منها ثماني طرق ، كالاستعمال والسياق وصفات المعنيين وما يؤول اليه المعنيان والنظر الى الحروف التي يتعدى بها الفعل والاعتبار بالنقيض والنظر الى الاشتقاق والنظر الى صيغة اللفظين ، ثم الحقيقة والمجاز ٠٠٠ وما الى ذلك ٠

(٤) قوله (والا لكان) تعبير مشتهر بين متأخرى اللغويين وهو غير صحيح في التركيب وذلك ان (الا) هي (ان) الشرطية المدغمة في (لا) وجوابها لايكون مقترنا باللام فيجب ـ اذن ـ ان يكون جوابه الشرطي (والا كان) بلا لام، أو (والا فقد كان) مقترنا بالفاء لسبق الفعل بـ (قد) ٠ اما اللام فموضعها جواب (لو) او (لولا) او (لوما) ولذا اثبتنا الصحيح ٠

(٥) في اصل الكتاب : خطأ بلا فاء ، والجواب ماأثبتناه لانه جواب شرط (اما) قال تعالى (فاما اليتيم فلا تقهر) ٠

(٦) الظاهر ان النأى والبعد تشتركان في الدلالة ، وهما في المفردات التي تدخل تحت موضوع (المترادف) غير ان ابا هلال يحاول ـ هنا ـ ان ينظر الى حقيقة مدلولي اللفظين فالنأى بعد مدرك ، اما لفظة (البعد) على حقيقته فهو المكان السحيق منك ، فالنأى اول البعد ، وما عداه فهو الغاية في الفراق ولذلك عطف الشاعر لفظ (البعد) على (النأى) ليحصر في المعنى كل معاني الفراق وليقطع الامل في الوصول الى هند وارضها ٠

(٧) اشارة العسكرى ـ هنا ـ الى مايعرف بالمشترك اللفظي فقد نسب القول

بانكاره الى بعض النحويين ، والحق ان العبارة تدل على ان كون اللفظ يدل على معنيين مختلفين او اكثر من معنيين مقرون باضافة اللفظ الى مايميزه فلفظ (العين) تبقى ذات دلالة عائمة غير موجهة حتى تقترن بما يوضحها من الاضافات ، فعين الماء وعين الميزان وعين الانسان وعين الذهب تتميز كل واحدة منها بعلامة وهي اضافتها الى مايحدد وجهتها الدلالية وقد يتحدد المعنى في سياق الاستعمال والتركيب كقولك (اصيبت العين بالقذى) فيراد بها العين الحقيقية او (فلان عين على الدخلاء لصالح وطنه) اى جاسوس وهكذا .

(٨) في هذه الفقرة دليل على انكار وجود (المترادف) في اللغة كما سبق بحجة عدم الفائدة في تكثير اللغة .

(٩) اى : اذا كانت الصفة لازمة له وكان ذلك طبعا من طباعه .

(١٠) اى : بزيادة قدرة على ايقاع الفعل .

(١١) اى : يكثر منه الفعل . ولذلك عبر اللغويون عن هذه الصيغة بانها للتكثير والمبالغة .

(١٢) وهذا البناء اقرب الصيغ في المعنى من الصفات اللازمة ، لان دلالة الصيغة (مفعال) على دوام وقوع الفعل تصبح كالعادة .

(١٣) هو ص ١٤ ـ ١٥ من الفروق .

(١٤) وذلك كالفرق بين العلم والمعرفة وذلك ان العلم يتعدى الى مفعولين والمعرفة تتعدى الى مفعول واحد ، فتصرفهما على هذا الوجه واستعمال اهل اللغة اياهما عليه يدل على الفرق بينهما في المعنى ، وهو ان لفظ المعرفة يفيد تمييز المعلوم من غيره ولفظ العلم لايفيد ذلك الا بضرب اخر من التخصيص في ذكر المعلوم .

(١٥) وذلك كالفرق بين الحلم والامهال ، فالحلم : لايكون الا حسنا ، والامهال يكون حسنا وقبيحا .

(١٦) كالفرق بين المزاح والاستهزاء ، فالمزاح لايقتضي تحقيرا ، في حين يقتضي المستهزىء تحقير المستهزأ به .

(١٧) كالفرق بين العفو والغفران ، فعفوت عنه يقتضي المعنى اذا محوت الذم والعقاب عنه . وغفرت له : يقتضي انك سترت له ذنبه ولم تفضحه به .

(١٨) فنقيض الحفظ الاضاعة ، ونقيض الرعاية : الاهمال ، والاضاعة ليست كالاهمال في المعنى .

(١٩) وذلك كالفروق بين الاستفهام والسؤال ، فالاستفهام لايكون الا لما يجهله المستفهم او يشك فيه ، لان المستفهم طالب لان يفهم . وقد يجوز ان يسأل فيه السائل عما يعلم وعما لايعلم ... وكذلك كل مااختلفت صيغته من الاسماء والافعال فمعناه مختلف مثل : الضعف والضعف ، والجهد والجهد. أي ـ اختلاف حركة أوله ـ بالفتح أو الضم أو الكسر .

(٢٠) وذلك كالفرق بين الحنين الذى هو صوت من اصوات الابل تحدثها اذا اشتاقت الى اوطانها ، والاشتياق الذى يجرى بهذا المعنى .

(٢١) يريد : ان هناك طرقا للكشف عن دلالات الالفاظ المتقاربة في المعاني تبين بشكل دقيق مدلول اللفظ على حقيقته واختلافه عن اللفظ الاخر مع ان الظاهر هو اتفاقهما في المدلول فان وردت مفردات متفقة في الدلالة من غير ان نتبين الفرق الدقيق بينهما ، فانما ذلك يجيء من طريق اختلاف اللهجات او اللغات وقد استشهد لذلك .

(٢) الترادف

هو الاتحاد في المفهوم والدلالة وفي المصطلح : هو توالي الالفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد(١) • وقد يعبر عنه بانه : ماكان معناه واحدا واسماؤه كثيرة(٢) وهو بهذا المعنى عكس المشترك اللفظي •

وهنا يجدر بنا ان نسأل : هل يشمل الترادف في المفردات مشتقات الكلمة والصفات فضلا عن المعاني الحقيقية للالفاظ ؟!

يقول المبارك(٣) : (ان للشيء المسمى وجوها وصفات كثيرة ويمكن ان يسمى باكثر من صفة من صفاته وان يشتق له من الالفاظ كلمات متعددة تبعا لتلك الوجوه والصفات ، ومن هنا ينشأ الترادف ••• وهذا هو ابرز اسباب نشوئه وظهوره في جميع اللغات ، فمن ذلك تسمية الدار دارا ومنزلا ومسكنا وبيتا باعتبار كونها مستديرة في الاصل او كونها مكان النزول بالنسبة لاهل البادية او المسافر ، او كونها موضعا للسكينة والاطمئنان ، او كونها مكانا للبيتوته ، وكل لفظ من هذه الالفاظ يدل على المقصود نفسه باحد هذه الاعتبارات التي قد يقصدها المتكلم ويلاحظها او لايقصدها ولا يلاحظها ، وهو الغالب في استعمال الناس • واهل الاداب والبلاغة وحدهم قد يراعون في استعمالهم احد هذه الالفاظ معناها الاصلي •

وهذا الذى يحدده المبارك ليس دقيقا ، فقد وضع في الاعتبار (المشتق) و (الصفة الى جانب الالفاظ الموضوعة اصلا لدلالاتها الحقيقية والذى يتتبع موضوع (الترادف) عند المتقدمين يجد انهم احترزوا عند تحديد مفهوم الترادف من ان

(١) انظر التعريفات : الجرجاني ٤٩ •

(٢) نفسه ١٧٥ •

(٣) فقه اللغة ١٩٩ــ٢٠٠ •

يدخل فيه (الاسم) و (الحد) من حيث كونهما مفردين كما احترزوا عن المتباينين كالسيف والصارم من حيث وحدة الاعتبار وذلك كما نقل السيوطي في المزهر : ان السيف والصارم يدلان (على شيء واحد لكن باعتبارين احدهما على الذات والاخر على الصفة) (١) . وهذا يعني ان الاصل في الترادف باعتبارين ان تكون الالفاظ ذواتا ، لاصفات ولا مشتقات ولا حدودا ولا مصطلحات اواسماء، كما لاتكون الفاظا دخيلة او معربة ، وتعني اللفظتان الاخيرتان ان تكون الالفاظ في لغة واحدة وفرق علماء العربية – كذلك – بين الترادف والتوكيد ، بان احد المترادفين يفيد ما افاده الاخر كالانسان والبشر وفي التوكيد يفيد الثاني تقوية الاول ، وفرقوا – ايضا – بين الترادف والتابع ، ان التابع وحده لايفيد شيئا ، مثل قولنا : عطشان نطشان .

هذه الجملة من الفروق الدقيقة بين الترادف في الفاظ اللغة وغيره من موضوعات اللغة التي ذكرناها كانت مثار جدل ونقاش بين علماء اللغة في حقيقة الترادف ادى الى انقسامهم الى مذاهب مختلفة ، يذهب بعضها الى وجود الظاهرة اللغوية ويجعلها سمة مميزة لها من سائر لغات العالم .

ويذهب بعضها الاخر الى انكارها بحجج سنذكرها بعد قليل ، ويذهب فريق ثالث مذهبا وسطا فيرى وجود الترادف بالتحديد الذى ذكرناه في اول هذا المبحث . ينقل السيوطي في المزهر : من الناس من انكره ، ويزعم ان كل مايظن من المترادفات فهو من المتباينات اما لان احدهما اسم للذات والاخر اسم للصفة او صفة الصفة .. ونقل عن التاج السبكي ان مما يتباين في الصفة لفظي (الانسان والبشر) فالاول موضوع له باعتبار النسيان او باعتبار انه يؤنس به ، والثاني باعتبار انه بادى البشرة وكذا الخندريس والعقار ، فان الاو لباعتبار العتق والثاني باعتبار عقر الدن لشدتها(٢) .

---

(١) المزهر : ١٩٤/١ طبعة بولاق .

(٢) نفسه ١٩٥/١ .

والواضح من كلام السبكي انه تكلف هذه التفسيرات وتمحل في استخراج دلالتها فابتعد عن حقيقة اللفظتين ٠ واذا كان ماذهب اليه صحيحا فماذا عساه ان يقول في : القمح والبر والحنطة التي تتحد في الدلالة اتحادا واضحا وتختلف في الالفاظ ، وليس فيها مايدل على صفة خاصة ٠

ان مذهب المدعين بان الترادف هو من باب التباين بين الذات والصفة مذهب قديم ٠اول من قال به (ابو العباس المبرد :(٢٨٦ هـ) ،كما نقل ابو هلال العسكرى ثم قال به ثعلب (٢٠٠ـ ٢٩١هـ) وتابعه جملة من النحويين اللغويين كابي هلال العسكرى (٤٠٠ هـ) واحمد بن فارس (٣٩٦هـ) والفارسي (٣٧٧هـ) وغيرهم ٠

فهذا ابو هلال العسكرى يورد في مقدمة كتابه (الفروق) قوله : اذا اشير الى الشيء مرة واحدة فعرف ، فالاشارة اليه ثانية غير مفيدة ، وواضع اللغة حكيم لايأتي فيها بما لايفيد ، فان اشير منه الثاني والثالث الى علاقة ماشير اليه في الاول كان ذلك صوابا فقد يدل على ان كل اسمين يجريان على معنى من المعاني وعين من الاعيان في لغة واحدة فان كل واحد منهما يقتضي خلاف مايقتضيه الاخر ٠٠٠ والى هذا ذهب المحققون من العلماء واليه اشار المبرد في تفسير قوله تعالى : ولكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا قال : فعطف (شرعة) على (منهاج) لان الشرعة لاول الشيء والمنهاج لمعظمه ومتسعه واستشهد على ذلك بقوله : شرع فلان في كذا اذا ابتدأه وانهج البلى في الثوب اذا اتسع فيه(١) ٠

وقال في مكان اخر : واما في لغة واحدة فمحال ان يختلف اللفظان والمعنى واحد بما ظن كثير من النحويين واللغويين(٢) ٠ وكرر هذا المعنى في مواضع اخرى من كتابه : الفروق(٣) وارجع وجود الاختلاف بين الالفاظ التي يدرجها اللغويون

---

(١) الفروق : ١٣ ٠

(٢) نفسه : ١٥ ٠

(٣) انظر ص ١٦ فما بعد ٠

تحت موضوع (الترادف) الى اسباب عديدة كالاختلاف في حقيقة اللفظين او باعتبار اشتقاقهما او باعتبار مادل عليه نقيضهما ، او ما يوول اليه اللفظان من المعنى كلفرق بين (الاستهزاء) و (المزاح) فان ظاهر دلالة اللفظين واحد ، ولكن مايوول اليه معنى اللفظين يدل على عدم الالتقاء بينهما فالمستهزىء يقتضي التحقير للمستهزأ به ، ولكن المازح لايحتمل ذلك - الى غير ذلك من اسباب الاختلاف بين المفردات المترادفة ، ولقد حصر في مقدمة (الفروق) الذى بناه على فكرة (نقض الترادف) ثماني طرق يكشف بها عن الاختلاف بين الكلمات(١) .

ولقد انكر معه معاصره - ابن فارس - فكرة الترادف على اساس واحد من التأويل اوقفه على ان الشيء الواحد (يسمى بالاسماء المختلفة نحو السيف والمهند والحسام والذى نقوله في هذا : ان الاسم واحد وهو السيف وما بعده من الالقاب صفات ، ومذهبنا ان كل صفة منها معناها غير معنى الاخرى)(٢) .

وهذا المذهب الذى يلتزمه ابن فارس مبني على ان الخلاف بين الالفاظ المترادفة يكمن في ان ثمة اسما هو الحقيقة في الدلالة وان ماعدا ذلك الاسم صفات جاءت متأخرة في أصل اللغة ، لتفيد تحديد المعنى وتزيده سمة جديدة على حقيقته، فالسيف هو الالة وهو اسم ذات ، اما الحسام فانه من الحسم ، اى : القطع وهو صفة زائدة على ذاته ، ويحاول ابن فارس ان يفسر جملة من الالفاظ على وفق هذا المنهج ، فمضى وذهب وانطلق وولى تبدو وكأنها ذوات دلالة واحدة ولكن التمييز الدقيق بينها يبين ان لكل فعل منها وجهة غير وجهة الاخر ، وهنا يلتقي بابي هلال في بعض تفسيره وتعليله ، فهو يرى مثلا ان مافي (قعد) من معنى ليس في (جلس) فيقول (٣) : انا اقول قام ثم قعد واخذه المقيم المقعد ، ثم نقول :كان

(١) الفروق ١٦ - ١٨ - ١٩ .

(٢) الصاحبي ٦٥ .

(٣) نفسه ٦٥ - ٦٦ .

مضطجعا فجلس فيكون القعود عن قيام ، والجلوس عن حالة هي دون الجلوس ، لان الجلس المرتفع والجلوس ارتفاع عما هو دونه ، وعلى هذا يجرى الباب كله ·
واما قولهم : ان المعنيين لو اختلفا لما جاز ان يعبر عن الشيء بالشيء فانا نقول : انما عبر عنه من طريق المشاكلة ، ولسنا نقول : ان اللغتين مختلفتان فيلزمنا ـ هنا ـ ماقالوه وانما نقول ان في كل واحدة منها معنى ليس في الاخرى» ·

ومما تقدم يتبين لنا ان المنكرين يحتجون لمذهبهم في انكار الترادف بامور كثيرة يتعلق بعضها بالشكل والبناء ـ كما اشرنا الى مذهب ابي هلال ويتعلق بعضها الآخر بالمدلولات وما كانت عليه وما تؤول اليه وما وضع من المفردات لبيان صفاتها ، كما هو مذهب العسكرى وابن فارس ومازاده ابن فارس هنا على مذهب ابي هلال هو ان المفردات التي يدخلها اللغويون في باب الترادف انما هي (صفات) للاسم الحقيقي الذى وضع للشيء اى : ان الاسم الحقيقي هو اسم الذات ، وان سائر الاسماء الاخرى انما هي صفات او صفة الصفة ·

او ان تكون هذه المفردات ذات الدلالة المتقاربة قد جاءت من طريق (المشاكلة) بين المعاني وحينئذ لاوجود للترادف ·

ويبالغ المثبتون لظاهرة الترادف في العربية ، فيعدون هذه الظاهرة احدى الخصائص المميزة لها بين لغات العالم من سامية حامية او ارية او طورانية ، فقد تمكنت هذه الظاهرة في الافعال والاسماء والصفات واصبحت شغل علماء اللغة فجمعوا للاسد (٥٠٠) اسم وللثعبان (٢٠٠) اسم ولغير ذلك من المخلوقات والاشياء مئات الاسماء(١) ·

ويؤمن بهذه الظاهرة من المحدثين الاوربيين رينان في بحثه عن السامية(٢) و

---

(١) انظر في ذلك : فقه اللغة : د· وافي ١٦٢ـ١٦٣ ·
(٢) نقلا عن فقه اللغة لوافي : ١٦٣ : Renan. Langues Semitiqices:

دوهـــامر : De Hammer: الذى جمع مايتصل بالجمل من مفردات فوجدها (٥٦٤٤) كلمة وهو عدد هائل يدل على خاصية عجيبة تميزت بها هذه اللغة المعطاء ، واصحاب هذا الرأى يحشرون ماكان صفة الى جانب اسماء الذوات دون ان يضعوا لذلك فروقا دقيقة مميزة ويجعلون ذلك كله من الترادف ، وتدلنا حكاية ابي الفتح بن خالويه في مجلس سيف الدولة على هذا المذهب المتطرف ، اذ ذكر امام ابي علي الفارسي (٣٧٧ هـ) ومعهما جماعة من اهل اللغة انه يعرف للسيف خمسين اسما ، فتبسم ابو علي وقال : ماأحفظ له الا اسما واحدا وهو السيف ، قال ابن خالويه (٣٧٠ هـ) فاين المهند والصارم وكذا وكذا ، قال ابو علي : هذه صفات وكأن الشيخ لايفرق بين الاسم والصفة (١)

فهذه واقعة تعطينا صورتين مختلفتين عن علماء اللغة العرب ، من يرى وجود الترادف ومن ينكرها .

ومن الدارسين من ينظر الى هذه الظاهرة على انها سنة طبيعية اوجدتها ظروف الحياة التي عاشتها العربية في الجزيرة العربية بين مجموعة من القبائل التي تمثل وحدات لغوية في اطار اللغة الخاصة التي يحكمها ـ جميعا ـ اسلوب واحد وقانون واحد وقواعد واحدة ، ولكنها قد تتميز في بعض دلالات المفردات والالفاظ بين الاتفاق والاختلاف التـي ينشأ عنهما ظاهرتا المشـترك اللفظـي والترادف .

فلقد سبق ان اشرنا عن (المشترك اللفظي) ان من بعض اسبابه هو اختلاف اللهجات القبلية وهنا ينبغي ان نضع بين ايدينا ان من اول اسباب وجود الترادف، الاختلاف اللهجي للعربية ، فلقد جهد علماء المعجمات على جمع المفردات وسماع نصوص اللغة من افواه العرب الفصحاء وحصل خلال رحلة طويلة ان تجمعت

---

(١) المزهر : ١٩٦/١ .

مفردات مختلفة في معان متفقة مصادرها قبائل متعددة ومتفرقة ومن هنا وجدت هذه الظاهرة بشكل واضح متميز في كتب اللغة ومعجماتها ومن الباطل ان نسمح بالقول : ان جامعي المعجمات قد خلقوا كثيرا من هذه المفردات خلقا لحاجات في نفوسهم(١) ٠ ولعلنا يكفينا هنا ان نشير الى ان مهمة اصحاب المعجمات كانت ـ منذ البداية تنحصر في نفي الغريب والدخيل والمعرب وتنقية اللغة من كل شائبة وجمع الصحيح والفصيح منها ، مما شغلهم عن ان يفتعلوا الالفاظ او يضعوا شيئا من اللغة في معجماتهم ، هم يجهلونه اصلا ولا يقبل مثل هذا الا جاهل ٠ ان التزام المعجميين واللغويين رواية اللغة من المتقدمين وتحاشي الاخذ من المتاخرين ولا سيما الشعراء المولدين ، دليل كاف على بطلان هذا الرأى وفساده ٠ وعلى اية حال فان ظاهرة العناية بالمترادف من اللغة عند المعجميين واضحة ، وقد يقيدونها بنسبة المفردات الى قبائلها مما يؤكد ان من اسباب تولد الترادف هو اختلاف اللهجات القبلية وقد تجمعت معظم هذه المفردات في لغة قريش ـ مركز الجزيرة وملتقى اللهجات ـ ثم خرجت منها الى سائر العرب ، ونقلتها الرواة ٠ نقل السيوطي عن الاصفهاني : (ينبغي ان يحمل كلام من منع على منعه في لغة واحدة ، فاما في لغتين فلا ينكره عاقل) ثم قال (لوقوع الالفاظ المترادفة سببان :

أ ـ احدهما : ان يكون من واضعين وهو الاكثر وذلك بان تضع احدى القبيلتين احد اسمين ، والاخرى الاسم الاخر للمسمى الواحد من غير ان تشعر احداهما الاخرى ثم يشتهر الوضعان ويخفى الواضعان او يلتبس وضع احدهما بوضع الاخر ٠

ب ـ وان يكون من واضع واحد وهو الاقل(٢) ٠ وينبغي ان نضيف الى اسباب وجود المترادفات في اللغة ما يأتي ٠

---

(١) فقه اللغة : د٠ وافي ١٦٣ ـ ١٦٤

(٢) المزهر : ١/١٩٦ ٠

ج ـ ان كثيرا من المفردات التي نقلتها معجمات اللغة كانت العرب قد هجرت استعمالها واستبدلت بها الفاظا غيرها فجاء النقل على المهجور والجديد مع تناول دلالتها ٠

د ـ قد يختلط المعنى الحقيقي بالمعنى المجازى للفظ فيرادف لفظا اخر في معناه وينشأ من ذلك الترادف ، ولقد احس بعض المعجميين بهذا الجانب فوضع معجما للتمييز بين المعنى الحقيقي والدلالة المجازية للفظ ٠

هـ ـ انتقال الصفات والنعوت عبر رحلة اللغة الطويلة الى الاسمية وفقدانها صفتها الاصلية كما هي الحال في اسماء الاسد والسيف والراحلة وكانتقال صفة الادهم الى الاسمية بمعنى القيد ٠٠٠ وهكذا ٠

و ـ وربما انتقل بعض المفردات من اصوات العربية ووافق نظائرها في العربية ، فاصبح من المترادف ٠

ز ـ قد تبدو بعض المفردات من المترادف ولكن الدقة في تمييزها في الدلالة والمعنى يبعدها عن هذا السبيل كالافعال : ركض وعدا وهرول : ورمل ٠ ولو تصفحنا كتاب (الفروق) للعسكرى (١) رأينا ان كثيرا من المفردات يخرجها التفريق الدقيق عن الترادف ٠

ح ـ لقد حرص اصحاب المعجمات ورواة اللغة على نقل اللغة ومفرداتها من قبائل متقدمة مما ادى الى تجمع مفردات كثيرة في معان متفقة مثلت جزءا كبيرا جدا من الترادف اللغوى في العربية ٠

لقد الف العلماء في (المترادف) كتبا ، كالفيروزآبادى (٨١٧ هـ) في الروض

---

(١) الفروق : ١٣ فما بعد ٠

المسلوف فيما له اسمان الى الوف وكتابه الجليس الانيس في اسماء الخندريس(١) وهناك كتب اخرى في اسماء الاسد والحيات والعسل والدواهي وغيرها(٢) ٠

ومنها : (اسماء السحاب والرياح والامطار(٣) للزيادى (٢٤٩ هـ) واسماء الدواهي والحيوان: لمحمد بن الحسن بن رمضان النحوى(٤) وما اختلفت اسماؤه من كلام العرب(٥) للرياشي (٢٥٧ هـ) ولم يصل الينا منها الا القليل النادر ، الا ما تناثر من نصوصها في معجمات اللغة ٠

٣ ـ المشترك اللفظي :

من ابرز الظواهر التي تتميز بها العربية السامية كما هي في السريانية والعبرية اشتراك الالفاظ باصواتها وابنيتها واختلافها في الدلالة ونعني بذلك ان يكون للكلمة الواحدة اكثر من معنى يطلق على كل منها على سبيل حقيقة المعنى الذى وضع له اللفظ ، لاعلى سبيل المجاز ٠

ويختلف (المشترك اللفظي) عن الدلالة المجازية للالفاظ ان الاول وضع على سبيل الحقيقة ، في حين تتغير المعاني المجازية للفظ من حال الى حال باختلاف الاستعمال والتركيب فالنهر على الحقيقة هو مجرى الماء وكذا استعمل فعله فيقال (نهر الماء اذا جرى في الارض ، وجعل لنفسه نهرا ، ونهرت النهر حفرته ، ونهر ينهر نهرا : اجراه ، واستنهر النهر اذا اخذ لمجراه موضعا مكينا ،والنهر

---

(١) بغية الوعاة : ١١٧ ٠
(٢) انظر المزهر : ١/١٩٧ ٠ دراسات في فقه اللغة : الصالح ٢٩٤ـ٢٩٥ ٠
(٣) ارشاد الاريب ١/٦٤ ٠
(٤) نفسه ٦/٤٩٥ ٠
(٥) نفسه ٤/٢٨٥ ٠

موضع في النهر يحتفره الماء ...) الخ(١) . فانت ترى ان مادة نهر لم تبتعد عن مدلول الجريان وموضع الماء الجاري ، فهو اذن يحمل دلالة واحدة ، وهي حقيقته التي وضع لها ، ولكنك تستطيع ان تحمل اللفظ معاني اخرى على سبيل المجاز ، فتقول مثلا : صافحت النهر فتخرج بمعناه الى الاستعارة ، وتريد به : انت صافحت رجلا مشبها بالنهر ، لكرمه وسعة عطائه ، وهذا كله لايدخل تحت موضوع (المشترك اللفظي) كما ترى(٢) .

فان تعدد المعاني الحقيقية للفظ الواحد هو الذى نعنيه بالمشترك اللفظي ، وسواء اكانت هذه المعاني متقاربة في الدلالة ام كانت مختلفة فهي من هذا الباب غير ان اللفظ اذا دل على معنى وضده كانت هذه الظاهرة عند الدارسين من باب الاضداد ، كما تناولناه في موضع اخر من هذا الكتاب ، واطلق الدارسون على المشترك صفة اللفظي لانهم يريدون وحدة اللفظ مع اختلاف المعنى . يقول الجرجاني(٣) : المشترك : ماوضع لمعنى كثير بوضع كثير ، كالعين لاشتراكه بين المعاني ، ومعنى الكثرة مايقابل الواحدة لامايقابل القلة ، وهناك انواع من المشترك منها : الاشتراك بين الشيئين في (النوع) ويسمونه (المماثلة(٤)). كاشتراك زيد وعمرو في الانسانية والاشتراك بالجنس كاشتراك انسان وفرس في الجيوانية ويسمونه (المجانسة) ، وقد يكون الاشتراك (بالعرض) فيسمى (مادة) كذراع من ثوب وذراع من خشب ، وقد يكون الاشتراك في (الكيف) كاشتراك الانسان والحجر في السواد . ويسمى (مشابهة) وقد يكون الاشتراك بالاضافة كاشتراك زينب وخالد في انتسابهما الى وظيفة واحدة او بنوة اب واحد ويسمى هذا النوع من الاشتراك (بالمناسلة) وان كان الاشتراك بالشكل سمي

---

(١) اللسان : ٩٥/٧ (نهر) .

(٢) هو مذهب ابي علي الفارسي . المخصص : ٩٥/١٣

(٣) التعريفات : الجرجاني :١٩١

(٤) فقه اللغة : المبارك : ٩٨

(مشاكلة) الارض والقمر في الكروية ٠٠ الى غير ذلك من انواع الاشتراك ، ولكنه في جملته لايخص اللفظ ، فلا يسمى عندئذ مشتركا لفظيا ٠ ولا علاقة لذلك كله بموضوعات فقه اللغة العربية ، ومن هنا كانت انتباهة اللغويين القدامى الى هذه الظاهرة في العربية تتصف بالدقة في تسمية كتبهم التي الفوها فيها(١) ، فقد الف الاصمعي (٢١٥ هـ) وابو عبيد (٢٢٤ هـ) واليزيدى (٢٢٥ هـ) وابو العميثل (٢٤٠ هـ) والمبرد (٢٨٦ هـ) وكراع النمل (٣١٠ هـ) وغيرهم في (المشترك اللفظي) ولم يطلقوا عليها هذا الاسم بل ذهبوا في تسميتها الى انها من باب (ماشتبه في اللفظ واختلف في المعنى) كما ورد في اسم كتاب ابي عبيد الهروى او (مااتفق لفظه واختلف معناه كما وردفي اسم كتابيابي العباس المبرد وابي العميثل(٢)٠ اما كراع فقد اسماه (المنجد) في اللغة وقد جمع فيه الالفاظ المشتركة في تأليف معجمي على ابواب ستة هـي (اعضاء البـدن) و (صنوف الحيـوان) و (الطير والسلاح) و (السماء وما يليها) حتى انتهى الى الباب السادس وهو الباب الاخير فخصه بذكر الارض وما عليها ، وفصله على ثمانية وعشرين فصلا على عدد حروف الهجاء من الالف الى الياء(٣) ٠ اننا لحد الان لم نقف على التحديد الدقيق الذى امتدت اليه اراء الدارسين قديما لمفهوم المشترك ٠ فقد ذكر السيوطي : انه (اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر للدلالة على السواء عند اهل اللغة(٤) كلفظ (العين) فقد ذكر كراع لها اكثر من عشرة معان منها : ان العين مطر يدوم خمسة ايام او ستة لايقلع ، ومنها طائر اصفر البطن اخضر الظهر بعظم القمرى ،ومنها الخيار والربيئة والشاهد ،والعين وعين الشمس والركية وموضوع٠٠(٥) ولايزال الدارسون يختلفون في المقدار الذى يشغله موضوع

(١) الفهرست : ابن النديم : ٥٥ ٠ وبغية الوعاة : ١٩٠

(٢) المزهر : ١/٣٤٩ ٠

(٣) المنجد : ٣٢_٣٣ ٠

(٤) المزهر : ١/٣٤٩

(٥) المنجد : كراع : ٣٢

المجاز في (المشترك) وتأثير تصاريف المادة اللغوية واختلافها في الاستعمالات واللهجات العربية والتطور الدلالي للمفردة بحيث ينتج من ذلك كله (اتفاق اللفظ) مع (اختلاف معانيه) ويذهب بعض اللغويين الى ان هذه التأثيرات في اللغة تفرض عليه أن ينكر وجود هذه الظاهرة في اصل اللغة كما هو الحال عند ابن درستويه الذى صرح في كتابه (شرح فصيح ثعلب) بانكار المشترك اللفظي ، في حين يؤمن كبار اللغويين كالخليل والاصمعي وابي عبيدة وابي زيد والاخفش والمبرد وابن فارس والثعالبي والسيوطي وغيرهم بهذه الظاهرة في العربية ٠ ووقف الدارسون المحدثون عليها موقف الدارس الباحث المتأمل ، فميزوا بين ما ادخل على المشترك وماكان منه(١) وجعلوا المجاز مسوغا لاخراج كل الالفاظ التي ادخلها الدارسون في المشترك ، كلفظ (الهلال) الذى يطلق على هلال السماء وهلال الصيد وهو الة تشبه الهلال يعرقل بها حمار الوحش ، وهلال النعل ذوابته المشبهة للهلال ، وهلال الاصبع المطيف بالظفر ، والحية اذا سلخت ، والجمل الهزيل من كثرة الضراب وباقي الماء في الحوض ٠ يقول الدكتور وافي(١) :من الواضح انه قد وضع في الاصل للدلالة على المعنى الاول ، وان اطلاقه على ماعداه من المعاني السابق ذكرها من قبيل المجاز لوضوح علاقة المشابهة بينها وبين هلال السماء في صورته او ضالته ، وكل ماهنالك انه قد اكثروا استخدامه في هذه المعاني فلم يلاحظ فيها وجه المجاز واصبح اطلاقه عليها في قوة استخدام الشيء في حقيقته ٠ ولقد تنبه ابن سيده الى هذه الحقيقة في اللغة ، فنقل عن ابي علي الفارسي (٣٧٧ هـ) تفسيره لظاهرة اختلاف المعنى واتفاق اللفظ : (وانه ينبغي ان لايكون قصدا في الوضع ولا اصلا ، ولكنه من لغات تداخلت وان تكون لفظة تستعمل لمعنى ثم تستعار لشيء فتكثر وتغلب وتصير بمنزلة الاصل (٢) ٠

---

(١) انظر فقه اللغة : وافي ٨٤ ٠

(٢) المخصص ١٣/٩٥٢ ٠

ويوافقه في هذا من اراء المحدثين مذهب فندريس(١) الذى يرى ان المجاز في اللغة هو طور من اطوار تفسير الدلالة اذ سرعان ماينسى ويصبح معنى اللفظ اصليا ، او كالاصلي لاننا يجب ان ننظر الى اللفظ في حالته التي هو عليها ، لاالى الى ماكان عليه في الماضي المندثر ، فان وروده في حالات الاستعمال المختلفة هي التي تحدد معانيه ودلالته على اختلافها ·

ويذهب ابراهيم انيس الى انه لو ثبت ان احد المعنيين اصل وثانيهما مجازى فلا اشتراك بينهما(٢) · مؤيدا بهذا رأى ابن درستويه الذى يذهب الى ان معظم المشتركات هي من باب المجاز في الدلالة ·

ومن السبل التي اتخذها بعض اللغويين لانكار ظاهرة الاشتراك او ندرتها في العربية تصريف الفعل وتغيير الدلالة تبعاً لذلك التصريف ، من ذلك ـ مثلاـ ان الفعل (وجد) ، يختلف معناه باختلاف مصدره · يقول الثعالبي : قولهم (وجد) ـ كلمة مبهمة ـ فاذا صرفت قيل في ضد العدم : (وجود) وفي المال (وجد) ـ بضم الواوـوفي الغضب : (موجدة) وفي الضالة : (وجدان) وفي الحزن (وجد)ـأي بفتح الواو(٣) وقصر الثعالبي هذه الظاهرة على الفعل (وجد في العربية كلها ·

اما اختلاف اللهجات القبلية فهو في عرف الكثير من الدارسين الاقدمين والمحدثين عامل اخر من عوامل (المشترك اللفظي) يقول الدكتور علي عبد الواحد وافي : (بعض امثلة المشترك جاءت من اختلاف القبائل العربية في استعمالها ··· وبعض امثلته كانت تختلف معانيه كذلك ـ في الاصل ـ باختلاف القبائل ، ولكن معانيه المختلفة قد انتقلت ـ فيما بعد ـ الى لغة قريش(٤) ·

(١) اللغة : ٢٢٨ ـ ٢٢٩ ·
(٢) دلالة الالفاظ ٢٠٩ـ٢١٠ ·
(٣) فقه اللغة : الثعالبي ٥٦١ (ط : مصر)
(٤) فقه اللغة : د· وافي ١٨٦ ·

ويذهب المبارك في هذه الظاهرة الى اكثر الاصول التي تشتق منها الالفاظ للدلالة على معان جديدة ذات معان عامة ،لذلك فقد تستعمل الدلالة على مسميات مختلفة تشترك في تلك الصفة او ذلك المعنى العام(١) . ودل على مذهبه هذا بلفظة (دليل) التي يقصد بها : من يدل على الطريقة او يطوف مع السائحين ليدلهم على الاثار ، ويراد بها الكتاب الذى تطبعه دوائر السياحة في كل بلد لدلالة الغريب على معالمه واثاره ، ويقصد بها كذلك الحجة المنطقية والبرهان . لان جميع هذه المسميات ينطبق عليها كونها دالة لقاصدها وان كانت في ذاتها مختلفة .

وعامل اخر من عوامل وجود المشترك ، هو التطور الدلالي والصوتي وليس ادل عليه من لفظ (ادب) الذى اتخذ خلال سنوات طويلة من حياته معاني مختلفة لاتكاد تلتقي في واحد منها ، اما الصوتي فقد ذهب (وافي) الى انه قد ينال الاصوات الاصلية للفظ بعض التغيير او الحذف او الزيادة وفقا لقوانين التطور الصوتي .. فيصبح هذا اللفظ متحدا مع لفظ اخر يختلف عنه في مدلوله(٢) ومما يؤمن بالتطور الدلالي والصوتي من القدماء كراع النمل ، فقد ذهب الى ان قلب اصوات الكلمة المكاني قد يشرك بين الالفاظ مع اختلاف معانيها ، من الامثلة على ذلك الفعل (استدام) فيقال : استدام الرجل الشيء من الدوام ، واستدام واستدمى مقلوب اذا طأطأ رأسه يقطر منه الدم ، واستدمى ماعند غريمه طلبه ، ويقال مازلت استدمي مودته واستديمها وارقبها بمعنى(٣) .

ومن الامثلة على التغيير الصوتي كلمة (حنك) وتخالفها في المعنى كلمة (حلك بمعنى السواد ، وبعضهم يبدل لامها نونا فيقول (حنـك) بالنـون فتتحد

(١) فقه اللغة : المبارك ١٩٨ .

(٢) فقه اللغة : ١٨٦ . وانظر علم اللغة : ط٥ : ٢٦٥

(٣) المنجـد : ١٢٣

الكلمتان صوتا وتختلفان معنى(١) ٠ ومن الامثلة على ذلك ـ ايضا ـ النغمة والنائمة ـ بابدال الغين همزة، بمعنى اللحن والنغم، وعلى اية حال فان سبل وجود مايدل على اشتراك اللفظ المفرد في اكثر من معنى كثيرة جدا في العربية ، ولكننا نميل مع الذين يذهبون الى ان مايكتسبه بعض الالفاظ من تأثيرات التطور الدلالي او الصوتي او الاستعمالات المجازية لايمكن عده من باب المشترك اللفظي لان طروء المعنى على اللفظ ، انما هو تحميل لمعناه الاصلي الذى وضع له ، فان كان المعنى الذى استعمل فيه اللفظ مباينا كل التباين لاستعماله الاول كان ذلك من المشترك ٠ وينبغي ـ هنا ـ ان لاننظر الى لهجة اللفظ ، بل الى كونها من العربية العامة في كل الجزيرة ، فكلمة (السيد) التي تعني الذئب استعملتها هذيل بمعنى (الاسد) فلوا استعملتها قريش وهي ذات اللهجة المعروفة في كل الجزيرة بالمعنيين ، كان ذلك من المشترك اللفظي في العربية ٠

وكذا الحال بالنسبة لكلمة (سرحان) فانها في لغة هذيل بمعنى (الاسد) ولكن قريشا وسائر العرب يعرفون (السرحان) بانه الذئب (٢) ٠ فلو شاع استعمالها في جميع العرب بهذين المعنيين فهي ـ اذن ـ من هذا القبيل ٠

واكثر المفردات التي جمعها مؤلفو المعجمات في كتبهم ، وهي تحمل اكثر من معنى لم يعنوا بالاشارة الى الاختلاف اللهجي في مثل هذه المفردات ولم ينسبوها الى قبائلها فاصبحت تمثل شواهد وصورا من المشتركات اللفظية ٠

كما ان قريشا قد جمعت في لغتها مارفدته بها القبائل العربية الاخرى من

---

(٢) نفسه ٤٠ ٠

(١) المنجد : كراع ٦٣ ٠

الالفاظ ودلالاتها الشيء الكثير ،فاصبح امثال ذلك من(المشترك) وتناقلته كتب اللغة والمعجمات من افواه رواة اللغة ونقلتها ٠

ان ظاهرة المشترك اللفظي ليست مقصورة على العربية ــ وحدها ــ بل هي واضحة في الكثير من لغات العالم ، فهناك ــ مثلا ــ كلمات متجانسة : HOMONYMES متشاكلة في المعنى يدل وجودها على تمكن هذه الظاهرة اللغوية في اللغات ، غير ان ثمة تأويلات مختلفة لها ، ف : (ب٠ ليروى) مثلا ــ يرى ان كون الكلمة تحمل اكثر من معنى مختلف عن صاحبه ، انما يجيء ذلك من طريق (سياق النص) وان الاقتناع بمثل هذه الظاهرة في اللغة هو من قبيل الانخداع وجهل حقيقة المعنى(١) ٠

ويعني ذلك ان جهل الفروق اللغوية هو طريق لايجاد هذا النوع من المشترك ويؤيد فندريس هذه النظرة رافضا القول : بقبول وجود المتجانسات اللفظية في اللغة ، ويأخذ بمذهب ليروى الذى يرى ان للسياق اثرا في قيمة الكلمة (اذ ان الكلمة توجد في كل مرة تستعمل فيها في جو يحدد معناها تحديدا مؤقتا ، والسياق هو الذى يفرض قيمة واحدة بعينها على الكلمة بالرغم من المعاني المتنوعة التي في وسعها ان تدل عليها(٢) ٠

أنموذج من الاشتراك في الالفاظ بحسب الاقتران والمصاحبة

قال الثعالبي(٣) : جمعك بين الشيئين (ومنه : كتب الكتاب ، لانه يجمع حرفا الى حرف ٠ وكتب الكتائب ، اذا جمعها ٠وكتب السقاء اذا خرزه ،وكتب الناقة اذا هزها ، وكتب البغلة اذا جمع بين منخريها بحلقة فجميع المفردات

---

(١) اللغة : فندريس ٢٣١ ــ ٢٣٢ ٠

(٢) انظر كتاب : دراسات في فقه اللغة : د٠ الصالح ٣٠٦ ٠

(٣) فقه اللغة : الثعالبي ٣٢٩ ــ ٣٣٠ ٠

المأخوذة من (كتب) تعطي دلالة واحدة وهي الجمع ، ولكنها تتغير من سياق لاخر، ومن قرين لاخر ، وهذه الظاهرة هي احد الاساليب التي يتولد بها المشترك اللفظي في نظر بعض الدارسين كما اشرنا خلال البحث ٠

نص في المشترك من المزهر(١)

في الجمهرة : العم : اخو الاب ، والعم : الجمع الكثير ، قال الراجز :

ياعامر بن مالك ياعما   افنيت عما وجبرت عما

فالعم الاول اراد به : ياعماه ٠ والعم الثاني اراد به : افنيت قوما وجبرت اخرين٠

وفيها يقال : مشى يمشي من المشي ، ومشى : اذا كثرت ماشيته ، وكذا : أمشي ٠ لغتان فصيحتان ٠٠

وفيها : للنوى مواضع : النوى : الدار ، والنوى : النية ، والنوى : البعد٠

وفي الصحاح :

الارض : المعروفة ، وكل ماسفل ، فهو ارض ، والارض : اسفل قوائم الدابة ، والارض : الزكام ، والارض : مصدر رضت ٠ والخشبة تؤرض ارضا فهي : مأروضة اذا اكلتها الارضة ٠٠٠ الخ(٢) ٠

٤ ـ الاضداد

وهو ظاهرة تميزت بها العربية السامية تميزا واضحا من بين اخواتها الساميات فقد حملت جملة من المفردات للمعنى وضده كالسدفة والجون والصريم والسليم ، وغيرها من الكلمات التي تحمل معنيين متضادين ٠ فالجون ـ مثلا ـ للابيض والاسود ، والسليم للسالم واللديغ والصريم لليل والنهار ٠٠٠ وهكذا ٠

ولقد عنى اللغويون ـ قديما وحديثا ـ بهذه الظاهرة في اللغة ، ويخالفهم

---

(١) المزهر ١/١٧٨ ٠

(٢) وفي العرض المكتوب عن هذا الموضوع أمثلة اخرى ٠

اخرون بانكارها كما نقل ابن سيدة(١) عن بعض شيوخه انه كان ينكر الاضداد التي حكاها اهل اللغة وان تكون لفظة واحدة لشيء وضده ٠

وكان ابن درستويه قد سبق ابن سيده في هذا المضمار فذهب الى انكار الاضداد في العربية ، وألف في ذلك كتابا سماه (ابطال الاضداد)(٢) ٠

غير ان جملة كبيرة من علماء العربية المتقدمين والمتأخرين يرون في هذا الجانب من اللغة صفة من ابرز الصفات التي تميزت بها العربية ، وسرا من اسرارها الكثيرة ، فقد اورد الثعالبي في (فقه اللغة) في الباب الثلاثين وفي الفصل السادس عشر منه مجموعة(٣) من المفردات على انها سنة من سنن العرب في كلامها ، كما اورد ابن فارس في (الصاحبي) جملة منها تدل على الصفة نفسها ٠

وقبل ابن فارس والثعالبي وابن جني والزجاج وغيرهم من علماء القرن الرابع الهجرى كان علماء القرنين الثاني والثالث الهجريين يعتقدون بوجود هذه الظاهرة اللغوية في العربية كالخليل (١٧٠ هـ) وسيبويه (١٨٠ هـ) وأبي زيد الانصارى (٢١٠ هـ) والاصمعي (٢١٥هـ) وابي عبيدة (٢١٣هـ) والمبرد (٢٨٥ هـ) وابن دريد (٣٢١ هـ) من علماء البصرة ، وكالكسائي (١٨٩ هـ) وثعلب (٢٩١ هـ) وابن السكيت (٢٤٤ هـ) وغيرهم من الكوفيين على انهم كانوا يختلفون في تأويلها ويطلقون تعليلات عديدة في اسباب تكونها في اللغة ٠

والف جملة قليلة من علماء العربية كتبا في الاضداد(٤) وصل الكثير منها الينا ، ككتاب قطرب (٢٠٣ هـ) والاصمعي وابن السكيت والتوزى (٢٥٥ هـ)

---

(١) المخصص ١٣/٢٥٩ ٠

(٢) المزهر ١/١٨٦ ٠

(٣) فقه اللغة : الثعالبي ٣٢٨ ٠

(٤) طبع منها كتاب : قطرب والاصمعي وابن السكيت وابن الانبارى والصغاني ٠

وابي بكر بن الانبارى (٣٢٨هـ) وابي البركات الانبارى (٥٧٧ هـ) والصغاني (٦٥٠ هـ) وابن الدهان (٦٨٠ هـ) (١) ٠

والحق ان الاضداد نوع من (المشترك اللفظي) ولكنه يميل الى تغير الدلالة الى ضدها بدلا من ان يكون الخلاف جزئيا كما هو الحال في (المشترك) ولذلك كان من الاسباب التي ادت الى وجوده موضوع تغير الدلالات وتطورها ، اى انتقالها من معنى الى ضده وذلك تبعا لتغيرات مكانية وزمانية معينة ، وربما كان المثال الذى اوردته بعض كتب الادب حول كلمة (ثب) في الحميرية وعربية الشمال صورة من صور هذا التغير الدلالي ٠

ولست اريد ـ هنا ـ ان اثبت صحة هذه الظاهرة او الغيها ولكنني ساورد بعض التعليل الذى التزمه اللغويون المؤمنون بالاضداد ، لنبين من خلاله التصورات التي كان يحملها اللغوى لمعرفة حقيقة فكرة الاضداد واسبابها ٠

فهذا ابن درستويه (٢) وهو اول المنكرين للاضداد يعترف بوجود الشيء القليل من المفردات ذات المعنيين المختلفين ـ او المتضادين ـ ويرجع ذلك لعلل فيقول : لو جاز للفظ الواحد الدلالة على معنيين مختلفين ـ او احدهما ضد الاخر ، لما كان في ذلك ابانة ، بل تعمية وتغطية ، ولكن قد يجيء الشيء النادر من هذا لعلل ٠

فهو ـ هنا ـ يرى انه قد يقع في اللغة هذا النوع من التغير في الدلالات ، لعلل واسباب وان كان قليلا نادرا ٠

وتمسكه بوجود العلل لوقوع مثل هذه الظاهرة في اللغة ، يضعه في مصاف الذين يؤمنون بالاضداد معللين ذلك بشتى العلل والبواعث ، على الرغم من شهرته بانكارها ٠

---

(١) انظر المزهر ١/١٨٦ ـ ١٩٤ ٠

(٢) المزهر ١/١٨٥ ٠

ولو تحرينا امثلة الاضداد في اللغة تبين لنا انها تولدت من عوامل نفسية واجتماعية وبيئية وجغرافية وتاريخية متنوعة تكفل كل عامل منها بخلق مفردات تختلف عن غيرها ٠

انظر ـ مثلا ـ الى مانقل ابن قتيبة في كتابه (ادب الكاتب)(١) حول لفظ (السدفة) بمعنى : الظلمة ، والسدفة بمعنى الضوء ٠ قال (وبعضهم يجعل السدفة اختلاط الضوء والظلمة كوقت مابين طلوع الفجر الى الاسفار ٠

فالسدفة بمعنى : اختلاط الضوء والظلمة هو معنى عام يستخدمه بعض الناس من العرب بهذا المعنى ، ولكن الذى يبدو ان احد المعنيين شاع في جمهور من المتكلمين ، وشاع الاخر في غيره ، وكل صحيح ٠ وكذلك الحال بالنظر الى ممفردات اخرى ، تحمل معاني عامة جامعة ، يمكن ان يستعمل كل معنى في السياق الذى يلائمه ، كالصريم لليل والنهار ، والزوج للذكر والانثى ، والقرء للحيض والطهر ، وشرى : بمعنى البيع والشراء ، وكذا (باع) بالمعنيين وذلك متأت كما هو واضح من ان المعنى العام المشترك هو (المبادلة) فالذى يبيع يعطي ويأخذ ٠

وقد نلاحظ ان من جملة اسباب تولد التضاد هو الاستعمال المجازى للفظ ، ولقد ذكر ابن سيده(٢) تعليلا لابي علي في المشترك ، يقول : او ان تكون لفظة تستعمل لمعنى ثم تستعار لشيء ، فتكثر وتغلب وتصير بمنزلة الاصل ٠

وهذا الذى يقوله ابو علي الفارسي في اختلاف المعاني بالطريق المجازية هو عينه يصدق على التضاد ، فاطلاق لفظ (القرية) ـ مثلا ـ على المكان يصدق ـ ايضا ـ ان يطلق على الساكنين فيه ، ومن هذا الباب جاء قوله تعالى: «واسال

(١) ادب الكاتب ٢٣٠ ـ ٢٣١ (ط ليدن ١٩٠٠) ٠
(٢) المخصص ٩٥٢/١٣ ٠

القرية» ٠فانه على الحقيقة سؤال لاهل القرية ،وكذا يمكننا ان نفهم معنى المجاز في مثل قولنا (شربت القدح) فان لفظ القدح يراد به (القدح) على حقيقته ، كما يراد به (السائل) الذى وضع فيه ، لان الذى يشرب على الحقيقة هو السائل ، ومن الدارسين من جعل علة التفاؤل والتهكم واختلاف المكان وما اشبه ذلك هو – ايضا – نوعا من التجوز الذى سمح للمجتمع ان يستخدم اللفظة من معناها الحقيقي الى مجازى هوعلى الضد من حقيقته كالسليم للملدوغ ، وابي البيضاء للاسود(١) ٠

وعلى اية حال فان علل تغيير الدلالات كثيرة وحدوث الاضداد من جراء هذه التغيرات امر مسلم به ، ولذا نجد ان نضع هذه الاسباب والعلل في نقاط محددة ليسهل علينا معرفتها مقرونة بالامثلة ٠

أ – قد تحدث الاضداد في اللغة من انحدار الكلمة من اصول لغوية مختلفة ، فتستعمل عند جنس من الناس بمعنى ، وتستعمل عند العرب بمعنى مخالف، ويحصل هذا الجانب في الكلمات التي تكون – غالبا – من اصل غير عربي ، كما قيل في لفظه (الجون) التي بمعنى السواد والبياض ، فهي عند الفرس والسريان والعبريين بمعنى اللون بشكل عام ، ويلفظها الفرس (كون) وربما كان الفرس قد استمدوها من اللغة السريانية كذلك، وهي لهجة ارامية٠ فانتقلت الى العربية واستعملت بمعنى الدكنة ، وهو لون اميل الى السواد عند مطابقة لون السحاب الادكن لها ٠ واطلقت لفظة (جونة) – كذلك – على السحابة البيضاء ، واريد – بذلك – لونها الابيض(٢) ٠

وهذه اللفظة في السريانية (جونا) (٣) : GAWNA وفي العبرية

---

(١) التضاد في ضوء اللغات السامية : د٠ ربحي كمال ١١ ٠

(٢) أدى شير : الالفاظ الفارسية المعربة ٤٩

(٣) هل العربية منطقية : دومنيكى : ١٤٤

(جفان او جافن) وهي بالمعنى نفسه ـ اللون ـ وبين العربية والفارسية تقارب جغرافي ، وبينها وبين السريانية والعبرية قربى رحم ، فاستمدت العربية من هذه اللغات ماستمدت من مفردات ، كهذه المفردة التي انتقلت من معناها العام في هذه اللغات الى معنيين مختلفين بطريق التقييد في العربية .

ب ـ قد يكون سبب وجود بعض الكلمات في باب الاضداد من التغيرات الصرفية ومراد المتكلم من خلال سياق كلامه . ونعني بذلك ان ابنية التصريف في العربية قد تاتي بصيغة واحدة ذات دلالتين متضادتين وذلك بحسب السياق، وذلك نحو (مختار ، ومغتاب ، ومشتد ... الخ) فاذا اردت صيغة اسم الفاعل منها اعطتك المعاني الاتية : مختار اذا اختار ، ومغتاب : اذا اغتاب ، ومشتد : اذا اشتد .. اما اذا اردت اسم المفعول اعطتك المعاني الاتية : مختار : اذا وقع عليه الاختيار ، ومغتاب : اذا وقعت الغيبة عليه ، ومشتد: اذا وقع الاشتداد عليه لامنه ، فاذا قلت : انا مختار زميلي للسفر معي ، اردت انك اخترته ، فهي ـ هنا ـ اسم فاعل ، واذا قلت : زميلي مختار لاهل بلدته : اردت ان البلدة اختارته ليمثلها (١) ويعرف بابنائها عند الحاجة .

جـ ـ قد تحدث الاضداد من عوامل نفسية او اجتماعية او اخلاقية ، ترجع الى سلوك اجتماعي او اعتبارات خلقية في الوسط الاجتماعي ، ويحصل ذلك ـ ايضا ـ استجابة لعواطف انسانية واحساسات خيرة ، كميل الانسان الى سماع كل مايبعث على التفاؤل والحب والسلامة والقوة والاطمئنان .. الى غير ذلك من العواطف الخيرة ، فالناس تطلق (لفظة السليم) على (الملدوغ) تفاؤلا بشفائه وبرئه من اللدغ ، واللفظة مع ذلك تحمل معنى

---

(١) هذا هو المعروف في المشرق . وفي المغرب يعرف بالمقدم

السلامة على حقيقتها وكذلك اطلاق لفظ (المغازة) على مكان الهلال ، والسلامة ، ولفظ (الناهل) للعطشان والريان ، قال النابغة :

ينهل منها الاسل الناهل (١)

ومنها : البصير للاعمى والمبصر ... وهكذا .

وربما تطلق بعض الكلمات على ضدها من المعاني لاسماع الاخرين مايستحب من الالفاظ وتجنب مالا يستحب ، كقولهم : للعبد : المولى ، وهي في معناه الاخر بمعنى : السيد وقولهم للشخص الاسود : الابيض (٢) وللاحمق : العاقل .. الخ .

د ـ قد يتحكم السياق في بعض المفردات فينقلها من معناها الحقيقي الى معنى اخر ضده ، مجازا او تأويلا يدرك من سياق العبارة او الجملة ، فمثل قوله ـ تعالى ـ : (وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غضبا).وكذلك قوله تعالى (ان الله لايستحي ان يضرب مثلا مابعوضة فما فوقها) دلت كل من (وراء) في الاية الاولى ، و (فوق) في الاية الثانية على ضد معنييهما الاصليين . كما ذهب بعض اللغويين : يقول ابن قتيبة في (وراءهم) تكون قداما وتكون خلفا(٣) واورد الاية المذكورة ، وكذلك (فوق) تكون بمعنى دون(٤) ، واورد الاية الثانية ثم قال : وهذا قول ابي عبيدة . وقال الفراء : فما فوقها يعني الذباب والعنكبوت ويلاحظ ان هذين المعنيين انما وقع للكلمتين بالتأويل على معنى ان السفن اذا ماجرت في البحر فسيكون قدامها ملك يستقبلها فيأخذها غصبا . وكذلك احتمال تأويل : (فوق) بـ (دون) في الاية الثانية ، اذ ان الله يضرب المثل بالصغير من مخلوقاته

---

(١) ادب الكاتب : ابن قتيبة ٢٣١ .

(٢) وربما يطلق المغاربة عليه : (الكحل) والمشارقة (الشمر) .

(٣) ادب الكاتب ٢٣٢ ـ ٢٣٣ .

(٤) نفسه ٢٣٣ .

فما دونه تعجيزا لخلقه وتدليلا على انه تعالى – المتصرف بخلقه – كيف يشاء من غير ان يقيده شيء ٠

وهذا التأويل في سياق الايتين لايعني ان المفردتين تحملان المعنى الاصلي وضده في كل الاحوال ،ولذلك ارى في حشرهما في الاضداد نوعامن التعسف اما المجاز فليس من ريب في انه باب من الابواب التي يدخلها الاضداد وان كان ضيقا ، ومنه ماجاء في تأويل قوله – تعالى (نسوا الله فنسيهم) فان الفعل (نسيهم) لم يستعمل في معناه الاصلي ، بل استعمل – مجازا – هنا، لان النسيان لايجوز على الله تعالى ، فكان معناه : اهملهم وتركهم ولم ينسهم ٠ ومن هذا القبيل لفظ (الكأس) يطلق على : الظرف والمظروف(١) وكذا القدح ، والصف : يطلق على الطلبة والغرفة ٠

هـ – وثمة مفردات في الاضداد تحصل من اختلاف لهجات القبائل العربية فان بعض الكلمات تكتسب معاني عند قبيل من العرب تضادها عند قبيل اخر٠ ولقد تنبه الى ذلك علماء اللغة قديما فنسبوا بعض معاني المفردة اللغوية الى قبيلة ، ومعناها الاخر الى قبيلة اخرى ، كما قالوا في (السدفة) انها عند تميم بمعنى الظلمة ، وعند قيس، بمعنى الضوء ولفظ (لمق) بمعنى كتب عند بني عقيل ، ومحا عند قيس ، ولفظ (وثب) بمعنى قفز عند عرب شمال الجزيرة ، وبمعنى : قعد عند حمير ٠

و – قد يحصل التضاد من انتقال الدلالة من العموم الى الخصوص، اذ ان كثيرا من المفردات تحمل معنى عاما جامعا يشترك فيه ضدان ، فيهمل المعنى العام الجامع شيئا فشيئا ويأخذ الضدان طريقهما للشيوع على لسان الناس بحيث يستعمل كل معنى من المعنيين في سياق ، ومن ذلك : الاقراء :

---

(١) فقه اللغة د٠ وافي ١٩٥ ٠

الحيض والطهر ، وذلك ان للاقراء وقتا فيه بداية ونهاية تحيض المراة فيه وتطهر فاذا اطلق الاقراء على الاطهار فهو صحيح ،واذا اطلق على الحيضة والاطهار فهو صحيح ، وكذلك التلعة بمعنى مجرى الماء من عال الى هابط ، وبمعنى ماانهبط من الارض ، فوجود المعنيين العلو والهبوط هو الذى سمح باستعمال لفظ (التلعة) في المعنيين المتضادين(١) ومن ذلك - ايضا الصارخ بمعنى المغيث والمستغيث ، والرهوة : الانحدار والارتفاع ، والمفرع الصاعد في الجبل والنازل ، والشارى : البائع والمشترى ، والصريم : الليل والنهار ، لان كلا منهما يصرم صاحبه ، اى : يقطعه وهكذا ٠

وقد يدخل تحت هذا النوع من الاضداد ان يكون اللفظ عاما - كذلك ويخصصه اقترانه بلفظ اخر ، كاقتران الفعل بحرف الجر ، ومن ذلك قولنا (رغب) فان الرغبة عامة في المعنى يحددها اقتران الفعل بحرفي جر مختلفين (فرغب عنه) اذا مال عنه وتركه ، و (رغب فيه) اذا مال اليه والتزمه ، ومن هذا القبيل مانقل ابن قتيبة قال (طلعت على القوم : اقبلت عليهم حتى يروني وطلعت عنهم : غبت عنهم حتى لايروني)(٢) ٠

وواضح ان سبب هذا يرجع الى ان الطلوع عام في معناه ، وانما حدد معنيى التضاد هو تعلق الجار والمجرور : (عليهم) و (عنهم) بالفعل : طلع ٠

ز - وارجع الدكتور علي عبد الواحد وافي فكرة التضاد في اللغة الى عوامل ثلاثة ، قال (وقد نشأ التضاد بمعناه الصحيح في اللغة العربية من عوامل كثيرة اهما العوامل الثلاثة الاتية :

١ - اختلاف اللهجات العربية ٠

---

(١) ادب الكاتب ٢٣٢ ٠

(٢) نفسه ٢٣٣ ٠

٢ ـ التطور الصوتي ولم يمثل له بشيء من المفردات ولكنه احال على كتابه (علم اللغة)

٣ ـ رجوع الكلمة الى اصلين ، ويعني ذلك انه قد تنشعب الكلمة من اصلين فتكون في دلالتها على احد الضدين منحدرة من اصل وفي دلالتها على مقابلة منحدرة من اصل اخر ، وجعل احتمال اكثر المفردات من الاضداد منهذا النوع ، واستشهد لذلك بـ (هجع) فهي بمعنى نام وسهر ، وجعل احتمال معنى النوم من الفعل (هدأ) بمعنى سكن ، واحتمال معنى السهر من (جد) اذا جهد ، لما في السهر من الاجتهاد في منع النوم . واورد امثلة اخرى لهذه الفكرة يدل تأويلها على التكلف والبعد عن حقيقة الاضداد ، مثل الفعل (سجد) بمعنى : انحنى وانتصب . وأبض بمعنى : سكن وتحرك(١) . وفيما يأتي نص في الاضداد من كتاب ادب الكاتب لابن قتيبة يحقق كثيرا من المعاني التي ذكرناها .

نص ابن قتيبة

قال ابن قتيبة(٢) :

ـ **الجون** : الاسود وهو الابيض ، قال الشاعر :

يبادر الجون ان تغيبا .

يعني : الشمس .

ـ والصريم : الليل ، والصريم : الصبح

ـ والسدفة : الظلمة ، والسدفة : الضوء ، وبعضهم يجعل السدفة : اختلاط الضوء والظلمة كوقت مابين طلوع الفجر الى الاسفار .

---

(١) انظر فقه اللغة ١٩٧ ـ ١٩٨ .

(٢) ادب الكاتب ٢٣٠ .

ـ الجلل : الشيء الكبير ، والجلل : الشيء الصغير .

ـ النبل : الصغار والكبار ، قال الشاعر :

افرح ان ارزأ الكرام وان   اورث ذودا شصائصا نبلا

ـ النبل ـ بفتح النون والباء ـ : ههنا ـ الصغار ، والشصائص : التي لاالبان لها ، وقال بعضهم هي (نبل) جمع نبلة ، وهي : العطية .

ـ الناهل : العطشان ، والناهل : الريان ، قال النابغة :

ينهل منها الاسل الناهل

اى : يروى منها الرماح العطاش .

ـ الماثل : القائم ، والماثل : اللاطيء بالارض ، قال الشاعر :

فمنها مستبين وماثل .

اى : دارس .

ـ الصارخ : المستغيث والمغيث .

ـ الهاجد : المصلي بالليل ، وهو النائم ايضا .

ـ الرهوة : الارتفاع والانحدار .

ـ التلعة : مجرى الماء من اعلى الوادى ، وهي : ماانهبط من الارض

ـ الظن : يقين وشك .

ـ الخشيب : السيف الذى لم يحكم عمله وهو الصقيل .

ـ الاهماد : السرعة في السير ، والاهماد : الاقامة .

ـ الخنذيذ : الخصيان من الخيل ، وهي الفحولة ، قال بشربن أبي خازم(١)

وخنذيذ ترى الغرمول منه   كطي الزق علقه التجار

ـ الاقراء : الحيض ، وهي الاطهار .

---

(١) ومنه قول مالك بن الريب التميمي يصف فرسه :

ـ المفرع : في الجبل : المصعد ، وهو المنحدر ٠

ـ ووراء : تكون قداما ، وتكون خلفا ، قال الله عز وجل (وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا) ٠ وكذلك فوق : تكون بمعنى : دون ، قال الله عز وجل (ان الله لايستحي ان يضرب مثلا مابعوضة فما فوقها) اى : فما دونها ، هذا قول ابي عبيدة ، وقال الفراء : فما فوقها يعني الذباب والعنكبوت ٠

ـ وحي خلوف : غيب ومختلفون (١) ٠

ـ وأسررت الشيء : اخفيته واعلنته ٠

ـ ورتوت الشيء : شددته وارخيته ٠

ـ وأخفيت الشيء : اظهرته وكتمته ٠

ـ وشعبت الشيء : جمعته ، وفرقته ، ومنه سميت المنية : شعوبا ، لانها تفرق

ـ طلعت على القوم : اقبلت عليهم حتى يروني ، وطلعت عنهم ، غبت عنهم حتى لايروني (٢) ٠

ـ وبعت الشيء : بعته واشتريته ٠

ـ وشريت الشيء : اشتريته وبعته ٠

هذا هو النص الذى اورده ابن قتيبة في ادب الكاتب ويلاحظ انه يصلح امثلة وشواهد على معظم ماذكرنا من اسباب الاضداد وعللها : ولم يحاول ابن قتيبة ان يعلل شيئا منها ، واكتفى بالسرد ٠

وهذا نص اخر اورده الثعالبي في كتابه (فقه اللغة وسر العربية) ص ٣٢٨ عنوانه : تسمية المتضادين باسم واحد من غير استقصاء ٠

واشقر خنذيذ بجر عنانه ‏ ‏ ‏ الى الماء لم يترك له الدهر ساقيا

(١) يلاحظ ان معنى الضدين ـ هنا ـ غير واضح لان الغيب قريبة في المعنى من المختلفين ، واذا اراد بالاختلاف التردد ، فهو ليس ضدا كذلك ٠

(٢) وفي هذا المعنى : بان معنى : ظهر ، وبان بمعنى : غاب ٠

(الغريم · المولى · الزوج · المبيع · وراء ـ الصريم : اى الليل وهو ايضا الصبح ـ لان كلا منهما ينصرم عن صاحبه · الجلل : اليسير ، والجلل : العظيم ، لان اليسير قد يكون عظيما عندما هو ايسر منه ، والعظيم قد يكون صغيرا عندما هو اعظم منه ·

الجون : الاسود ، وهو ـ ايضا ـ الابيض ، الخشيب : من السيوف الذى لم يصقل وهو ـ ايضا ـ الذى احكم عمله ، وفرغ من صقله (١)

نص من المزهر في الترادف (٢)

العسل له ثمانون اسما اوردها صاحب القاموس في كتابه الذى سماه ترقيق الاسل لتصفيق العسل وهي هذه : العسل ، الضرب ، الضربة ، الضريب ، الشوب ، الذوب ، الحميت ، التحموت ، الجلس ، الورس ، الارى الذواب ، اللوم ، اللئم ، النسيل ، النسيلة ، الطيرم ، الطرم ، الطرام ، الطربم ، الدستفشار ، المستفششار ، الشهد ، الشهد المحران ، العفافة ، العنفوان ، المأذى ، المأذية ، الظان ، الظن ، البلة ، البلة ، السنوت ، السنوت السنوة ، الشراب ، الغربة ، الاس ، الصبيب ، المزج ، المزاج ، لعاب النحل الرضاب ، رضاب النحل ، جني النحل ، ريق النحل ، قيء الزنابير ، الشور، السلوى مجاج النحل ، الثواب ، الحافظ ، الامين ، الضحل ، الشفاء ، اليمانية ، اللواص ، السليق ، الكرسفي ، البعقيد ، السلوانية ، السلوانة ، الرخيف ، الجنى ، السلاف ، السلافة ، الشرو ، الشرو ، العجيم ، الجث ، الخيم ، اخوى ، الضج ، السدى ، الرحيق ، الرحاق ، الصموت ، المج ، المجلب ، المخلب ، الكعبر ، النحل ، والاصبهانية ·

---

(١) ويبدو انه مختصر من ادب الكاتب ، وقد اضاف اليه مفردات اخرى لم يذكرها ابن قتيبة ·

(٢) المزهر ١/١٩٧ـ١٩٨ ·

وعلق السيوطي على هذا النص بانه مستوف ، وان كان قد فاته ماذكر القالي في اماليه

ولذ كطعم الصرخدى تركته

وقال : الصرخدى : العسل ٠٠ وفي امالي الزجاج : من اسامي العسل : السعابيب ٠

ويلاحظ على نص المزهر المنقول من كتاب الفيروز ابادى ان الصفة والاسم والاعجمي والمعرب والمولد معدود كله في المترادف ٠

نص في تغير دلالات الالفاظ

قال ابن فارس في الصاحبي(١) كما نقل السيوطي في مزهره :
باب الاسماء الاسلامية ، كانت العرب في جاهليتها على ارث من ارث ابائهم في لغاتهم وادابهم ونسائكهم وقرابينهم ٠ فلما جاء الله – تعالى – بالاسلام حالت احوال ونسخت ديانات وابطلت امور ، ونقلت من اللغة الفاظ عن مواضع الى مواضع اخر ، بزيادات زيدت وشرائع شرعت وشرائط شرطت ، فعفى الاخر الاول ، فكان مما جاء في الاسلام ذكر : المؤمن والمسلم والكافر والمنافق ٠

وان العرب انما عرفت المؤمن من الامان والايمان وهو التصديق ثم زادت الشريعة شرائط واوصافا بها سمي المؤمن ، بالاطلاق مؤمنا ، وكذلك الاسلام والمسلم ، انما عرفت منه اسلام الشيء ، ثم جاء في الشرع من اوصافه ماجاء ٠ وكذلك كانت لاتعرف من الكفر الا الغطاء والستر ٠

فاما المنافق فاسم جاء به الاسلام لقوم ابطنوا غير ما اظهروه ، وكان الاصل من نافقاء اليربوع ، ولم يعرفوا في الفسق الا قولهم : فسقت الرطبة ،

---

(١) باب الاسماء الاسلامية ، الصاحبي : فقه اللغة : ٧٨–٨١ ٠

او اخرجت من قشرها ، وجاء الشرع بان الفسق الافحاش في الخروج عن طاعة الله تعالى ٠

ومما جاء في الشرع : الصلاة ، واصله في لغتهم الدعاء ، وقد كانوا يعرفون الركوع والسجود ، وان لم يكن على هذه الهيئة ٠ قال ابو عمرو : اسجد الرجل : طأطأ رأسه ، وانحنى وانشد :

فقلن له : اسجد لليلى فأسجدا

يعني : البعير : اذا طأطأ رأسه لتركبه ٠

وكذلك الصيام ، اصله عندهم : الامساك ، ثم زادت الشريعة : النية وحظرت الاكل والمباشرة وغيرهما من شرائع الصوم ٠ وكذلك الحج ، وشعائره وكذلك الزكاة لم تكن العرب تعرفها الا من ناحية النماء ، وزاد الشرع فيها مازاده وعلى هذا سائر ابواب الفقه فالوجه في هذا اذا سئل الانسان عنه ان يقول فيه ، اسمان : لغوى وشرعي(١) ، ويذكر ماكانت العرب تعرفه ، ثم ماجاء الاسلام به ٠

وكذلك سائر العلوم ، كالنحو والعروض والشعر ، كل ذلك له اسمان : لغوى وصناعي(٢) ٠

---

(١) يعني بالشرعي : دلالة اللفظ الجديدة التي اكتسبها في ظل الحياة الجديدة

(٢) انظر كذلك : النوع العشرين : معرفة الالفاظ الاسلامية : المزهر ١/١٤١ (طبولاق) ولقد ذكر ابن فارس في باب اخر من كتابه الصاحبي ، اسماء احدثتها الحياة العلمية والثقافية والادبية في ظل الاسلام ، واسماء كانت مستعملة فزالت بزوال المعاني والدواعي اليها ، من ذلك :

مخضرم : لمن ادرك الاسلام من اهل الجاهلية ، وتأويله من : خضرمت الشيء ، اى قطعته ، وخضرم فلان عطيته ، اى : قطعها ، فسمي الشعراء مخضرمين كانهم قطعوا عن الكفر الى الاسلام ٠

←

باب الاسماء : كيف تقع على المسميات(١) ؟

قال ابن فارس :

يسمى الشيئان المختلفان بالاسمين المختلفين ، وذلك اكثر الكلام كرجل وفرس وتسمى الاشياء الكثيرة بالاسم الواحد نحو : عين الماء وعين المال وعين السحاب ، ويسمى الشيء الواحد بالاسماء المختلفة نحو : السيف والمهند والحسام . والذى نقوله في هذا : ان الاسم واحد هو السيف ، وما بعده من الالقاب صفات ، ومذهب كل صفة فمعناها غير معنى الاخرى ، وقد خالف في ذلك قوم ،فزعموا انها وان اختلفت الفاظها ، فانها ترجع الى معنى واحد وذلك قولنا : سيف وعضب وحسام . وقال اخرون : ليس منها اسم ولا صفة الا ومعناه غير معنى الاخر ، قالوا : وكذلك الافعال ، نحو : مضى وذهب وانطلق وقعد وجلس ، ورقد ونام وهجع .

قالوا: ففي (قعد) معنى ليس في جلس ، وكذلك القول فيما سواه ، وبهذا نقول : ... ونحن نقول : ان في (قعد) معنى ليس في (جلس) الا ترى انا نقول : قام ثم قعد ، واخذه المقيم المقعد . و (قعدت المرأة عن الحيض) ونقول لناس من الخوارج (قعد)(٢) . ثم نقول : (كان مضطجعا فجلس)

←

- المرباع والنشيطة ، والفضول ، والصفي ، والاتاوة ، والمكس ، والحلوان ، وانعم صباحا وعم ظلاما ، وابيت اللعن ، وقول المملوك لمالكه : ربي ، وقد كانوا يخاطبون ملوكهم بالارباب ، قال الشاعر :

واسلمن فيها رب كندة وابنه ورب معد بين خبت وعرعر

وتسمية من لم يحج : حرورة ، او لمن يدع النكاح تبتلا ، او لمن يحدث حدثا ويلجأ الحرم .. الخ المزهر : ١/١٤٢ وانظر مجلة احياء التراث العربي الاسلامي عام ١٩٧٧ مقالا بعنوان : التغيرات الاجتماعية للمؤلف.

(١) الصاحبي ٩٦ ـ ٩٧ .

(٢) جمع : قاعد ، وهم فئة من الخوارج كانت ترى القعود عن القتال .

فيكون (القعود) من (قيام) و (الجلوس) عن حالة هي دون الجلوس ، لان الجلس : المرتفع ، فالجلوس ارتفاع عما دونه وعلى هذا يجرى الباب كله ٠

واما قولهم : ان المعنيين لو اختلفا لما جاز ان يعبر عن الشيء بالشيء ، فانا نقول : انما عبر عنه من طريق المشاكلة ، ولسنا نقول : ان اللفظتين مختلفتان ، فيلزمنا ماقالوه ، وانما نقول : ان في كل واحدة منهما معنى ليس في الاخرى ٠

ومن سنن العرب في الاسماء ان سموا المتضادين باسم واحد ، نحو : الجون للاسود والجون للابيض ٠

وانكر ناس هذا المذهب ، وان العرب تأتي باسم واحد لشيء وضده ، هذا ليس بشيء ، وذلك ان الذين رووا ان العرب تسمى السيف (مهندا) والفرس (طرفا) هم الذين رووا ان العرب تسمي المتضادين باسم واحد(١) ٠

التعليق

يذهب ابن فارس كما يبدو من خلال هذا النص الذى نقلناه من الصاحبي الى ان الاسماء تقع كل مسمياتها كما يأتي :

١ ـ كل مسمى له اسم خاص به بحيث يختلف الواحد عن الاخر بهذه الاسماء مثل فرس ورجل وامرأة ٠

٢ ـ تسمية اشياء متعددة ومختلفة باسم واحد ، وذلك مثل (عين) لعين الماء وعين المال وعين السحاب ، وهو مايعرف عند فقهاء اللغة بالمشترك اللفظي(٢) ٠

---

(١) الصاحبي ٩٨ ٠

(٢) ينظر بحث : المشترك اللفظي من هذه الابحاث ٠

٣ ـ سميات مختلفة لشيء واحد كالسيف والمهند والحسام والصمصام والعضب ، وهو مايعرف عند فقهاء اللغة بالترادف(١) ٠

٤ ـ ويرى ابن فارس ان الاصل في المترادفات ، ان يسمى الشيء بلفظ هو اسم له وما عداه صفات فحين نقول للسيف (مهند) فكلمة (مهند) هي صفة ، وذلك ان المراد من هذه اللفظة ان يكون من سيوف الهند ، اى المنسوبة الى الهند ، وكذلك الحسام اى : المتصف بالحسم والقطع ٠

٥ ـ ثم ان كل صفة تختلف عن اختها في المعنى اختلافا دقيقا يرجع الى اصل اشتقاقها ٠ وحاول ان يعطي مثالا على اختلاف المعاني في الاسماء والصفات حسب رأى الاخرين ٠وكذا الاختلاف فيمعاني الافعال(قعد وجلس) و (رقد ونام وهجع) وما جرى مجراها ٠

٦ ـ اما التعبير عن الشيء بشيء اخر مع اختلاف المعنيين للفظين فذلك يأتي عن طريق المشاكلة لاالمطابقة في المعنى ٠

٧ ـ ان التضاد من سنن العرب ،وهو حقيقة واقعة في لغتها (٢) ٠

٥ ـ ظاهرة الاشتقاق في العربية (طريق السعة)

اذا حاولنا ان نجد اصول الكثير من المصطلحات العلمية والثقافية في اى معجم عربي من معجمات اللغة ، نجد انفسنا في الكثير من الاحيان عاجزين عن الوصول الى معرفة الجذر الذى استمدت منه هذه المصطلحات التي توارثناها في تاريخ الحضارة العربية الاسلامية فهناك مصطلحات الفلسفة والمنطق والطب والصيدلة والفلك ، وغيرها من العلوم التي عرفتها حقب

---

(١) ينظر موضوع الترادف من هذه الابحاث ٠

(٢) ينظر التضاد (الاضداد) من هذه المباحث ٠

الحضارة الاسلامية ، قد ولدتها الحاجة العلمية ، او دخلت الى ميدان العلم من طريق الترجمة ، او انتقلت من معنى حقيقي الى معنى مجازى من طريق الاستعارة يناسب العلم او الفن الذى اخذت له ، او انتقل المصطلح من علم اخر ، كما انتقلت مصطلحات الكلام واصوله ، والمنطق الى قواعد اللغة والنحو، وكما انتقلت مصطلحات الرياضيات في العصر الحديث الى اللسانيات الحديثة وطبقت عليها بمدلولاتها الرياضية والفيزياوية كما هو الحال في تطبيق مصطللحات المدرسة البنيوية الرياضية في اللسانيات(١) ٠ ومن هنا تنشأ كلمات جديدة تفرضها ضرورات الحضارة ، لم يكن المعجم المتقدم ـ تاريخيا عليها ـ ان يحيط بها او ان يشير الى وجودها ٠

وللتدليل على مثل هذا التوليد والتوسع في اللغة ، نرى ان نشير الى اختلاف دلالة المفردات منعصر الىعصر ،ومن بيئةالى بيئة، فلفظ الجامعةـمثلاـ على صيغة (فاعلة) اسم فاعل للمؤنث تحول الى معنى القيد ، وبوجود معاهد العلم وتسمية ادارتها بالجامعة اصبح مدلول اللفظ بعيدا عن معنييه السابقين ، ثم اكتسب اللفظ مدلولا سياسيا جديدا وهو معنى منظمة تجمع الاقطار العربية الاسلامية تحت مصطلح : جامعة الدول العربية ٠٠ وهكذا نجد اللفظ الواحد يدخل في مدلول ، ويخرج الى اخر بحسب الظروف المناسبة له ٠ وبذلك يصبح المعجم مرحلة لغوية يقف عند العصر الذى وجد فيه ٠

وتبقى اللغة في تطور دلالي وتوسع في المفردات والكلمات لانها تمثل ـ دائما ـ العصر والمجتمع ٠ وتميزت العربية بان مفرداتها ذات علاقات اما : لفظية ، او طبيعية ، فاما اللفظية فتبدو في رجوع المفرادت والكلمات الى جذر لغوى واحد هو الاصل في كل الصيغ والابنية المنحدرة منه ٠ واما الطبيعية فتبدو في العلاقة الواضحة بين الصوت والمدلول في جملة كبيرة من المفردات ٠

---

(١) انظر كتاب : البنيوية : جان بياجيه

ولقد لاحظ اللغويون العرب مثل هذه العلاقات كابن جني في (الخصائص) والثعالبي في (فقه اللغة) ، يقول الثعالبي(١) : في الاصوات وحكاياتها : من الاصوات الخفية : الرز ثم الركز ، وقد نطق به القران الكريم ، ثم الهتلمة فوقهما وهي صوت السرار ثم الهينمة ، وهي شبه قراءة غير بينة ..

ويقول : فاما النامة : فهي ماينم على الانسان من حركته او وطء قدمه . والهسهسة عام في كل شيء خفي كهساهس الابل في سيرها .

ويقول(٢) : القهقهة : حكاية قول الضاحك : قهقه ، الصهصهة : حكاية قول الرجل للقوم : صه صه ، وهي كلمة زجر للسكوت ، الدعدعة : قول الرجل للعاثر : دع دع ، اى : انتعش ، البخبخة : حكاية قول الرجل : بخ بخ ، التأخيخ : حكاية قول الرجل : اخ اخ : وهكذا في : الزهزهة والنحنحة والمطمطة والتمطق . وتتنوع هذه الكلمات فتشمل اصوات الانسان والحيوان والجمادات والاشياء والاحداث في الكون ، فتجد العلاقات واضحة بين مايدل عليها من رموز صوتية ومعانيها . على ان العلاقات اللفظية في العربية هي التي تتمثل في العلاقة بين الاصل اللغوى الجذرى وما يشتق منه من صيغ ، وهو الذى عرف عند علماء اللغة بالاشتقاق ، وقد عرفوه بأنه : اخذ لفظ من لفظ اخر بشرط تناسبهما معنى وتركيبها واختلافهما في الصيغة(٣) .

ولقد سبق ان اشرنا الى ان الاصل الذى يشتق منه ثلاثي ، ولاسيما مايعرف بالاشتقاق الاصغر . وللاشتقاق في اللغة انواع اربعة هي :

---

(١) فقه اللغة : الثعالبي ٢٠٢ـ٢٠٣ .
(٢) نفسه ٢٠٥ـ٢٠٦ .

(٣) دقائق العربية : امين ال ناصر الدين ١٩ .

١ ـ الاشتقاق الاصغر(١) ، وهو الذى اشرنا اليه بانه اخذ كلمة من جذر ذى ثلاثة اصوات ، تلتزم ترتيبا واحدا ومعنى جذريا واحدا ، تغيره المشتقات الى معان جزئية مناسبة لنوع المشتق ، كاسم الفاعل لما يدل على فاعل الحدث ، واسم المفعول لما يدل على الذى وقع عليه الحدث ، واسم المكان على مكان وقوع الحدث ، فالضرب هو الحدث وهو المصدر الذى يعده البصريون اصل المشتقات ، يؤخذ منه ضارب : اسم فاعل مضروب : اسم مفعول ، ضراب : صيغة مبالغة على فعال ، مضرب : آلة الضرب ، مضرب : مكان الضرب ... الخ .

قد يشتق من اسماء الذوات : كحجر ، متحجر ، ومحجر ، ومحجور ، استحجر ، ومن الاسماء كالمأسدة ، واستأسد ، ومن الهند : مهند ، تهند ... الخ

واستكثر المناطقة والفلاسفة والمتصوفة الاشتقاق من مفردات اللغة مايناسب تفكيرهم وعقائدهم فاستخدموا المصادر الصناعية من اضافة ياء النسب الى الاسم او الصفة او المصدر الحقيقي ، ثم الحاق التاء فقالوا : الربوبية ، والرهبانية ، العقلانية ، المزدكية واللاهوتية ، والشكوكية ... الخ وهذا النوع من الاشتقاق يمكن الحاقه بالاصغر لان المادة المستعملة فيه تبقى على بنيتها وترتيب اصولها .

٢ ـ **الاشتقاق الكبير :**

وهو ان يكون تناسبا بين الالفاظ من حيث عدد اصوات الكلمات وانواع هذه الاصوات دون ترتيبها ، ومن ذلك ماحاوله ابن جني من الكشف عن معنى (القوة والشدة) في تقليب الكاف واللام والميم ، كلم وكمل

---

(١) وقد يسمى الصغير ، انظر الدقائق ١٩ ، او العام انظر فقه اللغة : وافي ١٦٨ .

وملك ومكل ولكم ولمك ، وكذلك معنى التحريك (١) في تقليب القاف والواو واللام قول : قلو لوق وقل ولق ، لقو .

وهذا النوع من الاشتقاق وان لم يكن مطردا في تقاليب المادة اللغوية العربية ، الا انه يصدق على الكثير من مواد اللغة ، ولقد سبق الى فكرة (التقليب) الخليل بن احمد في كتابه (العين) ، ولكنه لم يلتفت الى وحدة الدلالة ، كما التفت فيما بعد ابو علي الفارسي ولقنها لتلميذه ابن جني الذى استكثر منها في (خصائصه) وسماه الاشتقاق الاكبر (٢) ، وجعله سنة من سنن العربية .

٣ ـ الاشتقاق الاكبر :

وهو ان يقع بين المشتق والمشتق منه تناسب في مخرج الاصوات كما هو الحال في مثل (نعب ونعق ونعر) ومثل (نهق ونحق ونغق) ومثل (مدح ومده) .

ويلاحظ ان اكثر مايحصل في هذا النوع من الاشتقاق في الاصوات المتقاربة في المخرج كتقارب الراء والنون ـ مثلا ـ لانهما ذلقيان ، كما يقال في فرس رفل ، ورفن ، والراء واللام نحو : هديل وهدير ، والباء والميم مثل : لازب ولازم ، والعين والحاء نحو : بعثر وبحثر ، والفاء والثاء في مثل : ثوم وفوم ، وتلعثم وتلعفم .

وقد يحصل في الاصوات المتفقة في صفاتها كما يحصل بين السين والصاد نحو : سبخة وصبخة ، وسقر ، وصقر ، وزقر ، لكون الصاد والزاى يشتركة في صفة الصفير ، والسين والصاد في صفة الهمس والرخاوة .

---

(١) الخصائص ١/٥ فما بعد ، ١٣٠ فما بعد .
(٢) الخصائص ٢/١٤١ .

وتغير الصوت من مادة الى اخرى يغير في المعنى تغييرا جزئيا يناسب ذلك الصوت ، غير ان الدلالات تبقى واحدة · فدلالة القطع مثلا يمكننا ان نحسها في كل من : قط ، قطب ، قطع ، قطف ، قطم ، قطل ، قطن لكن اختلافا جزئيا وقع في المعنى بين هذه المواد سببه تغيير الصوت ليتناسب الصوت مع المعنى ·

وقد حاول ابن جني ان يلم بهذه المعاني المتغيرة باختلاف الصوت فقال في (الخضم) لاكل الشيء الرطب ، و (القضم) لاكل اليابس فاختاروا الخاء الرخوة للرطب ، والقاف الصلبة لليابس ، ومثل ذلك النضح بالحاء للماء الخفيف ، والنضخ بالخاء لغلظها لما هو اقوى منه ، قال تعالى : « فيهما عينان نضاختان »· ومثله القد والقط ، والخنة والغنة (١)

٤ ـ الاشتقاق الكبار ،

ويعرف بالنحت ، واصله ان تؤخذ اصوات كلمة من جملة ذات دلالة كاملة بحيث تدل تلك الكلمة المنتزعة على دلالة الجملة بكاملها ، ولقد اشار الثعالبي(٢) الى مجموعة من هذه الكلمات المنتزعة من الجمل للتعبير عن مدلولها ، قال الثعالبي : البسملة حكاية قول : بسم الله ، السبحلة : حكاية قول : سبحان الله ، الهيللة : حكاية قول : لااله الا الله ، الحوقلة : حكاية قول : لاحول ولا قوة الا بالله ، الحمدلة : حكاية قول : الحمد لله ، الحيعلة : حكاية قول المؤذن : حي على الصلاة حي على الفلاح، الطلبقة : حكاية قول : اطال الله بقاءك ، الدمعزة : حكاية قول : ادام الله عزك ، الجعلفة : حكاية قول : جعلت فداك ، وقد يتركب الاسم من متضايفين ، ويكون ذلك في الاعلام المركبة ، نحو عبشمي في النسب الى عبد

(١) الكامل : المبرد ٢/٥٧٨ ـ ٥٧٩ واللسان ١٩/١٠٠ ·

(٢) فقه اللغة ٢٠٦ ـ ٢٠٧ ·

شمس ، او تعبشم ، اذا اصبح في عبد شمس ، ومثله : تعبدر او عبدرى من : عبد الدار ، او تمرقس او مرقسي : من امرىء القيس .. وهكذا .

وذهب ابن فارس اللغوى الى ان ماكان من الكلمات رباعيا فما فوق فانه منحوت من اصلين او اكثر من الثلاثي نحو : دحرج من : دحرودرج ، وصلدم : من صلد وصدم ، وهذا النوع كثير في الاريات .

وهناك مذاهب مختلفة للنحويين في اصول بعض حروف المعاني والادوات والاسماء المبهمة ، فمن النحويين من يذهب الى ان اذن - مثلا - مركبة من : اذ وان(١) فانتقلت الفتحة الى الذال وحذفت الهمزة ، وقيل في (لن) اصلها : لاان ، فحذفت الهمزة تخفيفا والالف للساكنين(٢) ومما قيل في (اذن ، لن) قيل في (هلم) فقد نقل ابن فارس ان اصلها هل وام ، والمعنى : هل لك في كذا ، وام: بمعنى اقصد وتعال(٣) .

ومع ان هذه التأويلات لاتمثل رأى جمهرة النحويين واللغويين الا أنها تدل على وجود مثل هذه الظاهرة اللغوية في العربية بحيث تحتمل مثل هذه الاتجاهات في التفكير اللغوى .

وهذا أنموذج من قول اللغويين في الاشتقاق : في دلالة (الجيم والنون) وما يشتق منها ان الجيم والنون يدلان - ابدا - على الستر ، فالجن نقيض الانس مشتق من الاجتنان اى : الاستتار ، وقالت العرب للدرع : جنة لستره الجسم ، واجنه الليل ،اى : ستره ،وهذا جنين : اى مستور ببطن امه ، واجن فلان الميت اى كفنه ، وقيل للقبر : جنن لانه يستر الميت ، وللبستان : جنة لستره الارض

---

(١) مغني اللبيب ٢/ ٢٠.
(٢) وهو مذهب الخليل والكسائي : انظر المغني ١/ ٢٨٤ .
(٣) الصاحبي ١٤٦ و ٢٢٧ .

يظل شجره ، وللقلب : جنان لكونه مستورا بالصدر ، وللترس : مجـن ، لان صاحبه يستتر به في الحرب ، والجند : اى العسكر مشتق من الجند ، وهي الجند ، وهي الارض الصلبة . والانس : نقيض الجن مشتق من الايناس ، يقال انست الشيء ، اى : ابصرته(١) .

---

(١) دقائق العربية : ١٩ ـ ٢٠ وهو قول ابن جني ، ولكن المؤلف لم يشر اليه ولم ينسب القول اليه . وانظر الصاحبي باب (القول على لغة العرب هل لها قياس ، وهل يشتق بعض الكلام من بعض) وانظر كذلك النوع الثالث والعشرين : معرفة الاشتقاق ١/١٦٣ . المزهر للسيوطي .

الفصل الثامن

محطات في حياة العربية

١ ــ مراحل تاريخية في تطور العربية الباقية .

٢ ــ اللهجات العامية المعاصرة : اختلافها وخطورتها .

٣ ــ مادخل اللغة من الغريب (المعرب والتعريب)

نص من السيوطي وتعليق عليه .

نص من فقه اللغة للثعالبي

٤ ــ الرصد اللغوي وحركة التصحيح :

نص من التنبيه لابن كمال باشا .

١ ـ مراحل تاريخية في تطور العربية الباقية

ليس غريبا ان تكون العربية في مراحلها المتقدمة قد مرت بادوار تطورية ، تركت فيها شيئا كثيرا من مفرداتها وابنيتها ، واحدثت الشيء الكثير غيره ، وتلك سمة كل لغة حية تأخذ وتعطي ماينا سب ظروفها الخاصة وشخصيتها المتميزة ، ولقد اثبتت الدراسات اللغوية ان العربية احتفظت بالكثير من المفردات غير العربية واستعملتها خلال ادوارها التاريخية الاولى حتى اذا كان القرن السابع الميلادى رأينا جملة من الغريب الدخيل يستعملها القرآن الكريم ، ويرد مثلها في الشعر العربي ، وصريح كلام العرب كالسندس والاستبرق واليم والياسمين والنرجس ، ومنه قول الاعشى(١) :

وشاهسفرم والياسمين ونرجس   يصبحنا في كل دجن تغيما

ومع ان العربية قبل الاسلام قد عاشت في اقدم المواطن السامية بعيدة عن الاحتكاك باللغات الاخرى مما جعلها تحتفظ باصالتها ووضوح الصبغة السامية ، الا ان ذلك لم يمنعها من الاخذ والعطاء والتفاعل المستمر طوال عمرها الذى قطعته منذ اقدم عصورها حتى مجيء الاسلام ، وبالمقارنة بين شعبة العربية الجنوبية والشعبة الشمالية يبدو لنا ان ثمة خلافا واضحا في شكل التراكيب وصيغ المفردات وابنيتها والدلالات ، ولكنها تلتقي في مجموعة الاصوات التي تؤلفها ، كما ان الصيغة التي تتميز بها عربية الجنوب هو تأثرها بالحبشية ، لما كان بين الاحباش واليمن من الاتصال المباشر خلال مدة طويلة من الزمن ، في حين ضعف تأثير الحبشية على عربية الشمال ، ولم يبق الا في انتقال بضع مفردات حبشية الى العربية الشمالية ذكرتها كتب اللغة ومعجماتها كانت قد انتقلت عند احتكاك العربية الشمالية

---

(١) لحن العامة : الزبيدى ١١٠ ـ ١١١ .

بعربية الجنوب ابان سيطرتها على الجزيرة وزحفها على سائر انحائها وبلوغها اوج ازدهارها قبل الاسلام (١)

فضلا عن انها ــ جميعا ــ قد انحدرت من اصل لغوى واحد ، واشتركت في كثير من الخصائص وقد كانت هذه العربية ــ وهي الباقية ــ بعد فناء الثمودية والصفوية واللحيانية في الشمال والسبئية والقتبانية والحضرمية والمعينية والحميرية في الجنوب ، انتعشت في ارض نجد والحجاز وتهامة وتفرعت الى لهجات قبلية تمايزت ببعض الصفات والخصائص الصوتية والدلالية وقد تمثلت هذه الاختلافات في وجود ظواهر لغوية في عامة العربية المنقولة في نصوص الادب العربي والقرآن الكريم وحديث الرسول ــ ص ــ والشعر والامثال ، من هذه الظواهر التضاد والمشترك اللفظي والترادف والابدالات الصوتية واختلاف الضبط والصيغ والابنية وبعض التراكيب والجمل كما لاحظنا ذلك فيما تقدم من الاختلاف بين لهجتي تميم والحجاز ، ٠

غير ان لهجة قريش وهي اساس اللهجة الحجازية قد كتب لها ان تكون اللهجة المعروفة في عظم الجزيرة العربية ، لما تمتعت به قريش من المكانة الدينية والنفوذ التجارى والسياسي والادبي ، فكانت كما سبقت الاشارة لهجة منتقاة بعيدة من العيوب التي اصيبت بها اللهجات الاخرى ، بل اصبحت اللغة القومية لجميع عرب الجزيرة من غير ما مدافع ، واصبحت في متناول لسان كل شاعر وخطيب وبليغ قحطاني او عدناني شمالي او جنوبي ، على الرغم من ان هذا العربي او ذاك لم يستطع ــ في كثير من الاحيان ــ ان يتجاوز لهجته الخاصة ، حتى فيما ينظم او يلقي من خطب او فيما يضرب من امثال ، ومن هنا كان الهذلي

---

(١) انظر تاريخ اللغات السامية ٢٨٣ ــ ٢٨٦ ٠ وانظر المفصل في قواعد اللغة السريانية للابراشي ٢٧ و ١٧٨ ٠

ينظم شعره باللغة العالية المتداولة ، ولكنه ينحو بلسانه نحو لغته الخاصة ، فيقول(١) :

سبقوا هوى واعنقوا لهواهم   فتخرموا ولكل جنب مصرع

فلم يقل (هواى) لان لهجته الخاصة في قبيلة هذيل تقلب الالف (ياء) عند وقوعها قبل الياء · وينظم زيد الخيل الطائي(٢) قصيدة على روى الالف المقصورة فيبني افعالها بناء الطائيين لكل فعل ينتهي بياء على الالف المقصورة مثل : لقى وبقى ورضى ·· واصلها في لهجة عامة العرب : لقي وبقي ورضي ·· على زنة : فرح: في حين تجد سائر شعره منظوما على اللغة العامة الفصيحة ، ومثل ذلك يمكن ان نجد عند شعراء سائر القبائل العربية فهذا شاعر فقيمي حنظلي يلتزم في رجزه لهجة قومه القضاعيين – العجعجة – فيقول :

خالي عويف وابو علج   المطعمان اللحم بالعشج

وبالغداة فلق البرنج(٣)

وهذا ذو الرمة الشاعر الذى عاش في ظل الحياة الاسلامية الجديدة ، لم يجد بدا من ان يلتزم شيئا من (عنعنة) قومه التميميين فيقول :

اعن ترسمت من خرقاء منزلة   ماء الصبابة من عينيك مسجوم

فيقلب الهمزة من (ان) عينا ،كما هي لهجة قومه بني تميم ،مع علمنا بانذاالرمة لم يعوزه هذا الابدال في شعره لتمكنه من اللغة المثالية(٤) · لقد اثر القرآن الكريم – بنزوله بلغة قريش – على جعل سلطان اللهجة القريشية قويا مكينا ، اذ ان كونه مصدر التشريع والوعظ والارشاد جعلهم على صلة مستمرة به

---

(١) من قصيدته : امن المنون وريبها تتوجع   والدهر ليس بمعتب من يجزع

(٢) انظر مجموعته الشعرية بتحقيق الدكتور نوري القيسي · ط : بغداد

(٣) انظر امالي القالي ٧٧/٢ ·

(٤) الخصائص ٤١١/١ ·

يتدارسونه ويحفظونه ويتمثلون به ويستشهدون للغتهم منه ، حتى كان المصدر اللغوى المتفق عليه بين الدارسين من العرب وغيرهم ۰ وفرضت الحياة الجديدة على المجتمع الاسلامي الوانا من السلوك والتقاليد والعادات عبرت اللغة عنهـــا تعبيرا دقيقا فكانت وعاء حافظا وسجلا مهما لكل التحولات التي عاشها العربي في ظل الاسلام ، ويمكن تمثل هذه التحولات من خلال ماأصاب اللغة من تطور في الدلالة والمفردات والصيغ ، فمن ذلك۰

أـ المعاني المستحدثة في كثير من الالفاظ التي كانت لها معان اخرى قبل الاسلام كالمسلم والكافر والمؤمن والدعوة والقرآن والصلاة والمنافق والزكاة والصوم والحج ۰۰ الى غير ذلك فان مثل هذه المفردات قد انتقلت من اصل لغوى حقيقي المعنى في العربية الى معنى مجازى جديد اضفاه الاسلام عليها ، فالزكاة من اصل اللغة ـ مثلا ـ النماء ، ولكنه انتقل الى معنى طهارة المال واخراج جزء منه ۰ وهكذا يقال في سائر المفردات ، ومن المعلوم في قوانين اللغات كثرة الاستعمال للمفردة الواحدة يتيح لها ان تكتسب معاني مختلفة خلال فترة حياتها الطويلة(١) ، ومن هنا اكتسبت كثير من المفردات في ظل الحياة الجديدة ، كما نرى ذلك في تطور معنى لفظه (ادب) من معناها الحقيقي المعجمي الى معانيها المكتسبة الجديدة في العصور الاسلامية المتأخرة حتى زمن ابن خلدون (٨٠٨ هـ)

ب ـ التراكيب المستحدثة ،من ذلك قوله ـص ـ :(واياكم وخضراء الدمن۰ قالوا: ومن هي يارسول الله ؟ قال :المرأة الحسناء في المنبت السوء)۰ اراد بخضراء الدمن : شريكة الحياة ، ومن ذلك ـ ايضا ـ ماجاء في القرآن الكريم من التراكيب المجازية الرائعة كقوله تعالى :(فاصبح يقلب كفيه) ۰ مكنيا عن

---

(١) انظر في هذه المفردات لسان العرب : سلم ، كفر ، امن ، قرأ ، حلا ،نفق زكا ، صام حج وانظر فيما يخص الصاحبي هذه الدلالات الاسلامية ۰

الحسرة والندم ، وقوله تعالى :(ولما سقط في ايديهم) · مكنيا عن الفشل والخسران والتندم ·

ح ـ الالفاظ المتروكة المماتة : ولقد اميتت بعض الالفاظ لكونها لا تتواكب مع المفاهيم التي جاءت بها الحياة الجديدة في ظل الاسلام ، والمعروف في العربية انها احتفظت بكثير من المهجور والممات في لغتها وحاولت المعجمات ان ترصده وتدونه وتنبه عليه ، وهذه مزية للعربية على سائر لغات العالم ، اذ استطاعت بما احتفظت به من مفردات كانت تستخدم في لسان العرب خلال تاريخهم الطويل ان تجمع مئات المفردات في معنى واحد حتى بلغ ماجمعه (دوهامر) اكثر من (٥٦٤٤) لفظا فيما يتعلق بالجمل(١) ، يقول جورج مونان :(للمعجم العربي عدة مئات من الالفاظ لتمييز انواع الجمل بما نعجب له ولا نفهمه)· وكان دور الحياة الجديدة ان اوقفت استعمال بعض المفردات في معانيها المعتادة ومدلولاتها الغريبة عن مفاهيمها العربية ، وابطلتها كليا وخصصت استعمالها لما ينسجم وطبيعة الفكر الجديد ، وذلك كالرب ـ مثلا ـ فقد كانت تطلق على (السيد) وكانوا يلقبون ملوكهم بالارباب ، وتخصصت اللفظة بالاله سبحانه ـ ، وكالانصبة واسمائها :

المرباع لربع الغنيمة ، والنشيطة لما يغنمه الغزاة في الطريق قبل وصولهم الى غايتهم ، والفضول لما بقي من المال او غيره في الغزوة ، وكقولهم : عم صباحا وعم مساء فلما قال الرسول ـ ص ـ :(السلام تحية لامتنا امان لذمتنا)· وحدد التحية بالسلام عليكم ابطلت تلك التحايا واصبحت مادة لغوية معجمية تحتفظ بها كتب اللغة لتمثيل العصر الذى عاشته · وبدأت العربية تثبت تسامحها وتفاعلها مع الحياة عندما اخذ المجتمع الاسلامي بالتطور والتغير

---

(١) دراسات في فقه اللغة : د· الصالح ٢٩٣ · وانظر مفاتيح الالسنية :جورج مونان ٧١ـ٧٢ ·

وولوج ابواب التحضر ، ولا سيما العصور التي انفتح العرب فيها على سائر الامم ، ففي عصر الراشدين تهيأ للعربية ان :

ا ـ تجد الفاظا جديدة تنتقل من معانيها الوضعية الى استعمالات جديدة كالخليفة وامير المؤمنين والوالي والمشير والولي ، ومن الفاظ الجيش : الكراديس والصائفة والشاتية ٠

ب ـ والفاظا دخيلة من لغات اخرى : كالديوان وهو اشبه بالوزارة في العصر الحديث ومنه ديوان الجند وديوان الخراج وديوان العطاء ٠

واتسعت مثل هذه المفردات العربية والدخيلة في زمن الامويين ، فاستخدموا مثلا ـ : العمارة للسفينة الحربية الكبيرة ٠ والعرادة وهي الة رمي الحصون بالحجارة ، فضلا عن استحداث كثير من الالفاظ في السياسة والجيش والحياة العامة وشؤونها ٠

وحين دخل العصر العباسي واتسع نطاق الترجمة ، وازدهرت الحياة الثقافية والفكرية والعلمية ، كثرت المصطلحات العلمية والترجمة والتعريب وتوليد الالفاظ والمعاني ، ويمكننا ان نقيس على ماخلفه الطب من الالفاظ والمصطلحات في المجتمع الجديد بما كان عند العرب قبل الاسلام من مفردات فيه ، فقد عرف العرب في الجزيرة من الفاظه : الكي والحجامة وما اشبهها ، ولكن عصور الحضارة اطلعتهم على جميع انواع الامراض وادويتها وعلاجاتها ، فعرفوا الصداع والدوار والصراع والذبحة والسكتة والزكام والصفراء والشلل والطاعون والسوداء وغيرها ، فضلا عن الاسماء الدخيلة في الامراض والادوية كالقولنج والمانخوليا والسقمونيا والمصطكا ـ وهي يونانية ـ والبابونج والزرنيخ ـ وهما فارسيتان ـ وغيرها الكثير ٠

واذا تجاوزنا امثال هذه المفردات في الطب وما يتعلق به الى العلوم المتنوعة

الاخرى كالهندسة والعروض والفلك والفلسفة والنحو والمنطق والرياضيات ، وسائر الصناعات والمهن ، رأينا ان كلا منها يحتاج الى أفراده في معجم حضارى خاص بمفرداته(١) • ومن الاثار اللغوية التي ظهرت في ابنية الكلم ، وصياغة التراكيب والالفاظ ، دخول الالف واللام على (لاالتبرئة) نحو : اللاشعور واللاوعي واللامعقول واللانهاية ، ومنها استعمال المصدر الصناعي في بعض الاسماء والصفات والحروف والضمائر مثل : الهوية والكمية والكيفية والمائية والترابية ، وهي استعمالات تكثر عند المتصوفة والفلاسفة والمناطقة ، وهي من تأثير الفكر اليوناني •

ولقيت العربية في العصور العباسية المتأخرة ، كالعهد البويهي والسلجوقي والمغولي هزات عنيفة وصراعات لغويةمحلية ،حاولت ابعادها عنميدان التأليف والسياسة والادب ، وكانت الفارسية ثم التركية في مطلع هذه اللغات المحلية التي ناهضت العربية • فقد الفت بعض العلوم فيها ، كما نظم شعراء من بلاد فارس شعرهم بالفارسية كحافظ شيرازى واخيه سعدى وعمر الخيام ، والفت كتب باللغات المحلية ، مثل كتاب (النثر المسبوك) وكتاب (سياسة نامه) وغيرها مما نبه الخلفاء وجملة من سلاطين الدولة والعلماء الحريصين على العربية الى التزام اللغة العربية في التأليف والادب ، وهذا الزمخشرى (٥٣٨ هـ) يؤلف كتاب (المفصل) (٢) في النحو ويشير في مقدمته الى تعصبه للعربية ويفخر بانتمائه لذلك •

وما انشاء المدرسة النظامية ببغداد (٤٥١ هـ) الا رد فعل عنيف لما كان يلقاه الحريصون على العربية من محاولات الهدم والتخريب ، وكان متولو التدريس في

---

(١) حاولت ان اضع معجما خاصا لالفاظ العروض والقوافي ومصطلحاتهما ، وقد تم وهو ألان مطبوع متداول •

(٢) المفصل : ٢ فمابعد •

هذه المدرسة قد قدموا اعمالا جليلة تدل على شدة حرصهم على اللغة ، فمن ذلك ما الف الجواليقي في كتابه المعرب من الالفاظ الاعجمية التي تداولها الناس في مخاطبتهم ، فضلا عن استعمالها في ادابهم ، وما فعله ابو اسحاق الشيرازي في (شرح الحماسة) اذ وجد ان الطلبة قد بعدوا عن فهم الاشعار العربية وتذوقها ، وانهم في حاجة الى من يبصرهم بها فوضع لهم هذا الكتاب ، كما اشار هو في مقدمته . وتناول الحريري في كتابه درة الغواص ماكثر استعماله عند خواص الناس من تراكيب وصيغ ظنت انها من العربية الصحيحة الفصيحة فقد اورد تراكيب مختلفة في معان مختلفة لم يميز الناس بينها ، من ذلك ـ مثلا ـ بكم ثوبك مصبوغا ، وبكم ثوبك مصبوغ ، فالتركيب الاول يستفهم عن ثمن الثوب وهو مصبوغ ، والتركيب الثاني يسأل عن ثمن صبغه ، ولم يفرق الكثير من الخواص بين ، تكتبون وتكتبين ، فيجعلونها جميعا للمؤنث ، في حين ان الاول مسند الى واو الجماعة للذكور وهو للمخاطبين ، والثاني هو الذي لمخاطبة الاناث وكثر الخطأ كذلك في صيغ مصدر المرة والهيئة ، فاستعملوا المرة ، واهملوا الهيئة في سائر كلامهم ، ولم يفرقوا بين الجموع قليلها وكثيرها ، فاوقفوا الاعراب ، وكثر العامي وشاع الخطأ وزاد المولد والدخيل والاعجمي ، ومما ساعد على ذلك ان اللهجات الشعبية المحلية في سائر انحاء العالم الاسلامي يومئذ ظهرت بشكل واضح تتميز كل منها بتأثيرات اللغات القومية المختلفة وان السلاطين من غير العرب شجعوا التحول عن العربية الى غيرها ، يقول الثعالبي :«واكثر الملوك ينفرون من العربية ويأمرون بنقل كتبها الى الفارسية»(١)· وقد قامت كتب الرصداللغوى والتصويب بسرضذلك كله· ومعهذا الانحداراللغوى الواضح،فان حركة التأليف بالعربية ، وللعربية ، لم ينقطع دفقها ، بل كانت هناك حركة واضحة في الرصد اللغوى وتصحيحه ، تناولتها المعجمات وكتب لحن العامة وكتب التصحيف والتحريف واداب اللغة والنحو والصرف والبلاغة ، فقد شهدت هذه

---

(١) لباب الادب : الثعالبي : ج ١/ص ١٨

حول قضايا اللغة المتنوعة ، فمن المعجمات مثلا : اساس البلاغة للزمخشرى الحقبة الممتدة من عهد البويهيين الى غزو بغداد سنة (٦٥٦) نشاطا مركزا (٥٣٨ هـ) ، ومجمل ابن فارس (٣٩٦ هـ) ومعجم مقاييس اللغة له ، ومعجمات الصغاني (٦٥٠ هـ) كالتكملة والعباب ، ومجمع البحرين ، وتهذيب اللغة للازهرى (٣٧٠ هـ) وغيرها الكثير ومن كتب التصحيح اللغوى : التنبيه على حدوث التصحيف للاصفهاني(٣٧٠ هـ) و (ما تلحن فيه العامة) لابي بكر الزبيدى (٣٧٩ هـ) و (تقويم اللسان) لابن الجوزى (٥٩٧ هـ) وغيرها لانريد حصرها ـ هنا ـ فضلا عن كتب النحو والبلاغة والصرف للزمخشرى وابن الحاجب وابن الشجرى والقالي ، والثمانيني وابن جني وابن الخشاب وابن الدهان وابن الانبارى (٥٧٧ هـ) والعكبرى (٦٤٣ هـ) وابن يعيش (٦٤٣ هـ) والثعالبي (٤٢٨ هـ) والجوهرى (٣٩٨ هـ) والراغب الاصفهاني (٥٠٢ هـ) وابن سيده (٤٥٨ هـ) وغيرهم •

ولقد ازداد تراجع سادة العربية في العصور التي تلت غزو بغداد (٦٥٦ هـ) حتى العصر الحديث ،إذ ان المغول كانوا همجا فلم يعرفوا قدراً للعلم فأحرقوا المكتبات وهدموا دور العلم ، ولم يتهيأ لهم معرفة اهمية هذه المرافق العلمية الا بعد الاختلاط بالمجتمع الاسلامي ، فانتعشت حركة التأليف في مجالات العلوم والاداب بدافع الحرص الشديد من علماء الامة على تراثها ولغتها ومعتقداتها ، فكان من ذلك تأليف ابن منظور (٦٣٠ ـ ٧١١ هـ) لكتابه المعجمي الكبير (لسان العرب) وتأليف الفيروزابادي (٨١٧ هـ) (القاموس المحيط والقلقشندى لكتابه (صبح الاعشى في صناعة الانشا) والسيوطي لكتبه الجمة الكثيرة ومنها كتابه (المزهر في علوم اللغة العربية) وكتابه (الاشباه والنظائر) وكتابه (الاقتراح) في اصول العربية وغيرها •

وعلى الرغم من ان اعظم المؤلفات كانت قد الفت في هذه الفترة ، الا ان

اللغة بشكل عام لم تصبها نهضة تنتشلها مما اصابها من الضعف والانحدار كما اصابها في ماتقدم من العصور ، فقد كثرت اللهجات المحلية في المدن والعواصم فكانت في مصر تختلف عن العراق ، وكانت في العراق تختلف عن بلاد الشرق او شمال افريقيا ، والذى يتصفح كتاب الف ٠ ليلة وليلة يجد صورا من العاميات مختلفة ، تمثل حالة اللغة في العواصم ٠ ولم تكن اللغة الموحدة بين ابناء البلاد الاسلامية ـ يومئذ ـ الا الفصيحة ، وكانت قد اقتصرت على التأليف والكتابة والمساجد ودور العلم والثقافة ٠ ومع ان الاتراك ـ في حكم السلاطين العثمانيين كانوا كمايبدو حريصين علىاللغة وعلومها لعلاقتها بالقرآن والتشريع والحديث الا ان عامة الاتراك لايعرفون من العربية شيئا ، وكان الاختلاط قد اثر كثيرا في سلائق الناس ولهجاتهم ، مما ادخل كثيرا من المفردات التركية في لسان العامة ، ونحا بالسلائق الى الاعوجاج وسوء التراكيب وتفشي العجمة وكذلك كثر في لسان العامة استعمال الترك لـ(جي) في النسبة : كـ (علوجي) و (بوسته جي) و (مطبعة جي) واستعمال (سز) التركية بمعنى (بلا) نحو (أدب سز) (اخلاق سز) واضافة الاسم الى (خانه) نحو (كتبخانه) و (ماء خانه) ونحو ذلك وممن عني بدراسة هذه الظواهر من الترك ابن كمال باشا (٩٤٠ هـ) في كتابه (التنبيه)(١) ٠

ولقد انحسر مد الدراسات اللغوية الصرف عن الشارع ومرافق الوظيفة والادارة الى معاهد العلم فحسب ، فكان (الازهر) في مصر ، و (الزيتونة) في تونس ، و (جامع القرويين) في المغرب ، ومدرسة (الامام الاعظم) في بغداد ومعها (الجامعة المستنصرية) والمدارس الاخرى تقوم بقسط وافر من حفظ اللغة ومد الدارسين بالمؤلفات المتنوعة في مجالات العلم والمعرفة ٠

---

(١) حققته وصححت أوهامه ونشرته في مجلة المورد ٠ العدد الخاص بالقرن الخامس عشر للهجرى : بغداد : ١٩٨٠ ٠

وحين طلع علينا العصر الحديث ، وجد ان امامه تراثا ضخما واصالة بعيدة الغور في الثقافة والفكر والعلوم المتنوعة ، ولكنه وجد الى جانب ذلك تشتتا لغويا متمثلا في اللهجات الشعبية المختلفة ، وزاد في ذلك التشتت ان الحملات الاستعمارية الدخيلة كالانكليز والفرنسيين والايطاليين والبرتغاليين كانت قد اثرت في اللسان العربي - ايضا - لكن التأثير لم يكن كبيرا ، فخلف بعض المفردات الغريبة في لهجات الناس في مصر وشمال افريقيا وفي العراق والشام ودول الخليج والجزيرة ، فجمعت لهجات العامة كثيرا من مظاهر اللغات الاجنبية واصبحت اللغة واقعة بين :

أ - تأثيرات اللغات الاجنبية القديمة والحديثة مما دخلها من المفردات والتراكيب الغريبة .

ب - ايقاف الاعراب .

ج - تفشي اللحن والخطأ وانحراف الالسنة .

د - دخول اصوات جديدة ليست من الاصل السامي كالباء - المثلثة الاعجام (P) والفاء المثلثة الاعجام (G) والكاف (V) والثراء - اى صوت الظاء ممزوجا بالزاى - والجيم (CH) المثلثة الاعجام - اى : بين الشين والجيم-(١) والشين المفروشة كما في لهجة المغاربة لصوت الجيم .

هـ - ابدال بعض الاصوات بغيرها كابدال الدال بالذال في (ذهب ودهب) و (دقن وذقن) و (دياب وذياب)(٢) وقد اشار الزمخشرى في مادة (دقن) الى ان اهل بغداد يقلبون الذال دالا في ذلك ، فيقولون (دقن) وهي

---

(١) وهو صوت كاف الخطاب للمؤنثة في لهجة العراق والخليج : عندج في موضع عندك .

(٢) اساس البلاغة (دقن) : ٢٧٨ . كتاب الشعب - مصر

لهجة معروفة في مصر والشام والمغرب ـ اليوم ـ وكابدال الثاء تاء نحو : تم وتم ، وثلاثة : تلاتة وهي معروفة في الشمال الافريقي ٠

هذه هي اهم المظاهر اللهجية التي تلقي بتبعتها على الدارس العربي ـ هذا اليوم ـ وعلى طلاب النهضة الحديثة ليقوموا بالدور الذى ينبغي لهم ان يفعلوه خدمة للتراث واللغة ، وبذلك بدأت حملات صادقة في كثير من بلدان العالم العربي للنهوض بابناء الضاد ولتقويم اللسان العربي ، ولبعث التراث العربي الضخم من رقدته ، فبادرت مصر من عهد الوالي التركي الى بعث طلبة العلم الى معاهد الثقافة والمعرفة والى انشاء المطابع وبعث كتب التراث بتحقيقها ونشرها ، ونشر التعليم وفتح المدارس ، وطبع الصحف ، وتسخير وسائل الاعلام في خدمة العربية وتراثها ، وتبعتها العراق والشام والجزيرة وشمال افريقيا ، وبدأت حملات التعليم العربي ، والتعريب الجاد في المدارس ودور العلم ، كما هو واضح في الجزيرة والمغرب ومعظم دول شمال افريقيا ووسطها ، وبلغ طموح بعض البلدان العربية الى جعل التعليم الزاميا ، بضم الاطفال والنساء والشيوخ والمقعدين وربات البيوت ٠

وقد كانت هذه التجربة متمثلة في العراق لتعم كل المجتمعات العربية الاخرى ٠ وتقوم المجامع العلمية في العالم العربي بقسط كبير من حركة االتعريب ونشر الثقافة العربية الاصيلة كما تتحمل وزارات الثقافة والاعلام ودور النشر العربية حركة احياء التراث العربي ونشره على الجماهير باثمان زهيدة لتصبح في متناول الجميع ٠

ولقد كثرت الدراسات العلمية الجادة في جامعات الوطن العربي ، ولاسيما دراسات اللغة وعلومها وشخصياتها ومؤلفاتها ، مما زاد في الوعي اللغوى ولفت انظار جمهور العالم الى ماتزخر به مكتباتنا التراثية وكتبنا العربية من العلم

والمعرفة والمذاهب والاراء والافكار التي انتجتها العقول العربية في ظل الحضارة الاسلامية ، ويمكننا ان نضع ماتميزت النهضة المعاصرة في النقاط الاتية :

١ ـ حركة التعريب المخلصة لتنقية اللسان العربي مما علق به من الغريب تلتزمها الدولة وتستهدفها مجامعها اللغوية والعلمية ووسائلها الاعلامية الاخرى ومناهجها الدراسية ·

٢ ـ احياء الدراسات اللغوية العربية بشكل معاصر في رسائل جامعية او دراسات شخصية ·

٣ ـ نشر التراث اللغوى نشرا دقيقا محققا وتيسير توزيعه على الجمهور ·

٤ ـ توجيه الاعلام والثقافة وجهة عربية خالصة لتعويد السماع واللسان على العربي القويم والفصيح ·

٥ ـ الاهتمام بمناهج اللغة العربية في المدارس والجامعات ومحاولة توسيع دائرة فروعها واقسامها وتخصصاتها المتنوعة ·

٦ ـ محاولة تجفيف منابع اللهجات العامة بتشجيع التحدث باللغة السليمة في المدارس والتعليم والندوات الثقافية والعلمية وبيان مخاطر العامية على وحدة المجتمع العربي ، اذ ان اللهجات المختلفة تزيد في تباعد اجزاء المجتمع الواحد وتشتته ·

٧ ـ الاكثار من المناهج الطفلية التي تعد باللغة السليمة في الاذاعة والتلفزيون والصحافة والمجلات لتعويد الطفل على النطق بالصواب منذ عهد مبكر من عمره ·

والحق ان كثيرا من هذه الخطوط والملاحظات قد التزمتها دول العالم العربي وجدت في تطبيقها في مرافقها المسؤولة ، وان مجرد الاخلاص في تحقيقها

والعمل على تطبيقها سيعطي ثمارا جيدة خلال مدة وجيزة من عمر الزمن ، واننا لنجد اليوم على لسان الطفل المعاصر شيئا من التقدم الملموس والوعي اللغوى الواضح ، فالفرق كبير بين الطفل في الخمسينات - مثلا - والطفل في مطلع الثمانينات في طلاقة اللسان وشكل التعبير وصحته .

واخيرا فان اللسان العربي قد ارتبط حقا بقوة السلطان وضعفه ، وبتمسك المجتمع بنصوص اللغة الفصيحة واهماله لهذه النصوص ، وقد لاحظ بعض الدارسين المحدثين اهمية القرار التي تتمسك به الدولة حين تريد للغة ان تتقدم وتزدهر ، لانها حينئذ ستكون مسؤولة عن تطبيق مايتعلق باللغة من قوانين يحترمها الشعب ويستجيب لها ، ويخشى مخالفتها مما يؤدى بالتالي الى استرجاع اللغة مكانها ، ولعل مشروع صيانة اللغة وسلامتها يحقق هذه الصورة التي نتوخاها .

٢ - اللهجات العامية المعاصرة - اختلافها وخطورتها

الامة تعتمد في تثبيت شخصيتها بين الامم على ركائز مهمة في حياتها ، على تاريخها وعلى دينها وتقاليدها الخاصة واعرافها الاجتماعية وعلى لغتها : وسيلة تواصلها وابلاغها ، وعلى جوانب اخرى لسنا في صدد الحديث عنها .

اما اللغة ، فلعلها اعظم ركيزة يقف في طرفها المجتمع ، فبها يعرف نسبه، وبها يكشف عن مدى تقدمه وتخلفه . اذا كنت في بلد اجنبي (فرنسا ، انكلترا ، امريكا) والتقيت انسانا ربما لم تدلك ملامحه ولا هياته على انه من بغداد او الرباط او القاهرة أو الخرطوم ولكنك وبطريق الصدفة يكشف حديثك معه انه ينتسب الى اللسان الذى تنتسب اليه ، انه لسان عربي ، لقد ارتبطت به بطريق اللغة ، وعرفت بعد ذلك الى اى قطر ينتمي ، وقامت اللغة - هنا - بوظيفتها المركزية - بل النوعية - كما يقول مونان ، وهي وظيفة الابلاغ والاتصال(١).

---

(١) مفاتيح الالسنية : مونان ٣٨ و ٦٩-٧٠ .

واللغة كالانسان ـ تاخذ وتعطي ، تنشأ وتعيش تنمو وتتطور وتتسع وتموت وهي كالانسان عندما يصاحب اخر ذا سلوك معين قديتأثر بهذا السلوك ويصبح جزءا من صفات شخصيته وقد يؤثر في الاخرين اذا كان الاقوى والاكثر حيوية واعتدادا بشخصيته ، وحال اللغة ـ كذلك ـ تدخل في صراعات واحتدامات ، فاذا كانت قوية ، ذات شخصية متماسكة اثرت في غيرها ، وربما حلت محلها واذا وجدت نفسها ضعيفة امام غيرها تراجعت او خلت مكانها لغيرها وانحسرت وربما تموت في النتيجة ٠ كما حصل للاكدية السامية واللاتينية القديمة والعبرية القديمة والكنعانية وغيرها ٠ والعربية في اقطارنا ـ اليوم ـ تعيش هذه الصراعات كما عاشت منذ خروجها من الجزيرة مع الفارسية والتركية والمغولية والهندية السنسكريتية وغيرها ٠

ولكنها بقيت صامدة على المستوى الفصاحي والبياني لظروفها الخاصة المعروفة بارتباطها المتواصل بالنصوص العربية الاصيلة كالقرآن والحديث والشعر العربي الفصيح ، اما على المستوى الشعبي في اقطار المتكلمين بها فقد احتكت باجناس وجماعات بشرية مختلفة مارست الحديث اليومي بها ، فاخذت واعطت وتغيرت تغيرات مختلفة بحسب الظروف التي يتميز بها كل قطر من النواحي الاجتماعية والسياسية والجغرافية والطبيعية ، فكانت هناك لهجات شعبية تستخدم أداة للتفاهم اليومي في كل قطر تختلف الواحدة عن الاخرى اختلافا جوهريا في كثير من الظواهر ، كالمفردات والتراكيب والاصوات والدلالات وتغييرها ، ولما كانت الاختلافات تتمثل في هذه الظواهر الاربع اكثر من غيرها اثرنا ان نشير الى امثلة من هذه الجوانب المميزة لكل لهجة من لهجات أقطارنا العربية :

اولا ـ المفردات

من الطبيعي ان يكون اوسع الابواب انفتاحا لدخول الغريب والجديد والمولد في اللغة هو باب المفردات ، اذ يستطيع اللسان الشعبي ان يولد مفردات

جديدة تتناسب ومهنه وتتلون بتلون مجتمعاته المختلفة ، فالمجتمع النسائي له مفردات والفاظ تخالفها مجتمعات الرجال ، وللاطفال مفردات تخالفها مفردات الشيوخ والكهول ، وللبنائين والصناع والعمال والفلاحين وغيرهم من طبقات الشعب الفاظ ومفردات مختلفة تناسب مهنهم واعمالهم ربما يجد البعض منا صعوبة في فهمها على وجه التحديد ، هذا فضلا عن تغير مثل هذه المفردات من مدينة الى اخرى ثم من قطر الى اخر ، يضاف الى ذلك ان مثل هذه اللهجات المحلية والاقليمية تكون مظنة لتجمع مفردات غريبة ودخيلة من لغات اخرى تأتيها من الخارج بالاحتكاك باجناس غريبة عن طريق الاستعمار او المجاورة او السياحة والاختلاط ، فمن امثلة المفردات الغريبة التي يولدها ذوو المهن ، ما يستعمله صانعو الاحذية من مفردات خاصة بمهنتهم قولهم : (التكارى) الخليط من بقايا الجلود والنعل ممزوج بمادة لاصقة يحشون به ماتحت النعل من فراغ، و(كالدبان) للجلدة التي توضع تحت القدم ، و (كالبرداغ) وهو تلميع الحذاء وتشذيبه من الزوائد والبروزات اللاصقة بالنعل ٠٠ وما الى ذلك من مفردات غريبة بعضها مولد وبعضها منقول ، وهذا ــ في القليل ــ نجده عند الاسكافي العراقي وما نجده عند الاسكافي المغربي او المصرى او السورى او الفلسطيني فشيء اخر اكثر غرابة وغموضا ٠

وتأثير اللغات الاجنبية في العاميات العربية ظاهرة تبعث على الاسف والالم لان مادخل من مفردات غريبة لم يكن موحدا ولا متقاربا وذلك تبعا لاختلاف الشعوب المحتكة بها مجتمعاتنا ٠ فالشمال الافريقي ، ولاسيما الجزائر وتونس والمغرب قد تأثر باللغة الفرنسية فدخل حشد كبير من المفردات الفرنسية في اللسان العربي حتى ليضطر المتحدث معك ان يخاطبك بالعربية السليمة ان استطاع الى ذلك سبيلا ، فان لم يجد طفح على لسانه اللفظ الفرنسي قسرا وان لم يتقنه وقد حصل مثل هذه الحالة لي عندما اشتركت مع شخص مغربي في سفرة الىمدينة الرباط في القطار ، واراد ان يعرفني بعمله ــ وكان مصمما

لخرائط هندسة البناء ـ فاستخدم الاشارات واستعمل مفردات وجدت فيهـا غرابة ، ولم اعرف قصده الا بعد جهد طويل • ولقد تركت اللغات غير العربية المصاحبة في هذه الاصقاع اثرا واضحا في مفردات اللهجة العربية الشعبية ، فدخل الكثير من البربرية العامية في لسان عامة الناس ، فمن السهولة ان نعرف ان معظم المواضع والاعلام ومفردات كثيرة تبتدىء بالهمزة ـ مثلا ـ مع غرابة البنية من اصل غير عربي ، مثل : اوكايمدن ، ايت أوربر ، افران ، أعكمي ، امين تانوت ، أزلال ••• الخ • وكذا الحـال في لهجـة العراقيين والمصريين والسوريين فانك تجد اضافة لفظ (خانه) التركية بمعنى البيت في اخر كثير من المفردات العربية والاجنبية ـ احيانا ـ تستعمل في لسان العامة ـ ولا سيما الجيل السابق ـ ولحد الان مثل : دبخانة ، اى : مكان الدباغة ، وشاى خانة ، اى المقهى ، واجزاخانه ، اى بيت الادوية ـ وتعني الصيدلية ـ وزور خانه ، وتعني بيت القوة ، ـ اى النادى الرياضي ـ ، لان الزور في العربية القوة ، وماى خانة ، وبوليس خانة ••• الخ • كما تجد لفظة (سز) التركية وتعني (بلا) تضاف الى اخر الاسم العربي فتصبح نافية له ، نحو : ادب سز ، بلا ادب ، ودماغ سز بلادماغ ،وسلاح سز،بلا سلاح(١) ،كما دخلت الفاظ اخرى في مصر والشام والعراق تستخدم في النسب بدل ياء النسب العربي ،وهي (جي) التركية، فيقال : الشوربجي اى : صاحب الشوربة ، والعربجي ، اى صاحب العربة ، والنوبه جي والجرخه جي ، ودخلت الفاظ برمتها الى دول المشرق العربي من الفرس والترك والفرنسيين والانكليز والسريان واليهود ، مثل : خوش ـ الفارسية ـ بمعنى : حسن ، واسبتليا ، بمعنى المستشفى معرب : (Hospital) والسيبابة والجربابة والجرداغ والبرداغ من المفردات المسماة بها الادوات ومرافق الحياة العامة •

---

(١) انظر فيما سبق : المبحث السابق •

غير ان لهجات الشاميين – الفلسطينيين والسوريين والاردنيين واللبنانيين – على الرغم من تأثرها بمجموعة من اللغات المحتكة بها ، كالسريانية الارامية والفرنسية والعبرية والانكليزية والتركية ، الا انها قليلة التأثر بالقياس الى تأثير الفرنسية في الشمال الافريقي ، وقليلة – كذلك – بالقياس الى تأثر العراقية بالتركية والفارسية او المصرية بالتركية – خاصة والفرنسية والقبطية المصاحبة للعربية بعد الاسلام ٠

ويقال مثل ذلك عن تأثير الايطالية في لهجة الليبيين ، وتأثير الحامية البربرية خلال عصور طويلة حتى اليوم ٠

ويعطي السودان صورة عجيبة من الاختلاط اللهجي ، فلكثرة مافيه من لغات غريبة لاتدخل تحت فصيلة السامية الحامية ولا الارية – الهندية الاوربية– بلغت المئات في بعض الدراسات الحديثة ، موزعة على ست عشرة فصيلة(١) فقد تأثرت لهجات السودانيين الدارجة بالكثير من هذه اللغات ، وتنوعت المفردات المستمدة منها تنوعا واضحا ، مما جعل الغريب في الدارجة السودانية مختلف الظواهر ، متنوع الصفات ، مما ادى هذا الاختلاف الى تكون لهجات محلية مختلفة الخصائص ٠

ولقد ادى هذا الاختلاف اللهجي في المفردات المكتسبة في كل قطر الى البعد والتمايز الواضح بينها ، وكانت انواع التأثيرات متعددة ، وقد يكون للاحتكاك كما اسلفنا – باللغات الاوربية الحديثة بسبب الروابط السياسية او الاقتصادية او الثقافية بين الامم الناطقة بالعربية وشعوب اوربا ، او بتبادل البعثات العلمية ووجود الجاليات العربية في بلدان العالم او وجود الجاليات الاوربية في الشرق ، وترجمة المنتجات الاجنبية الى العربية ٠٠ الى غير ذلك من العوامل

---

(١) علم اللغة : د٠ وافي ٢١٤ ٠

اثر كبير ، فنقل بسبب ذلك كله ـ الى لغة العلم والادب ـ فضلا عن اللهجة العامية جملـة مفردات في مختلف شوؤن الحياة السياسية والفكـر والاجتماع والاقتصاد والعلوم والفنون والاداب • فمن ذلك : الايديولوجية ، والستراتيجية والديمقراطية والديالكتيكية ،والكلاسيكية والرومانسية ، ومـودرن وموديـل وموضة ، والهومسك ، والشيزوفرينيا والسيمائية ، والمورفولوجي والامبريالي والليبرالي ، وغير ذلك مما لاحصر له من المفردات التي اغـرم بهـا المثقفون ، وقلدهم فيها انصاف المثقفين والجهلة ، ظنا منهم انها تعبر عن مستوياتهم العلمية والثقافية ، ولو حاول هؤلاء المتمسكون بمثل هذه المفردات التعبير عنها بمـا يقابلها من الفاظ عربية ، لوجدوا في العربية غناء كثيرا وقدرة واتساعا على استيعاب كل ذلك ، كما استوعبت في مراحلها المتقدمة مختلف انواع الفلسفات والثقافات الاسلامية واليونانية والهندية والفارسية • فليس عسيرا ان نضع لفظ : التقليدى او المدرسي او المنهجي فيما يقابل (كلاسيكي) ، وان نضع تعبير ازدواج الشخصية فيما يقابل (شيزوفرينيا) او نضع لفظ حديث فيما يقابل مودرن ومرض الحنين الى الوطن فيما يقابل (هومسك) ـ وهكذا ـ غير ان ضعف الشخصية والشعور بالنقص هو الامر الذى يفرض على الكثيرين مـن ابنائنا ـ مع الاسف ـ التمسك بذلك •

ثانيا ـ التراكيب والنظم اللغوية الغريبة

لم تعجز العربية في تاريخها الطويل ـ حتى في عصور التخلف السياسي ـ عن التعبير عن حياة الامة في مختلف انواع النشاطات وباساليب ونظم متنوعة قادرة على ايصال الافكار ، والابلاغ الواضح البين • وعلى الرغم من احتكاكها المتواصل باللغات الاخرى ، فقد حاولت ان تأخذ مايناسبها من التراكيب والصيغ وان تجد له سبيلا لقبوله وتقريبا لقياساتها واحكامها ، ومما دخل الى الاستعمال العربي القديم ماولده الشعراء العباسيون من تراكيب يبدو عليها تأثير اللغات

غير العربية ، فقد روى لابي نواس بيت يستعمل فيه (الواو) العاطفة بعد (بل) وهو استعمال غريب لايقره منطق العربية ولاقياسها ، وقد حاول بعض النحويين تخريجه على ان مابعد (بل) قد اضرب عنه الشاعر مع ماقبلها بسبب وجود الواو ، وهي حالة شاذة نادرة ، ولكننا – اليوم – نجد صداها واسعا في استعمالات الكتاب والمثقفين ومن الاستعمالات الغريبة –كذلك – ادخال (اللام) على جواب شرط (ان) وقد كثر ذلك في كتابات الفقهاء والمناطقة والمفكرين العرب ، وجرت عدواه الى النحويين – ايضا – فوقع فيه ابن هشام(١) وغيره فيقولون – مثلا – (والا لكان) وتصويبه : والا فقد كان ، او : والا كان ٠– ولقد كثر في الوسط المثقف – اليوم – استعمالات غريبة هي اثر من اثار الاحتكاك باللغات الاجنبية او من طريق الترجمة ، كاستعمال (لا) النافية مع الاسم المنفي ، ثم ادخال (ال) التعريف عليهما ، وذلك نحو : اللاشعور واللامركزى واللامعقول واللاوعي واللازمان واللامكان ٠٠ وغيرها ٠ ولقد عرفنا في تراثنا اللغوى ان بعض العرب ادخلت (ال) على الفعل الماضي والمضارع وعدها اللسانيون العرب اسما موصولا بمنزلة الذى ، وقد استشهدوا له بقول الفرزدق(٢) :

مانت بالحكم الترضى حكومته ولا الاصيل ولا ذى الرأى والجدل

ومع ذلك فان النحاة واللغويين والبلغاء لم يرتضوه وعدوه ضرورة قبيحة ، وقصروه على الشعر ٠ قال الجرجاني الناقد الاديب : ان استعمال مثل ذلك في النثر خطأ باجماع ، اى : لايقاس عليه(٣) ٠

هذا الموقف من اللسانيين ازاء هذه الحالة يدل على تسامحهم في جانب من

---

(١) المغني : ٤٢٣/٢ ٠

(٢) شرح ابن عقل : شاهد ٣٠ وشرح الاشموني ٩٧ واوضح المسالك٣ :

(٣) شذور الذهب : ابن هشام ١٦–١٧ ٠ المغني ٤٢٣/٢ ٠

الكلام ورفضهم في جانب اخر منه ، مع علمهم بوروده في بعض كلام العرب ،ومن الطبيعي ان يكون الامر اشد اذا تعذر نظيره في نصوص اللغة المسموعة ، ومن هذه الاستعمالات التي نحسب اننا سنقبل جانبا منها ونرفض جانبا ، مانسمعه من الابنية والتراكيب التي تصوغها وكالات الانباء العربية ـ متأثرة بالصياغات الاجنبية المترجمة ، قولهم : في طريقه الى الرباط صرح امس فلان الفلاني في مطار بغداد ٠٠ فعلى الرغم من ان صائغ العبارة قد قدم الجار والمجرور من دون ان ينظر الى جانب بلاغي او بياني ، ولا يوضح قصدا الا بعد مضي جملة من الالفاظ والكلمات ، ربط المجرور بضمير الغيبة ، وهو عائد على متأخر يلي الفعل ، والذى يعرفه التعبير العربي الفصيح ، او يجيزه في الاقل ان يكون الضمير عائدا على متقدم رتبة ، فيقال :«صرح فلان في طريقه» على ان العربية قد أجازت لك ان تقول : صرح في طريقه فلان بتقديم الضمير ، وان كان يعود على فلان وهو متأخر لفظا ، ولكن رتبته التقديم لانه الفاعل ، وحق الفاعل ان يتقدم فنظر صائغ العبارة الى هذه الحالة ، ومنه قول الشاعر العربي(١) :

كما أتى ربه موسى على قدر

كما اجازوا ـ على قلة ـ ان يتقدم الضمير على المفعول ، ولكن من غير ان يتقدم الفعل ، كما في قول الشاعر(٢) :

جزى ربه عني عدى بن حاتم جزاء الكلاب العاويات وقد فعل

فهذا كله قد تسامحت به العربية ولكنها لم تخرج الى ماخرج به التعبير المحدث الذى كان من تأثير التعبيرات المترجمة من اللغات الاوربية ٠ ومن امثلة المترجمات ـ كذلك ـ قول الصحافة والاخبار والانباء ، مثل : «نشر الخبر من قبل جريدةتايمس» ٠ فقدبنى الفعل للمجهول ويعني ذلكان يكونالفاعل مجهولا

---

(١) شرح الرضي على الكافية ١/٧١ـ٧٢ ٠

(٢) نفسه ١/٧٢ ٠

ولكن ظاهر الكلام يدل على ان الفاعل هو (جريدة تايمس) والحق ان الفاعل مجهول ، لان التركيب الذى يحكم عليه بالخطأ او الاصابة هو : نشر الخبر فالخبر : لايكون الا نائبا عن الفاعل ، فهو - اذن - تعبير صحيح ، اما ملحقات العبارة فهي مكملات متعلقة بالفعل ، وليس فيها (فاعل) مطلقا ، وانما فيها جار ومجرور ومضاف ومضاف اليه ، وان كان يفهم منها ان (جريدة تايمس) هي الفاعل في المعنى وليس هذا الذى نقوله - هنا - الا تأويلا لايقره منطق العربية وهو بعد ذلك دخيل ، والحق أن تقول (نشرت جريدة تايمس الخبر ..) .

ومن الغرابة - ايضا - استعمال الكاف في غير موضعها نحو : الكتاب كمثقف مهم يجب ان يكون متقن التأليف فالكاف هنا ليست الا ترجمة حرفية لما اشتهر من الاستعمال في اللغات الاوربية AS الانكليزية COmo الفرنسية او الاسبانية .

ومن ذلك - ايضا - تكرار كلما في مثل : كلما حل الربيع كلما يتجدد النشاط . وصواب التعبير هو حذف : كلما الثانية .. وغير ذلك من التعبيرات الدخيلة على اصالة البيان العربي ، لست اريد ان احصيها ، ولكنها أشارات وددنا التنبيه عليها لما لها من خطورة على اللغة وقواعدها وشخصيتها المتميزة .

ثالثا - الاصوات

التغير الصوتي في اللغات يحدث بشكل بطيء وخلال زمان طويل من عمر اللغة ، تبعا لتطور الجهاز الصوتي البشرى وتأثير الاصوات اللغوية الاجنبية ، وغير ذلك من العوامل ، فلم تعرف المجتمعات العربية في تاريخها الطويل قلب القاف همزة - مثلا - الا في العصر المتأخر في مصر والشام في اللهجات الشعبية ، كما انها استعملت صوتا جديدا لم يكن عربيا - اصلا - وهو صوت الزاى المفخمة ، او صوت الظاء الممزوج بالزاى : ظلم زلم وظاهر زاهر وانما كان ذلك

بتأثير اللغة التركية ، اذ لم يستطع اللسان التركي ولا الفارسي ولا الهندي الاوربي نطق هذا الصوت العربي الاصيل ، فتحول في لسانهم الى زاى مضخمة فتأثر اللسان الشعبي المصرى والسورى واللبناني والفلسطيني بذلك ، واصبح يشكل ظاهرة واضحة في نطق الظاء ، بل تحول في بعض المفردات التي تدخل (الضاد) في بنيتها فنطقت ظاء مجموعة مع صوت الزاى ، فيقال في (ضابط) (زابط) و (مضبط) (مزبط ومزبوط)٠

ودخول الاصوات الجديدة على اللسان العربي الشعبي ميسور سهل ، لان اللسان العربي مطواع لتقبل مئات الاصوات من غير عسر او نبو ، وهذه ميزة يعترف بها كل الالسنيين فيالعالم ، مع الاحتفاظ بالاصوات السامية الاصيلة متوارثة بشكل ثابت منذ أقدم العصور حتى اليوم باللسان العربي السليم(١)٠

والمعروف ان العربي تعرض لجملة من الالسنة المختلفة في الجزيرة — ولا سيما اطرافها — وفي الاسلام ، فسمع صوت (الباء) صوت الـ (P) الارية وصوت الفاء (٢) (V) والكيم صوت الـ (G) في مثل ground والجيم المعطشة كل التعطيش الجامعة بين صوتي الجيم العربي والشين ، و (الجيم) الارية الذى يتضح صوتها في مثل : teacher , chair وهي التي يمكن استجلاء صوتها — ايضا — في الفارسية ، كما ترى في قول حافظ شيرازى :

زراهي جعد مشكي نه شى جه خون افتاد درد لها

فصوت (جه) الواردة في البيت ، هو الذى كثر وروده في لهجات المشارقة كالعراق ، والكويت ودول الخليج ، فيحولون الكافات للمؤنث او الداخلة في تركيب الكلمة الى (جيم) فيقولون :(جبير في كبير) وكلمة (نجر في نكر) و

---

(١) الـ V والـ P صوتان موجودان في العبرية السامية ، وربما كانا دخيلين لاحتكاك العبرية بلغات متعددة خلال تاريخها ٠

(٢) اللغات السامية : ١٣ ٠

(سمج في سمك) كما يقولون في مخاطبة الانثى : كتابج عندج ، فيما يقابل : كتابك عندك ، ومن تلك التحويلات تحويل صوت القاف الى (الكاف) في اكثر استعمالاتهم ، فيقولون : ابريك : كريب ، قعد : كعد ٠

ومن الطبيعي ان تكون بعض عوامل هذه التحولات اضافة الى ماتقدم ان بعض الشعوب التي نطقت بالعربية مختلفة البنى والاستعدادات والاجهزة النطقية ، كما ان بعضها قد يحدث نتيجة الاخطاء السمعية او من تفاعل الاصوات اللغوية وتناوبها ، او عوامل اخرى نفسية وجغرافية واجتماعية وادبية تفرض نوعا من التغييرات في بعض اصوات اللغة يكون اللسان الشعبي مضمارا ومرتعا خصبا تنمو وتستفحل فيه فتصبح مقوما من مقومات اللهجة ٠ وهذه التغييرات تحصل بشكل متدرج وبطيء كما اسلفنا ، ولا يمكن تبينه الا بالملاحظة الدقيقة كما تحدث بشكل تلقائي من غير ان يتدخل الانسان نفسه في تحديد الصوت المتحول اليه ، فهو يفرض وجوده بين الاصوات ويصبح طبيعيا كما لو كان صوتا اصيلا في اللغة ، لانعدام الرقابة وعوامل الضبط على اللسان الشعبي ٠

على ان هذا التحول والتبدل يحدث ـ غالبا ـ مقترنا بالزمان والمكان فقلب القاف غينا او العكس مقصور في المشرق على بعض عشائر العراق والسودان وعرب الخليج كالخفاجيين(١) والمشاهدة ، وهو واضح في بعض لهجات السودانيين فيقال في (قلم) : غلم ، وفي غنم : قنم ، في حين تحول القاف في مصر والشام الى الهمزة في مثل : قمر (أمر) وقلبي (البي) وفي صعيد مصر ـ واكثر اللهجات الشعبية العربية ، تحول هذا الصوت الى كاف ، كما مثلنا سابقا ٠

وتحول الكاف الى (جيم) عرفت في المشرق عند الخليجيين والعراقيين ، ولكنها بقيت على صوتها اللغوى الشديد المقلقل في اللهجات الشعبية العربية

---

(١) ولاسيما كرطاج منهم

الاخرى ، وتحول الثاء الى تاء والذال الى دال او التاء المهموسة الى الطاء المجهورة – في معظم الكلمات ان لم نقل كلها – في المغرب العربي من مثل (لديد) في لذيذ ، و (تم : في ثم) وتلاتة في ثلاثة ، وتعابين في ثعابين ، وتعدى نطاق اللسان العربي الشعبي الى المثقفين والمتعلمين ، فنطق به في الفصيح في نصوص اللغة قراءة وارتجالا .

والحق ان صوتي (الثاء) و (الذال) قد لقيا تغيرا واضحا وبنسب متفاوتة في جميع الاقطار الناطقة بالعربية ، فيمكننا ان نلاحظ ان شعوب المشرق قد اضطربت في الثاء فبعضها حوله الى سين ، ولا سيما الشعوب غير العربية ، وبعضها حوله الى تاء في جزء قليل من المفردات ، كالعراقيين في مثل : اتلاثةفي ثلاثة ، فقد ابدلوا الثاء الاولى الى تاء وابقوا الثانية على صوتها الاصلي ، وتحولت في الشمال الافريقي الى صوتين : (التاء) في بعض المفردات و (السين) في مفردات اخرى ، ففي مصر حل (السين) محلها في اكثر الاستعمال ، فيقولون : يحس بدل يحث ، وحديس بدل حديث ، ولكنهم قالوا تلاتة في ثلاثة ، وقرأ – مرة – رجل من المصلين – وانا حاضر – :(واما بنعمة ربك فحدس) .

ولقي (الذال و الضاد والظاء) هذه التغييرات في المجتمعات العربية – خصوصا –بتأثير الشعوب غير العربية التياحتكت بالمجتمع العربي ، فلصعوبة هذه الاصوات في السنة غير العرب تغيرت اصواتها الى مايناسب اجهزة النطق عندهم ، فقلبت الظاء زايا مفخمة ، والضاد دالا ، والثاء سينا ، ثم انتقلت هذه الاصوات الى المجتمعات العربية بالمخاطبة والاحتكاك وتعودها السماع ، فقالوا : دحك في : ضحك ، ودهب في : ذهب وغيرها مما ذكرناه من الامثلة .

والواقع ان بعض هذه التبدلات ليست وليدة العصور التركية ، وانما يعود بعضها الى لهجة المجتمعات العباسية ، فلقد نقل الزمخشرى عن اهل

بغداد انهم يقلبون في بعض كلامهم الذال دالا فيقولون في (ذقن) دقن(١) ، ويبدو ان هذا التبدل الصوتي لم يمكث طويلا في بغداد فرحل عنها الى الشام ومصر ، وهناك لقي تبدلا اخر جديدا ، كتحوله الى صوت الزاى الصفيري في لزة ، زنب: بدل : لذة ، ذنب ، او الى الدال كما في دهب ودياب ودقن ٠

ومن التغييرات الصوتية التاريخية ، تحول (الضاد) الى (ظاء) في لهجة اهل العراق وبعض الخليجيين ، بحيث لايجد السامع تمييزا بين (ضرب وظلم) ويبدو ان بداية هذه الالتباس بين الصوتين هو اواخر المئة الاولى الهجرية ، أذ ينقل لنا اللغويون عن اعرابي يسوق فرسه ولا يمتطيه فلما سئل قال : ان فرسي ضالع — بالضاد — فقيل له : قل : ظالع من الظلع وهو الاعوجاج ، فهذا وغيره قد كان له بوادر في المجتمع العربي الجديد ، ولعله قد وجد طريقه الى المجتمع الشرقي ، ولاسيما العراق ، فاستقر في اللسان حتى اليوم ٠ في حين يميز معظم العامة في المجتمعات العربية بين هذين الصوتين : الضاد الشجرى الاسناني اللثوى المجهور المفخم الشديد والظاء الرخو المجهور المفخم الاسناني (٢)

ومما توارثته الاجيال العربية كذلك صوتا (الكيم والكاف) فعلى الرغم من انهما ليسا من الاصوات السامية ، الا ان روايات اللغويين من العرب لم تخل من نصوص على ندرتها — ، تدل على وجودهما في بعض لهجات العرب في الجزيرة ، فقد روى ابن دريد(٣) وغيره ان بعض العرب تقول : كاتله الله ، وتقول في الجمل : الكمل ، وقد روى في ابدال القاف كافا قول الشاعر :

ولا اكول لكدر الكوم كد نضجت ولا اكول لباب الدار مكفول

واحتفظت بعض اللهجات العربية المعاصرة بهذين الصوتين ، فابدال الجيم كيما

---

(١) اساس البلاغة (ذقن) ٠ وقد تقدم ٠
(٢) المعاجم اللغوية : د٠ ابو الفرج ٦٩ ٠
(٣) مقدمة الجمهرة : ابن دريد ج ١ ٠

هو لهجة عامة المصريين الا الصعيديين ، ويحتفظ المغرب والعراق ببعض مظاهر هذا التبدل في مفردات معدودة ، ففي المغرب يقال : أكلس ، اى : اجلس ، بني كرير ، اى بني جرير ، وفي العراق يقال : خبز ملهوك ، اى : ملهوج غير ناضج ، ومكدى ، اى : مجدى : وهو الفقير السائل ، ونكاسه ، اى : نجاسه ، ومشتقاتها مثل : نكس وانكس ونكس ٠ ولم يسلم صوت الجيم من تبدلات اخرى فتتحول عند الشاميين السوريين واللبنانيين الى صوت قريب من الشين : شمال في جمال ، ويشتهد في يجتهد ٠ والذى نخلص اليه من هذا العرض الموجز عن امثلة التبدلات في اللهجات العربية ، انها لم تكن واحدة في كل الاقطار ، بل هي مختلفة وبنسب متفاوتة تبعا للظروف التي يعيشها القطر ، والعوامل المساعدة على مثل هذه التبدلات ، في حين بقى اللسان العربي الملتزم قادرا على تأدية الاصوات الثابتة في العربية بتواصل وثبات بحكم وجود القرآن الكريم ، وبخصوص اللغة الاخرى والعلوم المتصلة بذلك ، كعلم التجويد والقراءات والنحو والصرف والمعجمات وكتب الدراسات الادبية والبلاغة وتوارث الاجيال الزمني والمكاني المتصل ابا عن جد ، وقد كان العربي حريصا على نطق اصوات لغته كما تستدعيها قوانين اللسان العربي ، فاذا عن له صوت غريب نحا به الى صوت قريب من اصوات لغته ، يقول ابن دريد(١) في العربي اذا تكلف نطق صوت الباء P : اذا اضطرت العرب الى نطقها ، قالت : في بور فور بين الفاء والباء ، ويعني ذلك شدة تمسكهم بالصوت العربي ومحاولة الثبات عليه ، اذ هم ــ هنا ــ لم يخرجوا في تصويت هذا الحرف من احرف الشفة : الباء والفاء والميم ٠

وهذه الظاهرة اعني الثبات في اللسان على الاصوات الموروثة ، ثم القدرة على نطق غيرها ، هي ميزة ــ كما سبقت الاشارة فريدة يفتقر اليها اللسان

---

(١) الجمهرة : ٤/١ والصاحبي : ١٥

الارى والطوراني ، - مثلا- ولقد رصد هذه الظاهرة بعض اللسانيين من العرب ، فرأى انه : اذ تعرب الجليقي ابدل من العين والحاء ، هاء ، فيقول (مهمد) اذا اراد ان يقول (محمد)(١) وليس اللسان العربي الملتزم كذلك ٠

رابعا - في الدلالات

تتغير الدلالات تغيرا واضحا زمنيا ومكانيا ، فاللفظ الواحد ينشأ في بيئة يعبر عن حقيقة وضع لها ، وتبقى هذه الحقيقة ملازمة له عبر زمن طويل من حياته ، ولكن اللفظ كأى كائن حي يتأثر بالظروف والبيئات ، فينمو ويتحول الى صور من التكيف الدلالي المناسب ، لكل ظرف فيبتعد عن حقيقته في بعض الاحيان ، ويحتمل معاني مجازية ، او يتغير معناه قليلا عن اصل وضعه ، فيحدث من ذلك التغير ما يعرف بالمشترك اللفظي والتضاد والترادف عند أتفاق دلالة اللفظ مع دلالة لفظ اخر او مخالفته او اعطائه اكثر من دلالة ، وتعدد معنى اللفظ الواحد بين الاصل الطبيعي للفظ ومعانيه الجديدة المكتسبة كان مدار بحث اللغويين القدماء منذ زمن الاغريق حتى اليوم ، فقد طرح الافريق اسسا لتعديل تجاوز معنى الكلمة العام لمعناها الحقيقي او الأصلي ، ومن هذه الاسس (الاستعارة) المبنية على الصلة الطبيعية بين المشار الاساسي والمشار الثانوى اللذين تستعمل لها الكلمة(٢) ٠ فكلمة (عين) تستعمل لاكثر من معنى واحد حقيقي وسائر المعاني مجازية ، كعين النهر وعين البئر وعين الميزان وعين الشمس ٠٠٠الخ ، وكذا مثل لفظة ساق : ساق الانسان ، ساق الشجرة ، ومثل رأس : رأس الانسان ، رأس الحيوان ، رأس الامر ، رأس الموضوع ، رأس القلم ، رأس الشارع ٠٠٠ وهكذا ٠

وتحمل لفظة (الادب) في تطورها الدلالي جملة من التحولات من معناها

---

(١) الاحكام في اصول الاحكام : ابن حزم : ١/ ٣٠

(٢) مقدمة في علم اللغة النظري لاينز : فصل ٩:

الحقيقي الى المعاني الثانوية التي اكتسبتها خلال تاريخ طويل يجمع بين مائدة الطعام وادابها والسلوك الحسن والتربية والتهذيب ، ثم الثقافة العامة ،فمعنى (ادب) الضيق المحصور في الجانب الفني والجمالي مـن النشاطات الانسانية كالشعر والمسرح والقصة والمقالة والترجمة والنقد • لقد ارتبط هذا التغير الدلالي بالتحولات الاجتماعية والحضارية التي شهدها الفرد الناطق بهذه اللغة في المكان والزمان ، ومن ثـم كان لابـد لمثل هـذه التغيرات ان تترك اثرا في اللسان العربي في مجتمعاته التاريخية والاقليمية •

ولقد حاولت كتب (لحن العامة) والتصحيح اللغوى وكتب التنبيهات على الاخطاء التعبيرية والدلالية ان تترصد هـذه التغيرات في اللســان الشعبي ، وتسجل لنا ظواهر كثيرة مما غيرته العامة فاخطات في دلالته ، وغيرته الــى مايناسب ذوقها او حياتها الخاصة والعامة • فمـن ذلـك ماشـاع في استعمال المغاربة – اليوم – عند نزول المطر قولهم • نزل اليوم شتاء كثير وليس هـذا التغير الدلالي حديث عهد بالمغرب ، بل هو امتداد لما يزيد على الف عام مـن لهجات الناس في الاندلس والمغرب •

يقول الزبيدى(١) : ويقولون : نزل اليوم شتاء كثير ، يعنون المطر ، وهو يوم شات • قال محمد : والشتاء فصل من فصول السنة ، كالربيع والصيف وليس بواقع على المطر •••الخ والحق ان اطلاق لفظ الشتاء على المطر من باب اطلاق الكل على الجزء ، وذلك ان المطر لازم من لوازم الشتاء ، كما ان البرد لازم من لوازمه ••• ومن الشائع في كلام العوام – اليوم – وهو – ايضا– من الخطأ الدلالي المتوارث قولهم : فـلان يستأهل ماحصل لـه ، فيستعملون (استاهل) في غير معناها ، لان دلالتها الحقيقية هي اتخذ الاهالة وهي مايؤتدم

---

(١) لحن العوام : ابو بكر الزبيدى : اللحن رقم ٢٢١ •

به من السمن او الزيت ، ولكن الذى يبدو ان تطور معنى (استأهل) قديم ، وقد أشار الاصمعي وابن قتيبة والمازني والسجستاني والازهرى الى خطأ استعمال (استاهل) بمعنى استوجب او استحق ، ونبه الحريرى (٥١٦ هـ) في (درة الخواص)(١) الى صحة الاستعمال ، فقال : ويقولون : فلان يستاهل الاكرام ، وهو مستأهل للانعام ، ولم تسمع هاتان اللفظتان في كلام العرب ولا صوبهما احد من اعلام الادب ، ووجه الكلام ان يقال : فلان يستحق التكرمة وهو اهل للمكرمة ثم اشار الى معنى اتخاذ الاهالة في حقيقة المدلول بشاهد سرده لذلك المعنى ٠

وتضيق معاني المفردات والتراكيب عندما يتعلق كل شعب بمعنى محلي او اجتماعي خاص ،ويبدو ذلك واضحا في كثير من الاستعمالات الشائعة في عالمنا المعاصر ، فالمغربي يسعد ان تلقاه بوجه طليق تساله عن صحته وصحة العائلة والاطفال بـ (لابأس) التحية المعهودة على كل لسان ، ولكن هذا الاستعمال يفقد دلالته تماما حين يستخدمه المشرقي بمعنى : مقبول ، او متوسط الجودة ،وعندما تسمع الخليجي او المصرى يستعمله في معنى الدعاء بالصحة والعافية لمريضه بلا بأس ، اى لاشدة ولا جهد عليك ٠٠٠ وقد يتعدى الاختلاف في البعض الى الضد، فالعافية في استعمال المغربي هي النار ، وهي في المشرق : الصحة والسلامة ، ومثلما تشترك المفردات وتختلف المعاني ، وتتضاد في بعض الاحيان ، نجد اختلافا في الابنية والصيغ والكلمات لمعنى واحد ، ولعل اللساني - اليوم - سيجد الكثير في هذا الجنس من الاختلافات ، يقول المغربي : هذا ديالك ويعني: هذا لك ومالك او يعود لك ٠ وبهذا المعنى يجيء كلام السعودى واليماني واكثر شعب الجزيرة حين يقولون حكك اى حقك ٠ وكلام الشاميين : هذا (تبعك) وكلام المصريين : (بتاعك) ٠ ولكن العراقي يستخدم في هذا المعنى لفظه (مال) فيقول : الكتاب مالك ومال زيد ٠

---

(١) درة الغواص : ١١ ، ط لايبرج ٠

فتعدد المفردات والابنية ولكنها تلتقي في دلالة واحدة معروفة ، واللساني المختص لايجد عسرا في تفسير اصل هذه البنية او تلك ، فانه يسهل عليه ان يعرف ان (ديالك - مثلا جاءت من اصلين ، هما : ذى او ذا) او (لك) وقلبت الذال دالا في لهجة اهل المغرب العربي ، فاصبحت : (دالك) او (ديلك) ثم حصل لها تطور صوتي - كما يحصل لاكثر كلام العوام - فتحولت الى (ديالك). ومن هذا النمط من التغيرات التي تحصل في الابنية قول اهل المغرب : (والو) بمعنى : ابدا ، أو غير واقع ، او غير موجود ، او ما حصل ،ويمكنك ان تجد في كلام الشرقي مايقرب منه ، ولكنه لم يكن لهجة عامة شائعة ، فاذا قلت للشامي او العراقي - مثلا - اذا اعطيتك جائزة ثمينة فهل ستصحبني في سفرى ؟ فاذا كان غير راغب قال : ولو ، ويريد : لااصحبك ولو أعطيتني جائزة . فاستعاض عن التركيب كله بـ (ولو) في الجواب ، وهو في لهجة اللبناني يعني : حاضر ومستعد لما تطلب ، مثل (تكرم) وهو على ضد معناه المغربي ، ولعل هذه اللفظة هي التي اصبحت في المغرب العربي لهجة عامة مع ماحصل لها من تطور صوتي ، وهو مد الفتحة على الواو وضم اللام ، لتجانس حركتها الواو الثانية (والو) .

ولست اريد - ثمة استقصاء هذه الصور اللهجية الخلافية بين المجتمعات العربية العصرية لانها كثيرة لاتحصى ، ولكنني اوردت بعضها لاشير الى نوعية الخلاف وكيفيته وهي اختلافات ينبغي ان تحصل ، لانها تتساوق وناموس النمو اللغوى وتطوره في المجتمعات البشرية ، وعوامله كثيرة ، منها : بيئية ونفسية ، ومنها جغرافية وممنها تاريخية ويرجع بعضها الى اللغة نفسها ، وبعضها الاخر الى المتكلمين بها ، والى تأثيرات خارجية ، او الى تغيرات اجتماعية ذاتية او ظروف متغيرة غير مستقرة ، فيؤثر كل ذلك في لغة المجتمع العامة ، وتنعكس هذه الاثار على التعبير والدلالات والالفاظ ، ومن - هنا - وجد الالسنيون الاوربيون مثل سوسير وهومبولت وورف وغيرهم : ان اللغة في كل لحظة تمثل

تنظيما جديدا لمعطيات التجربة ٠ وانما تنقل اى نظرة الى العالم وانها مؤشر حكم على مستعمليه أن يروا العالم من خلاله(١) ٠

ولعل رأيهم في كون اللغة بنت اللحظة لايتعدى صورة التعبير الانية التي تعطيها التجربة الفردية في موقف نفسي معين ، فمن الطبيعي أن يكون قولك شكرا ـ مثلا ـ في لحظة توجيه شكر لمن خدمك بشيء او اكرمك او نفعك بفائدة ما ، ولكنك حين تقول : شكرا لمن اذاك ، او قدم لك نصحا وانت لاتريده ، او اسمعك كلمة نابية ، فان لفظ (شكرا) يتحول في هذا الموقف الى ضده ، بما يحمل من معاني السخرية او الاستهزاء او التوبيخ ٠ والا فان للغة ثوابت ومتغيرات تفرضها ظروف معينة مصاحبة ، وفي كلام مونان مايؤكد ارتباط اللغة بالمجتمع والتعبير عن واقعة بشكل واضح ، حين نقل لنا سبب تميز (المعجم العربي) بمفردات خاصة تمثل الممارسات الاجتماعية العربية ، يقول : اذا كان للمعجم العربي عدة مئات من الالفاظ لتمييز انواع الجمال بما نعجب له ولا نفهمه ، في حين نتصرف نحن في جمل CHAMEAU وناقة GHAMELLE فقط وأحيانا قعود ٠ CHAMELON فلان الجمل كان محور الممارسة الاجتماعية في الحضارة العربية(٢) ٠

والحق ان اية لغة لابد لها من خصائصها وصفاتها المميزة التي تكتسبها بحسب تاريخها وظروفها ، وليست العربية بمناى عن هذا القانون تحتكم اليه اللغات جميعها فقد خرجت العربية من الجزيرة وهي تحمل معها خصائص وصفات خاصة ، تتمثل في الاعراب والحركة وكثرة الظواهر الدلالية كالترادف والتضاد والاشتراك ، واللهجات القبلية المتعددة التي تحمل بعض المظاهر اللغوية الخاصة ، على ان ذلك كله كان يحكمه قانون لغوى واحد هو القواعد

---

(١) مفاتيح الالسنية : مونان ٧١ ٠

(٢) نفسه ٧٢ ٠

المشتركة التي يستنبطها الدارسون من لغة القرآن الكريم والشعر العربي وحديث النبي ـ ص ـ واقوال الفصحاء والبلغاء والامثال الفصيحة ، وبقي القرآن الكريم يمثل الصورة الواضحة عن البيان العربي الناصع واللسان الفصيح تسايره في هذه المهمة سائر النصوص المسموعة والمروية والمدونة في كتب التراث العربي المجيد .

وحين انتشرت العربية بانتشار اهلها في الارض حصل لها ما اخرج منها لهجات متمايزة بمظاهر لغوية مختلفة ، حتى ابتعد بعض هذه اللهجات عن بعضها الاخر بشكل غريب ، مما ادى الى تعذر فهم بعض العرب لبعض ، فعلى الرغم من الالتقاء بين لهجتي المغربي والعراقي في الكثير من المفردات والاستعمالات اليومية ، الا ان ثمة تباينا بعيدا بين اللهجة الدارجة العراقية والمغربية ، ولن يفهم المغربي عراقيا اذا حدثه باللهجة الشعبية البغدادية ، فضلا عن صعوبة فهم اللهجة البصرية او الموصلية من بين اللهجات العراقية المحلية الاخرى ، وتزداد شقة الخلاف بين اللهجات العربية اذا اخذنا بعين الاعتبار الاختلاف اللهجي في القطر الواحد ، فصعيد مصر ـ مثلا ـ يختلف عن شمال مصر ، وجنوب السودان يختلف عن شماله ، وابن الدار البيضاء والرباط يختلف عن ابن القبائل الصحراوية والجنوبية في اللهجة الدارجة ، ولعل السبب في هذا كله يرجع الى : سعة الرقعة التي انتشرت فيها العربية بعد خروجها من الجزيرة ، فقد التحمت في صراعات لغوية ولهجات سامية وارية كثيرة ، كالارامية في العراق والشام ، واللهجات الحامية في افريقيا ، والفارسية والتركية في اسيا .

كما يرجع الى عوامل جغرافية وبيئية ، فقد اختلفت البلدان التي سكنها المتكلمون بالعربية في طبائعها واجوائها وتركيبها الجيولوجي ، مما يؤثر ذلك في طبيعة الشعب وحياته ، ثم في اللغة المعبرة عن ذلك .

ويرجع بعض الاسباب الى ان العربية دخلت بانتشار الدين الى شعوب

غير عربية وقد اثر لسان هـذه الشعوب في النطـق ومخارج الاصوات وتغير الدلالات ، مما كون لهجة تتناسب والمجتمع المتحدث بها ، كما اثرت طبيعة هذه المجتمعات بما لها من صفات اجتماعية واعراف وتقاليد ونظم خاصة في اللغـة وسيلة التعبير والابلاغ .

يضاف الى ذلك التطور الذى يصيب اعضاء النطق في الانسان في فترات من الزمن متباعدة(١) ، فلعلنا اليوم نلاحظ التغير الواضح في اللسان والتعبير بين جيلنا المعاصر والجيل الذى سبقنا بعشرات السنين ـ على الاقل في الاستعدادات والقابليات اللغوية ـ فكيف اذا مرت على جيلنا المعاصر مئات السنين ، ان هذه العوامل وغيرها كفيلة بخلق مايعرف باللهجات الشعبية المختلفة التي تميل ـ عادة ـ الى التخفيف وعدم الاكتراث بالالتزامات اللغوية ، كالحركة والاعراب والتقديم والتأخير والثبات على الاصوات الفصيحة ، فيهملون كـل ذلـك ، ويتكلمون بما لايحملهم جهدا او طاقة في اللسان والتعبير ، وبذلك اشتركت العاميات في :

أ ـ ترك ظاهرة الاعراب كليا ، الا في بعض المفردات التي تأتي عرضا في اللسان من غير قصد بمثل : يكتبون ، يدرسون تدرسون .

ب ـ الاحتفاظ بالكثير مـن المفـردات والصيغ العربية الاصيلة المستعملة في اللسان العربي المبين .

ج ـ الميل الى التراكيب البسيطة غير المعقدة والحركة الميسورة .

ولقد قامت محاولات جادة في الكثير من الاقطار العربية للرجوع الـى اللغة السليمة ، والحرف العربي والتعريب ، بعد ان وجد المخلصون من ابناء هذه البلدان خطورة هذا التمزق في اللسان واثاره على وحدة المجتمع واصوله

---

(١) هكذا يرى الدكتور علي عبد الواحد وافي في فقه اللغة .

وتراثه الحضارى والثقافي ، وبعد ان احسوا بخطورة مايحاك من مؤامرات قاتلة في سبيل دحر العربية الفصيحة ، واغتيال الحرف العربي • فقد كان هناك اناس دفعتهم احقادهم التاريخية – وربما الدينية والطائفية – الى الدعوة لاشاعة العامية وجعلها لغة الخطابة والادب والفن والتاليف ، كما فعل سعيد عقل الماروني في لبنان ، وكما دعا عبد الحميد يونس في مصر الى تنمية الادب الشعبي واللسان الشعبي ، والكتابة بالعاميات ، واستبدلت بعض الدول التي كانت تستخدم الحرف العربي حرفا لاتينيا به ، الى غير ذلك من الدعوات الهدامة والصرخات الباطلة •

والحق ان الوعي اللغوى الذى امتد اثره الى اكثر بلدان العالم العربي قد وقف درعا حصينا دون اتساع رقعة مثل هذه الصيحات ، مما جعلها تنتحر فوق ارضها وتموت وهي في مهدها • والسبب الكبير الذى يكمن وراء هذا الانحدار أن اللغة العربية مرتبطة ارتباطا جذريا بالدين ، وان القرآن الكريم يمثل الصورة الكاملة للفصاحة العربية والبيان الناصع ، وانه متداول مسموع في كل ان وحين ، مقروء في معاهد الدرس والتعليم ، متلو في البيوت والمساجد مقرون بصلوات المصلين ، مرجوع اليه في الاحكام الشرعية والقضائية والقانونية محتاج اليه في المقارنات بين احكام السماء واحكام الارض الوضعية ، فهو موصول دائما بالناس والمتكلمين بالضاد ، مما جعل الاحتكام في اللغة يرجع اليه دائما • فنحن نحس بالتقدم اللغوى عندما يرتقي المتكلم بمستواه اللغوى الى شيء من اساليب الفصاحة العربية ، وسلامة التعبير بالقياس الى فصاحة القرآن وبيانه ، ونصم المخطيء في التعبير بالجهل والضحالة والضعف عندما نحس بابتعاده عن مستوى التعبير الفصاحي او السليم بالقياس اليه كذلك •

لذا فان تحسن المستوى اللغوى في اقطار الوطن العربي لايعود الى مدى التقدم الاجتماعي والحضارى والتقني ، بقدر مايعود الى ارتباط الشعب بأصاله

واحترام تقاليد امته ومبادئها ، واعتزازه بالتراث العقلي والفكرى والعقدى للامة ، وهذه ملاحظة ينبغي الاعتقاد بها والانطواء عليها ، اذ ان احترام التقاليد والاعراف والتمسك بالاصالة والتراث ، واعتزاز بمعتقدات الامة يمنع من ان نتزود بكل معطيات الحضارة الجديدة ، ونتزود بالنافع منها ٠

ان السماح للغة ان تسير الى الضعف والتهاون امام اللسان وهو ينحدر الى هاوية العاميات ورداءة التعبير ، له خطر كبير ، ليس على اللغة ــ وحدها بل على شخصية الامة التي ننتمي اليها ونعتز بتاريخها الحافل بكل المعطيات الخيرة للبشرية ٠

وتتركز خطورة استفحال العاميات في :

١ ــ توسيع شقة الخلاف بين ابناء الاقطار العربية لتعذر التفاهم والتخاطب بلهجاتهم المختلفة ٠

٢ ــ حصول ازدواجية في اللغة الواحدة ، بين اداة تستخدم فيها كل القواعد والاساليب الدقيقة المحكمة ، ويكون مضمارها الادب والتأليف والتعليم العالي ، واداة لاتستخدم فيها القواعد ولا الضوابط ، ويكون مضمارها الحديث اليومي ، وفرق كبير بين الالتزام وعدمه ، بل ان الذى لايعرف الا لغة الحديث اليومي ، لايمكنه ان يفهم اللغة الفصيحة المكتوبة او المقرؤة ٠ وهذا ــ ايضا ــ باب من أبواب التمايز في المجتمع الواحد سببه اللغة ٠

٣ ــ ان شيوع العامية ، وضعف المستوى اللغوى الفصاحي يقطع الصلة بين النص العربي القديم الذى وصل الينا في كتب التراث والتاريخ في جميع الفنون والمعارف والعلوم والاداب ، وبين قراءته وفهمه على الوجه الصحيح ، ولذلك نجد الكثيرين من مثقفي عصرنا يبدون تذمرا من

صعوبة فهم النص العربي القديم ، فضلا عن انصاف المثقفين والجهلة ، واذا تعذر فهم النص العربي ، تعذر ان نجد في المستقبل من يتثقف باداب الامة وبتراثها الحضارى والعلمي ٠

٤ ـ ان العامية لغة فقيرة في مفرداتها ، لانهـا تستعمل ـ عـادة ـ مفردات الحديث اليومي كما ان تراكيبها او هياكلها مضطربة ، فهي لاتستطيع ان تفي بالافكار الدقيقة ، ولا تستطيع التعبير عـن المعانـي المتنوعة في مختلف مجالات الحياة ، ولذلك نضطر ـ احيانا ـ عند الحديث عـن الافكـار المسلسلة او الحقائـق العلمية ، او مناقشة موضوعات عقليـة منظمة ، ان نستخدم اللغة الفصيحة ، لانها الاقوى قدرة على التعبير ، والاكثر وفاء بالمطلوب ، فاذا تراجعت الفصيحة وحلت محلها العامية ، تخلفت الامة في تفكيرها وثقافاتها وعقليتها ٠

ويبدو لنا اهمية الفصيحة ـ الان ـ مانلمسه عند ابناء المغرب في تحدثهم الى العراقي او المصرى فانهم ـ اذا تعذر عليهم افهامه باللهجة المغربية ـ سرعان مايتحولون الى اللغة الفصيحة يوصلون اليه بها مايريدون من معلومات ٠

اننا لاندعو الى احلال اللغة الفصيحة محل العاميات ، لان هذا يكاد يكون مستحيلا ، ولكننا نريد ان نقول : ان على المجامع اللغوية والادارات المسؤولةفي التعليم والبرامـج الثقافية والعلمية ، والاعلام ووكالات الانباء والاخبار في العالم العربي ان تحاول جهد المستطاع الارتقاء بلغتها الى اللغة السليمة في الاقل خدمة للامة ٠

نص في المعرب والتعريب

نقل السيوطي في المزهر(١) :

النوع التاسع عشر : معرفة المعرب

تعريفـــه :

هو ماأستعملته العرب من الالفاظ الموضوعة لمعان في غير لغتها ·

قال الجوهرى (في الصحاح)(٢) : تعريب الاسم الاعجمي : ان تتفوه العرب على منهاجها يقول : عربته العرب ، واعربته – ايضا – ·

اللغات الاجنبية في القرآن

وقال ابو عبيد القاسم بن سلام(٣) : اما لغات العجم في القرآن ، فان الناس اختلفوا فيها ، فروى عن ابن عباس ومجاهد وابن جبير وعكرمة وعطاء وغيرهم من اهل العلم : انهم قالوا في احرف كثيرة : انها بلغات العجم ، منها قوله – تعالى – : طه ، واليم ، والطور ، والربانيون ، فيقال : انها بالسريانية والصراط ، والقسطاس ، والفردوس ، يقال انها بالرومية ، ومشكاة وكفلين ، يقال انها بالحبشية ، وهيت لك ، يقال انها بالحورانية · قال : فهذا قول اهل العلم ممن الفقهاء(٤) ·

---

(١) المزهر : السيوطي ١/١٣٠ فما بعد ·

(٢) مادة : عرب من الصحاح : باب الباء فصل العين ·

(٣) توفي سنة ٢٢٤ هـ ·

(٤) هذا رأى ابي عبيد الهروى في الاعجمي الوارد في القرآن ، وهو يرى انه باق على اعجميته وان أستعمله اللسان العربي ، غير انه يرى – كذلك – لو ان احدا يذهب الى انه ماورد في كلام العرب من الاعجمي عربي لانه عرب بالسنتها ، فهو كلام صحيح ، كما سنرى بعد قليل وهذا المذهب مخالف لكلام ابي عبيدة معمر بن المثنى (٢١٣ هـ) الذى يرى عربيته الدائمة ·

قال : وزعم اهل العربية ، ان القرآن ليس فيه من كلام العجم شيء ، لقوله ـ تعالى ـ (قرآنا عربيا) وقوله : (بلسان عربي مبين) ٠

قال ابو عبيد ، والصواب عندي مذهب تصديق القولين جميعا ، وذلك ان هذه الحروف اصولها اعجمية كما قال الفقهاء ، الا انها سقطت الى العرب ، فاعربتها بألسنتها وحولتها عن الفاظ العجم الى الفاظها ، فصارت عربية ، ثم نزل القرآن ، وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب ٠ فمن قال : انها عربية فهو صادق ، ومن قال : عجمية : فهو صادق ٠

وذكر الجواليقي مثله (في المعرب) وقال : فهي عجمية باعتبار الاصل ، عربية ، باعتبار الحال ٠

المعرب او الدخيل

ويطلق على المعرب : دخيل ، وكثيرا مايقع ذلك في كتاب العين والجمهرة وغيرهما ٠

انواع المعرب في كلام العرب

قال ابو حيان في الارتشاف : على ثلاثة اقسام :

ـ قسم غيرته العرب والحقته بكلامها ، فحكم ابنيته في اعتبار الاصلي والزائد والوزن حكم ابنية الاسماء العربية الوضع ، نحو : درهم وبهرج ٠

ـ وقسم غيرته ولم تلحقه بابنية كلامها ، فلا يعتبر فيه مايعتبر في القسم الذى قبله ، نحو : اجر وسنسبر ٠

ـ وقسم تركوه غير مغير ٠

فما لم يلحقوه بابنية كلامهم ، لم يعد منها ٠

وما الحقوه بها عد منها ٠

مثال الاول : خراسان لايثبت به فعالان ، ومثال الثاني : خرم ، الحق بسلم – أي بتشديد اللام – وكركم ، الحق بقمقم أي – بضم القافين – .

كيف يعرف المعرب والاعجمي ؟

تعرف عجمة الاسم بوجوه :

أحدها : النقل ، بان ينقل ذلك احد الائمة .

الثاني : خروجه عن اوزان الاسماء العربية ، نحو : ابريسم ، فان مثل هذا الوزن مفقود في ابنية الاسماء في اللسان العربي .

الثالث : أن يكون اوله نون ثم راء ، نحو : نرجس(١) فان ذلك لايكون في كلمة عربية .

الرابع : أن يكون اخره زاى بعد دال ، نحو : مهندز ، فان ذلك لايكون في كلمة عربية .

الخامس : ان يجتمع فيه الصاد والجيم ، نحو : الصولجان ، والجص و (الاجاص) .

السادس : ان يجتمع فيه الجيم والقاف ، نحو المنجنيق .

السابع : ان يكون خماسيا او رباعيا عاريا عن حروف الذلاقة(٢) ، وهي الباء

---

(١) يعني اصليتين في بناء الكلمة ، وقد ورد في بعض الاعلام السامية اجتماعهما مثل : نرام سين وفي اللغات الاخرى كثير ، نحو : نروج ، نرمين ، نرد ... الخ .

(٢) عبر عن الاحرف الستة بمصطلح (الذلاقة) والاصوب اطلاق صفة (المذلقة) وهما مجموعتان (ف ب م) شفوية (ر ل ن) اصوات الذلاقة ، كما هو مشار اليه في موضعه .

والفاء واللام والميم والنون فانه متى كان عربيا ، فلا بد ان يكون فيه شيء منها نحو : سفرجل ، وقذعمل ، وقرطعب وجحمرش ، فهذا ماجمعه ابو حيان في شرح التسهيل (١)

- وقال الفارابي (في ديوان الادب) : الجيم والقاف لايجتمعان في كلمة واحدة في كلام العرب ، والجيم والتاء لاتجتمع في كلمة من غير حرف ذولقي ، ولهذا ليس : الجبت من محض العربية ٠

- ٠٠٠والجيم والطاء لايجتمعان في كلمة واحدة ، ولهذا كان : الطاجن والطجن مولدين لان ذلك لايكون في كلامهم الاصلي ٠

- ٠٠٠ لايوجد في كلام العرب دال بعدها ذال الا قليل ، ولذلك ابى البصريون أن يقولوا : بغداذ ، باهمال الدال الاولى ، واعجام الثانية ، فاما الداذى، ففارسي لاحجة فيه ٠

- ٠٠٠ حروف لاتتكلم العرب بها الا ضرورة ، فاذا اضطروا اليها حولوها عند التكلم بها الى أقرب الحروف من مخارجها ، وذلك كالحرف الذى بين الباء والفاء ، مثل : بور ، اذا اضطروا قالوا : فور ٠ قال ابن فارس : وهذا صحيح ، لان : بور ليس من كلام العرب ، فلذلك يحتاج العربي عند تعريبه اياه ان يصيره فاء ٠

تعليق على نص المزهر

اللغات الحية تتقارض ، ويتأثر بعضها ببعض بطريق المجاورة والاحتكاك وتداخل اللغات ، وهذا التأثر والتأثير بين اللغات قانون اجتماعي لغوى مالوف٠

---

١) توجد نسخة من الارتشاف مخطوطة في مكتبة ابن يوسف في مراكش ،ونسخة من شرح التسهيل كذلك ٠

وفيما تقدم من النص الذى نقلناه من مزهر السيوطي دلالة واضحة على ان العربية كانت تتمتع بحرية تامة في الاخذ من اللغات الاخرى ، والتأثر بها كما كانت تتمتع بحرية واضحة في التصرف بما تاخذه من اللغات على وفق احكامها وقوانينها التركيبية والصوتية ٠

وقد لاحظ علماء العربية والمعنيون باللسان العربي صور الاخذ والتصرف ووضعوا له ضوابط وأحكاما يرصدون بها كيفية استفادة العربية من اللغات المجاورة والمحتكة ٠

ويبدو ان هذا التأثر باللغات الاخرى ليس حديث عهد ، وانما تمتد جذوره الى عمق بعيد في تاريخ العربية ، فقد نقل الشعر العربي على لسان امية بن ابي الصلت ، والاعشى وغيرهما الفاظا جمة دخلت الى شعرهم عن الفارسية ، كالدولاب والكعك والجلنار وشاهسفرم والياسمين ونرجس ، كما دخل عن الهندية مثل : الشطرنج والصندل والفلفل ، وعن اليونانية مثل : القنطار والترياق والقبان والفسطاس ٠

وحين نزل القرآن الكريم توفر على جملة كبيرة من المفردات التي نسبها اللسانيون الى لغات متعددة : كالرومية والفارسية والهندية والسريانية ، ولهجات الحامية : كالبربرية والمصرية القديمة ٠

وهنا يجدر بنا ان نشير الى مذهب ابي عبيدة في ماورد في القرآن من الدخيل ، فهو يرى ان من زعم ان فيه غير العربية فقد اعظم القول!(١) وهو مذهب خلاف ماذهب اليه أبو عبيد السابق ٠ ولقد كثر المعرب والدخيل في عصور الحضارة الاسلامية ، لتنوع اغراض المجتمع وحاجاته الحضارية والعلمية فكثرت المصطلحات العلمية(٢) كما كثرت المفردات الدخيلة والغريبة ، مما اضطر

---

(١) انظر الصاحبي ٢٩ ٠

(٢) المصطلحات العلمية : مصطفى الشهابي : ١٥ فما بعد ٠

علماء اللسان العربي الى رصد هذه الظاهرة اللغوية وتدوينها في كتب المعرب والدخيل ، وكان منهم من الزم نفسه الاشارة الى الدخيل فيما الف من معجمات اللغة او كتبها . غير اننا يمكننا ان نلاحظ مايأتي :

١ ـ ان كتب المعرب والدخيل تفتقر الى الدقة في التمييز بين اللغات التي تنسب اليها المفردات .

٢ ـ قد يكتفي علماء اللسان العربي بنسبة القول الى الغرابة والعجمة دون النسبة الى لغة معينة .

٣ ـ لم يحاول علماء اللسان العربي استيفاء قواعد التعريب ومعرفة الدخيل في كتاب واحد ، ولذلك اختلفت اشاراتهم وتعددت ، وان كانت جميعها تجرى في مجرى واحد من الصحة في تحديد الضوابط .

٤ ـ لم يعن علماء اللسان العربي بالاشتقاق واصوله لاتخاذه وسيلة في التمييز بين ماكان عربيا وما كان دخيلا .

٥ ـ لقد كان من الواضح ان الدخيل محصور في دخول مفردات غريبة الى العربية ، فتعترض سبيل اللسانيين اصوات غريبة ، او ابنية غريبة ، وبذلك يحاولون الميل بها الى مايوافق اللسان من الاصوات او الابنية ، وهذا الشان هو الذى رصده اللغويون واشاروا اليه غير ان هذا هو شأن علماء اللغة ، اما اللسان العامي ، فقد كان يأخذ من الغريب ، مايستطيع تداوله في لسانه من دون جهد عضلي في جهاز النطق ، ولذلك كثر الدخيل والمولد والمحدث في العربية الدارجة .

نص من كتاب فقه اللغة للثعالبي بعنوان :

(مايجرى مجرى الموازنة بين العربية والفارسية)(١) .

---

(١) فقه اللغة : ٣١٤ .

الفصل الاول

في سياق اسماء فارسيتها منسية وعربيتها محكية مستعملة :

ـ الكف : الساق ٠ الفراش ٠ الزاز ٠ الوزان ٠ الكيال ٠ المساح ٠ البياع ٠ الدلال ٠ الصراف ٠ البقال ٠ الجال ٠ الحمال ٠ الفصاد ٠ الخراط ٠ البيطار ٠ الرائض ٠ الطراز ٠ الخياط ٠ القزاز ٠ الامير ٠ الخليفة ٠ الوزير ٠ الحاجب ٠ القاضي ٠ صاحب الخبز ٠ الوكيل ٠ السقا ٠ الساقي الشراب ٠ الدخل ٠ الخرج ٠ الحلال ٠ الحرام ٠ البركة ٠ البركة(*) ٠ العدة ٠ الصواب ٠ الغلط ٠ الخطأ الوسوسة ٠ الحسد ٠ الكاد ٠ العارية النصيحة ٠ الفضيحة ٠ الصورة ٠ الطبيعة ٠ العادة ٠ المنجور ٠ المضرية ٠ اللحاف ٠ المخدة ٠ الفاضة ٠ القمرى ٠ الغالية ٠ الخلوق ٠ اللخلخة ٠ الحناء ٠ الجبة ٠ الجثة ٠ المقنعة ٠ الدراعة ٠ الازار ٠ الجد ٠ اللقلق ٠ الخط ٠ القلم ٠ المدار ٠ الكتاب ٠ الصندوق ٠ الحقة ٠ الربعة ٠ المقدمة السفط ٠ الخرج ٠ السفرة ٠ اللهو ٠ القمار ٠ الجفاء ٠ الوفاء ٠ الكرسي ٠ القنص ٠ المشجب ٠ الدواة ٠ المرفع ٠ القنينة ٠ الفتيلة ٠ الكلبتان ٠ القفل ٠ الحلقة ٠ المنقلة المجمرة ٠ المزراف ٠ الحربة ٠ الدبوس ٠ المنجنيق ٠ العرادة ٠ العلم ٠ الطبل ٠ اللواء الغاشية ٠ النصل ٠ القطرى ٠ الجل ٠ البرقع ٠ الشكال ٠ العنان ٠ الجنيبة الغداء ٠ الحلواء ٠ القطائف ٠ النطع ٠ العلم ٠ الطراز(٢) ٠٠

الفصل الثاني

ـ في اسماء عربية يتعذر وجود فارسية اكثرها ٠

الزكاة ٠ الحج ٠ المسلم ٠ المؤمن ٠ الكافر ٠ المنافق ٠ الحنث ٠ الخبيث ٠

(*) الاولى بفتح الباء والراء ، والثانية بكسر الباء وتسكين الراء ٠

القرآن · الاقامة · التيمم · المتعة · الطلاق · الظهار · الايلاء · القبلة· المحراب · المنارة · الجبت · الطاغوت · ابليس · السجين · الغسلين · الصريع · الزقوم · التسنيم · السلسبيل · هاروت · ماروت · يأجوج ومأجوج · منكر ونكير(٣) ·

الفصل الثالث

ــ اسماء قائمة في العرب والفرس على لفظ واحد ·

التنور · الخمير · الزمان · الدين · الكنز · الدينار · الدرهم(٤) ·

الفصل الرابع

ــ اسماء تفردت بها الفرس دون العرب ، اضطرت العرب الى تعريبها او تركتها كما هي ·

فمنها من الاواني

المسمور · السخاب · القاقم · الفنك · الدلق · الخز · الديباج · التاختج · الراحتج · السندس ·

ومن الجواهر

الياقوت · الفيروز · البجاد · البلور ·

ومن الوان الخبز

السميد · الدرمك · الجردق · الجرمازج · الكعك ·

من الوان الطبيخ

السكباج · النارباج · شواء المزيرباج · الاسبيذباج · الداجيراج · الطباهج · الجرذباج · الروذق · الهلام · الخاميز · الخوذاب · البزما ورداء · الزما ورد ·

من الحلاوى

الفالوذج · الجوزنج · اللوزينج · التفرينج · الراوينج

ومن الاثبجات وهي الاشربة

الجلاب · السكنجبين · الجلنجبين · الميبة ·

من الافاويه

الدارصيني · الفلفل · الكرويا · القرفة · الزنجبيل · الخولنجان ·

ومن الرياحين وما يناسبها

النرجس · البنفسج · النسرين · الخيرى · السوسن · المرزنجوش · الياسمين · الجلنار ·

ومن الطيب

المسك · العنبر · الكافور · الصندل · القرنفل ·

الفصل الخامس

ـ ما نسبه بعض الائمة الى اللغة الرومية :

الفردوس · البستان · القسطاس · الميزان · السجنجل · المراة · البطاقة : رقعة فيها رقم المتاع · القرطسون · القبان · الاسطرلاب : معروف · القسنطاس : حلابة الطيب · القطرى · القسطار · الجهبذ · الصطل · الغبار · القبرس : اجود النحاس · القنطار : اثنا عشر الف اوقية · البطريق : القائد ـ القراميد : الاجر : ويقال : بل هي الطوابيق واحدها قرميد · الترياق : دواء السموم · القنطرة معروفة · القيطون : البيت الشتوى الخيدقون والرسطون والاسفنط : اشربة على صفات · النقرس والقولنج : مرضان معروفان · سال علي شريحا مسالة ، فاجاب بالصواب ، فقال له : قالون ، اى اصبت بالرومية ·

شرح الهوامش

(١) فقه اللغة : ٣١٤ فما بعد ، وهذا الباب يقع في خمسة فصول :

٤ ـ الرصد اللغوي وحركة التصحيح

كانت السجية في النطق متمكنة من لسان العربي قبل مجيء الاسلام ٠ ولئن كانت اشارات ـ على قلتها ـ تثبت وجود بعض الانحراف في السنة البعض ، انما كان يقع في الشعر كما نقلوا لنا عن النابغة قوله :

زعم البوارح ان رحلتنا غدا ‏ ‏ ‏ ‏ وبذاك خبرنا الغراب الاسود

اذ وقع في هذا البيت (اقواء) وهو مجيء القافية ـ حرف الروى ـ مرفوعا ، وكان ينبغي ان ياتي به مجرورا جريا مع سائر ابيات القصيدة التي مطلعها :

أمن ال مية رائح ام مغتد ‏ ‏ ‏ ‏ عجلان ذا زاد وغير مزود

←

الفصل الاول : في اسماء فارسيتها ميتة وعربيتها محكية ٠
الفصل الثاني : في اسماء عربية لم يكن مثلها في الفارسية ٠
الفصل الثالث : في اسماء اتفقت فيها اللغتان ٠
الفصل الرابع : في اسماء اشتهرت بها الفرس فعربتها العرب ٠
الفصل الخامس : الفاظ منسوبة الى لغات اخرى ٠

(٢) الذى يبدو من عنوان الفصل ان هذه الاسماء لها علاقة باللغة الفارسية غير ان الحقيقة غير ذلك ، فلعل الثعالبي اراد ان لغة الفرس خلت من مثل هذه المفردات مع شيوع استعمالها في كلام العرب ، والا فان معظم هذه المفردات عربية الاصل والبناء والصيغة ٠

(٣) هذه الاسماء اختصت بها العربية لانها في الاصل كانت ذات دلالات حقيقية قبل الاسلام ، ولكنها تطورت دلالاتها فخرجت الى معان مجازية جديدة واصبحت كلمات اسلامية المدلول والغرض ٠ وهذا يدخل تحت موضوع تطور الدلالة ٠

(٤) ينبغي ملاحظة ان بعض هذه المفردات عربي الاصل وشاع استعماله في لغة الفرس وبعضها فارسي الاصل واستعمله العرب ٠

ان مثل هذه الحالات تعد من الشذوذ لندرتها .

ولقد بقيت هذه السجية متمكنة من لسان العرب حتى عصر صدر الرسالة ، يقول : « الزبيدى لم تزل العرب تنطق على سجيتها في صدر اسلامها وماضي جاهليتها ، حتى اظهر الله الاسلام على سائر الاديان ... واجتمعت فيه الالسنة المتفرقة واللغات المختلفة ، ففشا الفساد في اللغة العربية واستبان منها في الاعراب الذى هو حليها والموضح لمعانيها ، فتفطن لذلك من نافر بطباعه سوء افهام الناطقين من دخلاء الامم بغير المتعارف من كلام العرب ، فعظم الاتفاق من فشو ذلك وغلبته ، حتى دعاهم الحذر من ذهاب لغتهم وفساد كلامهم ، الى ان سببوا الاسباب في تقييدها ، لمن ضاعت عليه ، وتثقيفها لمن زاغت عنه(١) .

فالزبيدى - هنا ينسج على منوال من يرى ان الدراسات اللغوية العربية انما وجدت بسبب احتياج الامة الى ضبط لغتها ، وحفظ اللسان العربي خوفا من اللحن وفشو العجمة ، ولقد سبق لي ان استبعدت ان يكون الخوف من اللحن والعجمة وشيوع العامية سببا في وجود علم اللسان العربي المتضمن وضع قواعد اللغة والصرف والبلاغة والمعجم والرصد اللغوي ، بل كان ذلـك سببا في الاسراع وحث المسيرة العلمية التي انبثقت بانبثاق فجر الاسلام ، وانطلقت مع الدعوة الاسلامية ، تنتظم حياة الامة وتقيد علومها وتغني بتراثها الجديد الذى ولد مع ولادة الدين الجديد(٢) .

فهاهم صحابة الرسول - ص - لم يكونوا متماوتين ولا متحزقين ، كانوا .. في مجالسهم يتناشدون الاشعار ويتذاكرون امر جاهليتهم ، واذا اريد واحد منهم عن شيء من دينه ، دارت حماليق عينيه كأنه مجنون(٣) .

(١) طبقات النحويين : الزبيدى ١-٢ .

(٢) انظر كتابنا : مشكلات في التأليف اللغوى ، ط بغداد ١٩٨٠ .

(٣) الطبقات : ٧ - ٨ وانظر : النهاية ٢٢٣/١ . الفائق ٢٥٧/١ .

وكان الصحابة يطلبون من المسلمين ان يتعلموا القرآن واعرابه ولغته وفرائضه وسننه قال عمر ـ رض ـ : « تعلموا الفرائض والسنن واللحن ، كما تعلمون القرآن واراد باللحن : اللغة (١)

فهذا شعور متقدم في الزمن من عمر بن الخطاب ـ رضي ـ بالاهتمام باللغة في وقت لم تكن هناك اية خطورة تذكر على ضعف اللغة او فشو اللحن فيها ، وانما كان قوله ذلك يعني ، الاهتمام بما جاء به الدين الجديد ، وحفظه وتعلمه ، لان الدين كان قد دعا الى العلم ، كما دعا الى تقييده وحفظه .

وقضية العلم والتعلم والدعوة اليهما منذ الوهلة الاولى لنزول القرآن الكريم امر مسلم به . لقد كان الرسول ـ ص ـ يدعو الى قول الشعر ، ولا سيما الشعر الذى ينافح عن الدعوة ، ويدافع عن الفكر الجديد ، وقيم الدين ،فنقل عن رسول الله ـ ص ـ قوله :(ان من الشعر حكمة) . وكان حسان ينشد في مسجد الرسول ـ ص ـ وعن عائشة ـ رضي ـ : ان النبي ـ ص ـ بنى لحسان بن ثابت منبرا في المسجد ينشد عليه الشعر (٢)

وبقيت هذه النظرة سائدة في المسلمين ، فها هو سعيد بن المسيب قد قيل له ان اناسا يكرهون انشاد الشعر ، فقال نسكوا نسكا اعجميا (٣)

فكل الاشارات تثبت اتجاه الامة الى العناية بتراثها اللغوى اتجاها ذاتيا صرفا ، ولم يكن بسبب تأثيرات خارجية كما يذهب اغلب الباحثين ، صحيح ان هناك بعض الاشارات الى وقوع لحن في القرآن الكريم ، وفي رواية الحديث وفي سائر الكلام ، ولكنها اشارات محدودة لاتمثل ظاهرة لغوية تخشى عواقبها ،

---

(١) الامالي : القالي ١/٥ ، ط الدار .

(٢) الطبقات : الزبيدى ٦ .

(٣) نفسه ٨ .

فقد روى ابو الزناد ان رجلا قرأ عند رسول الله ـ ص ـ فلحن ، فقال رسول الله ـ ص ـ: ارشدوا صاحبكم(١) وفي رواية انه عده (ضلالة)(٢) ·· فمثل هذه الاحاديث تعضد العمل في تقييد اللغة ، ووضع الدراسات لها ، ولكنها لاتكون السبب الرئيس لوجودها ·

لاننا نعلم ان الدرس اللغوى ، ونضج علم اللغة بشكل فيه نوع من المنهجية والحرص العلمي والموضوعي ، وتقييد ضوابط اللغة قد جاء متأخرا بعد مرور مايقرب من قرن من السنوات · وكان ذلك واضحا عندما بدأ اللحن والخطأ يدب دبيبا سريعا في اللسان بعد انتشار العرب وكثرة الفتوح ، والاختلاط ، ولم يكن اللحن وقفا على المثقفين ـ اذا صح هذا اللفظ ـ بل تعد اهم الى الذين كانوا يجتهدون ان ينطقوا نطقا صحيحا(٣) ·

ولقد كانت مواطن اللحن والخطأ تنحصر في :

١ ـ الخطأ في اواخر الكلم ، حيث تتغير حركات الاعراب بين الرفع والنصب او الخفض والنصب أو غيرهما ، كما وقع في لسان الحجاج بن يوسف عندقراءة قوله تعالى :(قل :ان كان ···· احب) برفع(احب)وهي خبر(كان)·

٢ ـ الخطأ في ضبط صيغ الافعال ،مثل :يشج وشج :أي بفتح الشين وكسرها·

٣ ـ الخطأ بنطق بعض صيغ الالفاظ وأبنيتها ، كالخطأ في المقصور والممدود مثل (قفاء) بدل (قفا)(٤) ومثل (عصاة) بدل (عصا) ·

٤ ـ الخطأ في صيغة افعل التفضيل ـ كما يرى يوهان فك · اذ هناك خلاف

---

(١) مجعم الادباء ٨٢/١ ·

(٢) الخصائص : ٨/٢ وفيه : (ارشدوا أخاكم فانه قد ضل) ·

(٣) العربية : يوهان فك ٨٠ ·

(٤) البيان والتبيين ٣٠/٢ ·

بين الكوفيين والبصريين في صيغة التفضيل من الالوان والعيوب(١) ٠

٥ ـ الخطأ في الاصوات وتبدلاتها ، كالاختلاف في التمييز بين الضاد والظاء ٠٠ الى غير ذلك من صور الخطأ اللساني ٠

واوجب هذا الوضع تنبه المعنيين باللسان العربي ، فراحوا يرصدون هذه الاخطاء ويسجلون ملاحظاتهم وتصويباتهم ، وربما بادروا المخطيء بتوضيح خطئه وارشاده للصواب ، فكان النحاة في طليعة اللسانيين الذابين عن العربية وكان رصدهم للحن والخطأ يأخذ اتجاهين :

الاول : رصد اخطاء الخواص ، كالخلفاء والامراء والخطباء والشعراء واللغويين ممن يتعاملون مع اللغة المثالية في كلامهم وأحاديثهم وتأليفاتهم ، فاثر في هذا الاتجاه كتاب للكسائي (١٨٩ هـ) وقد وصل الينا ، وكتاب درة الغواص في أوهام الخواص للحريري(٥١٦ هـ)

الثاني : رصد اخطاء العامة ، ومحاولة تصويب اللسان ، والتنبيه على الخطأ وتصحيحه ، وقد كان معظم علماء اللسان العربي قد عنوا بهذا الجانب ، والفوا في ذلك جملة كبيرة من كتب (لحن العوام) كأبي عبيدة (٢) والسجستاني (٢٥٧ هـ) والمازني (٢٤٩ هـ) والزيادى (٢٣٦ هـ) والزبيدى (٣٧٩ هـ) ، وكتاب الزبيدى مطبوع متداول رصد فيه اخطاء الاندلسيين والمغاربة واضاف اليه شيئا مما وصله من لحن المشارقة ٠

وبقيت حركة التصحيح اللغوى قوية ، تمثل عصورها اللغوية التي تعيشها، وتنطبع باهلها ومجتمعتها ، فالحريرى (٥١٦ هـ) يضع (درة الغواص) ليستخرج فيه اوهام خواص عصره ، وكتابه يعد من النوع الاول من كتب الرصد اللغوى ٠

---

(١) العربية ٨٠ـ٨٢ ٠

(٢) معجم الادباء ٧/٢٣٥ ، ط مرجليوث ٠

وفي القرن العاشر الهجرى يعني الكثير من اللغويين في اصقاع كثيرة من العالم الاسلامي برصد لحن الناطقين بالضاد ، ويبدو ان علماء الترك المعنيين بالتراث العربي لم يتخلوا عن رفد هذه الحركة اللغوية ، بما كانوا يرصدونه من خطأ لغوى في ديارهم ، ومن ذلك كتاب ابن كمال باشا (٩٤٠ هـ) التنبيه على غلط الجاهل والنبيه الذى حشر فيه مجموعة من الاخطاء الخاصة والعامة تجاوزت المئة · وسننقل منه فيما يأتي بعد هذا العرض نصا ·

استطاع ابن كمال باشا ان يقف فيه على مايقع فيه المختصون من اللغويين من لحن او خطأ بحجة ان ماشاع من خطأ يمكن قبوله في الفصيح ، يقول : فقالوا بعد بعد ماطالوا : ان الغلط المشهور افصح ، فقلت : حجبتم عن الحال في صورة الحال ، بل هو افضح ، لان الغلط الفصيح ان صح ان يكون ، فلا اقل من ان يستعمله المولدون(١) ·

ووقف الى جانب هذا على اخطاء الجهال ، ورفض ان يقبل ماجرى على السنتهم صحيحا من نحو : القصر في القسر(٢) ·

وذكر في مقدمته مادة لحن ، وعقد عليها معنيين هما : الخطأ في المسان ، والاخر قول الفزارى :

منطق رائع وتلحن احيانا ··· وخير الحديث ماكان لحنا

والحق ان لمادة (لحن) معاني كثيرة يمكن حصرها في :

١ ـ انه من الاصوات المصوغة الموضوعة ، وجمعه الحان ولحون · ومنه : لحن

---

(١) التنبيه : ابن كمال باشا ٥٥٥ (مجلة المورد ، ع ١٤ : مج ٩ ، ١٩٨٠ بتحقيقنا) ·

(٢) نفسه ٥٥٦ ·

في قراءته ، اذا غرد وطرب فيها بالحان ٠ وفي الحديث :(اقرءوا القرآن بلحون العرب) ٠

٢ ـ انه الخطأ في القراءة ، يقال : رجل لاحن ولحان ولحانة ولحنة ، يخطيء ٠

٣ ـ انه التكلم بلغته ، لحن بلغته ، اذا تكلم بها ٠

٤ ـ انه التورية عن المراد من الكلام ، لانه يميل بكلامه الى مالا يفهم ، وهو من باب (طرب) ٠

٥ ـ انه بمعنى الفطنة ، يقال : لحن فلان لحنا ، اذا فطن لحجته وانتبه(١) ٠

نص من كتاب :

التنبيه على غلط الجاهل والنبيه / لابن كمال باشا

قال(٢) :

مما يجب ان يعلم ان مايجب ان يجتنب عنه من الالفاظ اقسام ، من حيث كونه غلطا :

= قسم : جوزه بعض اهل اللسان مطلقا ، او في حال من الاحوال ٠

= وقسم لم يجوزه احد منهم ، ولكن شاع بين اهل التصنيف استعماله ٠

= وقسم : لم يجوزه احد ، ولا استعمله الا من لاخبرة له بالكلام ٠ اما الاول : فكالضفدع ، بفتح الدال ، والجنازة ـ بفتح الجيم ، والحلقة ـ بفتح اللام ، والتخمة ـ بسكون الخاء ٠

فاما الضفدع ، فالفصيح فيه كسر الدال ٠ قال في الصحاح : وناس يقولونه ـ بفتح الدال ـ وانكره الخليل ٠

---

(١) اللسان : ٣٧٩/١٣ لحن وانظر كتاب : لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة للدكتور عبد العزيز مطر ٧ ٠

(٢) نفسه ٥٥٧ ٠

وقال في القاموس : ضفدع كدرهم ـ قليل أو مردود

واما الجنازة ، فاختار صاحب الصحاج فيها : كسر الجيم ، حيث يقول : الجنازة ، واحدة اجنائز ، والعامة تفتحها ٠

وجوز صاحب القاموس : الفتح قال : الجنازة : الميت ويفتح ٠ او بالكسرة الميت ، وبالفتح : السرير ، او عكسه ٠ او بالكسر : السرير مع الميت

واما الحلقة ـ بفتح اللام ـ فحكاها يونس عن ابي عمرو بن العلاء ٠ وقال ثعلب : كلهم يجيزه على ضعفه ٠ وقال ابو عمرو الشيباني : ليس في الكلام : حلقة ـ بالتحريك ـ الا في قولهم هؤلاء قوم حلقة ، للذين يحلقون الشعر ٠

ذكر الكل في الصحاح (١)

وقال في القاموس قد تفتح لامها وتكسر (٢)

واما التخمة ـ بسكون الخاء ـ فقد قال في الصحاح : وهي بفتح الخاء ، والعامة تسكنها ، وقد جاءت في الشعر ، ساكنة الخاء ٠

وقال في القاموس : هي كهمزة ، وسكن خاؤها في ضرورة الشعر ٠

والمفهوم من الكلامين : ان التخمة يجوز اسكان خائها في ضرورة الشعر ٠

واما القسم الثاني : فيكأيذاء ، والتكفير بمعنى : الاكفار ٠

اما الايذاء ، فقد اشار صاحب الصحاح الى نفيه بطي ذكره حيث يقول : اذى يؤذى اذى واذية واذاة لان السكوت عن الشيء في موضع البيان نفي له ٠

---

(١) ينظر الصحاح ٤/١٤٦٢ (حلق)

(٢) القاموس ٣/٢٢٢ ٠

وصرح صاحب القاموس ـ ايضا ـ بنفيه ، حيث قال : بعد عد المصادر المذكورة : ولا تقل : ايذاء(١) ٠

واما التكفير ، فلم يصح من الكفر ، بل من الكفارة ، واما بالنسبة الى الكفر ، فهي : الاكفار قال صاحب الصحاح : كفره : دعاه كافرا ، يقال : لاتكفر احدا من اهل قبلتك ، اى لاتنسبه الى الكفر ، وتكفير اليمين ، فعل مايجب بالحنث فيها ، والاسم الكفارة ٠

وقال في القاموس : التكفير في المعاصي : كالاحباط في الثواب ، واكفره : دعاه كافرا لكن شاع بين المصنفين استعمال هذين اللفظين بلا نكير (٢) ٠

اذا تقرر هذا فنقول : لانخطىء الاصحاب في القسمين الاولين بل نحذرهم . وانما نخطئهم في القسم الثالث ، اذ لااصل له ولا مستند ، بل يتفوهون به ، اما اختراعا محضا او تحريفا ٠٠٠ فاعلم ان جملة مايلحنون فيه :

ـ لفظ الاباء يزيدون فيه ياء ، فيقولون : الايباء ، وكانهم يظنونه من ـ الافعال ـ وليس كذلك ، وقد نظمت في هذا مايدلهم على الصواب ،ويعين بابه من بين الابواب ، فقلت :

اخو الجهل الموقر لايبالي	اينطق بالخطأ أم بالصواب
واما من له عقل سليم	أبي يأبى اباء فهو ابي

٠٠٠ ومنها لفظ ابي ايوب :

---

(١) انظر الصحاح ٦/٢٢٦٦ ٠ القاموس ٤/٢٩٨ ٠ ويبدو المؤلف هنا مجحفا فيما نقل عن الصحاح فقد قال الجوهري : اذاه يؤذيه ايذاء فاورد المصدر وليس كما زعم ابن كمال باشا ٠

(٢) انظر : الصحاح ٢/٨٠٨ القاموس ٢/١٢٨ ٠

هو كنية خالد بن زيد الانصاري الخزرجي المشهور ـ رضي الله عنه ـ والعوام يقولون : ايوب ، زعما منهم انه اسم له

التنبيه من صفحة ٥٥٨ ـ ٦٢ ، من مجلة المورد (١)

---

(١) العدد الخاص بالقرن الخامس عشر الهجري ، بغداد

الفصل الثلاثـــون

من كتاب فقه اللغة في ترتيب العي(٧) للثعالبي :

رجل عيي وعي ، ثم حصر ، ثم فه ، ثم مفحم ، ثم لجلاج ، ثم ابكم(٨) ٠

---

(٧) فقه اللغة : الثعالبي ١٠٨ ٠

(٨) ولهذا الموضوع في العي ذكر في كتاب : الالفاظ الكتابيه للهمداني ص١٧٦٠

- عي بالامر وتعيا به وتعايا ، واعياه الامر : اذا لم يضبطه وعايا صاحبه معاياه اذا القى عليه كلاما او عملا لايهتدى الوجه وعيي بالكلام اذا لم يفصح ٠

- حصر في اللغة : حبس ، واحصر الحاج اذا حبسوا عن المضي بمرض او خوف او غيرهما ٠ قال تعالى (فان احصرتم) وحصر لسان فلان : اذا حبس ، فتلعثم وفي لسانه حصر عي وحبسه ٠

- فه :يقال : رجل فه وامرأه فهه ٠ قال الشاعر :

فلم تلفني فها ولم تلف حجتي

ملجلجة ابغي لها من يقيمها

والفهاهة : ضعف النطق واللجلجة فيه ٠

- مفحم : يقال : هذا كلام مسدى ملحم ، كل فصيح به مفحم ، اى منقطع عن الكلام٠

- اللجلاج : المتردد في الكلام ، الحصر ٠

- البكم : الارتجاج في الكلام ، يقال : تكلم فلان فبكم عليه اذا ارتج : (انظر الاساس : الزمخشرى ٦٠) ٠

الفصل التاسع

في المفـــــردات والابنيـــة

١ ـ في المعجمية العربية ٠

٢ ـ الابنية : (نص من مقدمة العين)

ابنية المصادر (نص من ابن قتيبة)

اوزان الفعل (معاني الصيغ والاوزان)

١ ـ في المعجمية العربية

اذا كان المعجم اللغوى ، يعني وضع المواد اللغوية الكلمات والمفردات وفق ترتيب خاص ثم البحث عن معانيها ودلالاتهـا ، مسـندة ومؤكـدة بالاستعمال التاريخي لها ، فان ذلك يعني ان البحث في (المعجم) يأخذ موضوعات ثلاثة :

أ ـ المادة اللغوية ، مصادرها ٠

ب ـ ترتيبها في المعجم ـ مناهج المؤلفين ٠

ج ـ الدلالات والمعاني ـ طرق التفسير ٠

المادة اللغوية

المادة اللغوية بالمفهوم اللغوى ، جذر الكلمة من غير زيادة ولا حذف ، فكلمة (كتاب) لا تكون مادة وفق هذا المفهوم ، بل هي (كلمة) مشتقة من اصل لغوى هو (ك ت ب) اصوات ساكنة ثلاثة تتكون اصلا لجملة كبيرة من المشتقات اللغوية كاسم الفاعل (كاتب) واسم المفعول (مكتوب) واسم المكان او الزمان (مكتب) او مكتبة ، والفعل الماضي (كتب) والمضارع (يكتب) ٠٠ وهكذا ٠

والمعجمات اللغوية اشد اسرا بالمادة اللغوية وما يتفرع منها من كلمات واكثر صلة بها ، لان من اكبر واجبات المعجمي هو تحديد دلالة المادة اللغوية ومعاني الكلمات المشتقة منها على اختلاف انواعها واختلاف استعمالاتها ، وحين نقول (اختلاف استعمالات الكلمة) نعني : تقلب معنى اللفظ الواحد في اللسان ، داخل تراكيب مختلفة بين الحقيقة والمجاز ومراد المتكلم ٠

ولو تتبعنا عنايات المعجميين بالمادة اللغوية في صدر تفسيراتهم لابـواب الحروف ، نجدهم مختلفين في عدهم الفعل او المصدر او غيرهما اصلا لغويا ينطلقون منه الى مختلف المشتقات منه على ان ابرز اختلاف في هذا المضمار

يبدو بين مدرستي البصرة والكوفة ، اذ يجعل البصريون (المصدر) أصلا لكل مايشتق في اللغة من كلمات ، ويجعل الكوفيون (الفعل الماضي) اصلا ، والمصدر فرعا ، اى انه مشتق منه . ولكن اكثر اللغويين على المذهب الاول . قال ابن هشام :(وبدأت بالمصدر ،لانالفعل مشتق منهعلى الصحيح)(١) فالمادة اللغوية ـ على وفق هذا المعنى ـ اذن هي الجذر الذى تشتق منه سائر المفردات وهو اي الفعل عند اللغويين المعجميين لايعد جزءا اساسيا في عملية الترتيب والتنظيم المنهجي في بناء المعجم ،لانه قد يأتي عرضا فيغضون تفسير المادة ومشتقاتها ،قد يأتي في بدئها منطلقا منه المعجمي الى مايتعلق به من مفردات مشتقة علـــى اختلاف الاوزان والصيغ . فاللسان ـ مثلا ـ يبدأ مادة (عرب) بالفعل ثم يسرد مجموعة منالصيغ تبلغ عشرا اواكثر حتى يفسر المصدر (عروبة) (٢) في حينبدأ الزمخشري في اساس (البلاغة) بالفعل ـ ايضا ـ وتلا بصيغة المصدر (عرابة) ثم رباعي الفعل (أعرب) ... وهكذا(٣) .

وهكذا يدل على ان المصدر لم يكن اصلا في ترتيب المادة المعجمية ، كما ان الفعل لم يكن اصلا ، وهذه الحالة في الخلط المنهجي تعد نقصا في تنظيم المعجم العربي ، وان كان المعجمي العربي يحاول الاستقصاء والحصر في تاليفه الى حد كبير . على ان الاتفاق بين اللغويين العرب ـ جميعا ـ واضح في ان الجذر ـ او الاصل المعجمي ـ ثلاثي ، وهو الذى يحمل اصل الدلالة ، فاذا أضيفت الى

(١) هناك اختلاف بين اللغويين المحدثين في وجود مايسمى بالكلمة او عدمه ، فقد عد بعضهم الكلمة خرافة علم اللغة ، ونفى ان تكون هناك كلمة في اللغة ، وكما اختلفوا في هذا الجانب فقد اختلفوا كذلك في تحديد مفهوم الكلمة . المعاجم اللغوية : د. ابو الفرج : ط : مصر .

(٢) اللسان : عرب

(٣) انظر اساس البلاغة : عرب .

هذا الاصل الزوائد واللواحق ــ وهي التي يطلق عليها : (المورفيمات) ، تغير المعنى الى ماينياسب هذه الاشارات واصبحت الكلمة بعد الزيادة تسمى (مونيما) كما في الدراسات المعجمية المعاصرة ٠ ويسمى الاصل او الجذر : (اللكسيم) ٠ وللتمثيل على ذلك نقول : ان مادة (نصر) هي جذر يمكن الرجوع اليه في اى معجم عربي ٠ فهي تحت (ن ص ر) ــ الجذر الثلاثي (اللكسيم) فان اراد المرء ان يراجع معنى : استنصر فانه سيجد ان (المورفيمات) في هذه اللفظة هي (ا س ت) وهي التي يمكن ان يجرد (ن ص ر) منها ليحصل على جذرها الرئيسي (نصر) اما اللفظة مع زيادتها وهي (المونيم) فسيجدها في مجموعة المفردات التي تناولها المعجم تحت مادة (نصر)(٤) وهذه هي الطريقة في تناول مواد اللغة وتفسيرها التي درج عليها علماء المعجم العربي (٥)

النص اللغوى

اما النصوص اللغوية في معناها الاخر ، وهو جملة مايرويه المعجمي او ينقله او يسمعه من اللغة ليحضر بها معجمه ويكون منها كتابا لغويا ، يندرج تحت مفهوم : (المعجم) فهو الذى ينبغي ان يبحث في مصادره ومظانه وموارده ٠ ولقد

---

(٤) ينظر الفصل الثالث من كتاب البنيوية : د٠ العناش ، موضوع (تحليل كتاب مارتيني ص ٢٧١ فما بعد

يميز مارتيني بين اللكسيمات وهي خاصة بالمعجم والمورفيمات وهي خاصة بالنحو وقواعد اللغة ٠ ص ٢٧٣ ٠ Elements de Linguistique generale

(٥) ليس هناك في المعجمات اللغوية العربية معجم تناول الكلمات (اى المونيم) وفسرها على انها مقصودة لذلك الا المعجمات الخاصة كالالفاظ المعربة والمصطلحات العلمية ،ومن ذلك كتاب (شفاء الغليل) للخفاجي وكتاب (التعريفات) للجرجاني ،ومفردات الطب للراغب وكتاب كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي وغيرها من الكتب التي التزم مؤلفوها الترتيب المعجمي ولكنها لم تكن في عامة اللغة ٠

حرص المعجمي العربي في مقدمة كل معجم ان يكشف عن طريقة جمعه مادة الكتاب بالطرق المختلفة ، وهي غالبا :

١ ـ طريق الرواية من الاعراب بمخالطتهم وسماع اللغة منهم مباشرة او بالمساءلة ، ويبدو ذلك واضحا فيما قيده الكثير منهم في مقدمات معجماتهم كالجوهري في الصحاح(١) والازهري في تهذيبه(٢) وغيرهما .

٢ ـ الرواية من العلماء بمجالستهم وحفظ مروياتهم اللغوية مسندة بسلسلة رواية حتى مصدرها الاصلي او بروايتها عن العالم اللغوي الذي سمعها من افواه الاعراب مباشرة .

٣ ـ النقل من كتب العلماء الاثبات المتقنين الموضوعة في اللغة وفروعها وظواهرها وموضوعاتها المختلفة ، كالمعجمات الخاصة والعامة والرسائل اللغوية لعلماء اللغة المتقدمين كالاصمعي وابي زيد وابي عمرو الشيباني وابن الاعرابي والاخفش واليزيدي والنضر بن شميل ومؤرج بن عمرو السدوسي وقطرب وابن الانباري وابن دريد وغيرهم(٣) .

٤ ـ ويضيف المعجمي الى هذه المصادر الاساسية الثلاثة ، اجتهاداته اللغوية وترجيحاته ومناقشاته ونقده واستدراكاته على من سبق من اللغويين . وبذلك كله يستطيع المعجمي ان يرسم لنفسه منهجا خاصا يتصف به ، وتبدو شخصيته من خلال عمله ، ليتميز به من سائر المعجميين ، فضلا

---

(١) انظر مقدمة الصحاح : ح١

(٢) تهذيب اللغة : ٧/١ .

(٣) ذكر الازهري جملة كبيرة من علماء اللغة في مقدمة التهذيب ، وترجم لهم ، وذكر جملة من مؤلفاتهم .

عن تميزه بالمنهج العام الذى بنى عليه تنظيم موارده وترتيب ابوابه ، وفصوله واختيار ترتيب حروفه على الالفباء او المخارج ٠

ويشير الازهرى الى هذه الاصول الاربعة في مصادر المعجمي في مقدمة تهذيبه ، غير اننا رأينا ان هناك من مصادر بعض المعجمين رصد لغة التخاطب التي تعاصره ، وهذا الجانب مهم جدا في عرف الدارسين المحدثين ٠ يقول جورج مونان : ولقد وقع التجرؤ في القرن (١٤) على كتابة نحو اللغات العامية ، وهو أمر يكاد يكون كفرا(١) يتبين ذلك من بعض الخطوط التي اجمع عليها مؤتمر اللغويين والمعجميين الذى عقد فيجامعة انديانا فينوفمبر سنة ١٩٦٠ م فقد جاء في تقرير كتبه Prof. F.W. Hoaseholder عن هذا المؤتمر ومقرراته : اشارت المادة الرابعة منه الى : انه يجب الاشارة بدقة الى المستويات المختلفة للاستعمال ، ان وجدت : لغة الادب العامية ، الغريب ٠٠ وهذا يجب في حالة اللهجات وما شابهها(٢) ٠

وهذه المسالة لم تكن بدعا عند المحدثين ، بل هي غاية المعجميين العرب ، اذ لم يكد يخلو معجم عربي من الاشارة الى المستويات اللغوية سواء أكانت وحدات لغوية فصيحة كلغة القبائل العربية في الجزيرة ، ولهجاتها المختلفة ، ام لهجات عامية محلية وشعبية تمثل مراكز الحضارة الاسلامية كبغداد والبصرة والكوفة واهل الشام ومصر وشمال افريقيا والاندلس ٠

والمتتبع لمضامين المعجمات اللغوية العربية يلاحظ ان المعجمي العربي لا يغفل الاشارة الى :

---

(١) مفاتيح الالسنية : مونان ٣١ ٠
(٢) انظر المعاجم اللغوية : محمد احمد ابو الفرج ، ط : مصر ١٩٦٦ م وقد قام المؤلف بترجمة جزء من التقرير عن الانكليزية ٠

أ ـ اللهجات العربية الفصيحة ، كالتميمية والحجازية والطائية ، ولغة اسد وازد واليمن وقيس وربيعة ٠٠ الخ ٠

ب ـ الغريب والحوشي والنادر والشاذ وقليل الاستعمال وكثيره ، والمطرد والقياسي والمذموم والرديء والضعيف والمنكر ٠٠ الخ ، ومن ذلك ما اشتهر بين اللغويين والمعجميين من اللهجات المذمومة واللغات الرديئة كالطمطمانية والكشكشة والتلتلة والاستنطاء والقطعة والعجعجة والفحفحة ٠٠ الخ ٠

جـ ـ اللهجات الشعبية المحلية ،كلهجة اهل بغداد واهل الشام ومصر والاندلس من ذلك مثلا ـ اشارة الزمخشري في (اساسه) الى ان اهل بغداد يقولون (الدقن) بدلا من الذقن ، اى يبدلون الذال دالا(١) ، ومثل هذه الاشارات كثير في تضاعيف المعجمات ٠

د ـ الاعجمي والمعرب والدخيل والمولد والمحدث من التراكيب والالفاظ والصيغ

هـ ـ الخطأ واللحن وتصويبهما ٠

و ـ وكل ذلك مقرون بالشاهد الفصيح من القرآن والحديث والشعر والفصيح من الكلام ٠

ز ـ هذا فضلا عن ان المعجمي العربي قد جعل معجمه مظنة للفصيح المثالي من التراكيب والصيغ والابنية العربية من الجاهلية حتى اواخر العصر الاموى

والفرق بين عمل المعجمي العربي وما يتوخاه المحدثون من حشر هذه الاصناف اللغوية الى جانب اللغة المثالية ان المعجميين المحدثين يهمهم ملاحظة

---

(١) اساس البلاغة : ذقن ٠

التغيرات الدلالية والتطورات الصوتية التي تواكب حركة المجتمع وانتقالاته التاريخية ، واثار ذلك كله في اللغة ، في حين يهتم اللغوى العربي بهذه الاصناف لينبه على ماينبغي ان يتجنبه المتكلم بالعربية ، وليهذب العربية مما علق بها من اوهام واخطاء وغريب واجنبي ، ولذلك عمد اللغويون المؤلفون للمعجمات الى تسمية معجماتهم بما ينم عن هذا القصد ، كالتهذيب للازهرى قصد الى تهذيب اللغة مما علق بها من الغريب والمهمل والملحون والمزال والمفسد وكالصحاح للجوهرى ، قصد الى جمع الصحيح من اللغة ونفي ماسواه (١) . كما في مقدمة الصحاح ، وكذا الحال مع المعجمات : التكملة للخارزنجي ، والحصائل لابي الازهر البخارى ، و الجمهرة لابن دريد ، والمجمل ، ومعجم مقاييس اللغة ، وكلاهما لابن فارس ، فضلا عن ان كتاب الخليل ، وهو رائد المعجم العربي الاول مع الجيم للشيباني ، قد اطلق عليه اسم العين بكل ماتحمله من معنى الصفاء والنقاء والاصالة ، كما اطلق الشيباني لفظ الجيم على كتابه، واراد به معنى : الديباج الحسن اشارة الى ماجمع من اللغة الفصيحة الموثوق باصالتها العربية(٢) .

والسبب الذى جعل اللغويين والمعجميين يعمدون الى الاحتكام الى اللغة المثالية ، فيجمعونها ، ويضعون القواعد والاحكام مستنبطة ومستنتجة من خلال نصوصها ، ان العرب انفسهم كانوا قد ميزوا بين قبائلهم في المستويات اللغوية بين من كان منهم ذا لغة عالية فصيحة مرتفعة عن اللخلخانية والعجرفية والعجعجة مما عرف باللهجات المذمومة واللهجات الرديئة والقليلة والشاذة والنادرة ، فكان عرب البادية انفسهم يعرفون الفصيح من غيره قبل ان يقصدهم

---

(١) انظر مقدمة الصحاح ، الجزء الاول ، تحقيق عطار .

(٢) انظر مشكلات في التاليف اللغوى : د. رشيد العبيدى ، فصل الجيم .

علماء اللغة ويأخذوا منهم اللغة ويضعوها تحت الاختبار والبحث ، وليس ادل على هذا الذى نزعمه ـ هنا ـ من الاخبار التي تناقلتها كتب الاخبار والادب واللغة عن احكام الاعراب المروى عنهم في مستويات الفصاحة بين قبائلهم ، فهذا معاوية بن ابي سفيان وهو صحابي متقدم عاش في معظم القرن الاول الهجرى ، واعتلى الولاية والحكم منذ عام (٤١ هـ) وهو زمن لم يكن اللغويون قد بلغوا من النضج اللغوى والدراية مايؤهلهم لوضع مصطلحات او احكام ومقاييس للغة ، بحيث يستطيعون ان يعرفوا الفصيح العالي في فصاحته ، والرديء المذموم من اللغة ، فقد دخل عليه اعرابي فسأله معاوية عن افصح العرب ، فقال له الاعرابي قوم ارتفعوا عن لخلخانية الفرات وتيامنوا عن عنعنة تميم وتياسروا عن كسكسة بكر وليس لهم عجعجة قضاعة ولا طمطمانية حمير ! قال : من هم ؟ قال : قريش(١) ٠

فهذا دليل على ان اللغوى العربي قد تلقى هذه الفوارق بين المستويات اللغوية من العربي نفسه ، فكان لها اثر كبير في عمله واتجاهه في الدراسة والبحث ، بحيث صار يتقبل اللغة من مجموعة معينة من القبائل ويرفضها ، او يرفض اخذ بعض اللغة من قبائل اخرى ،لكون هذا البعض يتساوق مع ما وصل الى علمه من الصحة والفصاحة في منظور العربي البدوى قبل منظوره الخاص ٠ هذا من جهة ، ومن جهة اخرى فان القرآن الكريم وقصائد الشعر الجاهلي التي اتفق جمهور فصحاء العرب من الحجاز وما جاورها على فصاحتها ، وحديث رسول الله ـ ص ـ وكلام الصحابة والبلغاء من العرب وفصحائهم ، وما وصل الى ايدى رواة اللغة ، والمشتغلين في ميدانها ، كان من اللغة المثالية العالية ـ الخالية من العنعنة والعجعجة واللخلخانية والتلتلة والكشكشة ٠٠٠ وغيرها مما تعارف العرب انفسهم على كونه مذموما يعد سببا اخر مهما لاقتصار اللغوى

---

(١) البيان والتبيين ٣/٢١٢ ـ ٢١٣ ٠

العربي على نصوص ذات مستوى معين يختلف عما هو موجود في لسان عرب اخرين ، مما يمثل لهجة او مستوى لغويا متميزا بشيء من التغييرات الصوتية او البنيوية او التنظيمية . يضاف الى ذلك نظرة الدارس اللغوى الى لغة القرآن نفسها على انها تمثل اللغة المحترمة المقدسة ، فلا يمكن تعديها الى لهجات تخرج في بعض مظاهرها عن المستوى الفصاحي الذى كان العرب انفسهم غير عابئين به . ان هذه الظروف ـ مجتمعة ـ هي التي فرضت على اللغوى العربي موقفا يتميز بصفات الحذر والشك والدقة والتصلب ـ احيانا ـ في قبول النص المدروس اذا كان اللغوى نحويا او قبول النصوص المعجمية المروية اذا كان اللغوي نحويا او قبول النصوص المعجمية المروية اذا كان اللغوى جماعا راوية او مدونا او محصيا انواعا مختلفة من ظواهر اللغة ، ولذا كان المعجمي ـ خاصة واللغويون ـ عامة ـ معنيين بالنص المهذب المتفق مع قواعد الفصاحة والبيان ، ليفرده الاول عن كل ماسواه من الغريب والدخيل والملحون ، وليستنبط الاخرون منه اصول اللغة وقياساتها .

وهذا المنهج ـ بطبيعته ـ وهو منهج وصفي ـ يعتمد على الملاحظة الدقيقة وترصد الظواهر المشتركة للخروج منها بالقوانين الكلية العامة للغة التي بقيت منذ عهد العرب بالبحث اللغوى الى اليوم اسسا ثابتة وقواعد راسخة لايمكن الحياد عنها ، فعلى الرغم مما دخلها خلال عصور الحضارة الاسلامية من المنطق والعقلانية اليونانية ، ولا سيما منطق ارسطو وفلسفته(١) ، وعلى الرغم مما لقيت هذه الدراسات من الردود العنيفة ،و التقولات الظالمة ـ احيانا ـ في القديم والحديث ، اقول على الرغم من ذلك كله فان شيئا واحدا لايمكن تجاهله هو ان البحث فيهذه اللغة لايمكن انيتسع ميدانه فيشمل المستويات الرديئة من الكلام لما في ذلك من المخاطر على سلامة النص العربي المبين ، حيث يمتزج الفصيح

---

(١) مناهج البحث في اللغة : د. تمام حسان ٢٤ـ٢٧ .

بالرديء ولا يمكن الفصل بينهما وصعوبة نتائج ذلك على الاجيال المتلقية للغة ، ثم فقدان الصلة بين اصل هذه اللغة وما الت اليه ٠

وهذا الذى نقوله ـ هنا ـ قد تحقق في غير العربية من لغات العالم ، فاللغات اللاتينية ـ جميعها ـ كالاسبانية والفرنسية والايطالية قد تركت اصولها اللاتينية القديمة وتطورت تطورا كبيرا عنها فاصبحت وهي لهجات للغة واحدة ، لغات ذات كيانات متميزة اذا درست كل واحدة منها على حدة ، تبين انها لاتلتقي في كثير من مظاهرها ، مع أنها ترجع الى اصل واحد ، فضلا عن ان الاصل لهذه اللغات يختلف هو الاخر عن هذه الفروع واصبح الاصل في عداد اللغات الميتة ٠

فالامر في مثل هذه اللغات يختلف عن العربية التي تناسلت تناسلا وراثيا ثابتا ، وبقيت محافظة على خصائصها الوراثية في البنية والتنظيم والدلالة والاصوات ، واذا اختلفت في هذا الجانب من اللغة عن غيرها ، فانه من الطبيعي ان يختلف منهج الدراسة والبحث فيها ، واذا كانت البنيوية وهي منهج جديد لدراسة اللسنيات في العالم ، يعتمد على دراسة اللغة ـ اية لغة ـ بتحليل عيناتها من الداخل دون الاهتمام بالعناصر الخارجية من سياق ، او ظرف او حالة المتكلم(١) ٠ او ماشبه هذه الامور ، كما تعد اللغة واللهجات المتفرعة منها معيارا واحدا ، اى لافرق ـ من جهة نظر البنيويين ـ بين اللغة الام وما تفرع عنها من لهجات في الدراسة ، فربما يصح ذلك على اللغات الاوربية لما عرفنا من صلاتها برحمها واصولها التاريخية وما الت اليه ، في حين يتغير الامر بالنسبة للعربية التي ورثت اصولها ولا تزال تنزع في ارقى مستوياتها التعبيرية الى تلك

(١) انظر البنيوية : ر٠ الحناش ٣٧٨ ٠

الاصول · فالعربية – اذن – لايمكن اخضاعها في الدراسة الحديثة للمناهج التي تضع في حسابها اللغة السليمة الى جانب لهجاتها الشعبية المختلفة من حيث التنظيم والبنية التعليميان (grammar) (١) ، امـــا المعجـــم فليس يضيره ان يضم بين دفتيه جذر المادة العربية ودلالتها ، وما تطور عنها من معان سياقية واجتماعية جديدة واستعمالات مجازية او غريبة او مترجمة يشير اليها المعجمي تنبيها على صفتها الجديدة المكتسبة · وهذا يعني ان المعجم لايستغني عن النحو في اشكاله البنيوية والتنظيمية ، اضافة الى دلالة المادة اللغوية ، وتتفق هذه النظرة الى مادة المعجم مع المذاهب الحديثة في علم اللغة ، فهذا سوسير يقول : ليس من المعقول ان نفصل المعجم عن النحو ، فالكلمات كما هي مسجلة في القاموس تبدو للوهلة الاولى غير خاضعة للدراسة النحوية التـي تقتصر – عادة – على العلاقات بين الوحدات ، ولكننا سريعا ماندرك ان علاقات لاحصـر لهـا يمكـن ان تعرض بدقـة بواسـطة الكلمات كمـا تعرض بوساطة النحو(٢) ·· وذلك ان المعجم يعرض لصيغ اللغة كما يعرض لاحتمالاتها المتعددة المتنوعة من غير حصر ، فالافراد والتثنية والجمع والتذكير والتأنيث والحالات الاعرابية المختلفة والمشتقات والابنية والصيغ والدلالات والتغييرات الصوتية·· وما يتصل بكل ذلك ، في حين يضيق النحوى اشاراته في الدراسة بالفاظ مجردة علـى الصيـغ التـي بيـن يديـه والتراكيب التـي تكـون مـوضوع دراسـته

(١) مجموع علم لتنظيم وهو النحو ، وعلم البنية التعليمي –الصرف – يكون القواعد وهو المعروف بالانكليزية grammar

(٢) في كتابه : فصل في اللغويات العامة ١٣٥ ·

كالفعل او الاسم او الحرف او الفاعل والمفعول او المذكر والمؤنث بحسب الحاجة ٠

طريقة التفسير في المعجمات العربية

يلاحظ قارىء المعجم العربي اساليب مختلفة في تفسير المفردات وتحديد دلالاتها ومهمة المعجمي من وراء هذه الاساليب هو تقريب معنى الكلمة لطالبها ، وربما كانت الاساليب المستخدمة لهذه الوظيفة غير مقصودة لذاتها وانما تفرضها طبيعة المفردة المطلوب تفسيرها فاذا لم يجد المعجمي للمفردة مايرادفها في المعنى او مايقرب صورتها ـ مثلا ـ اوما يصاحبها من قرائن او ما يضادها من المفردات الى غير ذلك من اساليب التفسير ، اضطر الى التفسير بالسياق ، وهو أحد الاساليب المستخدمة في المعجم العربي ، وللتدليل على مثل هذه الاضطرارات مافسر المعجميون العرب (١) به لفظه (الحب) فقد فسروها بما يضادها من الالفاظ فقالوا : الحب نقيض البغض لانهم فتشوا عن مفردات ترادفها ، او تساوقها او تصاحبها أو تقرب معناها ـ في الاقل ـ فما رأوا غير نقيضها ـ او ضدها ـ وهو البغض ، في حين يرى بلو مفيلد (٢) : ان في اعطاء معنى الحب صعوبة لان تفسيرها لايمكن ان يتحدد بدقة متناهية ، وربما لاحظ المعجمي العربي ذلك ، فاضطر الى ايراد النقيض للمفردة ليقربها الى ذهن الطالب وهو اسلوب معجمي دقيق الفته المعجمات العربية الى جانب الاساليب التفسيرية الاخرى ٠ ولست اريد ـ هنا ـ ان اخوض في تفسير طرق شرح المفردات اللغوية في المعجم العربي ولكنني ساكتفي بالاشارة الى جملة هذه الاساليب مشفوعة بتعريف مبسط لها ٠ وهذه الاساليب هي :

اولا ـ طريقة ايراد المترادفات ، وهي الطريقة المألوفة الشائعة في اكثر المعجمات

---

(١) اللسان : ابن منظور (حبب)

(٢) البنيوية : د٠ الحناش : ٣٧٨

لما تتميز به العربية ـ نفسها ـ من كثرة ظاهرة المترادفات واختلاف الالفاظ على معنى واحد ، من ذلك مثلا التزيد في الحديث الكذب فيه(١) ومنه : التقعير : هو التقعيب والتشديق في الكلام(٢) وكتفسير الهتهتة بالتهتهة ، والتمتمة بالمتمتة ٠٠٠ الخ ٠

ثانيا – التفسير بطريقة شرح معنى المفردة بكلمة او باكثر ، فاما تفسير الكلمة بكلمة توضح معناها فكتفسير اعجم فلان الكتاب وعجمه : نقطه واستعجم : سكت ، قال الشاعر :

واستعجمت دار نعم ماتكلمنا والدار لو كلمتنا ذات اخبار

اى : سكتت ٠ وهذا النمط من شرح كلمات المعجم كثير – ايضا – ميزت به معجمات العربية وهو منهج نهجته المعجمات العالمية ـ كذلك – في سائر اللغات ٠

اما تفسير المفردة بأكثر من كلمة ـ بجملة ـ فهو اسلوب يرد كثيرا في تضاعيف المعجمات ذات اللغة الواحدة ، والمعجمات العربية كثيرة الاستعمال لهذا النهج من التفسير ،فمن ذلك ماجاءفي اللسان حول تفسير لفظة :(البكء والبكاءة والبكو) :قلة لبن الناقة اوانقطاعه(٣) ٠٠ ولفظة :البكم :ان يولد الانسان لاينطق ولا يسمع ولا يبصر(٤) ٠ وقد يحتاج المعجمي لتفسير بعض المفردات الى ايراد اصلها في لغة اخرى اوما يقابلها من المفردات الدخيلة او المعربة ، فمن ذلك ما اورد ابن منظور في تفسير لفظة : (مجال قال : ومنه حديث انس القى الينا مجال وهي : جمع مجلة ، يعني صحفا ، قيل

---

(١) اللسان ٤/١٨١ ٠ (زيد) ٠

(٢) نفسه : شدق وقعر وقعب ٠

(٣) نفسه ١/٢٦ ـ ٢٧ ٠

(٤) نفسه ١٤/ ٣١٩ ٠

انها معربة من العبرانية(١) وكلفظة جص من كص ومهندس من مهندز ، و (نوروز من نيع روز) ٠ وقد تكون اللفظة دخيلة وتفسر بما يقابلها في العربية كما في (باس : قبل) والبوس : التقبيل ، او بالعكس ، كما ترى في الحرشف نبت عربي يقال له بالفارسية : (كنكر) وهكذا ٠ وهذا الجزء الخاص بالمفردات الاجنبية يدخل تحت موضوع الترجمة والتعريب للمفردات الغربية المعجمة ، ويتميز – عادة – بنسبة المفردة الى اللغة الاعجمية او يشار الى انه دخيل ٠

ثالثا : التفسير بالضد او بالمخالفة او بالتباين : وهو من الاساليب المعجمية المشهورة عند المعجميين العرب ، وقد حل كثيرا من الاشكال الدلالي في المفردات ، فان هناك جملة كبيرة من المفردات يصعب اعطاء معناها بدقة فيضطر المعجمي الى استخدام اسلوب يقرب معناها بشكل دقيق ومحدد فيعمد الى مباينات اللفظة او اضدادها من المفردات ، وقد سبق ان اشرنا الى لفظة الحب واشارة بلومفيلد الى صعوبة شرحها ، ففسرها المعجمي العربي : ببيان ضدها ، ويبدو ان المفردات ذات المعاني المجردة والعقلية هي التي تحتاج غالبا الى هذا الاسلوب كالعدل والظلم والعلم والظلمة ٠٠٠الخ فيقال في العدل خلاف الحق ، والظلم خلاف العدل ، والعلم خلاف الجهل ،والظلمة خلاف النور اوذهابه ٠٠وقد تستبدل بكلمة(خلاف) الفاظ ذات دلالات قريبة منها كـ لا او غير او عدم او ذهاب او ليس او فقدان ٠٠ او غيرها ومن ذلك تفسير : العدم بفقدان الشيء ، والتمتمة : ان لايبين الكلام من اللسان والاجلع الذى لاتنطبق شفتاه على اسنانه(٢)٠٠ والحبسة عدم الافصاح(٣) ٠ وقد تقع بعض المفردات في تخالف صيغي وهي

---

(١) اللسان : جلل ٠

(٢) انظر ادب الكاتب : ابن قتيبة ١٥٠ ٠ اللسان : جلع ٠

(٣) فقه اللغة : الثعالبي ١٧١ ٠ اللسان ١٢/١٧٢ ٠

من اصل واحد او تخالف بين حقيقة اللفظ ومجازه ، فيشير المعجمي الى تنوع الصيغ من المادة اللغوية مع اتحادها في المعنى ، كما هي الحال في : اعرب الاعجمي وتعرب واستعرب ، فان صيغها مختلفة : افعل وتفعل ـ الخماسي ـ واستفعل ـ السداسي ـ ولكن معناها ـ جميعا ـ واحد وهو : الاغتم(١) . ولست اريد الاتساع في هذا ، لانني قصدت الى التمثيل والاختصار وقد اكثر البحث في هذا الباب باحثون كثيرون فيما كتبوا حول المعجم العربي .

رابعا ـ التفسير بالاستعمال والسياق ، ونعني بذلك استمداد المعنى من خلال الاستعمال والمخاطبات والكلام وسياقات الحديث ،فقد يدرك المعنى من خلال التركيب بجملته فلفظة الاعراب ـ مثلا ـ قد تكون مجهولة المعنى لوحدها الا اذا رجعنا الى المعجم في تحديد معانيها ، وكن سياق الاية الكريمة : « قالت الاعراب امنا ، قل لم تؤمنوا ، ولكن قولوا : اسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم» :قد اوضح ان المراد بالاعراب قوم من البوادى طمعوا في الصدقات، فدخلوا في الاسلام لهذه الغاية ، ولم يكن الايمان قد تمكن من انفسهم ، ولذلك قال الازهرى(٢) : والذى لايفرق بين العرب والاعراب والعربي والاعرابي ،ربما تحامل على العرب بما يتأوله في هذه الاية .« ولذلك اضطر المعجمي الى ايراد الاية ليستدل بها على المعنى . فسياق الاستعمال اللغوى هو الذى اعطى معنى الاعراب ـ هنا ـ وقد يدرك المعنى من دلالة التعبير الاجتماعية وذلك ان اللغات اوعية تحفظ فكر المجتمعات واخلاقياتها وعقائدها

(١) اللسان : عرب . وانظر : الاساس : غتم . والغتمة العجمة في المنطق : ص ٦٧١

(٢) التهذيب ج٢ عرب

وسلوكها وانماط عيشها كما هي كذلك وسائل تعبيرها عن افكارها ووسائل ابلاغها(١) ٠

يقول مونان : «ان اللغة تعكس وتنقل اى نظرة الى العالم وان اللغة موشور حكم على مستعمليه ان يروا العالم من خلاله ، فاذا كان للمعجم العربي عدة مئات من الالفاظ لتمييز انواع الجمال بما نعجب له ولا نفهمه ، في حين نتصرف نحن في جمل Chameau وناقة Chamelle فقط ، واحيانا : قعود Chamelon فلان الجمل كان محور الممارسة الاجتماعية في الحضارة العربية »(٢) ٠

وهذا القول يريك شدة ارتباط اللغة بالمجتمع ، وهي بعد ذلك تعطيك بتعبيراتها المتعددة ومفرداتها المدى الحضارى والنفسي والثقافي الذى بلغه الشعب المتكلم بتلك اللغة فهي تاريخه وتراثه ٠ ومن هنا تتمايز التراكيب وتختلف السياقات التعبيرية عن الحياة ، وان تقاربت الاغراض والمقاصد ، فعند التعبير عن وجود الم في الرأس يقول العربي : رأسي يؤلمني ،او يؤلمني رأسي ، ويقول الفرنسي : عندى الم في الراس ، ويقول الاسباني : يؤلمني رأسي ، ويقول الروسي عندى يتألم الرأس(٣) فهذه تراكيب اربعة او خمسة تتحد في المعنى ولكنها تختلف في الهيكل ، ويحصل هذا الاختلاف ـ كذلك ـ على مستوى اللغة الواحدة كالعربية ـ في مجتمعات متعددة كالمجتمع المصرى والعراقي والسعودى ، فيؤثر ـ احيانا سياق الحال في تعبير واحد تستعمله هذه المجتمعات باتجاهات معنوية مختلفة ، فلا بأس ـ مثلا ـ في المغرب تعني

(١) مفاتيح الالسنية ٣٧ ٠ وانظر لالند : المصطلح التقني النقدى للفلسفة سنة ١٩٢٦ ٠

(٢) مفاتيح الالسنية : مونان ٧١ ـ ٧٢ ٠

(٣) نفسه ٧٣ ٠

التحية ، اى : مرحبا او كيف حالك ؟ او ماشبه ، في حين يدل استعمال العراقيين لها على القناعة بالشيء او قبوله على مضض ، وذلك كأن تسأل احدا عن آلة يستخدمها في عمله : (كيف هي) ؟ فيقول : (والله لابأس) ويعني ذلك ان هناك افضل منها ولكنها مادامت تنجز له عمله فهي مقبولة في الوقت الحاضر. وقد تستعمل في اماكن اخرى بمعنى : الطمانة والدعاء بالشفاء من المرض ، اى : لاجهد ولا ثقل ولا اعياء ... الخ

هذه الصور من الاستعمالات السياقية في اللغة الاجتماعية هي جزء مما يعتني به المعجمي في توضيح المعنى وتقريبه الى الذهن ، من ذلك - مثلا - في لسان العرب : والاعرابي اذا قيل له : ياعربي فرح بذلك وهش له ، والعربي اذا ماقيل له : يااعرابي ، غضب له ، فقد نقل لنا صورتين اجتماعيتين ، توضح لنا معنى مفردتين هما : العربي والاعرابي وزاد في توضيح هاتين المفردتين بما اضاف اليهما من معان اخرى هي من العرف الاجتماعي السائد في العرب .

خامسا - التفسير بالقرائن ، وذلك بذكر حالات اللفظ المفسر او مايقرن به من معان او ما يصاحبه من صفات اوما يلازمه من مفردات اخرى هي من جنس معناه او قريبة منه ، كما يرد في القرآن الكريم من اقران الصوم بالصلاة، والجوع بالخوف ، والجنة بالنار والرغب بالرهب والمهاجرين بالانصار والانس بالجن ، وقد اشار الجاحظ الى هذه الجانب في البيان(١) . ولقد اورد الازهرى في تفسير لفظ (العقلة) (٢) الحالة التي رآها بعينيه مصاحبة للفظ ، عندما سمع اعرابيا يقول لصاحبه : اعقل لي يديك ليتخذهما سلما يرتقي به على ظهر الناقة ، قال الازهرى : فرأيته قد عقد بين

---

(١) البيان والتبيين ١/ ٢١ - ٢٢ .

(٢) تهذيب اللغة : عقل .

اصابع يديه فوضع صاحبه رجله على يديه وتوسل بذلك لاعتلاء راحلته ، وعرف منه ان هذه الحالة تسمى (عقلة) فثبتها في تفسير مادة (عقل) فاقتران اللفظ المفسر بالفاظ اخرى تستعمل معه يدل على اتساع مجالات استعمال اللفظ وتعدد دلالاتها ، فدرس الكتاب يختلف عن درس الصف وعن درس الاثر ودرس الحبوب ، وان كانت دلالة درس في حقيقة وضعها اللغوي واحدة ، ولكن استعمال درس مع الكتاب والاثر ... وغيرها تدل على تحديد معنى (درس) مع كل لفظة اقترنت بها ، ولذلك نرى ان المعجميين لا يكادون يتخلون عن مثل هذه المصاحبات والقرائن مع المواد المفسرة ومثل ذلك : عجم العود وعجم الكتاب وعجم اللسان ومثل : اعجم واعجمي وما يصاحبها من الفاظ توضح معانيها المختلفة .

سادسا - التفسير ببيان العلة والاسباب التي وضعت المادة اللغوية لهذه الدلالة دون غيرها والمعجميون مغرمون ببيان علل كون اللفظ دالا على معنى دون غيره ، او على تسمية الاشياء بهذه الاسماء دون غيرها . لم يسمى العرب عربا والعجم عجما والكتاب كتابا والاكراد اكرادا وافريقيا (افريقيا) الى غير ذلك من الاهتمامات الكثيرة بالاسباب والعلل في اسماء الاشياء ، قال الازهري في العرب : والاقرب عندى انهم سموا باسم بلدهم العربات(١) واورد ابن منظور جملة من الاقوال فيها ، فمرة نسبهم الى يعرب ونشأ اسماعيل فيهم فتكلم بلسانهم ، فهو واولاده العرب المستعربة ومرة اخرى : ان اولاد اسماعيل نشأوا في (عربة) من تهامة فنسبوا اليها . وكل من سكن بلادهم فهم عرب ... وهكذا نلاحظ ان المعجمي قد وكل نفسه في البحث عن سبب اطلاق لغة العرب حتى كان اشبه بالمؤرخ الباحث.

سابعا - ومن الطرق التي كان ينبغي ان يستخدمها المعجمي العربي في تفسير

---

(١) تهذيب اللغة : عرب

المفردة اللغوية طريقة التفسير بالصورة ، ويمكننا ان نعذر المعجمي العربي بان اجهزة التصوير لم تكن معروفة على عصورهم ، ولكن لايعذره ان يرسم مايحتاج الى توضيحه بالقلم ولقد رأيت - في دراستي لتهذيب الازهرى (١) - ان الازهرى قد استخدم الرسم في توضيح حلقتي الرحل مثلا - فقال في اخر تفسيرها تكون على ما صورته هكذا $\frac{0}{0}$ ورسم حلقتين وبينهما خط ، ولكن هذه النادرة وهي الوحيدة لايمكننا ان نتخذها ظاهرة منهجية مركزية في المعجم • اما القواميس الحديثة فقد قرنت تفسيرها اللغوى بالصورة او الرسم توضيحا وتبيينا للمدلول •

ثامنا - التفسير بالضبط والصيغة ، ونعني بالضبط : شكل الكلمة ، كتبيين باب الفعل وحركة عينه(٢) ، مثل :حقد وزهد - يكسر العين وفتحها - في الفعلين، ومثل : رشوة : مثلثة الراء - اى : ثلاث حركات : الضمة والفتحة والكسرة ، وصلة المعنى بالحركة بالعربية قوية ، وعليها يتوقف معرفة المصدر من اسم المصدر - مثلا - فاللغويون فرقوا بين معنيين : دلالة بكسر الدال - ودلالة بفتحها ، كما فرقوا بين جهد بفتح الجيم ، وجهد بضمها ، وفرقوا بين علاقة - بكسر العين - وعلاقة - بضمها - وعلاقة - بفتحها - وهذه الفروق في الدلالات نتيجة للفروق في الحركات • وتبدو اهمية الحركة اكثر في الصيغ والابنية المشتقه ، كأسم الفاعل واسم المفعول واسماء الزمان والمكان واسماء الالة وغيرها ، فمن الصيغ مالايتضح فيه نوع الصيغة من نحو : مختار ومشتد ومنساق ••• الخ فعلى المعجمي -

---

(١) دراسة تقدمت بها لنيل الدكتوراه عام ١٩٧٢ من القاهرة •

(٢) يمكن مراجعة : المعجم العربي :د• حسين نصار ، سنة ١٩٥٦ • المعاجم اللغوية : د• عبد الله درويش • مقدمة صحاح الجوهرى : احمد عطار•• وغيرها •

هنا – ان يضبط لك الصيغة بتسميتها ، فيقول لك منساق : بصيغة اسم الفاعل – او اسم مفعول فتعرف اذا كان اسم فاعل انه انساق من نفسه . واذا كان اسم مفعول فانه قدساقه احد ، فهو مسوق ... وهكذا

وتقوم الحركة بايضاح الصيغتين مقرونة باسم الصيغة ، فيقول المعجمي : مشتد : صيغة اسم الفاعل بكسر العين ، مفتعل .. وان اراد غيرها قال : مختار صيغة اسم المكان بفتح العين – مفتعل ، اى موضع الاختيار .. وهكذا .

ولقد كثر هذا الاسلوب من الشرح والتفسير في المعجمات العربية المتأخرة من القرن السابع حتى العصر الحاضر ، كما يلاحظ بوضوح عند الصغاني (٦٥٠ هـ) في التكملة والذيل والصلة ومجمع البحرين وغيرها والقاموس المحيط للفيروزابادى (٨١٧ هـ والتاج (للزبيدى) (١٢٠٥ هـ) والقواميس الحديثة .

طرق التنظيم

طرق تنظيم المعجمات وترتيبها ومناهج مؤلفيها مبحوثة في اكثر من كتاب ولست اريد – هنا – اعادة ماهو مطروق . ولكنني سامر بشكل سريع على ابرز الظواهر المنهجية في معجمات اللغة ، قصد توضيح أوجه الاختلاف بينها .

اما انواع المعجمات اللغوية فتتركز في نوعين هما :

المعجمات العامة ، وتأخذ هذه المعجمات على عاتقها تفسير اللغة – عامة – من غير ان تتخصص بنوع او بجانب منها ، كالعين للخليل (١٧٥ هـ) والجيم للشيباني (٢١٣ هـ) ومعجم مقاييس اللغة ، والمجمل لابن فارس (٣٩٦ هـ) والجمهرة لابن دريد (٣٢١ هـ) والتكملة للخارزنجي (٣٤٨ هـ والحصائل لابن ابي الازهر البخارى (٣١٥ هـ) والبارغ للقالى (٣٥٦ هـ) ... وغيرهم .

ب ـ معجمات خاصة ، وتأخذ هذه المعجمات نوعا لغويا خاصا ، كالالفاظ المعربة ، والالفاظ التي تمثل ظاهرة لغوية خاصة كالاضداد والمترادفات والمشتركات والبلدان والنبات والانسان ، والفاظ العلوم ومصطلحاته ، ومعجمات الشيوخ والاعلام ...

وهذا النوع من المعجمات واكب حركة التاليف اللغوية العربية منذ مطلع حركة تدوين العلوم والاداب ، وتمثل الرسائل اللغوية الخاصة في التاليف اللغوى عند علماء العربية الاوائل البداية الاولى لهذا النوع من المعجمات العربية ، فالرسائل الموضوعة في الانواء والسلاح والابل والشجر والخيل وخلق الانسان والاصوات والضأن واللبأ واللبن والهمز والطير والبئر ..و.. كلها من هذا النوع وتنسب الى علماء القرن الثاني ومطلع القرن الثالث للهجرة كابن ابي اسحاق وابي عمرو بن العلاء وابن حبيب والاصمعي وابي زيد وابي عمرو الشيباني والكسائي والفراء والاخفش والمازني والسجستاني والتوزى والرياشي والزيادى واليزيديين .. وغيرهم في مختلف ظواهر اللغة ، وجوانب الحياة المرتبطة بها . ثم كانت مثل هذه الرسائل اللغوية الخاصة موردا خصبا لاصحاب المعجمات على اختلاف انواعها الخاصة والعامة .

وتمثل كتب نوادر اللغة وغريب القرآن والحديث والشعر ولغات القبائل ولهجاتها الخاصة ، مثل : نوادر الفقعسيين ونوادر الكلابيين وغريب الحديث وغريب القرآن وغيرها من الكتب المنسوبة للشيباني ، وابي عبيدة معمر بن المثنى وابي عبيد الهروى والاصمعي وابي زيد وغيرهم من قبيل الكتب المعجمية الخاصة ، ومن المعجمات الخاصة : معجم البلدان لياقوت الحموى (٦٢٦ هـ)

---

(١) يذهب الباحثون في المعجم العربي الى ان هناك منهجين هما : التنظيم على حروف المعجم سواء أكانت على المخارج أم الالفباء ، والمعجمات المنظمة على الموضوعات والمعاني .

والمعرب للجواليقي (٥٤٢ هـ) ومختصر المزني في لغة الفقه الشافعي ، شرحه الازهرى (٣٧٠ هـ) وغريب الحديث لابي عبيد القاسم بن سلام الهروى (٢٢٤هـ) ومعجم ما استعجم في المواضيع والبلدان للبكرى (٤٦٠ هـ) والنهاية في غريب الحديث لابن الاثير (٦٠٦ هـ) وغيرها ٠

منا هجها

وتتخذ المعجمات العربية مناهج ثلاثة وهي :

١ ـ معجمات الموضوعات والمعاني وهي معجمات لاتتخذ الحرف وترتيبه اساسا لترتيب المفردات والمواد ، ولكنها تعتمد على تخصيص الموضوعات في ابواب وفصول ، يضم كل موضوع جميع المفردات والكلمات الخاصة به ، فباب في الابل من الحيوان يضم كل المفردات الخاصة بالابل ، من خلقها وصفاتها وطبائعها ومشربها ومأكلها وسني عمرها ٠٠٠ الخ ٠

ومن هذه المعجمت الغريب المصنف لابي عبيد الهروى والمخصص لابن سيدة (٤٦٠ هـ) ٠ ويمكن عد (فقه اللغة للثعالبي) (٤٢٨ هـ) صورة مصغرة وموجزة لمثل هذا النوع ، تتميز هذه المعجمات بصعوبة الاهتداء الى اللغة المطلوب ايجادها ٠

ب ـ معجمات تتخذ مخارج الاصوات اساسا لتنظيم ابوابها ومفرداتها ولها طريقة خاصة متميزة في عرض مواد اللغة وتفسيرها وهذه الطريقة يمكن حصرها في :

اولا ـ تلتزم الاصوات على المخارج ، وهو التنظيم الذى اوجده الخليل بن احمد(١) ، وهو : ع ح هـ خ غ ـ ق ك ـ ج ش ض ـ ص س ز ـ ط د ت ـ ظ ذ ث ـ ر ل ن ـ ف ب م ـ ا و ى همزة ٠

---

(١) مقدمة العين ١٩٦/١ ط بغداد ٠ مقدمة التهذيب ٣/١ فما بعد ٠

ثانيا ـ جعل كل حرف كتابا ، وينقسم الكتاب على ابواب ٠

ثالثا ـ تنقسم الابواب على : ثناثي وثلاثي وما فوق الثلاثي ، فالثنائي من الحرف الذى هو الكتاب مع مايليه ، فباب الجيم ـ مثلا ـ مع الشين : يمثل الثنائي ثم ج ض : (جض) ثم : ج ص : جص ، ثم :ج س : جس ٠٠٠الخ الحروف والثلاثي : من مجموع الحرف الذى هو الكتاب مع مايليه ثم مايليها ٠ فالجيم والشين ، وما يثلثها هو باب الثلاثي ، فيكون ـ عندنا ـ ج ش ض ـ ج ش ص ج ش س ـ ج ش ز ـ ج ش ط ـ ج ش د ٠٠ وهكذا حتى اخر الحروف

والرباعي : ثلاثة الاحرف المتقدمة مع مايربعها ، ثم مايخمسها ٠٠٠ الخ

رابعا ـ تقليب هذه الحروف الثنائية والثلاثية والرباعية (ج ش ر) او (ج ش ن) فان التقليب كفيل بان يأتي على مجموعة المواد التي تتولد من الاصوات الثلاثة ٠

فالثنائي من (ج ش) جش ، (ش ج) شج

والثلاثي من : جشر وجرش وشجر وشرج ورجش ورشج

والرباعي من : (ج ش ن ب) مثلا ـ جشنب جشبن وجنبش وجنشب وجبنش وجبشن ثم تثبت الشين في اول المادة وتقلب فيتولد عندك ستة تقلبات اخرى ، ثم الخماسي ـ مثله ـ ٠ يلاحظ ان نظام التقليب نظام رياضي دقيق يحصر التقلبات المتولدة بشكل محدود مضبوط ، فالثنائي يولد مادتين ـ فحسب ـ والثلاثي يولد ست مواد ، وذلك من حاصل ضرب اثنين في ثلاثة حروف ، وذلك انك تثبت كل حرف مرتين في اول المادة ، وهي ثلاثة احرف فيكون عندك ست مواد ٠

اما الرباعي ، فتكون عندك منه اربع وعشرون مادة ، لانه يأتي من حاصل

ضرب الحرف الذي يثبت ست مرات في اول المادة في اربعة حروف ، والخماسي من مئة وعشرين مادة من حاصل ضرب خمسة احرف في اربع وعشرين تقليبة من الاحرف الاربعة الباقية ... وهكذا .

خامسا ـ تلتزم هذه المدرسة الاشارة الى ماهو مستعمل في كلام العرب وماهو مهمل ، لان هذا النظام التقليبي كفيل بحصر كل مايمكن ان يتولد من الاحرف المتقبلة سواء أكان المتولد مستعملا ام مهملا ، ولذلك نجد في اول كل باب مجموعة من المواد تحت كلمة مستعملات ومجموعة اخرى تحت كلمة (مهملات) او (مهمل) او (مستعمل) .

وينبغي للذي يريد الاستفادة من معجمات هذه المدرسة معرفة المنهج ، ولا سيما تنظيم الاصوات على مخارجها وترتيب المواد ، وتميزت هذه المدرسة بصعوبتها من هذه الناحية ، لذلك عدل بعض المعجمين عنها الى التنظيم الالفبائي ، كما فعل ابن دريد في الجمهرة ، مع التزامه سائر المنهج كالتقليب والثنائية والثلاثية في المواد اللغوية(١) . فلو اردت مراجعة (سفك) في (التهذيب) فينبغي مراجعة (الكاف) لانه اسبق من السين في المخرج ثم الفاء ، فتجد (كسف) وتقلباتها : كسف وكفس وفسك وفكس وسكف(٢) وسفك .

ورأس هذه المدرسة هو الخليل في(العين) وتابعه جملة كبيرة من المعجميين كأبي تراب (٢٤٥ هـ) في استدراكه على الخليل(١) ، والازهري في تهذيب اللغة

---

(١) اشار ابن دريد الى صعوبة هذا المنهج في مقدمة الجمهرة وسبب تركه نظام مخارج الاصوات ١/٣ـ٧

(٢) وعلى هذا سار كل من التزم طريقة الخليل كالمحكم والمحيط والحصائل والبارع ...الخ .

والصاحب بن عباد (٣٨٥ هـ) في كتابه (المحيط) ، و ابي علي القالي (٣٥٦ هـ) في كتابه (البارع) والبشتي الخارزنجي في (التكملة) وابي الازهر البخارى في (الحصائل) وابن سيدة في (المحكم) وغيرهم ، ولم يتيسر لهذه المدرسة ان تستمر لصعوبة منهجها ٠

جـ ـ معجمات الانباء : ولعلنا يمكن ان ننسب بدايتها الاولية الى الشيباني في الجيم ونعني بها المعجمات التي ترتب موادها على حروف المعجم بالتنظيم الالفبائي وهو تنظيم عربي اوجده النصر بن عاصم الليثي وهو (أ ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن و ا ى)وهذه المعجمات على تعدد مناحي رجالها ايسر مأخذا من المنهجين السابقين ٠ ويمكننا الاشارة بايجاز الى بعض الاختلاف بين مناهج رجالها :

اولا ـ منهج الفصل والباب ، وهو منهج عرف به الجوهرى في (صحاحه) فقد جعل الحرف الذى في صدر المادة فصلا وجعل الباب الرئيسي عجز المادة ، فباب (الباء) ـ مثلا ـ وهو عجز المادة يضم ثمانية وعشرين فصلا على عدد الحروف التي تتعاقب في صدر المادة فاذا اراد انسان ان يراجع كلمة (ادب) فينبغي اولا ـ التفتيش في باب (الباء) ، وهو بعد باب (الهمزة) مباشرة ، فاذا وقف عليه نظر الى الفصل وهو الهمزة في اول فصول هذا الباب ، فاذا وقف عليه نظر الى حشو المادة ـ وهو وسط المادة ـ فسيجد ان المؤلف التزم ترتيب (الالفباء) ـ ايضا ـ وستجد (أب) و (أبب) و (اتب) و (أ ث ب) و (أ ج ب) و ـ أ ح ب و ـ أ خ ب ـ و ـأدبـ فبعد ان ينتهي من حشو المادة من : الهمزة والباء والتاء حتى يصل الى الدال سيجد بغيته(٢) ٠ ولقد سار على هذه الطريقة ابن منظور(٧١١ هـ)

---

(١) مقدمة (فقه اللة) للثعالبي ١٦ ترجمة لابي تراب بقلم المحقق ٠

(٢) راجع مقدمة الصحاح بقلم احمد عبد الغفور عطار ٠

في (لسان العرب) ، وهو أوسع معجم ظهر بعد الصحاح على طريقته ٠

ونهج على ذلك الصغاني (٦٥٠ هـ) في معجماته : العباب والتكملة ومجمع البحرين ٠٠٠ والفيروز (٨١٧ هـ) في (القاموس) والزبيدي (١٢٠٥ هـ) في (تاج العروس) ٠

ثانيا ــ منهج الحرف الاول ــ صدر المادة ثم مايتبعه ــ اى الحشو ثم مايثلثه فيربعه ، وهذا المنهج ايسرها واسهلها لانك تأخذ اول المادة ثم مايليها في الترتيب ، فلو فرضنا انك تفتش عن لفظة (كتب) فيجب اولا ــ ان تخرج حرف الكاف لانه في صدر المادة ، ثم مايليه وهو التاء ، فتترك الكاف والهمزة ثم الكاف والباء ثم التاء ، فستجد ان بعد التاء مباشرة الهمزة (كتأ) فتتركها لتأخذ : كتب ، لان الباء تأتي بعد الهمزة مباشرة ٠ وهذه الطريقة استخدمها جملة من لغويينا المتقدمين كالزمخشرى (٥٢٨ هـ)في (اساس البلاغة) والبرمكي (٤٨١ هـ) في ترتيبه للصحاح(١) والفيومي (٧٧٠ هـ) في المصباح المنير ، ومعظم المعجمات المعاصرة ٠ وتعد طريقة الزمخشرى الالفبائية هذه احدث طريقة معجمية ميسرة ٠

ثالثا ــ طريقة الرازى الانفبائية : ونعني به احمد بن فارس في معجميه (المجمل) و (معجم مقاييس اللغة) فقد حاول أن ينفرد عن اقرانه علماء المعجم العربي بطريقة خاصة تسجل باسمه فلم يتابعه فيها احد من المعجميين وتتمثل هذه الطريقة في :

أ ــ التزام ترتيبه الالفباء في التنظيم للمواد ٠

---

(١) هكذا يقول عطار في الصحاح ومدارس المعجمات ، وفي مقدمة تحقيقه لكتاب الصحاح ٠

ب ـ الحرف الاول من المادة اللغوية هو ابتداء التنظيم ، ثم يليه في الترتيب الالفبائي ، لا في اصل المادة اللغوية ٠

ج ـ الرجوع الى الحروف التي اهملت في المادة بعد الانتهاء من الترتيب ٠

د ـ التقسيم للمواد على الثنائي والثلاثي وما فوقه ، ويمكننا ان نوضح هذا المنهج في محاولة استخراج مادة لغوية منه ، ولتكن مادة : (ضج) من الثنائي ومادة (نصر) من الثلاثي ٠

اما (ضج) فينبغي ان تفتح باب (الضاد) وهذا امر ميسور ، ولكنك ستجد بناء على ماقدمنا من منهجه مواد ثنائية اخرى غير (ضج) لانه يضع الضاد مع مايليها من الالفباء فيأخذ : الضاد مع الطاء ثم الضاد مع الظاء ثم مع العين فالغين فالفاء فالقاف ٠٠٠ حتى الياء ٠٠ ولن ترى (ضج) لانك انتهيت الى الياء وهي اخر الحروف بعد (الضاد) في الترتيب الالفبائي ، ولكننا سبق ان اشرنا في منهجه الى انه يرجع الى الحروف التي اهملها في اول المادة وهذه الحروف تبتدىء من (أ ب ت ث ج) فسترى : ضأ ، ضب ، ضت ، ضث ثم (ضج) وهنا تقع على بغيتك ، ولكن ابن فارس يستمر في عرض مواده بعد (ضج) و(ضخ) وضر وضد وضز وضس وضش وضص وينتهي الباب بالضاد لان الضاد هو الحرف الذي يليه الضاد في الترتيب وهو الذي عقد عليه الباب ٠ وهذه الطريقة نفسها يقدمها في الثلاثي وما فوقه ففي (نصر) ينبغي ان نعلم أن ابن فارس قد مر بعد النون وهو اول المادة بكل الحروف التي بعدها كالهاء والواو ثم الهمزة فالباء والتاء حتى الصاد فصار عندنا ـ نص) ثم يأتي الى ما يثلثها وهو الحرف الذي يأتي بعد (الصاد) في الترتيب الالفبائي فنجد (نصض) و ـ نصط ـ ـ نصظ ـ و ـ نصع ـ و ـ نصغ ـ و ـ نصف ـ و ـ نصق ـ و ـ نصك ـ و ـ نصل ـ و ـ نصم ـ و ـ نصن ـ و نصه ـ و ـ نصو ـ و ـ نصي ثم ينتقل

الى الهمزة ـ نصا ـ و ـ نصب ـ و ـ نصت ـ و ـ نصث ـ و ـ نصج ـ و نصح ـ و نصد ـ و ـ نصذ ـ ثم ياتي الى (نصر) وهي المطلوبة ٠

فهذه الطريقة التي سلكها ابن فارس تبدو عسيرة وصعبة للـذي يريـد مراجعة معجميه ولكن فهم المنهج ييسر للباحث الاهتداء لبغيته في تضاعيف الكتاب ٠ وبقيت طريقة ابن فارس فريدة شاذة في منهجها ، ولم يسايره احد من جاء بعده ٠

هذه هي اهم المدارس المنهجية العربية في بناء المعجم العربي ، وهـي مناهج تدل على اصالة النظرة المعجمية عند علماء العرب ، كما تدل على حرص المعجمي على الاتيان بشيء جديد يخالف فيه اقرانه ممن يتخصصون في ميدانه ويخوضون مخاضه ، وان كانت ـ ثمة ـ متابعات وتقليد عند الكثيرين منهم لمن سبقهم . الا ان هذه المتابعات لم تخل من تغيير وتطوير وزيادة واستدراكات ونقد وفوائد يضيفها المقلدون ٠

٢ ـ الابنية(١) ٠ نص من مقدمة العين للتحليل :

كلام العرب مبني على اربعة اصناف ، على الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي(٢) ٠ فالثنائي على حرفين نحو : قد لم هل لو بل ونحوه من الادوات والزجر(٣) ٠

والثلاثي من الافعال نحو : ضرب خرج دخل ، مبني على ثلاثة احرف ٠ ـ ومن الاسماء نحو : عمر جبل شجر ، مبني على ثلاثة احرف ٠

والرباعي من الافعال نحو : دحرج هملج قرطس مبني على اربعة احرف ٠ ومن الاسماء نحو : عبقر وعقرب وجندب وشبهه ٠

والخماسي من الافعال نحو : اسحنكك واقشعر واسحنفر واسبكر ، مبني على خمسة احرف(٤) ٠

ومن الاسماء نحو : سفرجل همرجل شمردل كهنبل قرعبل عقنقل قبعثر وشبهه(٥) ٠

والالف التي في : اسحنكك واقشعر واسحنفر واسبكر ليست من اصل البناء ، وانما ادخلت هذه الالفاظ في الافعال وامثالها من الكلام لتكون عمادا وسلما للسان الى حرف البناء(٦) ، لان اللسان لاينطق بالساكن من الحروف فيحتاج الى الف الوصل(٧) الا ان : دحرج وهملج وفرطس لم يحتج فيهن الى الالف لتكون السلم ٠

واعلم ان الراء في اقشعر واسبكر هما راءان ادغمت واحدة في الاخرى والتشديد علامة الادغام ٠

قال الخليل : وليس للعرب بناء في الاسماء ولا في الافعال اكثر من خمسة احرف فمهما وجدت زيادة على خمسة احرف في فعل او اسم فاعلم انها زائدة على البناء ، وليست من اصل الكلمة مثل : قرعبلانة انما أصل بنائها(٨) ٠ قرعبل ، ومثل عنكبوت انما اصل بنائها عنكب ٠

وقال الخليل : الاسم لايكون اقل من ثلاثة احرف : حرف يبتدأ به وحرف يحشى به الكلمة وحرف يوقف عليه(٩) فهذه ثلاثة احرف ، مثل : سعد وعمر ونحوهما من الاسماء ٠ (فعمر) بدىء بالعين وحشيت الكلمة بالميم ووقف على الراء ، فاما زيد وكيد : فالياء متعلقة لايعتد بها(١٠)

فاذا صيرت الثنائي مثل : قد وهل ولو اسما ادخلت عليه التشديد فقلت : هذه لو مكتوبة(١١) وهذه قد حسنة الكتبة ، زدت واوا على واوود الا على دال ثم ادغمت وشددت ٠

فالتشديد علامة الادغام ، والحرف الثالث كقول ابي زيد الطائي :

ليت شعري واين مني ليت ‏ ‏ ان ليتا وان لوا عناء

فشدد (لوا) حين جعله اسما .

قال ليث : قلت لابي الدقيش(١٢) : هل لك في زبد ورطب ؟ فقال : اشد الهل وأوحاه .

فشدد اللام حين جعله اسما . قال : وقد تجيء اسماء لفظها على حرفين وتمامها ومعناها على ثلاثة احرف ، مثل : يد وفم ، وانما ذهب الثالث لعلة انها جاءت سواكن(١٣) ، وخلقتها السكون مثل : ياء : يدى ، وياء دمي في اخر الكلمة ، فلما جاء التنوين ساكنا اجتمع ساكنان ، فثبت التنوين لانه اعراب ، وذهب الحرف الساكن(١٤) ، فاذا اردت معرفتها فاطلبها في الجمع والتصغير كقولهم (ايديهم) في الجمع و (يدية) في التصغير ، ويوجد ـ ايضا ـ في الفعل ، كقولهم دميت يده . فاذا ثنيت الفم قلت : فموان ، كانت تلك الذاهبة من الفم : الواو(١٥) .

قال الخليل : بل الفم اصله : فوه كما ترى والجمع افواه ، والفعل : فاه يفوه فوها اذا فتح فمه للكلام .

رد على الخليل

قال ابو احمد حمزة بن زرعة : يد : دخلها التنوين وذكر ان التنوين اعراب قلت : بل الاعراب : الضمة والكسرة التي تلزم الدال في (يد) في وجوه . والتنوين يميز بين الاسم والفعل ، الا ترى انك تقول : (تفعل) فلا نجد التنوين يدخلها . والا ترى انك تقول : رأيت يدك ، وهذه يدك وعجبت من يدك ، فتعرب الدال وتطرح التنوين ، ولو كان التنوين هو الاعراب لم يسقط .

فاما قوله : فموان فانه جعل الواو بدلا من الذاهبة فان الذاهبة هي هاء ـ

ر ــ واو وهما الى جنب الفاء ، ودخلت الميم عوضا عنهما والواو في (فموين) دخلت بالغلط وذلك ان الشاعر يرى ميما قد أدخلت في الكلمة ، فيرى ان الساقط من الفم هو بعد الميم ، فيدخل الواو مكـان مايظـن انـه سقط منـه ويغلط(١٦) ٠

في الابنية ايضا (١٧)

قال الخليل ان وردت عليك كلمة رباعية او خماسية معراة مـن حروف الذلق او الشفوية ولا يكون في تلك الكلمة من هذه الحروف حرف واحد او اثنان اوفوق ذلك : فاعلم ان تلك الكلمة محدثة ومبتدعة ليست من كلام العرب ، لانك لست واجدا من يسمع من كلام العرب كلمة واحدة رباعية اوخماسية الا وفيها من حروف الذلق والشفوية واحد او أثنان او اكثر ، قال الليث : قلت : فكيف تكون الكلمة المولدة المبتدعة غير مشوبة بشيء من هذه الحروف ؟ فقال نحو : الكشعثج والخضعثج والكشعطج واشباههن ، فهذه مولدات لاتجوز في كلام العرب ، لانه ليس فيهن شيء من حروف الذلق والشفوية ، فلا تقبلن منها شيئا وان اشبه لفظهم وتأليفهم فان النحارير منهم ربما ادخلوا على الناس ماليس من كلام العرب ، اراده اللبس والتعنت ٠

واما البناء الرباعي المنبسط فان الجمهور الاعظم منه لايعرى من الحروف الذلق ، الا كلمات نحوا مـن عشرين شواذ ٠ ومـن هـذه الكلمات : العسجد والقسطوس(١٨) والقد احس والدعشوقة والهدعدهة والزهزقة ، وهي منسرة في اماكنها ، قال ابو احمد حمزة بن زرعة هي كما قال الشاعر :

ودعشوقة فيها ترنح دهشم تعشقتها ليلا وتحتي جلاهق

وليس في كلام العرب : دعشوقة ولا جلاهق(١٩) ولا كلمة صدرها (نر) وليس في شيء من الالسن (ظاء) غير العربية(٢٠) ٠

وهذه الاحرف قد عرين من الاحرف الذلق ، ولذلك نزرن فقللن ، ولولا مالزمهن من (العين والقاف) ماحسن على حال ، ولكن العين والقاف لاتدخلان في بناء الاحسنتاه لانهما اطلق الحروف واضخمها جرسا(٢١) . واذا اجتمعتا او احدهما في بناء حسن البناء لنصاعتهما . فان كان البناء اسما لزمته السين او الدال مع لزوم العين او القاف لان الدال لانت عن صلابة الطاء وكزازتها وارتفعت عن خفوت التاء وصارت حال السين بين مخرج الصاد والزاي كذلك .

ومهما جاء من بناء اسم رباعي منبسط معرى من الحروف الذلق والشفوية فانه لايعرى من احد حرفي الطلاقة او كليهما ومن السين والدال او احدهما ، ولا يضر ماخالف من سائرالحروف الصتم ، فاذا ورد عليك شيء من ذلك فانظر ماهو من تأليف العرب وما ليس من تأليفهم نحو : قعثج ونعثج ودعشج ، لاينسب الى عربية ، ولو جاء عن ثقة لم ينكر ولم نسمع به ولكن الفناه ، ليعرف صحيح بناء كلام العرب من الدخيل .

واما ما كان من رباعي منبسط معرى من الحروف الذلق حكاية مؤلفة نحو : دهداق وزهزاق ، واشباهه ، فأن الهاء والدال المتشابهتين مع لزوم العين او القاف مستحسن ، وانما استحسنوا الهاء في هذا الضرب للينها وهشاشتها . وانما هي نفس لااعتياص فيها .

وان كانت الحكاية المؤلفة غير معراة من الحروف الذلق فلن يضر كانت فيها الهاء اولا نحو : الغطمطة واشباهها ، ولا تكون الحكاية مؤلفة حتى يكون صدرها موافقا لحرف صدر ماضم اليها في عجزها فكأنهم ضموا (د ه) الى (د ه) فالفوهما . ولولا ماجاء فيهما من تشابه الحرفين ماحسنت الحكاية فيهما(٢٢) لان الحكايات الرباعيات لاتخلو من ان تكون مؤلفة او مضاعفة . فاما المؤلفة فعلى ماوصفت لك ، وهو نزر قليل ، ولو كان : الهعخع من الحكاية في قياس

بناء تاليف العرب ، وان كانت الخاء بعد العين ، لان الحكاية تحتمل من بناء التأليف مالايحتمل غيرها بما يريدون من بيان المحكي ، ولكن لما كان (الهعخع) مما ذكر بعضهم اسما خاصا ، ولم يكن بالمعروف عند اكثرهم وعند اهل البصر والعلم منهم ، ومنهم من رد ولم يقبل • واما الحكايـة المضاعفة فانهـا بمنزلة الصلصلة والزلزلة وما اشبهها يتوهمون في حسن الحركة مايتوهمون من جرس الصوت فيها فيضاعفون لتستمر الحكاية في وجه التصريف •

والمضاعف في البيان •• ينسب الـى الثنائي لانه يضاعفه ، الا تـرى في الحكاية ، ان الحاكي يحكي صلصلة اللجام ، فيقول : صلصل اللجام ، وان شاء قال : صل ••• ويجوز في حكاية المضاعفة مالايجوز في غيرها من تأليف الحروف، الا ترى ان (الضاد) و (الكاف) اذا القتا ، فبدىء بالضاد ، فقيل : (ضك) كان تأليفه لم يحسن في ابنية الاسماء والافعال الا مفصولا بين حرفيه بحرف لازم او اكثر من ذلك : الضنك والضحك واشباه ذلك •

وهو جائز في المضاعف نحو : الضكضاكة من النساء فالمضاعف جاز فيه كل غث وسمين من الفصول والاعجاز والصدور وغير ذلك •

والعرب تشتق في كثير مـن كلامها ابنية المضاعف مـن بناء الثلاثي(٢٣) المثقل بحرفي التضعيف ، ومن الثلاثي المعتل ، الا ترى انهم يقولون صل اللجام يصل صليلا ، فلو حكيت ذلك قلت : صل بتشديد اللام وتثقلها ، وقد خففها في (الصلصلة) وهي ـ جميعا ـ صوت اللجام ، فالثقل مد والتضاعف ترجيع يخف ••• فيجرى كثير منه متفقا (يعني صل وصلصل اللجام) ويجيء منه الكثير مختلفا نحو : صر الجندب صريرا وصرصر الاخطب صرصرة ، فكأنهم توهموا في صوت الجندب مدا ، وتوهموا في صوت الاخطب ترجيعا ••• الخ •

شـرح الهوامش

---

١ ـ مقدمة العين ١/٤٨ •

٢ ـ ليس هناك (سداسي) في كلام العرب الا ماجاء مزيدا ٠

٣ ـ يريد بالزجر : اسماء لاصوات وما يزجر به الحيوان وما يستعمل على صوتين من اسماء الافعال كـ (مه) و (صه) و (حا) ٠٠٠ الخ ومن الثنائي في الصورة ثلاثيا في الحقيقة وهو المضعف مثل : رد ، قل ، صف ٠

٤ ـ هذه الافعال التي ذكرت تتألف من ستة احرف كما هو واضح ولكن الهمزات في اولها ليست من اصل البناء كما سيبين الخليل نفسه ٠

٥ ـ المراد بشبهه هنا ابنية اخرى لم يذكرها مثل : قرطعب وجحمرش ٠

٦ ـ يعني به حرف السكون اوعدم الحركة ٠

٧ ـ وهي صفة ملازمة للسان العربي السامي وليست هذه الصفة موجودة في اللسان الارى ـ الهندى الاوربي ، فان مثل grand-stop-speak-plan. تبتدىء بالساكن وهناك مايبتدىء بالمتحرك مثل : Book—Read — Back

٨ ـ اصل بناء الخماسي لايكون الا اسما ، فاذا اخذ من الاصل فعل زيد عليه الهمزة في اوله كما اشار الخليل فيما تقدم ٠

٩ ـ اصطلح النحويون فيما بعد على الحرف الاول في بناء الكلمة بتسميته (فاء الفعل) والثاني (عين الفعل) والثالث (لام الفعل) لان الثلاثي عندهم هو الاصل في البناء وهو مرحلة متطورة تاريخيا عن الثنائي ، واشار الخليل الى ان الثنائي اولا ثم يليه الثلاثي والرباعي توحي بهذا المعنى ٠

١٠ ـ لعل مراد الخليل من التعلق ـ هنا ـ بان الياء او الالف او الواو اذا وقعت في بناء لم تكن اصلا في بنائه وانما الاصل هو الاصوات الساكنة وهذه الفكرة ايضا تؤيد المذهب القائل بثنائية الاصل السامي ٠

١١ ـ اي : صيرتها ثلاثية لان الطور الناضج للاسماء والافعال هو ثلاثية الاصول وهذه النظرة تنسحب على الكثير من الاسماء التي وردت في اللغة

ثنائية الظاهر ولكن اللغويين يقررون ثلاثية الاصول لها كالاسماء الخمسة وكدم ويد وثبة وعزة وغيرها مما سيشير اليها الخليل نفسه فيما يأتي ٠

١٢ ـ ابو الدقيش اعرابي فصيح كان يتردد على البصرة ويجالس الخليل وقد ذكره الخليل اكثر من مرة في العين يسأله في اللغة كما ترد بعض الاسئلة من الليث يسأله فيها عن اشياء في اللغة وهذا السؤال في المتن عن الليث ٠

١٣ ـ يريد : غير متحركة بحركة ماكالفتح والضم والكسر ٠

١٤ ـ اى : ان تنوين (يدى) ساكنة الياء يوجب اجتماع الياء الساكنة مع نون التنوين الساكنة فتصبح اللفظة يدين بساكنين فحذفت (الياء) وبقيت النون ، وسبب الحذف عند الخليل هو كون النون جيء بها طارئة لفائدة الاعراب ، فلا يجوز حذف ماجيء لعلة وفائدة ٠ اما الياء فحذفت لكون المعنى واضحا ولم يؤثر حذفها في الكلمة ونرى انه مما يسر حذف الياء في مثل هذه الكلمات التخلص من ثقلها ، ولكونها علة وليس التنوين اعرابا كما ذكر الخليل ولكنه علامة على الاسمية وانما الاعراب ماكان بالفتحة والضمة والكسرة ٠

١٥ ـ مجموع ماذكر الخليل من طرق الكشف عن الحرف المحذوف اربع طرق هي

(أ) التثنية مثل فموين ٠

(ب) الجمع مثل ايديهم

(ج) التصغير مثل : يديه

(د) الفعل مثل : دمي ٠ ونقل عن رسول الله ـ ص ـ قوله :

ان انت الا اصبع دميت   وفي سبيل الله مالقيت

عمل اليوم والليلة : النسائي ٣٧٦ الحديث ٥٥٩ ٠

ويكشف كذلك بالرجوع الى المصدر ، وبالنسب والجمع كما يقال : شفوي وافواه ٠

١٦ ـ ورد هذا الكلام كله في متن كتاب العين ، وهو ليس من العين ، ولكنه من الزيادات عليه وقد نسب هذا الرد الى ابن زرعة وهو رد منطقي وصحيح وورد في شعر الفرزدق تثنية فم على (فموين) قال :

هما نفثا في في من فمويهما ⁂ على النابح العاوى اشد رجام

قال ابن درستويه في (ليس في كلام العرب ص ٢١٦ ـ ٢١٧ و٣٤) : ليس في كلام العرب حرف حذف وعوض منه الاحرفا واحدا وهو قول الفرزدق او غيره : واورد البيت المذكور ..

جمع بين الميم والواو وانما الاصل الواو (هذا فوزيد) فأبدل من الواو ميما لما افرد فقال : فما ، لانه لايكون اسم على حرفين الثاني حرف لين لان التنوين يسقطه فبعد ان ابدلوا الميم من الواو وجب ان يقول : فمان ، فقال فموان .

وقال بعض العرب : رأيت فمويه والصواب حذف الواو اذا جئت بالميم .. والاصل في فم فوه فاسقط الهاء تخفيفا فبقي فو فابدلوا منه الميم والدليل على ذلك قولهم في الجمع : افواه وفي التصغير : فويه .

١٧ ـ العين ١/٥٢ فما بعد ونظر كذلك : الصاحبي ٣ . ونقل السيوطي في المزهر هذا الكلام ١/١٣٨ .

١٨ ـ اورد ابن خالويه في ليس في كلام العرب ص ٢٥٣ ثلاث عشرة لفظة على (فعلول) ومن بينها : عسطوس شجر وهي المفردة الوحيدة التي ليس فيها من اصوات الذلاقة شيء .

١٩ ـ لم يورد ابن خالويه هذين البناءين في كتابه .

٢٠ ـ يريد بذلك : ان النون والراء لاتجتمعان في كلمة عربية الاصل الا اذا فرق بينهما مثل : نبر نصر نجر نشر كما يريد ايضا ان (الظاء) صوت تميزت

به الساميات من سائر اللغات الاخرى وقد احتفظت به العربية الى جانب
الضاد فعرفت بلغة : الضاد ·

٢١ ـ أنظر اول باب (العين) واول باب (القاف) في لسان العرب ·

٢٢ ـ تضمن هذا النص ضوابط مهمة لبناء الكلمة العربية من الرباعي وهذه
الضوابط هي

أ ـ أن الرباعي فما فوقه لايخلو من صوت من اصوات الذلاقة ·

ب ـ اذا خلا من الذلاقة فلا يخلو من (ع ق ، س د) او احدهما وهي
أصوات الطلاقة ·

جـ ـ اذا كان البناء حكاية كالدهدقة والزهزقة او مضاعفا كالزلة ،
فيجب ان تكون فيه الهاء أذا خلا من الذلاقة وبالعكس ·

٢٣ ـ وهذه النظرة تعطينا فكرة عن التطور التاريخي لابنية العربية السامية ·
فالمذهب القائل بأن الاصل لابنية العربية هو الثنائي ثم مرحلة الثلاثي
يؤكد قول الخليل ·
ان مافوق الثلاثي هو مرحلة متأخرة جاء بعد الثلاثي ·

للمصدر اوزان تختلف من فعل لاخر بضوابط قيدها النحويون والصرفيون تدل على ان للدلالة اثرا في تغير البناء وصيغة المصدر كما ان للزوم والتعدى اثرا واضحا في اكتساب بعض المصادر نوعا من البنية ٠

- ولقد ذكر اللغويون ضوابط متعددة للفعل الثلاثي المتعدى الذى يبنى على (فعل يفعل ويفعل ويفعل) - بفتح العين وكسرها وضمها - وجعلوا مصدره غالبا على (فعل) بفتح فسكون ٠

- كما جعلوا للفعل الثلاثي من الباب الرابع (فعل يفعل) مصدرا على فعل بفتحتين اذا دل الفعل على نوع معنى ، كالانفعال والصفات الطارئة او اللازمة وقد تدل بعض الافعال على صوت او حركة في موضع او مرض او لون او حرفة او صناعة او سير اوما اشبه هذه الدلالات فتتغير ابنية المصادر تبعا لذلك وفي مايأتي نختار نصا من كتاب ابن قتيبة (ادب الكاتب) يتضمن المصدر من الثلاثي ثم مافوق الثلاثي ، وسنحاول ان نعلق على ابنية المصادر بما يناسبها في حواشي النص المختار ٠

والمصدر في العربية : اسم فيه دلالة الحدث مجردا من الزمن وعرفه الجرجاني : بانه الاسم الذى اشتق منه الفعل وصدر عنه(١) وليس مذهب الجرجاني في تعريف المصدر هو مذهب كل النحويين من كبار المدرستين : البصرية والكوفية ، لان الخلاف الجوهرى في هذا كون المصدر اصل الاشتقاق او الفعل ٠

- المعروف ان البصريين هم الذين يقولون بكون المصدر اصلا للاشتقاق

---

(١) التعريفات ١٩٢ ٠

ويجعلون الفعل فرعا عليه ثم سائر المشتقات في حين يذهب الكوفيون الى ان الفعل هو الاصل في الاشتقاق ،وما سواه فرع عليه (٢) ٠

- وسواء أكان المصدر اصلا ام الفعل : فان ثمة مايثير اهتمام الباحث في نحو اللغة العربية ويدعوه الى التفكير في كثير من مسائلها الجوهرية والجزئية مما مر عليه الاقدمون في ابحاثهم ومؤلفاتهم واشبعوه درسا او تركوه لغيرهم من الدارسين ٠

- ولعل البحث في (المصدر) ودلالته وضوابطه في الثلاثي وما فوقه قد اخذ مساحة ليست بالقليلة من صفحات الكتب المؤلفة في علم النحو ، فضلا عن افراده في كتب ورسائل خاصة ٠

من ابن قتيبة في أدب الكاتب

فعل يفعل (١) قال :

يجيء المصدر من هذا على (فعول) نحو : سكت سكوتا ، وخرج خروجا (٢) ٠
وعلى (فعل) نحو : قتله قتلا ، ودقه دقا(٣) بابه فتح ضم ٠

وعلى (فعل) نحو : جلب يجلب جلبا ، وطرد يطرد طردا ، وسلبه سلبا ، وطلب طلبا ، وحلبه حلبا ، وهو قليل (٤) أراد مفتوح العين ٠

وعلى (فعل) نحو : خنقه خنقا ، وعلى (فعل) نحو : ذكره ذكرا ، وقال يقول قيلا ٠ وعلى (فعل) نحو : شكر شكرا وكفر كفرا ، وعلى (فعلان) نحو : شكر شكرانا وكفر كفرانا ، وعلى (فعال) نحو : نعس ينعس نعاسا(٥) وصرخ يصرخ صراخا ، وعلى فعلان نحو (٦) : نزا ينزو نزوانا ، وطاف ، يطوف طوفانا وعلى (فعيل) نحو : خب يخب خبيبا(٧) ٠

---

(٢) اسرار العربية : ابو البركات ١٧١ - ١٧٦ ٠ الانصاف : ١٢٩/١ ٠

وعلى فعالة نحو : زار يزور زيارة ، وساس يسوس سياسة(٨) ، وعبد يعبد عبادة • وعلى (فعال) نحو : قام قياما ، وصام صياما وكتب كتابا ، وبعض العرب يقول : كتابا(*) على القياس وصحبه صحابا • ويجيء على (فعال) نحو: زال يزول زوالا ، وثبت ثباتا وثبوتا •

باب (فعل يفعل)(٩) قال : أي باب فرح

يجيء المصدر منه على (فعل) نحو : تعب تعبا وسخط سخطا ، وعلى (فعل) نحو : بلع يبلع بلعا ، ولحس لحسا ، وعلى فعول نحو : لزم يلزم لزوما(١٠) ونهكته الحمى تنهكه نهوكا • وعلى (١١) (فعل) نحو : شربت شربا ووددت فلانا ودا ،وعلى (فعال) نحو(١٢) :سفد يسفد سفادا،وعلى (فعلان بسكون العين ـ نحو :غشيه غشيانا ،وحسب حسبانا ،وعلى(فعال)(١٣) نحو ،سمع يسمع سماعا ، وعلى (فعلة) نحو : رحمته رحمة ، وعلى (فعلان) نحو شنئته أشنؤه شنانا(١٤) وعلى(فعل) ـ بكسر فسكون ـ نحو ضحك ضحكا ولعب لعبا،وعلى(فعالة) نحو: زهدت زهادة(١٥) ، وسئمت سأمة وقنعت قناعة ،وعلى (فعلة(١٦) نحو : شهب يشهب شهبة وكهب يكهب كهبة وصدىء يصدأ صدءة ، وعلى (فعل) نحو : علم يعلم علما(١٧) •

باب (فعَل يفعل)(١٨) ـ فتح العين في الماضي والمضارع ـ

يجيء المصدر من هذا على (فعول) نحو : جحده يجحده جحودا(١٩) • وعلى (فعال) نحو : سأله يسأله سوءالا ومزح مزاحا • وعلى (فعلان)(٢٠) نحو : لمع يلمع لمعانا وذأل يذأل ذألانا ، وعلى (فعل) نحو : نفع ينفع نفعا وذبح يذبح ذبحا ، وعلى (فعال) نحو(٢١) : ذهب يذهب ذهابا(٢٢) ، وعلى (فعالة)(٢٣) نحو : قرأ قراءة ، وعلى (فعالة) نحو : نصح ينصح نصاحة (٢٤) ، وعلى (فعال) نحو : طمح يطمح طماحا وصرح صراحا(٢٥)•

(*) لعله أراد : كتبا بتسكين التاء •

باب (فعل يفعل) بضم العين في الفعلين - ٠

يجيء المصدر من هذا على (فعالة) نحو : ملح يملح ملاحة ونبل ينبل نبالة(٢٦) ٠ وعلى (فعولة) نحو : قبح يقبح قبوحة وقباحة وسهل يسهل سهولة(٢٧) ٠ وعلى (فعل) نحو : حسن يحسن حسنا وقبح يقبح قبحا ، وعلى (فعل) نحو : صغر صغرا وعظم عظما وسرع يسرع سرعا ، وعلى (فعل) قالوا : كرم كرما وشرف شرفا ٠ وعلى (فعلة) و (فعلة) - أي : بكسر الفاء وفتحها - نحو : وضع يوضع ضعة وضعة ووقح يوقح قحة وقحة(٢٨) ٠ وعلى (فعل) قالوا : ظرف يظرف ظرفا ، قال سيبويه : اما قولهم : الجمال فانه مصدر : جمل يجمل وأصله : جمالة(٢٩) ، كما قالوا : صبح يصبح صباحة وقبح قباحة ، فحذفوا(٣٠) ٠

قال : ومن غير هذا الباب :

شقي شقاوة وشقاء ، كما قالوا : سعد سعادة(٣١)) ٠ وقالوا : اللذاذ واللذاذة وانما هو مصدر لذيذ(٣٢) ٠ ويقال : بهو يبهو بهاء ، وبدو(٣٣) يبدو بداء ، مثل : جمال ٠

شرح الهوامش

(١) الباب الاول : الفتح والضم ٠

(٢) سبقت الاشارة الى ان هذا المصدر يأتي - غالبا - من الفعل اللازم وبحسب الضابط الذى ارتأيناه - هناك - وقوله - هنا - ان (فعولا) يأتي من الباب الاول ليس مطردا فانه يأتي من هذا الباب ، كما يأتي من الباب الثاني ، كما مر معنا ، ويأتي من غيرهما كما ترى في : صعد يصعد - في الباب الرابع - صعودا ، وفي : ركن يركن - في الباب الثالث - ركونا ٠

(٣) يريد في باب (فعل يفعل) المتعدى ، اما غير هذا الباب من المضعف فأوزان

مصادره مختلفة نحو : جل يجل جلالة ، ودق يدق دقة ، وشذ يشذ شذوذا ٠٠٠ الخ ٠

(٤) قوله : وهو قليل ، يريد المصدر (الفعل) بفتح العين من هذا الباب ، وقد أشار ابن خالويه الى ذلك ، قال : ليس في كلام العرب فعل فعلا الا طلب طلبا ورفض رفضا وطرد طردا وصلب صلبا وجلب جلبا ورقص رقصا ، منه احرف جاء المصدر والماضي مفتوحتين (ليس في كلام العرب ٨٦) وهناك افعال اخرى جاءت مصادرها على هذا البناء نحو : الغلب والسمر والدأب ، غير ان عين المضارع في هذه الافعال مختلفة الحركة وليس من الباب الذى اشار اليه المؤلف ٠

(٥) وضابط هذا الباب كما سبقت الاشارة ، هو دلالة الفعل على الصوت ولكن (نعس) هنا ليست دلالته من هذا الضابط فهو مما يخرج عن الباب ٠

(٦) ضابط هذا الباب ان يدل الفعل على الحركة والدوران في الموضع كما مثل لذلك ، ونحو : غلى يغلي غليانا وجال يجول جولانا ومال يميل ميلانا ودار يدور دورانا وفار يفور فورانا ، وهكذا ومن غير هذه الدلالة الفعل هذى يهذى هذيانا وغشي يغشى غشيانا ، وليست هذه البنية للمصدر مقصورة على باب من ابواب الافعال السنة ٠

(٧) ومنه : نز نزيزا ودب دبيبا ٠ من باب (ضرب) اذا دل على سير ٠

(٨) زنة المصدر على (فعالة) ضابطه ان يكون دالا على حرفة أو مهنة كالتجارة والصناعة والتجارة والرياسة والقيادة والصياغة ٠

(٩) وهو باب الكسر فالفتح وهو الرابع من ابواب الثلاثي ٠

(١٠) الاكثر في هذا الباب ان يأتي على (فعل) كما صدر المؤلف كلامه نحو : حزن حزنا وفرح فرحا وغضب غضبا وشره شرها ٠٠٠ الخ وفي فعله دلالة على الانفعال والحالات الطارئة ٠

(١١) ينطبق الضابط المذكور على هذا الفعل فان لزوم الشيء للشيء تعني الركون اليه والاطمئنان اليه ٠ وكذا الفعل نهك ، يعني الذبول والضعف وقلة الحركة ٠

(١٢) يأتي المصدر (فعل) من غير هذا الباب ـ ايضا ـ فمن الباب الخامس اى باب (كرم يكرم) مثل : قبح قبحا وحسن حسنا وقرب قربا ٠ اما من الباب الذى ذكره المؤلف ، فمثل كره كرها وجهد جهدا ، وقيل ان المصدر (جهد) بفتح الجيم ، والجهد اسم المصدر ، وقيل : كلاهما مصدر والفتح والضم يغيران دلالة الكلمة ٠

(١٣) يشترك هذا الوزن في المصادر مع الباب الذى قبله ، كما ترى في قام قياما وصام صياما وكتب كتابا التي اوردها المؤلف ٠

(١٤) وهذا ايضا مشترك كما ترى في : زال زوالا وثبت ثباتا في اخر الباب السابق ٠

(١٥) صيغة فعلان ضابطها ـ كما مر ـ دلالة الفعل على الحركة في الموضع وهذا الفعل لاتتفق دلالته مع الضابط ، فقد جاء منه تحريك العين بالفتح وتسكينها كما اشار المؤلف ـ هنا ـ ومثله (زيدان) و(اليان) وقد ذكر المؤلف (ليان) فيما سبق وعلى هذا يكون الوارد في كلام العرب على (فعلان) الساكن العين ثلاثة افعال فقط (انظر : ابن خالويه : ليس في كلام العرب ١٣٧ ، وقال الشاعر في ليان :

قد كنت داينت بها حسانا مخافة الافلاس والليانا

يحسن بيع الاصل والقيانا

انظر مغني اللبيب : ابن هشام ٤٧٦/٢ شاهد ٧٢٦ ٠

(١٦) ومن الابواب الاخرى يأتي (فعالة) بكثرة نحو : كرمت كرامة وجل جلالة،

اما هذا الباب الذى اشار اليه المؤلف فمثله : سلمت سلامة وندمت ندامة قال الشاعر الفرزدق :

ندمت ندامة الكسعي لما ... غدت مني مطلقة نوار

(١٧) ضابطه ان يدل الفعل على اللون كالخضرة والصفرة والحمراة والصهبة والكدرة ... الخ ·

(١٨) وكذا منه : سلم يسلم سلما ، ويجوز فيه (الفعل) على القياس فيقال السلم·

(١٩) اى الباب الثالث بفتحتين لعين الماضي والمضارع ·

(٢٠) يلاحظ ان الافعال التي يأتي ماضيها مفتوح العين ومضارعها مثله ويكون عينها اولا حلقيا وتشترك في الضابط يكون مصدرها الفعول نحو : خضع خضوعا ونهض نهوضا وركع ركوعا ، وكذا الفعل الذى مثل به المؤلف

(٢١) الضابط متوفر في الفعلين ، اذ فيهما دلالة الحركة ·

(٢٢) ومنه : نجح ينجح نجاحا ، وبرح يبرح براحا ·

(٢٣) المعلوم ان ضابط (فعالة) هو كون الفعل دالا على حرفة او عمل يوجب الدراية والمعرفة ، والقراءة مهنة لاتتأتي الا لمن اوتي دراية ومعرفة بها ومن ذلك صنع صناعة ·

(٢٤) ومنه : برع يبرع براعة ونبه ينبه نباهة ·

(٢٥) يلاحظ ان كل الافعال التي اوردها المؤلف في باب (فعل يفعل) اى المفتوح العين في الماضي والمضارع وكل الافعال التي مثلنا بها نحن ، فهي افعال عينها اولامها حرف حلقي ، وهذا يعني ان هذا الباب لايأتي الفعل فيه الا واحرف الحلق منه تدخل في بنيته (في عينه اولامه) وربما تشذ بعض الافعال ولكن ذلك نادر ، وذلك نحو : صعد يصعد وسعد يسعد

وربما كان ذلك من باب تداخل اللغات ، اى الافعال التي يكون ماضيها من لهجة ومضارعها من لهجة اخرى ٠

(٢٦) كل مادل على ثبوت ولزوم في الصفة يكون على (فعولة) و (فعالة)ويكون (فعل) ذلك من هذا الباب ، كما جاء (قبح) و (حسن) ٠

(٢٧) وهو -ايضا - يدخل تحت الضابط المذكور ان يكون فعله لازما دالا على ثبوت الصفة ٠

(٢٨) هذان المثالان اللذان اوردهما المؤلف على هذا الباب نادران ، وقد جاء/ وجد يجد يضم الجيم في المضارع وفتحها في الماضي وهي لغة بني عامر ، فهم يحذفون الواو في المضارع ويضمون عين الفعل ٠ انظر : ليس في كلام العرب ٣٩ - ٤٠ ٠

(٢٩) وهذا يؤكد ان (فعالة) من المصادر يأتي للفعل الذى دلالته على ثبوت الصفة ٠

(٣٠) قول سيبويه ، فحذفوا لايريد من (صباحة) و (قباحة) لان الحذف من (قباحة) غير مسموح ، اما من (صباحة) فقد ورد منه : صباح ٠

(٣١) فيه دلالة على تغير الصفة ٠

(٣٢) يريد : لذذ يلذذ ، مثل ودد يودد من باب (فرح) ٠

(٣٣) المستعمل في اللسان العربي : بدأ يبدو وبدى يبدى ومنه بديته ،والمثالان اللذان اوردهما سيبويه نادران ٠ ومن بدأ يبدو قول الشاعر الشماخ ٠

لعلك والموعود حق لقاءوه ‌ ‌ ‌ ‌ بدا لك في تلك القلوص بداء

انظر اللسان : ابن منظور (بدا) ٠ وشرح الشذور ١٦٧ ٠

باب مصادر بنات الاربعة ، فما فوق

قال ابن قتيبة(١) :

يجيء مصدر (أفعلت) على (افعال) ، تقول : أحرمت احراما واعطيته اعطاء والالف مقطوعة(٢) وفي المعتل على (افعالة) نحو : أقمته اقامة وأجلته اجالة(٣) وانما زيدت الهاء فيه تعريضا مما ذهب منه ، والذاهب منه موضع العين من الفعل ، وربما حذفت الهاء اذا اضيفت نحو قول الله ـ عز وجل ـ (واقام الصلاة) وكذلك : الاستفعالة نحو : الاستقامة(٤) .

ويجيء مصدر (فعلت) على (التفعيل) و (الفعال) نحو : كلمته تكليما وكلاما ، وكذبته تكذيبا وكذابا ، وجملته تجميلا وجمالا(٥) .

وفي بنات الواو والياء على (تفعلة) نحو : عزيته تعزية وقويته تقوية(٦) .
ويجيء : (فاعلت) على مفاعلة وفعال ، وعلى فيعال(٧) ، نحو : قاتلته مقاتلة وقتالا ، وجالسته مجالسة ، وقاعدته مقاعدة وماريته مماراة(٨) ومراء وجادلته مجادلة وجدالا .

قال : والذين يقولون : (تفعلت) : (تفعالا) ـ أي بكسر التاء والفاء وتشديد العين يقولون : قاتلته قيتالا . ويجيء مصدر (تفعلت) على (التفعل) يقولون : تقولت تقولا وتكذبت تكذبا .

والذين يقولون : كلمه كلاما ـ أي : بتشديد اللام ـ ، يقولون : تحملت تحمالا(٩) ويجيء مصدر (تفاعلت) على (التفاعل) بضم العين نحو : تغافلته تغافلا . وقد شذ منه حرف تقوله بعض العرب ـ بالكسر وبعضها بالفتح ـ قالوا تفاوت الامر تفاوتا ، حكاه ابو زيد(١٠) .

---

(١) في أدب الكاتب : ٦٥١ . وتكرر هذه الهامش في مجموعة الهوامش بعد هذا النص .

قال : والكلابيون يفتحون(*) : ويجيء مصدر (افتعلت) على (افتعال) نحو : اقتتلنا : اقتتالا ، واحتبست احتباسا ٠

ويجيء مصدر (انفعلت) على (انفعال) نحو : انطلقت انطلاقا ، وانصرم الشيء انصراما ٠

ويجيء مصدر (افعللت) على : افعلال(١١) ، نحو : احمررت احمرارا ، واسوددت اسودادا ٠

ويجيء مصدر (افعاللت) على (افعيلال) نحو : اشهابت اشهيبابا ٠

ويجيء مصدر (افعولت) على (افعوال) نحو : اجلوذ اجلواذا(١٢) ٠

ويجيء مصدر (افعنللت) على افعنلال (١٣) نحو : اقعنس اقعنساسا ٠

ويجيء مصدر (افعوعلت) على (افعيعال)(١٤) نحو : اغدودنت اغديدانا٠

ويجيء مصدر (استفعلت) على (استفعال) نحو : استخرجت استخراجا٠

باب ماجاء فيه المصدر على غير صدر(١٥)

قال الله ـ عز وجل ـ (والله انبتكم من الارض نباتا) فجاء على (نبت)٠

وقال الله ـ عز وجل ـ (وتبتل اليه تبتيلا) فجاء على (بتل) ٠

وقال الشاعر :

وخير الامر ما استقبلت منه وليس بأن تتبعه اتباعا

فجاء على اتبعت وقال اخر :

وان شئتم تعاودنا عوادا

فجاء على (عاودنا) ٠

(*) يعني أنهم يفتحون واو (تفاوتا) ٠

وانما تجيء هذه المصادر مخالفة للافعال ، لان الافعال وان اختلفت ابنيتها فهي واحدة في المعنى ٠

شـــرح الهـــوامش

(١) أدب الكاتب ٦٥١ ٠

(٢) يريد ان الهمزة في اقطع اقطاعا ، واحرم احراما ،واقنع اقناعا وما اشبهها همزة قطع ٠

(٣) الاصل في مصدر هذه الافعال ان تكون كالصحيح ، نعني ان تبنى على (افعال) كأدار ادوارا ، وامال اميالا ، واخاف اخوافا ، ثم حصل اعلال بقلب الواو والياء الفا بنقل حركتهما وهي الفتحة الى فاء الفعل فتحرك ماقبل الواو والياء فقلبت الفاء فاصبحت : اداار واما ال واخااف فحذفت احدى الالفين تخفيفا مما اوجب التعويض من المحذوف فجيء بالتاء ، فأصبحت الكلمة ادارة وامالة واخافة ، ولذلك يكون ميزانها : افالة أو افعله ٠

(٤) يعني ان ماحصل للرباعي (افعل) المعتل حصل للفعل (استفعل) السداسي اذا اريد مصدره ، غير ان همزة الخماسي والسداسي همزة وصل لاقطع٠

(٥) المصدر على (تفعيل) هو المطرد ، اما على فعال فهو قليل ، ولا يطرد في جميع الافعال الرباعية على (فعل) ٠

(٦) ايراد الوزن (تفعلة) عند المؤلف يدل على ان المحذوف عنده هو الياء الزائدة ليس لام الكلمة فليس زنة (تعدية) عنده : تفعية بحذف الـــلام وتثبيت الياء الزائدة ، وهو الصحيح يدل على ذلك مجيء المصدر مـــن الصحيح كذلك على (تفعلة) بحذف الياء الزائدة نحو : التكرمة والتقدمة، اما التاء فهي عوض الحرف المحذوف وهو الياء ٠

ويجيء ايضا هذا المصدر من المهموز كالتهنئة والتوطئة والتعبئة ٠

(٧) مجيء (المفاعلة) للفعل (فاعل) هو المطرد بلا مدافع ثـم يليـه (الفعال) كالجهاد والنضال والقتال والصدام والفراق ، اما (الفيعال) فهو نـادر قليل ويبدو انه يجيء من اتباع كسرة فاء الفعل ، اذا لم يكن من قلب الف (فاعل) ياء لسكونها وانكسار ماقبلها ٠

(٨) حصل في مصدر (فاعل) المعتل اعلال بالقلب وهو قلب الياء الفا فالاصل في هذا المصدر هو (ممارية) فلما تحركت (الياء) وانفتح ماقبلها قبلت الفا ٠ اما (مراء) فاصلها (مرأى) فلما تطرفت الياء وقبلها الف زائدة قلبت همزة ٠

(٩) قال ابن خالويه في كتاب (ليس) ص ١٣٩ ـ ١٤٠ : ماجاء علـى تفعال وفعال الا قولهم تملقه تملاقا ، قال

ثلاثة احباب فحب علاقة   وحب تملاق وحب هو القتل

ومثل التملاق : التقطاع والتبتال وتكلام وتلقاع وتنقاع ومن ذلك ايضا تلعاب وتحمال وتكذاب وتفراق وتلقام وتلحاظ ٠

(١٠)بل المنقول عن ابي زيد مجيء المصدر مثلث الواو ٠ انظر (ليس) ص٣٤٥

(١١) المصدران : افعلال وافعيلال ياتيان غالبا للافعال التي تدل على اللون كالاصفرار والاخضرار والادهيما) ٠

(١٢) ومنه اعلوط : اعلواطا ٠

(١٣) ونحو : احرنجم احرنجاما وافرنقع افرنقاعا ٠

(١٤) ومنه نحو : اعشوشب اعشيشابا ، واحمومى احميماء ٠

(١٥) اى : المصدر من باب ، والفعل من باب اخر ، ولقد عقد ابن خالويه بابا اسماه (غرائب المصادر مجموعة) ص ٣٤٥ من كتاب (ليس) اورد فيه ابنية مصادر ليست على القياس ، وذلك نحو : التفاوت ـ امثلة الواو ـ

والتهلكة والتهلوك والمجلود والمعقول والكاذبة والعافية والعاقبة والتعونة والمتغورة والكينونة وغلبة وغلبى وعباقية وحابه من الحوب ، وضعافة والحبابة والخليفى ... الخ

تميزت اوزان الفعل في العربية – وهي احدى الساميات – بانها جمعت صفات مشتركة بينها وبين اخواتها السامية كل لغة على انفـراد ، فـأوزان العربية تتفق مع اوزان السريانية مزيدة كانت ام مجردة في الثلاثي والرباعي ، سوى بعض الاوزان المركبة(١) .

وتشترك العربية مع العبرية والسريانية كذلك في ازمنة الفعل وصيغها الثلاثية ، ولكنها تختلف عن السريانية بان الثانية لاتستعمل (الياء) من حروف (أنيت)(٢) وتشاركها العبرية بهذه الصفة .

وكما ان لحروف الحلق اثرا في نطق الفعل اذا وقعت هذه الحروف عين الفعل او لامه في العربية فان اللغة العبرية قد شاركت العربية بهذه الصفة فكلتا اللغتين تفتح عين المضارع عند النطق في حالة وجود حرف من احـرف الحلق في لام الفعل او عينه(٣) .

اما سائر اوزان الفعل فانها موجودة في اغلب اللغات السامية كالاشورية والارامية والحبشية والعبرية والمعينية والسامية الجنوبية والبابلية وغيرها . وهذه الصفات التي جمعتها العربية هي الام لهذه اللغات جميعا . او انها اللغة المتطورة من اللغة السامية الام ، وقد جمعت عبر حقب طويلة من الزمن كل الصفات الرئيسة التي اتسمت بها الساميات .

---

(١) الوزن المركب في الافعال هو الذى يجمع بين لغتين ويخرج بوزن ثالث منهما كما نرى في : نعم ينعم وفضل يفضل بكسر العين في الماضي وضمها في المضارع ويسمى هذا بتداخل اللغات كذلك .

(٢) المفصل في قواعد اللغة السريانية ٥٧ .

(٣) الاساسي في الامم السامية : الابراشي ٢١٠ .

وعلى اية حال ، فان الشيء الذى يمكن ان تظهر فيه العربية ، متميزة من اخواتها بشكل واضح جلي هو كثرة هذه الاوزان وتنوعها وتعدد معانيها وصور ابنيتها المختلفة بين التجرد والزيادة ٠

وقديما وضع الصرفيون لاوزان المجرد ابوابا مقسمة ـ ثابتة ـ وجعلوا لها ضوابط يرجعون اليها لمعرفة الباب الذى يندرج هذا الفعل فيه والباب الذى يندرج فيه الاخر ، وسموا ذلك (ابواب الفعل) مبتدئين من الثلاثي لانه الاصل في بناء العربية الباقية ، واسموا الثلاثي مجردا لانه لامجال للزيادة فيه وسموا ماعداه من الرباعي والخماسي والسداسي ـ مزيدا اذا كان اصله من ثلاثة احرف ، او رباعيا مجردا اذا كان اصل بنائه اربعة احرف ، كالفعل (دحرج) ونظائره ٠ وفيما عداد ذلك ، اى : فيما عدا الثلاثي المجرد والرباعي المجرد ليس في العربية فعل خماسي او سداسي مجرد ولكن ثمة اسماء خماسية مجردة نحو : فرزدق وسفرجل وغضنفر ٠٠٠

الثلاثي المجرد ومعانيه

المعروف في الدراسات اللغوية العربية ان ثمة اوزانا تمثل ابواب الثلاثي المجرد اصطلح عليها علماء اللغة ، وجعلوها مرجعا لهم عند الحكم على المجموعة التي ينتمي اليها الفعل في العربية ، واتفق اللغويون على ستة ابواب هي : فتح عين الماضي وضم عين المضارع نحو : نصر ينصر ونظر ينظر ودرس يدرس وكتب يكتب ونشر ينشر ، وسموا هذا الباب (باب نصر) ووجدوا انه اوسع الابواب افعالا ـ ثم فتح عين الماضي وكسر عين المضارع : نحو ضرب يضرب وكسر يكسر وجلس يجلس وسموه باب (ضرب) ويأتي بالمرتبة الثانية بعد الباب الاول ٠

ثم فتح عين الماضي والمضارع نحو : فتح يفتح ونشأ ينشأ ونفع ينفع ،

وهو اقل من سابقه ويلاحظ ان لامه حرف حلقي ، وقد يكون عينه حلقيا نحو: نهر ينهر ونعب ينعب ٠

ثم كسر عين الماضي وفتح عين مضارعه نحو : سعد يسعد وحزن يحزن ورغب يرغب وهو اقل من سابقه ٠

ويأتي بعده ضم عين الماضي والمضارع نحو : جمل يجمل ، ثم الباب السادس وهو الاخير ، ـ عندهم ـ وهو ان يكون العين مكسورا في الماضي والمضارع نحو : حسب يحسب وهو باب قليل الورود في كلام العرب ٠

والملاحظ ان النحاة واللغويين حين رتبوا الابواب على هذا الشكل المذكور كانوا ينظرون الى كثرة مايرد في الباب من افعال ثم الذى يليه اخذين بنظر الاعتبار ان الباب الاخير هو اقل الابواب ورودا ٠

والنظرة المتأملة في مذهب الاقدمين تقف بنا على شيء من الارتباك الواضح في تركيب الابواب ، كثرة وقلة ، ففي حين نجد الافعال الثلاثية المفتوحة العين منقسمة على ثلاثة ابواب في المضارع (كسر العين وضمها وفتحها) نجد ان اللغويين انفسهم يقررون : ان ماعدا الافعال المشهورة الباب مما عينه مفتوحة في الماضي ، يجوز لك فيه الضم والكسر ، والى هذا ذهب ابو زيد الانصارى (٢١٠ هـ) وتبعه جمهرة من اللغويين(١) ٠ واذا علمنا ان ابن جني يذهب الى ان الكسر في عين المضارع للفعل الماضي المفتوح العين اولى به من يفعل ـ المضموم العين ـ(٢) أدركنا معه ان ورود الكسر ـ اى الباب الثاني ـ هو الاولى عند العرب وربما كان هو الاكثر ٠

---

(١) شرح المفصل : ابن يعيش ١٥٢/٧ ٠ المصباح المنير ١٠٦٤/٢ ٠

(٢) الخصائص ٨٦/٣ ٠

ومثل هذا يمكننا ان ننكر على اللغويين مذاهبهم في قلة هذا الباب وكثرة ذلك ، او اقتصارهم على هذه الابواب الستة وعدها ابوابا قياسية لايمكن الخروج عليها ، وذلك ان العرب انفسهم قد يختلفون في الفعل الواحد فيلهج به هؤلاء بشكل ، ويلهج به اخرون بشكل ثان ، وقد يدخل الاستحسان والاستخفاف سببا في تلاعبهم بعين الفعل في الماضي والمستقبل ، يقول ابن درستويه في (ضرب يضرب وشكر يشكر) وليس احدهما اولى به من الاخر ولا فيه ـ عندهم الا الاستحسان والاستخفاف ، فمما جاء واستعمل فيه الوجهان قولهم : نفر ينفر وينفر ، وشتم يشتم ويشتم(*) ٠

واختار ثعلب الكسر كما ذكرناه في مذهب ابي زيد وجعله افصح من الضم لكونه عندهم اكثر استعمالا ٠ وأنكر ابن درستويه مذهب ثعلب في كثرة الاستعمال فقال : (وليست الفصاحة في كثرة الاستعمال ولا قلته ، وانما هاتان لغتان مستويتان في القياس والعلة ، وان كان ماكثر استعماله اعرف وانسب لطول العادة) ثم قال : (وانما الفصيح مافصح عن المعنى واستقام لفظه على القياس ، لاماكثر استعماله(١) (وليس كل ماترك الفصحاء استعماله بخطأ ، فقد يتركون استعمال الفصيح لاستغنائهم بفصيح اخر أو لعلة اخرى)(٢) ٠

ومن هذه الزاوية نجد ان مادخل من الافعال تحت هذا الباب دون ذلك ليس دقيقا كل الدقة ، ولعلنا حين نستقصي الاوجه التي تجوز في كثير من الافعال في العربية ، نكون امام حشد كبير من الاوزان المختلفة عن الاصول الستة التي تمثل ابوابا اضافية اخرى ، زعم اللغويون انها من باب (تداخل

(*) ومثله : خدم يخدم ويخدم

(١) المزهر ١٠٢/١ ٠

(٢) نفسه ١٠٣/١ ٠

اللغات) وذلك ان تكون لغة المتكلم على وفق ماتتكلم به قبيلته ، ثم تستفيد الاخرى من قبيلة اخرى(١) ، ولقد عد ابن درستويه : (حسب يحسب على مثال علم يعلم من بابه ولكنه خرج على مثاله ، فلزم لغة اخرى هي كسر عين (يحسب) فاصبح مثل (ورم) يرم (ولي يلي) (٢) . وهذه الصورة التي يعطيها هذا اللغوى تلغي ادخال هذا المثال في مجموعة الباب السادس .. ومثل هذه الاراء والمذاهب التي ينقلها اللغويون او يتبنونها تثبت لنا ما ذهبنا اليه من الافتقار الى الدقة في ترتيب ابواب الفعل الثلاثي ، ومع ذلك فان ماعرفناه في كتب اللغة هو مانقلناه انفا . ويمكننا ان نضيف ابوابا اخرى مما عد من المركب (٣)

١ ـ فعل يفعل ، نحو : وجد يجد بضم عين الماضي وكسرها في المضارع .

٢ ـ فعل يفعل : مثل : دمت أدوم ، ومت أموت ،وفضل يفضل ، ونعم ينعم ، وقنط يقنط ، وحضر يحضر ، ونكل ينكل (٤) . وبناء هذا الباب خلاف الباب الذى قبله ، وقد روى اللغويون امثلة اخرى نحو : نجد ينجد ، وعرق يعرق ، وركن يركن .

٣ ـ فعل يفعل : مما ليس فيه حرف الحلق عينا ولا لاما ، وهذا الضابط خلاف ماأشرنا . وقد عد ابن خالويه منه عشرة افعال هي : أبي يأبى وجبى يجبى ، ومعناه ـ اذا جمع الماء في الحوض ، وسلى يسلى وقلى يقلى وخظا

---

(١) نفسه ١/١٢٧ .
(٢) نفسه ١/١٢٨ .
(٣) انظر اوزان الفعل : هاشم طه شلاش ٣٢ .
(٤) ليس في كلام العرب : ابن خالويه ٩٥ .

يخظى وغضب يغضب وبض يبض وقنط يقنط وغشى الليل يغشى وركن يركن‌ا (١)

٤ ـ فعل يفعل : مما فاءوه واو ـ مثل : وجد يجد ووكل يكل وولد يلد ووعد يعد ٠ قال الرازي في مختار الصحاح (يجد بالضم لغة عامرية لانظير لها في باب المثال) ولم يذكر ابن خالويه في (ليس) الا وجد يجد قال : وقياسه ان يجيء على (يفعل) مثل : وزن يزن ووعد يعد ٠ وفي يجد قال جرير :

لو شئت قد نقع الفؤاد بشربة　　　تدع الصوادى لايجدن غليلا

معاني الصيغ والاوزان

من خصائص الابنية في العربية انها تكتسب معاني مختلفة باختلاف انواع البنى والصيغ وباختلاف انواع الاصوات التي تزاد على جذر المادة اللغوية ، ويعني ذلك ان الحركة ذات تأثير كبير على تغير المعنى ، ولقد اشرنا في ظاهرة الاعراب الى ان الحركة على اواخر الكلمة وظيفة كشف موقع المفردة من مراد المتكلم ، ولذا فان الصيغ والاوزان المختلفة في العربية انما تقع التغيرات فيها لتنتقل المفردة من وظيفة الى اخرى ومن معنى اخر بحسب القصد والغرض الذى صيغت له ومن اجله ٠

والعربية انفردت بعدة صياغات وابنية ـ حتى بين اخواتها الساميات وشاركتها بعض اخواتها في جزء منها ، كما شاركتها الاخريات في اجزاء ثانية من هذه الصياغات والابنية فالحبشية السامية ، واللغة الجنوبية القحطانية

---

(١) نفسه ٢٨ ـ ٢٩ ٠ قال ابن فارس في المجمل في (خظا) : (وسمعت من يقول ليس للياء فيه حظ ، لايقال الا (خظا) : ٢/٢٩٦

(٢) نفسه ٣٩ ـ ٤٠ ٠

قد شاركتها العربية في صيغ جموع التكسير التي تعددت في العربية تعددا غريبا بحيث اصبح للمفردة الواحدة صيغ كثيرة مختلفة يدل جميعها على الجمع ٠

ونظرة متأملة في الصيغ الجمعية هذه نرى ان لكل صيغة معنى يختلف عن الصيغة الاخرى ففعلة كصبية وفتية وافعلة كازمنة وأعمدة واخبية وفعلان كصبيان وفتيان وغلمان وافعل كافلس كأكلب وافعال كافراح واقفال واخشاب تختلف بين القلة والكثرة ٠

ولعلنا نجد ـ احيانا ـ صيغة تجمع على اكثر من ستة اوزان تختلف في معانيها ، نقل ابن خالويه ان (فاعل) في كلام العرب جمعت على صيغ كثيرة مختلفة اولها : الجمع السالم (كاتب وكاتبون) ثم (فعال) كتاب ، ثم (فعلة) كتبة ، ثم (فعل) كتب ثم (فعل) ناقة حائل والجمع : حول٠٠٠(١) وسرد جموعا اخرى لصيغة (فاعل) نفسها وهذه اوزانها (فعلل) و (فعل) و ـفعلـ و ـ فعيل ـ و ـ فواعل ـ و ـ فعول ـ افاعيل ـ و ـ افاعل و ـ فعلاء ـ و ـ افعلة ـ و ـ فعلة ـ و ـ فعلى ـ و فعل ـ ٠

ويلاحظ من خلالها ان بعضها يفيد نهاية الجمع وبعضها الاخر يفيد جمع الجمع ، وبعضها الثالث يفيد القلة ، والاخر يفيد الكثرة ، والبعض يفيد مجرد الجمع ، وهذا ان دل على شيء فانما دلالته على سعة هذه اللغة في ابنيتها وصيغها وكثرة ابواب تصرفها ، ولذا فان مايزعمه بعض المستشرقين حول هذه الظاهرة من كونها تسبب الاضطراب مع قلة فائدتها زعم لاتقوم معه حجة(٢) ٠

وتتضح قيمة اختلاف الصيغ والابنية بين التجريد والزيادة في ابنية

---

(١) ليس في كلام العرب ٣٣١ ـ ٣٣٢ ٠

(٢) مثل رينان وبروكلمان ، كما اشار د٠ وافي في حاشية فقه اللغة ٢١٧ ٠

الافعال : الثلاثية ومافوقها ، ويمكننا ان نشير بشكل وجيز الى بعض معاني صيغ الافعال ليكون البحث تتمة لما سبق في ابواب الفعل الثلاثي ٠

١ـ الابواب : فعل يفعل ـ الباب الاول ـ وفعل يفعل ـ الباب الثاني ـ وفعل يفعل ـ الباب السادس ـ تشترك افعالها في عموم حاجات الانسان ومتطلبات حياته ، ولذلك جاء البابان الاول والثاني يتصدران ابواب الفعل في الكثرة والدوران على الالسنة ، وجاء الباب السادس نادرا ومحدودا ٠ ولعل ذلك راجع الى الذوق اللغوى والحس الموسيقي في اختيار الالفاظ المناسبة فهم يميلون الى الفتح والضم او الفتح والفتح او الضم والضم اكثر من ميلهم الى الكسر ، ولذلك عد بعض اللغويين الباب السادس شاذا في الابنية(*) ٠

٢ ـ باب فعل يفعل : وهو الباب الرابع تأتي افعاله ـ غالبا ـ في معاني : الغرائز والاحاسيس والعواطف والصفات الطارئة والامور النفسية والالوان والعيوب والعلل ، وذلك نحو : غضب يغضب فرح يفرح ضحك يضحك عرج يعرج خضر يخضر كدر يكدر خاف يخاف سقم يسقم ضمىء يضماء طرب يطرب ٠٠٠ الخ وهذا الباب هو الاصل الذى خرج منه الباب السادس ٠

٣ ـ باب فعل يفعل : اى الباب الثالث ـ وهو باب كثير كذلك ، ومعانيه متعددة واكثرها يدل على الانفتاح والاتساع ويقيد كون هذه الافعال مفتوحة العين في الماضي والمضارع وجود الحرف الحلقي في لام الفعل او عينه ومنها : جمع يجمع فتح يفتح فغر يفغر نفع ينفع جنح يجنح صرع

(*) شرح الملوكي : ابن يعيش ٥٧ و ٤٢ ـ ٤٣ ٠

يصرع نأى ينأى سأل يسأل وهب يهب صنع يصنع ، قال ابن يعيش(★): ضارعوا بالفتحة حروف الحلق لان الفتحة من الالف والالف اقرب الى حروف الحلق لتناسب الاصوات ٠

٤ ـ الباب الخامس ، وهو فعل يفعل بضمتين ودلالة هذا الباب على لزوم الصفة وثبوتها في الفاعل واضحة كما ترى في الافعال : حسن يحسن قبح يقبح كرم يكرم ولؤم يلؤم وصغر يصغر وشرف يشرف ونبل ينبل ٠٠الخ

٥ ـ اذا زيد في الثلاثي حرف تغيرت المعاني الى مايناسب تلك الزيادة :

ـ ومنها : التعدية مثل : خرج زيد وأخرجت زيدا ، وسمع واسمعته الهمزة لمعان بلغت عند سيبويه عشرة(١) ٠

ـ ومنها : التعدية مثل : خرج زيد وأخرجت زيدا ، وسمع واسمعته

ـ الدخول في الشيء مثل : اعرق اذا دخل العراق ، وانجد اذا دخل نجدا ، واضحى اذا دخل في الضحى ٠ وقد يطلق عليه معنى الصيرورة كما فعل ابن يعيش ٠

ـ التملك مثل : أتمر ، اى : أصبح صاحب تمر ٠

ـ السلب : مثل : قسط ، عتب واعتب ٠ ونصف وأنصف ، وشكا وأشكى ٠

ـ التعريض : أبعت الحاجة ، أي : عرضتها للبيع ٠

ـ التمكين : احفرتك الارض ، اى : حملتك على حفرها ، واسفرتك : مكنتك من السفر ٠

ـ وجود الشيء مثل : اعظمتك : وجدتك عظيما ، واكبرته : وجدته كبيرا ٠

(★) شرح الملوكي ٣٩ ـ ٤٠ ٠

(١) الكتاب : ٢/ ٢٣٣ ـ ٢٣٧

ـ وقد جاء العكس لهذه الصيغة في بعض الافعال ، فكان المزيد هو اللازم والمجرد هو المتعدى ، قال ابن خالويه : اكب زيد في نفسه ، وكب غيره قال الله ـ تعالى ـ : (فكبت وجوههم في النار) وقال الله ـ تعالى ـ : (افمن يمشي مكبا على وجهه) ، لان كلام العرب : جلس واجلس غيره ، وذهب واذهب غيره · وقد قيل : اقشعت الغيوم وقشعتها الريح · وقال رسول الله ـ ص ـ (وهل يكب الناس في النار الا حصائد السنتهم ، فقال : يكب ، ولم يقل : يكب)(١) ومن هذا النوع من الافعال : اجفل الطائر وجفلته ، وانسل ريش الطائر ونسلته ، وأمرت الناقة ـ دربتها ـ ومريتها ، واظارت الناقة ـ اذا عطفت على بوها ، وظارتها : عطفتها واعرض على الشيء ـ اذا ظهر ـ وعرضته : اظهرته ، وانقع العطش سكن ، ونقعه الماء : سكنه ، واخاض النهر وخضته ، واصبح زيد وصبحته ، واصرم النخل وصرمته ، وامخض اللبن ومخضته ، واثلثوا اذا صاروا بانفسهم ثلاثة ، وثلثتهم : صرت ثالثهم وكذلك الى العشرة، وابشر الرجل بمولود : سربه وبشرته (٢)

ـ زاد ابن يعيش : فعلت وافعلت : معنى واحد ، نحو : جد في الامر وأجد ، وبكر وابكر ووقف واوقف ، صدر وأصدر ·

ب ـ تضعيف عين الفعل : فعل مثل : هذب ·و ، قدم ·· ويأتي لمعان ·

ـ التكثير مثل : غلق وقتل ، قال جرير :

ان العيون التي في طرفها حور قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

اى : اكثرت قتلنا ومنه : طوف اى : اكثر الطواف ·

---

(١) ليس في كلام العرب ١١٨ ـ ١١٩ · المصباح للفيومي (خاتمة الكتاب)

(٢) المصباح المنير : الفيومي : (خاتمة) و ص ١٠٥٩ والمزهر : ٢/٧١

ـ التعدية : فرح وفرح ، قدم وقدم ، جلس وجلس ٠

ـ التشبيه : مثل : حجر اى : اصبح كالحجر ، قوس : اصبح كالقوس ٠

الوجود على الحقيقة : كفرته : وجدته كافرا ، صوبته : وجدته صوابا ، عدلته وجدته عدلا ، وثقته : وجدته ثقة ٠ واطلق ابن يعيش على هذا المعنى (التسمية) ٠

ـ الاتجاه : نحو : عرقت : اتجهت الى العراق ، ونجدت : اتجهت الى نجد ٠ غربت اتجهت الى الغرب ، وشرقت : اتجهت الى الشرق ٠

ـ نحت من جملة ، مثل : سبحت : قلت : سبحان الله ، وهللت : قلت لا اله الا الله ، وامنت : قلت امين ٠

ـ السلب مثل : مرضته : ازلت مرضه ، قذيت عينه ، أزلت قذاها ، فزعته : ازلت فزعه ٠

جـ ـ زيادة الالف على فاء الفعل : فاعل مثل : ناصر وقاتل وجاهد ٠ وتأتي هذه الصيغة لمعان منها :

ـ مقاربة الشيء : شارف وتاخم وناهز ونازح ٠

ـ المشاركة : قاسم ضارب نافس قاتـل ـ أو يأتي للمفرد مـن غير مشاركة نحو : سافر وعافى وعاقب ٠

ـ الاستمرار والمواصلة : والـى وتابـع وجارى وعانـى وقاسـى وواكب ٠٠٠ الخ ٠

٦ ـ زيادة حرفين على الثلاثي ، يتألف الخماسي ، وهذه الزيادة تكون في :

أـ زيادة الهمزة والنون في اول الفعل (انفعل) بشرط ان لاتكون فاء الفعل راء او لاما او نونا او ميما او واوا ، وتدل هذه الصيغة على المطاوعة ،

جرته فانجر ، دفعته فاندفع وتكون غالبا في الافعال العلاجية والدالة على الحركة والعمل ٠

ب ـ زيادة الهمزة والتاء ، الهمزة في اول الفعل والتاء بعد الفاء (افتعل) ويدل على اكثر من معنى وهي :

ـ المطاوعة مثل : انتفع واجتمع وامتنع ، وتأتي معظم الافعال الدالة على المطاوعة ذات معان حسية اذا كانت فاءاتها راء او لاما اوميما او نونا او واوا(١) ٠

ـ طلب الشيء : اكتتبت : طلبت الكتابة ، احتجمت : طلبت الحجامة ، واجتهدت طلبت الاجتهاد ٠

ـ المبالغة : اقتتل : بالغ في القتال ، اقتدر : بالغ في القدرة ٠

ـ الاتخاذ : اعتصم : اتخذه عاصما ، واختتم اتخذ خاتما ، امتهن : اتخذ مهنة ٠ واحترف اتخذ حرفة ، واشتوى الفرن اللحم ، اتخذه شواء ، وكذا اختبز ، واذبح ـ أي بتشديد الذال ـ ٠

ـ المشاركة : اقتسم ، استبق ، واضطربوا ، واعتونوا ، وأجتوروا ٠

ـ بلوغ الشيء او مقاربته : اكتهل : بلـغ الكهولة ، واحتلم : بلـغ الحلـم

جـ ـ زيادة التاء والتضعيف : التاء في مقدمة الفعل وتضعيف العين نحو : تقدم ، تصدق ، تزكى وتأتي هذه الصيغة لمعان منها :

ـ الدخول في الشيء : تقيس دخل في قيس ، وتنزر : دخل في نزار وتنجد دخل في نجد ، وتعرق دخل العراق ٠

ـ المطاوعة : علمته فتعلم ، وصبرته فتصبر ، وكسرته فتكسر ٠

---

(١) مجلة مجمع اللغة العربية : القاهرة م١ ،ص ٣٦ ـ ٣٧ ٠

ـ التكلف : تنبأ : تكلف النبوة ، تادب : تكلف الادب ، تشجع ، تبصر، تجلد ، تحلم ٠

ـ الاتخاذ : تلحف السماء ، اتخذها لحافا وتوسد الارض اتخذها وسادة

ـ بلوغ الشيء : تسنم بلغ السنام ، توظف بلغ الوظيفة ٠

ـ التدرج ترقى في الامر ، اذا رقي فيه شيئا فشيئا ، وتجرع الماء اذا شربه جرعة بعد جرعة ، وتصعد وتسفل وتنزل وتسمع وتحسى ٠

د ـ زيادة التاء في اول الفعل والالف بعد الفاء (تفاعل) ويأتي لمعان منها :

ـ الاشتراك : تخاصم وتقاتل وتناحر وتعامل وتقاسم ٠

ـ التدرج : تقارب ، اى : قرب شيئا فشيئا ، وتصاعد ، اى : صعد شيئا فشيئا ، وتزايد : اى : زاد شيئا فشيئا ٠

ـ الطلب : تقاضيته الدين : استقضيته ، تواقفته الطريق : استوقفته ٠

ـ بمعنى فعل تجاوزته : جزته ، تسامحت معه : سمحت له ٠

ـ المطاوعة مثل : جاذبته الحديث فتجاذب ، ودافعته فتدافع ، قال الشاعر :

ودفعتها فتدافعت(١) مشي القطاة الى الغدير

ـ التظاهر : تجاهل : اظهر الجهل ، وتغابى : اظهر الغباء ، وتعامى : اظهر العمى ، وتسامح : أظهر السماح ، وتصابر : اظهر الصبر وتغاضى اظهر الاغضاء ٠

هـ ـ زيادة الهمزة في مقدمة الفعل والتضعيف في لامه (افعل) ويختص هذا

---

(١) تفاعل يطاوع (فاعل) كما مثلنا ، وفي قول المنخل اليشكرى يبدو ان الفعل (تدافع) طاوع (فعل) وهو ضرورة ٠

الوزن من ابنية الفعل بالافعال الدالة على العيوب والالوان وتدل على المطاوعة نحو : اعرج واعور واحمر واصفر ٠

و ـ زيادة التاء في مقدمة الرباعي المجرد (تفعلل) مثل : تدحرج وتزخرف ويدل على المطاوعة زخرفته فتزخرف ، وبعثرته فتبعثر ٠

٧ ـ زيادة ثلاثة احرف على الثلاثي وله اكثر من صيغة ٠

أ ـ زيادة الهمزة والسين والتاء ، وله اكثر من معنى ٠

ـ طلب الحدث : استنجد : طلب النجدة واستغاث واستعان واستجار ٠٠٠ الخ

ـ الصيرورة : استتيس : صار تيسا ، واستحجر : صار حجرا ، واستأسد : صار اسدا ٠ ومعنى الصيرورة ـ هنا ـ يحتمل الحقيقة والمجاز ، وأطلق ابن يعيش على هذا : الانتقال ٠

ـ وجود الشيء على الصفة التي هو عليها نحو : استعظمته : اى وجدته عظيما ، واستعبرته واستقبحته واستصغرته ، قال الشاعر :

واستكثر الاخبار قبل لقائه فلما التقينا صدق الخبر الخبر ٠

ـ نحت جملة في فعل : نحو : استرجع ، اى : قال : انا لله وانا اليه راجعون وهو قليل ٠ ومنه : معنى تفعل وذلك نحو : استكبر : تكبر ، استعظم : تعظم ٠

ب ـ صيغة افعوعل : بزيادة الهمزة وتكرير العين وزيادة الواو مثل : اخشوشن واحلولى وتدل معظم هذه الافعال على المبالغة والكثرة والمقاربة مثل : احمومى الماء اذا قارب ان يسخن ، واعرورى الرجل ظهور الخيل اذا كثر تمطيه وركوبه ، واعشوشبت الارض ٠ اذا كثر عشبها بشكل غير طبيعي ، وقد يتعدى نحو : احلوليت التمر ٠

ج ـ صيغة افعال ، بزيادة الهمزة والف بعد العين وتضعيف اللام مثل : احمار وادهام واشهاب ، وتأتي للمبالغة والتهويل وتكون في الالوان كما مثلنا ، وفي العيوب مثل : اعوار لتهويل العور ، واحوال للمبالغة في الحول وبعض افعال هذا الباب يكثر ان يأتي على افعل مثل : ابيض واسود واعرج ٠

هـ ـ صيغة افعنلل : بزيادة الهمزة قبل الفاء والنون بعد العين على الرباعي : احرنجم وافرنقع واقعنس وفيها معنى المطاوعة والكثرة وهي افعال لازمة٠

و ـ صيغة افعلل ـ بتشديد اللام الثانية ـ اوافعال ،بزيادة الهمزة في صدر المادة والحرف الحلقي قبل لام الفعل ثم التضعيف للام او الهمزة والتضعيف اذا عددنا (الحرف الحلقي) أصليا في جذر الكلمة(١)،وذلك نحو:اطمأن واقشعر وارجحن واصمعد واضمحل ٠٠٠ اخ ٠ وتتميز هذه الافعال بكونها لازمة ، وتفيد معنى المطاوعة لرباعياتها نحو : طمأنته فاطمأن ، وفيها معنى المبالغة في الحدث ، فاصمعد اذا بالغ في الصعود ، واضمحل اذا بالغ في الضمور والضحالة ٠

ز ـ صيغة : افعول مثل : اخروط واجلوذ واعلوط ، بزيادة همزة وتضعيف الواو ، وتفيد هذه الصيغة المبالغة كذلك وهو يشبه : افعوعل وعلى زنته(٢) ٠

---

(١) ينظر مبحث التناسق الصوتي في هذه الابحاث ، ومجلة الاستاذ ـ كلية التربية ـ بغداد عدد ١ سنة ١٩٧٩ ، بحث (احرف الحلق) للمؤلف ٠

(٢) شرح الملوكي ٨٧ ٠

كلمـــة اخـــيرة

هذا الكتاب جهد متواضع بذلناه في سبيل تيسير مادة فقه اللغة العربية ، ونصوصها بين ايدى طلبة الجامعات العربية · ولقد نجز الان على هذه الصورة في تسعة فصول تضمن جملة غير قليلة من الابحاث والنصوص المهمة في علم اللغة وفقهها ·

ولعل ابرز مايلمح من خلال هذه الابحاث انها حاولت الربط بين مذاهب اللسانيين العرب في كتبهم التي الفوها في الدراسات اللغوية ـ عامة ـ او كتب فقه اللغة وعلومها ـ خاصة ـ ومذاهب الدارسين المحدثين ، في اوربا والعالم العربي ، فلم نشتط في مذهب ، ولا ابتعدنا عن الحقيقة في رأى ، بل لقد ظهر لدينا ان الدراسات الحديثة ـ اجنبية او عربية ـ ان هي الا اجترار لما درج عليه اللساني العربي من افكار ، ولعل السبق في الكثير من القضايا كان من نصيب العالم العربي · ففكرة كون العربية واخواتها الساميات من اصل واحد كانت قد سبق اليها ابن حزم الظاهرى الاندلسي قبل مايقرب من تسعمئة عام من رأى شلوتزر وايكهورن ، وبوب وغيرهم ، وفكرة سيطرة المنطق والعقلنة في تراكيب اللغة قديمة قدم النحو البصرى ، وها هـي اليـوم تعـود في اوربـا بمصطلحات جديدة ، وبنظريات معاصرة تضع للعقل المكان الاول في التركيب والتحليل والتوزيع والتحويل والتوليد ، وتعد اللغة قوالب هندسية ، وابنية محكمة ، كما هو مذهب البنيويين والتشومسكيين والهلمسلفين والسوسيريين وغيرهم ·

ولقد سبق اللغويون العـرب ، والنقاد الـى النظرة البنائية والمذاهب المذاهب البنيوية في احكامهم ووجهات نظرهم النقدية والتحليلية ، وعبـد

القاهر الجرجاني في نظرية النظم النحوي لم يبعد عن هذه الميادين ، وهو الذي قال في شعر الكميت بن زيد ، انه توفرت لديه ادوات البناء – يعني الشعري– فبنى القصيدة وتمكن من صياغتها ، وهو الذي ذهب الى أن اللغة نظم ونسق وبناء ٠

ان الرجوع الى نصوص الدراسات العربية في ميادين علم اللغة وفقهها يفتح امام الباحث ابوابا واسعة من الحقائق العلمية الثابتة ، والاحكام الدقيقة التي تثبت جدارة اللساني العربي في تخصصه ، ولقد اعترف اللسانيون الاوربيون بالكثير من ذلك ، يقول جورج مونان : فالهنود واليونان ، ثم العرب قد وضعوا ولا سيما الاولين منهم اسس تحليل صوتي ممتاز(١) ٠

ان هذا الكتاب – كما هو واضح – حريص على تأكيد هذه الافكار المتقدمة ، ولذلك جاء معنيا بالدراسة اللغوية العربية ، على الرغم من انه لم يهمل الاشارة الى مايتفق او يخالف النظرة العربية في هذا المضمار ٠

وعسانا نكون قد قدمنا شيئا يستفيد منه الدارس وينتفع به المثقف العربي ، لانه يمثل تواصلا تراثيا ، وثقافة حديثة ٠٠٠ والله من وراء القصد٠

د٠ رشيد العبيدي
استاذ علم اللغة في كلية التربية / جامعة بغداد
استاذ التعليم العالي – كلية الاداب / مراكش
محاضر بكلية اللغة العربية التابعة للقرويين / فاس

مراكش : ١٩٨٣

---

(١) مفاتيح الالسنية ٣١ ٠

بعض مصادر ومراجع في فقه اللغة

١ ـ الكتب العربية القديمة :

ـ الاتباع والمزاوجة : لابن فارس القزويني (٣٩٦ هـ)
تحقيق : رودلف برو : سنة ١٩٠٦ م .

ـ الاستقاق : ابن دريد (٣٢١ هـ) طبعة مصر ١٩٥٨ م .

ـ الاضداد (كتب ثلاثة) نشرها : هفنر سنة ١٩١٦ م في بيروت .

ـ الاضداد : لابن الانباري : القاهرة ١٩٦٥ .

ـ تهذيب اللغة : الازهرى ١٦ جزءا ، واهمها المقدمة ، ط : القاهرة .

ـ الخصائص : ابن جني (٣٩٢ هـ) مصر ١٣٨١ هـ .

ـ شفاء الغليل : الخفاجي ـ ط القاهرة ١٣٣٥ هـ .

ـ الصاحبي : ابن فارس ، القاهرة ١٣٢٨ هـ .

ـ العين : للخليل بن احمد الفراهيدى : الجزء الاول ، ط بغداد .

ـ الكنز اللغوى (مجموعة وسائل لغوية) نشرها هفنر سنة ١٩٠٢ م .

ـ فقه اللغة وسر العربية : ابو منصور الثعالبي (٤٢٨ هـ) ـ القاهرة ، وطبعة لبنان ـ الكاثوليكية .

ـ لمع الادلة في اصول النحو : ابو البركات الانبارى (٥٧٧ هـ) ط مصر .

ـ المزهر : السيوطي (٩١١ هـ) ط القاهرة (بولاق) .

ـ المعرب : للجواليقي (٥٤٠ هـ) مصر ١٣٦١ هـ ـ المحققة .

ـ المنصف : ابن جني ـ القاهرة ١٣٧٢ هـ ،ط امين والجماعة

٢ ـ الكتب الحديثة والاستشراقية والاوربية والمترجمة :

ـ ابحاث ثنائية ألسنية : الدومنيكي (ثلاث رسائل صغيرة) نشرها في ١٩٣٧م و ١٩٤٧ و ١٩٥٠

ـ احياء النحو : ابراهيم مصطفى : ١٩٥١ القاهرة ٠
ـ الاشتقاق : لعبد الله امين ـ القاهرة ١٩٥٦ م ٠
ـ البنيوية : في اللسانيات : ج ١ ، د٠ محمد الحناش ـ ط الدار البيضاء ٠
ـ الاشتقاق والتعريب : عبد القادر المغربي ـ القاهرة ١٩٤٧ م ٠
ـ الاصوات اللغوية : د٠ ابراهيم انيس ١٩٥٠ ٠
ـ دروس في علم اصوات العربية : كانتينو : تونس ١٩٥٦ ٠
ـ التطور النحوى للغة العربية : برجستراسر : القاهرة ١٩٢٦ م ٠
ـ دور الكلمة في اللغة : اولمان ـ ترجمة كمال بشر ـ ط ١٩٦٩ مصر ٠
ـ تاريخ اللغات السامية : اسرائيل ولفنسن ، القاهرة ١٩٢٩ م ٠
ـ التطور اللغوى التاريخي : د٠ ابراهيم السامرائي ـ القاهرة ١٩٦٦ ٠
ـ دراسات في فقه اللغة : د٠ صبحي الصالح ، سنة ١٩٧٨ ٠
ـ دلالة الالفاظ : د٠ ابراهيم انيس ، سنة ١٩٥١ ٠
ـ الساميات : تيودور نولدكه ، مصر ١٩٦٧ ٠
ـ سر الليال في القلب والابدال : احمد فارس الشدياق ، ١٩٤٨ ٠
ـ طرق تنمية الالفاظ : د٠ ابراهيم انيس ، ١٩٥٨ القاهرة ٠
ـ العربية : يوهان فك ، مصر ١٩٥١ ٠
ـ علم اللغة : د٠ محمود السعران ، القاهرة ١٩٦٤ ٠
ـ علم اللغة : د٠ علي عبد الواحد وافي ، ١٩٥٠ م ٠
ـ علم اللغة العربية : د٠ محمود فهمي حجازي ، الكويت ١٩٧٣ ٠
ـ فرائد اللغة للاب هنرى لامنسس ، ط بيروت ١٨٨٩ م٠
ـ فقه اللغة : د٠ علي عبد الواحد وافي ، ١٩٥٦ ٠
ـ فقه اللغة المقارن : د٠ ابراهيم السامرائي ، بغداد ٠
ـ فقه اللغة وخصائص العربية : محمد المبارك ، دمشق ٠

- الفلسفة اللغوية والالفاظ العربية : جرجي زيدان ، القاهرة ١٩٠٤ ٠
- في اصول النحو : الافغاني ، دمشق ١٩٥٧ ٠
- في اللهجات العربية : د٠ انيس ، القاهرة ١٩٥٢ ٠
- اللغة : ج ٠ فندريس ، القاهرة ١٩٥٠ ٠
- اللغة العربية : معناها ومبناها : د٠ تمام حسان ، ١٩٧٣ ٠
- اللغة بين المعيارية والوصفية : د٠ تمام حسان ، الدار البيضاء ٠
- اللغة بين الفرد والمجتمع : جسبرسن ، القاهرة ١٩٥٤ ٠
- اللغة العبرية : د٠ ربحي كمال ، دمشق ١٩٥٨ ٠
- المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث : د٠ محمد احمد ابو الفرج ، ١٩٦٦ ٠
- نصوص في فقه اللغة العربية : د٠ السيد يعقوب بكر ، ط ١٩٧٠ ٠
- المباحث اللغوية في العراق : د٠ مصطفى جواد ، القاهرة ١٩٥٥ ٠
- المدخل الى دراسة النحو العربي على ضوء اللغات السامية : عبد المجيد عابدين ١٩٥١ ٠
- مشكلات في التأليف اللغوى في القرن الثاني الهجري : د٠ رشيد العبيدى – بغداد – ١٩٨١ ٠
- من اسرار اللغة : د٠ انيس القاهرة ١٩٥٨ ٠
- مناهج البحث في اللغة : د٠ تمام حسان ، ١٩٥٥ ٠
- منهج البحث في اللغة : مييه ، ترجمة : د٠ مندور ، ١٩٦٦ ٠
- نشؤ اللغة العربية ونموها واكتهالها : الكرملي ، القاهرة ١٩٤٩ ٠
- نشر نقوش سامية قديمة : د٠ خليل يحيى ناجي ، القاهرة ١٩٤٣ ٠
- وغيرها ماورد في هوامش الكتاب ٠

فهـــرس الكتـــاب

فهرست اى القران الكريم

فهرست الاحاديث

فهرست الشعر والشعراء

الفهرست الكشاف

الالف

حرف الباء

- التاء -

ـ الثاء ـ

ـ الجيم ـ

ـ الحاء ـ

ـ الخاء ـ

ـ الدال ـ

ـ الذال ـ

ـ الراء ـ

ـ الزاي ـ

السين

الصاد

ـ الطاء ـ

ـ العين ـ

- الغين -

- الفاء -

ـ القاف ـ

ـ الكاف ـ

ـ اللام ـ

ـ الميم ـ

- النون -

ـ الهاء ـ

ـ الواو ـ

أبحاث ونصوص في فقه اللغة العربية

الدكتور
رشيد عبد الرحمن العبيدي
الأستاذ في كلية التربية / جامعة بغداد



فقه اللغة العربية
الدكتور
رشيد عبد الرحمن العبيدي
الاستاذ في كلية التربية / جامعة بغداد



رقم الايداع ١٣٥٢ في المكتبة الوطنية ببغداد لسنة ١٩٨٨

مطبعة التعليم العالي - بغداد

تصميم : فضيلة جبار جياد